

THE BOOK WAS DRENCHED

TIGHT BINDING BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190213

UNIVERSAL
LIBRARY

الدرس التام في التاريخ العام المختص من كتب التواريخ الأوروبية والعربية

في الساحة الخديوية

لقصد تدريس طلبة العلم بمدرسة دارالعلوم المصرية

جمع وتعرّيب

العبد الفقير إلى السعود أفندي

المترجم ديوان المعارف العمومية

ومدرس علم التاريخ العام في المدرسة المذكورة

جعل له الله بالعناية الخديوية من المآثر الماثورة

آمين



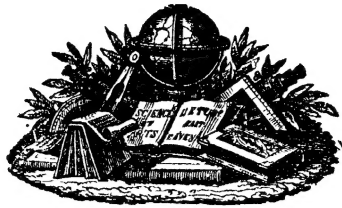
(طبعة أولى)

بمطبعة وادي النيل المصرية

الكائنة بخط باب الشعرية

بمصر القاهرة

سنة ١٢٨٩



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قص في كتابه العزيز أحسن القصص من أخبار القرون الأولى وآثار الأمم
السابقين ما فيه أسوة حسنة وقدوة مستحسنة لأولى الأبصار من الملل والأقوام اللاحقين
ونص فيه أمكن النص على ما فيه أجل عبرة للعتبرين وأكمل تبصرة للتبصرين لقصد
التربية والتعليم وجعل التواريخ مدرسة مستمرة للتدبر والتخرب ومقبسة نيره للحكم والتأدب
يهتدى بها في ظلمات الإغصار كل ذي ذوق سليم وأتم الصلاة واعم التسليم على
سيدنا محمد أفضل مؤسس للجماعة بشرية من عداة البنية الدينية وبنیان العمارة الوطنية
على أقوى أساس وأكمل مقتبس للهداية التقنية ورعاية الأمنيه باضو أمقباس سمحت
سيرته ووضحت سنته فهو أحسن أسوة يهتدى بها المهتدون وأمن عروة يعتمد عليها
المعتمدون في السلوك للطريق المستقيم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الناصحين على من صلبه
والناهبين على مثاله الذين اعتنوا بما عليه اعتمدوا على ما كان لهم قدشيد وساعده
على مرام وقاموا من بعده بأعباء الأمر أتم القيام ففاضوا بمنزلة التكميل وحازوا فضيلة التقييم
رضى الله تعالى عنهم ورضاعته فهم في جنة النعيم المقيم

وبعد فيقول العبد الفقير إلى الله المعيد المبدى والمخلوق الحقير المدعو باسم أبي السعرد
أفندي أناني عصر لا يقاس بالأعصر الأول وفي وطن وملة هما أفضل الاوطان والملل حدثت
فيه حوادث جليلة من آثار تمدن الملل الأوروبية وغيرهم من الأمم الأجنبية لم يكن مثلها
في الأزمان السابقة يعود وبدع جميله لم يكن شيء منها في الاوطان السابقة بشمود كاستخدام
القوة الكهربائية في سرعة نقل الأخبار التراسلية بالإشارة التلغرافية وكاستعمال القوة
البخارية في قضاء الحوائج السفرية البرية والبحرية وغير ذلك من الاختراعات العصرية
ترتب على ذلك حصول حركة تقدمية شديدة ورغبة تعليمية أكبر به أخذتها الملل الأوروبية
وغيرهم من أبناء هذا الجيل في الممالك الأجنبية بأوفرنصيب وأكبر سهم مصيب حتى صار لهم
اليد العليا في أمور هذه الدنيا ولزمننا كذلك معاشر أبناء العصر من أهل مصر ان نشمر عن
ساعد الجد والاجتهاد ونسدي هذا النوع من الجهاد كل ثغر انفتح لينامن هذا الوجه باحكم
سداد كما مناعا قدر مسرته ومدار منطقته ولكل مجتهد نصيب من عالي همة إما
بوظيفة

بوظيفة معلم أو متعلم أو مؤلف أو مترجم أو مأموراً كان في دائرة مأموريته وها هو سعادة
 افندينا خديوم مصرنا وولى أمر عصرنا **ابوالفدا السماعيل بن ابراهيم** بلغه الله
 من المقاصد الخيرية كل حظ عظيم أول داع أماننا في طريق القدين والاسعاد وخير ساع قدما
 في طريق التحسين والحصول على المراد يريدان بمدنا ويودان يصلح احوال ديننا ووطننا
 ويرغب أن ينزرة عقولنا ويكثر منقولنا ومعلقة ولنا وما علينا إلا أن نقفوا اثره في الطريقة الجادة
 ونسير وراءه في منهج السعادة حتى نأخذ حظنا كغيرنا من الامم المعاصرين ونستوفي حقنا بأدوة
 الملل المجاورين من هذه الحركة القهرية والبركة العصرية ونحصل لوطننا المصريه من ذلك
 الغرض المهم على أوفر نصيب وأتم وها هو أعزه الله وبلغه من مقاصد الخير مناه دليلا
 على شدة عنايته بمسألة التعلم والتعليم وصداقة رغبته في قضية نشر المعارف والعلوم قد أقام
 بالنيابة عن ذاته العلية في مباشرة ادارة ديوان المعارف والاقايف والأشغال العمومية الامير
 النجيب والوزير المصيب **سعادة حسين كامل باشا** ثاني انجاله الكرام فجلس
 في دست هذه النظارة وقام بأعباء هذه الوزارة بنظر في الامور يعين الناقدا البصير اذ كان
 قبل ذلك قد تصرف في عدة من المصالح وعرف الاصلح منها والصالح وابدى في حسن ادارتها
 ما يردق فيه مدح المادح وأقام في جنبه بمقام الاستشارة حضرة العالم الفاضل والرئيس السكامل
على مبارك باشا أحد جلاله العلماء الاعلام وأحاطه برجال عظام وابطال فخام كلهم
 أو لولوحته في المواد التعليمية والادارة العمومية أفلا يجب حينئذ على كل واحد من الاتحاد
 ان يكمل عقد نظام هذه الاعداد ويساعد على جميل هذا الاستعداد وهل يبلغ قصده من
 أعمال بمفرده جهده أم هل يوفق كف وحده كلاب البركة كل البركة في تمام الحركة وكان
 الاتباع لا بد لهم من امام فكذلك الامام يطلب أتباعه ويد الله مع الجماعة
 وها هو من مقاصد الخديوية الجميدة ومساعدية الخيرية العديدة انشأ في هذه الايام السعيدة
 مدرسة اصلية جديدة ومغرسه للعلم مفيدة تسمى باسم دار العلوم الخديوية فضلا عن غيرها
 من المدارس الملكية والعسكرية ليتربى بها ما مست اليه الان الحاجة مع غاية الالتحاق
 والنجاه من المعلمين والحوجات اللازمين لساتر المدارس الميريه ولا سيما للكتاب الابتدائية
 الجارى الاعتناء بانشاءها في كل بندرومديره بالعناية الدورية ولتكون لنقل النقائل منها
 لقصد تربيتهم في أراضي المزارع التعليمية من أنفع المغارس العلمية وجيء بهم أيما الشبان
 المصريون واجتمع بها هاشمكم أيها الاخوان الازهريون مستوفين لشروط التجهيزات
 الاولية اللازمة للاسلام لتفاد من الدروس العالية التي ترتبت لكم بمعرفة الديوان في هذه المدرسة
 الاصلية لابرار هذا القصد السعيد من حين الامل الى حين الوجود ومن ينجب منكم ينتجب من
 يصلح للتدريس في المدارس الاجرى وهذه لعمري من ثمة عمليا هي بالاجتهاد أحق وأحرى

(٤) في التاريخ العام

حيث نهوزون ان شاء الله تعالى من خدمة الاوطان وتأدية انفع وظيفة لامناء الاديان بسعادة الدارين الآخرة والدنيا اما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عنه من كلامه المحكم ومن أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما معا فعليه بالعلم أو كما قال وقد ترتب لكم من الاساتذة في خطة التربية والتعليم من لزم في كل فرع من العلوم حتى تتنور منكم الافهام وتتربى فيكم ان شاء الله تعالى ملكة التدريس كما يجب حسب المرام وصدر لهذا العبد أيضاً من لدن ديوان نظارة المعارف والاوقاف والاشغال الامر العالي الواجب الامتثال بان يتجهل لكم اعباء تدريس التاريخ العام ورؤى فيه الاهمية للقيام بهذا المقام وان كان لا يرى في نفسه غير القصور عن ارتقاء مثل هذه القصور ووجب علينا المناسبة التقيد بوظيفة تدريس علم التاريخ في هذه الجديده ان نجعل براعه استهلالنا وحسن ابتداء مقالتنا بان نقيدها هنا في هذه الخطبة هذه الحوادث التاريخية السديده والوقائع العصرية المفيدة وحيث كان الاجتهاد عبارة عن بذل المجهود لنيل المقصود وبالا جتهاد ينال المراد وبالتالي كما قيل يبلغ الغنى وكان هذا الدرس لم يسبق لاحد في ديارنا هذه ان يلقى في محفل عام وها هو بالارادة الخديوية العلية والافادة النظرية السنية قد ترتب هنا هذا الكرسى لهذا المحفل الدراسي وهو بحر طام أو ركشير الازدهار يلزمنا وانا كما ان لنجه ونقحم لنجه ومن مواد العربية والاوروبية بقل التعريب والتقريب والتلخيص والتهديب نقوض عليه ونستخرجه فانه الله ولا حول ولا قوة الا بالله والهمة الهمة للحصول على هذه الشقة المهمة والبدار البدار لاجابة دعاء ولاة امورنا وجملة أعباء تدبيرنا على قدره يسورنا لبلوغ هذه المقاصد العكار فقد قيل من أحكم الاقوال في الامثال ان همم الرجال تقلقل الجبال ويقال أيضاً جميع الاعمال انما تعمل بالرجال وللرجال وهل على امام القوم الا أن يشير للطريق المستقيم ويسير فيه امامهم بالعزم والتصميم مع ارشاد المقاصد بتسهيل الوسائل لتسهيل المقاصد وعلى كل من أتبعه أن يقتفى أثره بقلب قوى قويم وهانحن قد عزمنا وتوكلنا النسير مع السائرين وصمنا على أن نؤدى فرض هذا الجهاد مع المسافرين ونبدى جهد المقل من هذا القصد الاجل على ان نسميه باسم **الدرس التام في التاريخ العام** من قبيل حسن التفاعل في الاسماء والاعلام عسى ان يفوز هذا العمل من منزلة التمام بتحقيق الامل بعناية افنديناولى النعم الخديو الاكرم وبرعاية مولانا الامير المعظم بخله المكرم ويجوز بطل بقاء هذه الدولة المصرية الفخيمة والعائلة الخديوية الكريمة عند الله بالقبول والاكرام وقول بذر رب لا تقطعنى * عنك بقاطع ولا تمنى

من نورك الابهى المزيل للعمى * واختم بخير ياربهم الرجا

والامل ان شاء الله تعالى ان يطبع وينشر أولاً بأول وينفع سائر اديارس وجميع الخواص والعوام والله سبحانه وتعالى هو الكفيل بتعليم كل مرام

مقدمه

في مبادئ علم التاريخ

قال العلماء ينبغى لكل شارح في علم من العلوم أو فن من الفنون ان يتكلم ابتداء على مبادئه المنظومة في الابيات المعروفة في قول بعضهم

أن مبادئ كل فن عشره * الحمد والموضوع ثم الثمرة
وفضله ونسبته والواضع * والاسم الاستمداد حكم الشارع
مسائل والبعض بالبعض اكتفى * ومن حوى الجيـع حاز الشرفا

وذلك ليعرف الطالب حقيقة ما هو قادم عليه من المطالب ويقف على ما هو متصده من الرغائب ويكون على بصيرة تامه وخبرة عامه بالغرض المقصود له من الاشتغال بهذا العلم والقن الذي يريد ان يشتغل به ويصرف فيه نفيس زمنه فينعطف قلبه عليه ويميل بكلمته اليه والافالوقت سيفتتار وفلكدوار والوقت كما قيل من ذهب يجب على العاقل ان يصرفه فيما ندب اليه او وجب والا فترمته وذهب ومن أضاع برهة من أوقاته سدى فقد خسرجلة من ثروته واضاع صيرة من ميسرته وضل عن طريق الهدى وافعال العقلاء تصان عن العبث فلذلك وجب علينا هنا ان يبحث أولاً في مبادئ علم التاريخ الذي نحن بصدده وننظر في اسمه وحده وغير ذلك من المبادئ المذكورة في تلك الابيات المشهورة وذلك في عدة مباحث فنقول

المبحث الاول

في اسم هذا العلم وحده لغة واصطلاحاً على اختلاف اطلاقاته ونفـر عـتـسـيـمـاتـه

اما اسم هذا العلم فهو علم التاريخ وهو الاكثر استعمالاً على ألسنة الناس وقد يعبر عنه أيضاً بعلم السير جمع سيرة وهي في اصل اللغة قال في الصحاح « السيرة الطريقة » ثم نقل اصطلاحاً لميراد في لفظ التاريخ ومنه قولهم السيرة النبوية وذكر أهل السير بمعنى المؤرخين كما لا يخفى وتسمى باسماء خصوصية بحسب اختلاف اعتباراته كما سيأتى قريباً عند الكلام على تقسيماته

واما لفظ التاريخ فعنه التوقيت أى تعريف الوقت قال الجوهري في الصحاح « التاريخ تعريف الوقت والتورخ مثله ثم اخذت الكتاب يوم كذا وورخت بمعنى » وعبارة الغير وزبادى في القاموس « أرخ الكتاب وأرخته وورخه وقته والاسم الارخة بالضم » وفى المصباح « أرخت الكتاب بالثقیل فى الأشهر والتخفيف لغة حكاه ابن القطاع اذا جعلت له تاريخاً وهو معرب وقيل عربى وهو بيان انتهاء وقته ويقال ورخت على البدل والتورخ قليل الإستعمال وأرخت البينة ذكرت تاريخاً

الدرس الثامن (٦) في التاريخ العام

وأطلقت أى لم تذكره ، الى آخر ما أوضحه وأوضح من هذه العبارات عبارة كشف اصطلاحات الشئون للشیخ الاجل المولوى محمد على بن على التهاونى المطبوع فى مدينة **كلكمته** (كرسى ملكة الهند) فى سنة ١٨٦٣ الميلاية الموجود فى المكتبخانه الخديوية المصرية فى ضمن هدية الكتب المقدمة للحضرة الداورية ونصها « التاريخ فى اللغة تعريف الوقت فقيل هو قلب التأخير وقيل هو بمعنى الغاية يقال فلان تاريخ قومہ اى ينتهى اليه شرفهم فعنى قولهم فعلت فى تاريخ كذا فعلت فى وقت الشئ الذى ينتهى اليه وقيل هو ليس بعربى فانه مصدرا لمورخ وهو عرب ماہ روز و ما فى اصطلاح المخمين وغيرهم فهو تعين يوم ظهر فيه أمر شائع من ملة أو دولة أو حدث فيه أمر هائل كزلزلة و طوفان ينسب اليه أى الى ذلك اليوم ما راد تعين وقته فى مستأنف الزمان أو فى مقدمه وقد يطلق على نفس ذلك اليوم وعلى المدة الواقعة بين ذلك اليوم والوقت المفروض « كذا فى شرح التذكرة الخ اه

وحاصل ما يؤخذ من مجموع كلامهم ان التاريخ فى أصل اللغة هو مطلق الوقت أى تعريف الوقت تفعل من أرخ الرباعى مضاعف أرخ الثلاثى المخفف يأرخ أرخا من الباب الثالث باب فتح يفتح فتحها فهو أرخ والكتاب مأرؤخ كفاتح ومفتوح والاسم منه الارخة كالمتمعة ومضاعفها أرخ يؤرخ تأريخا وتاريخا بالهمز والتسعين وقديقال فيه ورؤخ يؤرخ تورىخا ببدال الالف فى أوله واوا كما فى أكدودو ومنه قوله عليه الصلاة والسلام « من رؤخ مؤمنا فقد احياه » وأما قول بعض الناس ترخ الكتاب فهو من غلط العوام وسقط الكلام الخالى عن الصواب اذ لم يسمع من هذه المادّة ابدال الواو بالتاء كما فى وراث وتراث ولعل السبب كون الواو ليست فيها أصلية هذا نهاية القول فى لفظ التاريخ فى اللغة

وأما فى الاصطلاح فيطلق على جملة اطلاقات

الاول على ما يعم اقتصاص الحادثة مع التنصيص على الوقت الذى وقعت فيه
الثانى على يوم وقعت فيه حادثة شهيرة واقعة كبيرة لامة من الامم أو دولة أو قبيلة أو مدينة أو شخص من الآحاد فجعلت مبدأ التغييرها من الوقائع تنسب اليها ويعتمد فى اثباتها عليها كواقعة الهجرة المحمدية بالنسبة لامة الاسلام وميلاد المسيح عليه السلام بالنسبة لطوائف النصرانية ولكل ملة وقبيل تاريخ من هذا القبيل كتاريخ اليونان والروم والفرس والهند وغيرهم ولا حاجة لما هنا بتوضيح جميع هذه التواريخ المختلفة وعوائد الامم الغير المؤتلفة

الثالث على المدة الواقعة بين ذلك اليوم والوقت المفروض

الرابع يطلق لفظ التاريخ عند أهل الادب أيضا على ما يعرف عند البلغاء من كل جملة شعرية أوثرية مستقلة بنفسها تتضمن ذكر حادثة على وجه مجمل بحيث يكون حاصل قيمة

حرفها

الدرس الثامن (٧) في التاريخ العام

حروفها المكتوبة بحساب الجمل المعروف مساوياً لتاريخ وقوع هذه الحادثة على وجه خفيت مألوف مثال التثنية قول بعضهم في تاريخ فتح السلطان محمد الثاني للقسطنطينية « بلدة طيبة » ومثال النظم كقول العبد الفقير جامع هذا المجموع اليسير مهنئاً للسعادة أفندينا خديوم مصر وامام العصر ومؤرخ الحادثة تقليده بولاية الامر في أول الشطرين من قصيدة محبوبكة الطرفين مطلعها

« تدارك اسماعيل مصر ابعده وادرك ما يحبى رجاها بعهده »

سنة ١٢٨٩

ومثله ما اتفق له أيضاً من تأريخ واقعة تقرير روراث الحكومة المصرية في فرع البكرى الكريم على عود النسب المستقيم في الصراع الاخير من بين من هذا القبيل وهو قوله « يرث مصر آل

اسماعيل » سنة ١٢٨٤

والتاريخ بهذا الاطلاق هو من التفننات الادبية والانواع البديعية والمقصود به تخليد ذكر بعض الحوادث على وجه مجمل بعبارة وجيزة وكلمة على اللسان خفيفة عزيزه بحيث تتناقلها أفواه الناس من جبل الى جبل ومن قبيل لقبيل على مر الزمان ويجمع اليها في توقيت الحادثة عند النسيان وليس البحث في التاريخ بهذا المعنى البديعي والمدلول التبعي من موضوع هذا الدرس بالنفس وانما تعرضنا له هنا لبعض الشرح لداعى كونه من اطلاقات لفظ التاريخ الاصطلاحية وعلى توقع اننا بما أوردناه شيئاً ما بعد مناسبة بعض الوقائع الكبيرة في تاريخ لقرون الاخير على سبيل تشخيص الازدهان والمقصود لنا بالبحث عن التاريخ بمعنى مطلق اقتصاص الحوادث البشرية مع الايضاح والبيان على قدر الامكان

والتاريخ بهذا الاطلاق الاصطلاحى عرفه المحققون من علماء أور وبأنه اذا جمل على أعم اطلاقاته هو اقتصاص مطلق واقعة تستحق الذكر من أحوال الموجودات الكونية ايا كانت قالوا ومن ثم انقسم الى قسمين عظيمين التاريخ الطبيعى والتاريخ المدنى

فأما **التاريخ الطبيعى** فهو ما يتعلق ببيان أحوال ساكنات المملكة فمما يعبر عنه بالمواليد الثلاثة وهى المعدن والنبات والحيوان بما فيه نوع الانسان من حيث كيفية حياتها وتركيب بنيتها وترتيب طبقاتها وبيان أحوالها الطبيعية وأطوارها العمرية أى التى طبعها الله سبحانه وتعالى عليهم وهى عبارة عن مجموع العلوم التى الغرض منها تعريف أحوال **الاجسام العضوية** أى ذات الاعضاء بمعنى القائم بها الحياة وهى الحيوان والنبات اللذان يوجدان على الارض **والاجسام الغير العضوية** أى الخالية عن الحياة بمعنى الجمادات وهى المعادن وساكنات المواد التى منها قوام الكرة الارضية وينقسم التاريخ الطبيعى على وجه العموم الى ثلاثة أقسام

الاول علم حياة الحيوان وهو ما يتعلق ببيان أحوال الحيوانات الطبيعية ويدخل فيه نوع الانسان من حيث أحواله الجبلية وقد يطلق عليه اسم التاريخ الطبيعى بالخصوص ويسمى في اللغة الفرنسية بعلم الزوولوجيا (بزى محجمة فواوين في أوله)

الثاني علم النبات وهو ما يتعلق بخصوص أحوال النباتات ويقال له علم البوتانيقي الثالث علم المعادن وهو ما تكتفل بترتيب أنواع المعادن والمواد الأرضية وبيان أحوالها وطبائعها كل منها على حدة وبيان فائدتها ومزيتها ويسمى بعلم المينرالوجيا

وما يرتبط بهذا القسم الاول من التاريخ ما يسمى في اللغة الفرنسية بالجيولوجية بالجمع (الاجميه) أى علم أحوال الارض من حيث ما اعتراها من التقلبات والاطوار وبيان ماهى مبنية منه من الطبقات والادوار ويبحث فيه أيضا عن توزيع أنواع المعادن والاجسام التي تتركب منها الكرة الأرضية وكيف دخلها في تركيب طبقاتها الهيولانية

وزعم بعضهم ان التاريخ الطبيعى ليس من علم التاريخ فنجى شئ وانما هو من علم الطبيعيات وكأنه مخفل عن كون التاريخ هو مطلق اقتصاص الحوادث التي تستحق الذكر ولعمري ان تاريخ النبات والمعدن وله الحيوان لاولى بالذكر والاعتبار من تاريخ الانسان حيث كان التاريخ الطبيعى عبارة عن ذكر أحوال ثابتة وقوانين منتظمة تدل على بداعة الخلقة الالهية وبراعة الحكمة الربانية بخلاف تاريخ الانسان فانه انما هو عبارة عن حوادث شتى وقايع غير ملتبسة تدل في الغالب على سلطة الاقوياء على الضعاف وغلبة الباطل على الحق وانتصار الانحاف على الانصاف

وهذا القسم الاول بجميع فروع تسمياته المذكورة ليس من موضوع درسا هذا وفيه تأليف خصوصية وله رجال مخصوصون من ابناء وطننا هم به عالمون ويتدرسه قائمون

واما التاريخ المبدنى وهو التاريخ الحقيقى الذى ينصرف اليه اللفظ عند الاطلاق وفي الحقيقة هو علم التاريخ المصداق فهو علم يبحث فيه عن الانسان من حيث التمدن والعمران أى من حيث هيئة اجتماعه وتأنسه وتعاونته على تحصيل مادة معاشه ومعاده ببناء جنسه وهذا هو المعبر عنه بتاريخ الجمعية البشرية والاضاع الحضرية التي تبلغ الانسان لدرجة الكمال الامكانيه وتسمى بالتمدن والعمران أو تاريخ الأمم والملسل والاديان والنحل والملوك والدول وما اشبه ذلك

وهذا التعريف بالنسبة اليها هنا أي الاخوان يحتاج لبعض تهذيبان وتأسيس ينبئ عليه فيما بعد فهم ما يرد علينا في سياق هذا المجموع من البيان وذلك كما أوضحه القاضي ابن خلدون رحمه الله في مقدمة تاريخه حيث قال ما ملخصه

قالت الحكماء من الاصول الطبيعية والاحكام العقلية المرعية « ان الانسان مدنى بالطبع »
وبين ذلك ان الاجتماع أى حالة الناس والعمران المعبر عنها في اصطلاح الحكماء بالمدينة أو الحالة المدنة

الدرس التام (٩) في التاريخ العام

المدنية المقابلة لحالة العزلة والتوحش أو الحالة البدوية هو أمر ضروري لنوع الانسان وطبيع لا بد له منه على أى حال كان وذلك ان الله سبحانه وتعالى يبدع حكمته وبلغ تدبيره وقدرته خلق نوع الانسان وربكه في صورة بحيث علق مآذ حياته وبقائه بالضرورة بمعنى ان الانسان ليس من صفاته الذاتية صفة القيام بالنفس التي هي من خصوص الالوهية فهو مضطرا لمرين أصليين يتفرع عنهما جميع أنواع الكد والاعمال البشرية ويرجع اليهما سائر فروع الجهد والاشغال الحضريه المخصصة في مآذ الزراعة والصناعة والتجارة (قال القاضي ابن خلدون) رحمه الله ما معناه قال بعضهم والاماره وعلى ذلك فالقسيم رباعى وبعضهم يدرجهما في ضمن الصناعة فأما الزراعة فهي عبارة عن سائر الاعمال التي القصد منها استخراج محصول من الارض اما مباشرة كالحبوب والخضراوات وما أشبه ذلك وأما بواسطة كالحرير والعسل والصوف ونحو ذلك والصناعة عبارة عن جميع الاعمال اليدوية التي تحتاج لآلة فكر والنظر ويعبر عنها بالصنائع والفنون كالكتابة والبناء والتجارة والحدادة والنشارة وما أشبه ذلك وأما التجارة فهي كل ما كان من الاعمال القصد منه ترويج المحصولات الزراعية والصناعية ونقلها الى حيث يسر على الراغب فيها تناولها والامارة عبارة عن نقلدولة ليفة من الوظائف العامة كالمالك والسلطنة والقضاة والوزارة وما أشبه ذلك

والاول من الامرين اللذين يضطر اليهما الانسان هو عوز مآذ الغذاء البدنيه حيث خلقه الله مضطرا لها في معيشته وهذا لا التماسا بفطرته غير انه لا يتحصل على ذلك الا بواسطة الاستعانة بالبناء جنسه وجاعته قال حجة الاسلام الغزالي في الاحياء : ان الرغبة لا يوضع على المائدة الا بعد ان يمر سيد ثلاثمائة وستين صناعا هـ

والثاني احتياجه لمآذ الدفاع عن نفسه من الصائل والتوقي من الغائل حيث خلقه الله ضعيفا بالنسبة لبعض الخيرات التي خلقها الله سبحانه وتعالى أشد منه قوة وجعل لها أسلحة طبيعية لاجل حفظها وبقائها والذب بها عن نفسها من غائلة أعدائها ولم يجعل للانسان في نظير ذلك غير ما منح سبحانه من قوة النطق والعقل أى الفكر والبيان ولم يجعل له سلاحا طبيعيا يبطش به كسائر أنواع الحيوان غير اليد واللسان وهما فيه عضوان ضعيفان ولا يتيسر له هذان الامران الضروريان المذكوران الا بالكون بين اقترانه والعون باخوانه ومن ثم احتياج للزوجة والولد والوالد وما أشبه ذلك من لوازم التناسل والتوالد وهذه الحالة هي ما تسمى بالعائلة او القبيلة أو العشيرة المأخوذة من المعاشرة وهي عبارة عن ضرورة الارتباط بروابط القرابة والمصاهرة ومن ثم احتياج لا كينونة بين اخوانه في الوطن والدين والاستعانة بهم -م فيما يكون به قوامهم معاشه ومعادهم من المراتب الضرورية وسائر الحاجات الدنيوية والاخروية وهذا هو معنى قولهم ان المرء باخوانه والمهبطان بأعوانه وذلك هو ما يعبر عنه بحالة الجمعية البشرية أو الحضريه

أو الحضارة أو العمران والعنارة أو هيئة الاجتماع الانساني أو حالة التماس المدي أو العمراني وما أشبه ذلك من أمثال هذه العبارات التي هي تقريبا مترادفات وكلها عبارة عن الارتباط بروابط الاخوة الوطنية والوحدة الدينية وتتركب من العشائر والقبائل المتخذة الاوطان والاديان في أكثر الاحيان وقد يتخذ الوطن ويختلف الدين فيقال لها الجمعية الوطنية أو المدينية وبالعكس فيطلق عليها اسم الجمعية أو الطائفة أو الجماعة الدينية كما نقول جماعة المسلمين وطوائف النصرانية وتسمى بحسب اختلاف الاعتبار بالأملة أو الامه أو الكافة أو العامة وما أشبه ذلك من العبارات

ولابد للناس في هذه الصورة بالضرورة من دين ينبئ عليه أساس الجمعية المدينية ويقال له دين الدولة أو الديانة الرسمية وهو عبارة عن معاملة العباد مع حضرة الألوهية وما يلزم ان يترتب على ذلك بالإدلة العقلية والنقلية في الدار الآخرة من الثواب والعقاب على الأعمال المستقيمة والعقاب على الأعمال السيئة السقيمة. ولابد للجمعية البشرية أيضا في هذه الدار الدنيوية من وازع أي دافع يمنعها عن مفسدها بالنسبة لمن لم يزدج يتوقع الثواب والعقاب في الآخرة لما تتركب في طباع الانسان الحيواني من الخصال العدوانية وذلك بما يكون للوازع عليهم من الغلبة والصولة القهرية وهذا هو معنى الملك والسلطنة أو الدولة وولاية الامر العمومية أو الخصوصية ولذلك قد يعبر عن هذه الحالة أيضا بالحالة الملكية بمعنى المدينية ومن ثم تتميز في حالة الجمعية البشرية الزاع والزعيم والاستقلال كل عضوا من أعضائها أي أفرادها بنفسه وكانوا فرضي بينهم معنى أنهم لا رئيس لهم وخرجوا عن حالة الجمعية المدينية ووقعوا في حالة الاختلال التي هي أسوأ حالا من الحالة التوحشية البدوية

وعلا باس بالاماع لكم به هنا أيضا على سبيل الاستطراد وان كان في الحقيقة ليس من موضوع غرضنا الاصلى المراد أن تعلموا كذلك أن ولاية الامر العمومية ويقال لها أيضا الامامة العامة أو الكبرى أو الخلافة تنقسم الى قسمين الولاية الروحية أو الرياسة الدينية والولاية المدنية أو الاجتماعية أو السياسية ويعبر عنها بالزمنية

وهذه تنقسم كذلك الى ثلاثة فروع أصلية الولاية التشريعية أي قوة تشريع الشرائع ويلتحق بها الولاية القضائية وهي قوة تنفيذ القوانين السياسية اللازمة لتأويل الاحكام الشرعية الأصلية وتوقيعها على مقتضى الاحوال الوقتية والولاية القضائية أي قوة تطبيق الاحكام وتوقيعها على أفراد الجمعية البشرية والقوة التنفيذية أو التنفيذية وهي المنوطة بأجراء مقتضى الاحكام الشرعية والقوانين السياسية وأصول الضبطية المنبر عنها في لسان الدلف بالحسبه وهناك ما يعبر عنه بالقوة العسكرية وهي عبارة عن الجنود المجاهدين والجيوش المعهدة

التي نستعين بها القوة التنفيذية والقضائية عند الاقتضاء على تنفيذ الاحكام الشرعية وتجهيز القوانين السياسية. اعني تحصيل الامنية لاجزاء الجمعية على نفوسهم واموالهم ومما لهم وانتظام اموالهم في داخل بلادهم والذب عن الحوزة الوطنية والمرتبة الاهلية بالجهات الخارجية لحفظ ناموس الجمعية البشرية بالقوة القهرية

وتتفرع القوة التنفيذية المذكورة كذلك الى عدة فروع أصلية قليلة أو كثيرة يتداخل بعضها في بعض وقد تجتمع عدة منها على رأس وجل واحد من أهل الكفاءة والنهض بحسب جسامه الجمعية واتساعها وأخفة كثافتها واجتماعها وعلى حسب اختلاف أحوال الممالك والبلدان من امتداد الشوكه واتساع نطاق الملك والسلطان تسمى تلك الاقسام بالولايات والعمالات أو الولايات والمحافظات والحكديريات أو المديريات وأقسام المديريات والاختطاط والقرى والنواحي وتسمى هذه الأخيرة في اللغات الأوروبية بالقومونيات أو المونسباليته بمعنى المشيخة البلدية وهذه الفروع وهي ما يعبر عنه بالتقسيم السياسي أو الخطط الأرضية السياسية وتتفرع الولاية العمومية أيضا الى عدة فروع أصلية تسمى بالوزارات أو النظارات العمومية وهذه هي التقاسيم الإدارية أو الوزارية أو النظارية وتسمى بالدواوين العمومية وهي أولا ديوان المصالح الداخلية المنقوبة بالنظر في تحسين الأحوال الاهلية ومواد الضبط

والربط أو الحسبة ويعبر عنها في ديوان الآن بالضبطه
ثانيا ديوان الامور الخارجية المموط بالنظر في المواد الاسفارية وقضايا الطوائف الاجنبية
ثالثا ديوان الحرب المعبر عنها بديوان عموم الجهادية أو نظارة الجهادية وهي المنقوبة بإدارة أمور الجنود وتحصيل ما يلزم لهم من الآلات والادوات المعبر عنها بالمهمات العسكرية
رابعا ديوان البحر والبحرية وهو المنقوب بإدارة الاساطيل وهي السفن الحربية
خامسا ديوان بيت المال المعبر عنه عندنا الآن بنظارة المالية وهي المنقوبة بالنظر في مواد جبائية أنواع الخراج والجمارك والعوائد الداخلية وضبط مواد المصارف والواردات الاهلية وتسوية مادة البودجه المعبر عنها عندنا بالميزانية المالية

سادسا ديوان المعارف الاهلية والاشغال العمومية والاقواف الخيرية وهي المنقوبة بإدارة مواد المدارس والمكاتب ونشر سائر المواد التعليمية والنظر في الاوقاف والصداقات التبرعية وصرفها في مصارفها الشرعية وفي ملاحظة الاعمال النافعة والاشغال الجامعة لمصلحة عموم الناس كصالحه تزئين المدن والبنادر وتحسين المساكن والحواضر (المعبر عنها بالاورناتو) والنظر في مصلحة الترع والنجار والفسطاط والجسور وما أشبه ذلك من مهمات الامور

سابعا ديوان المواد القضائية المعبر عنها في بعض الجهات بالعديله ويعبر عنها عندنا بنظارة الاحكام المصرية أو الحقانية وهي عبارة عن ادارة مواد القضاء والمحاكم الشرعية والمجالس المدنية والنظر في مواد الجماعات وسائر القضايا والدعاوي المتعلقة بالمدينة

ثامنا ديوان المواد الزراعية والتجارية والصناعية المنوط بالنظر في مواد تربية المزارع والمساكن الداخلية والخارجية وتقديم الامور الصناعية الاهلية وقد تندخل هذه النظارات الثلاث في دائرة نظارة الداخلية والخارجية وقد يستقل كل منها بالخصوص بديوان مخصوص

تاسعا ديوان الدائرة الملكية أو السلطانية المعبر عنها عندنا بنظارة الدائر الخديوية السنية وهي تختص بالنظر في كل ما يتعلق بإدارة أشغال ولى الامر الخصوصيه ومصلحه الشخصيه

وكلاهما يعبر عنها عندنا بما يدعى العموم والنظار والمراد بهما يعبر عنه في اصطلاح الممالك الاجنبية بطاقتي الوزراء أو جماعة الوزراء أو أهل الدولة وهم أرباب المناصب الميريه وأصحاب المراتب الملكية والعسكريه أو حاشية الملك أو السلطان على حسب اختلاف أحوال الممالك والبلدان وكما نرجع لوكالة أو النيابة عن ولى الامر في بعض الفروع المتفرعة عن عموم ولايته وذلك عبارة عن استعانتهم في تمام تأدية وظيفته بأنواع الوزراء والمستخدمين والاعوان والامراء

ومما يقتضى لكم أيضاً أن تعلموا وتأملوا فيه وتفهموه ان ولاية الامر المعبر عنها بالدولة والحكومة تنقسم من حيث الهيئة والصورة الى ثلاثة صور أصلية ويعبر عنها بكيفية ترتيب ادارة البلاد الاساسية او السياسية وهي

الاولى الحكومة المملوكية وهي عبارة عن ان تكون البلدة تحت حكومة رئيس واحد يلقب في العادة بقلب الملك أو السلطان ويقال له في الممالك الأوروبية الامبراطور بمعنى السلطان وتسمى البلاد التي يحكمها حينئذ بالملك أو المملكة أو السلطنة أو الامبراطورية وهذه تنقسم أيضاً الى قسمين (أحدهما) الحكومة المملوكية المطلقة وهي ما كانت فيها قوة النفوذ العلياى مادة التصرف في أمور المملكة بيد الملك لا يشاركه فيها أحد ولا تتقيد بقيد غير القوانين الاساسية والاصول السياسية الأصلية المبني عليها ترتيب الدولة (وثانيهما) الحكومة المملوكية المقيدة أو القانونية ويقال لها أيضاً المعدلة أو النيابة وهي التي تكون فيها قوة النفوذ العلياى موزعة بين رئيس المملكة ومجلس شورى النواب الاهلية وهو عبارة عن مجموع أناس ينتخبهم أهل كل خطة أرضية أى سكان كل بقعة من بقاع المملكة من ذوى الرأى والتدبير والديانة والخبرة بحقائق الامور ليبدوا رأيهم بعد المذاكرة بالنيابة عن سائر الناس فيما يطرأ من المسائل المهمة التي تتعلق بترتيب احوال البلاد وما ينزل من النوازل الوقتية على العياد وذلك بانتخاب الآحاد بطريق المباشرة ويسمى الانتخاب حينئذ الانتخاب بدرجة أولى أو بواسطة من ينتخبونه لذلك ويسمى الانتخاب بدرجة ثانية ويسمى مجالس الانتخاب بالدوائر الانتخابية ولذلك تسمى الحكومة حينئذ بالحكومة النيابة ولا يصدق عليها هذا الاسم الا اذا كانت مبنية على ترتيب اساسى مربوط وقانون سياسى مضبوط

وقد تكون الحكومة المملوكية المذكورة بكل ما فهمها ماورأى في عائلة ملوكية معينة أو انتخابية

الثانية الحكومة الاعيانية او حكومة الاعيان والاشراف ويطلق عليها في اللغة الفرنسية اسم الاميستوكراسيه ويعبر عنها عندنا بولاية أهل الحل والعقد وقد كانت في الاصل عبارة عن كون ولاية أمر الجماعة بيد ائقاهم ذمة ديانته وأرقاهم محبة وطنيه ولكنها آلت لان صارت هي عبارة عن ان تكون ادارة مصلحة البلاد بيد جماعة هم أعيان الطوائف الاهليه وأكثرهم شوكة ومال به وتسمى أيضا في اللغة الفرنسية باسم أوليجارشيه أى كون ولاية الأمر بيد شزمة قليلة من البطوائف الاهليه .

الثالثة الحكومة الاهلية ويطلق عليها في اللغة الفرنسية اسم الديموقراسيه وهى المعبر عنها أيضا بلفظ الحكومة الجمهوريه وهى عبارة عن كون ادارة مصالح الملة تكون بيد هأعنى انها تخكم نفسها بنفسها من غير سلطة عليها من ملك ولا سلطان ولا جماعة أعيان فهى بعكس الحكومة الملوكة والاعيانيه وتستلزم تساوى جميع افراد الجمعية البلديه فى جميع الحقوق المدنية والسياسيه وانعدام الامتيازات بالكلية . وحيث كان لا يمكن لجميع آحاد البطوائف الاهلية ان يباشروا ولاية أمرهم بأنفسهم لزم بالضرورة نصب رئيس للجمهوريه اما بيعت نواب عن كل خطة أرضيه بالطريقة الانتخابية السالفة الذكر ليركب منهم مجلس شورى نيابيه أو يأخذ الراى العام من جميع من يعتد برأيه من آحاد أهالى البلاد ولذلك سميت بالجمهوريه والجمهور من الناس بالضم جلهم أى أكثرهم فهى بمعنى الحكومة الاكثرية

وسائر هذه التنظيمات والترتيبات الاداريه مع ما تدور عليه من التأسيسات الحضريه والانشآت العمراريه وما يتبع ذلك من أخلاق كل قوم وعوائدهم ومحاضرههم ومشاهدهم وقوانينهم وأحكامهم وشرائعهم وعلومهم وفنونهم ومعارفهم ومدارسهم ومزارعهم ومتاجرهم وصنائعهم كل ذلك هو ما يعبر عن مجموعته بنظام الملك أو السلطان أو ترتيب المملكة أو السلطنه أو الحالة المدنية أو البلدة المتخذة أو هيئة الاجتماع الانسانيه وكيفية التأنس العمرانيه وغير ذلك من العبارات التى ذكرنا بعضها فيما سلف آنفا ومجموع ذلك كله هو ما يسمى بالتتمدن والعمران وموضوع علم التاريخ المدنى هو الانسان من هذه الحيثيه وبعبارة أخرى مختصرة تعريفه

التاريخ المدنى هو علم باصول يبحث فيه عن الانسان من حيث التتمدن والعمران واذا قرر هذا التمهيد فى الاذهان على هذا الوجه من الايضاح والبيان ساغ لنا ان نقول الآن قال علماء الاوربا وبين وينقسم التاريخ المدنى الى عام وخاص

أما التاريخ المدنى العام فهو عبارة عما يشمل تاريخ النوع الانسانى وحاله العمرانى كله من عهد الخليفة الى عصرنا هذا وهو الغرض المقصود لنا الاشتغال به فى درسنا هذا وذلك عبارة عن مدة نحو ستة آلاف سنة التى هى عو الدنيا من عهد آدم الى هذا العهد حسب ما حققه الحكماء المحققون ووقف عليه العلماء المدققون منها اليهودى وابوين والاسلاميين وكما

سنوضحه بعد وقد جرت عادة المؤرخين من الافرنج بأن يقسموا التاريخ المدنى العام أعنى مدة الستة آلاف سنة المذكورة الى أربع مدد أو عهود أصلية

الاولى مدّة العالم القديم أو الدنيا القديمة ويسمونه **بالتاريخ القديم** وهوتلك الاعصار الخالية والقرون الماضية من ابتداء خلق الدنيا لغاية سنة ٤٧٦ قبل المسيح عليه السلام وهى سنة زوال الدولة الرومانية باغارة أقوام شمال أوروبا عليها أعنى زوال دولة ملوك الروم الاولى التى كانت قائمة بمدينة رومية الكبرى (ببلاد ايطاليا) وذلك عبارة عن مدة نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة وثلاثين سنة من عمر الدنيا

والتاريخ المدنى العام القديم عبارة عما يسم تاريخ الامم الشهيرة والممالك الكبيرة التى ظهرت فى تلك الاعصار العتيقة بجميع أقطار الارض المعمورة وهم

أولا **القبط** أعنى دولة قدماء المصريين أو الفرعنة الاقدمين

ثانيا **اليهود** أو العبرانيون ويقال لهم بنو اسرائيل أو الاسرائيليين

ثالثا **الفنيقيون** أو الصوريون وهم سكان سواحل الشام الساقون

رابعا **الاسوريون** أو السريانيون والبابليون وهم قدماء سكان العراق وكردستان وجزيرة ابن عمر

خامسا **الميديون** وهم قدماء سكان أذربيجان والفرس المعروفين عند العرب بدولة العجم

سادسا **الليديون** وهم قدماء سكان الخطّة الغربية من بلاد أرمينية أو ساروخان

سابعا **السيثيون** أو أقوام ياجوج وماجوج وهم قدماء أهل بلاد الروسية والتتر والترك

ثامنا **اليونان** أو الهيلينيون

تاسعا **الروم أو الرومانيون** وهم دولة ملوك الروم التى كان مقرها بمدينة رومية الكبرى ببلاد ايطاليا

عاشرا **القرطاجيون** وهم أهل مدينة قرطاجنة أو قرطاجنة القديمة أى قدماء سكان ايلة تونس الغرب

فهؤلاء هم الامم المشهورون والملل المعتمرون الذين اتفق جمهور المؤرخين الاورباويين على ان يعبر عنهم بالتاريخ القديم حيث بقى لهم بعض آثار دلت عليهم أو ذكر غنمهم فى الكتب المنزلة أو كتب المؤرخين السابقين من اليونان والروم بعض أخبار سيرة أو كثيره أو قفتمهم على بعض أحوالهم وأما من عداهم من سكان الارض المعمورة فى الاعصار السابقة المذكورة كاهل الهند والصين واسلاف سكان جزائر الاوقيانوس (البحر المحيط الأعظم) المسماة باسترالية واسلاف سكان بلاد اسبانية المعروفة بالاندلس وكذلك اسلاف سكان جزيرة العرب فى أيام الجاهلية الاولى وبلاد

الدرج الثام (١٥) في التاريخ العام

وبلاد امريقة وغيرهم فجميع هؤلاء ليس لهم تاريخ مستقر يذكر ولا خبر ثابت يؤثر لعدم الوقوف لهم على شئ من الآثار والأخبار وان كان الظاهر انه قد كان لهم دول كبيرة وملل ممتدة شهيرة في تلك الاعصار

المدة الثانية الاعصار المتوسط أو القرون الوسطى ويسمونه بتاريخ القرون الوسطى أو

التاريخ المتوسط وهي المدة المنقضية من بعد سنة ٤٦٧ قبل المسيح لغاية سنة ١٤٥٣

من بعد ميلاده وهي سنة افتتاح الدولة العثمانية لمدينة القسطنطينية أى زوال دولة الروم الثانية المعروفة بالسلطنة الرومانية الشرقية أو السلطنة السفلى التي كان مقرها بالقسطنطينية على يد السلطان محمد الثاني من السلاطين العثمانيين عبارة عن ألف وتسعمائة وثلاثين سنة

من عمر الدنيا وهي المدة التي باثنا عشر أديان الاسلام وظهرت أمة العرب واشتمرت على جميع أمم الانام

المدة الثالثة الاعصار الحديثة أو القرون المتأخرة ويسمونه **التاريخ الحديث**

أو المتأخر أو تاريخ القرون الاخيرة وهي المدة الماضية من سنة ١٤٥٣ لغاية سنة ١٧٨٩

من تاريخ المسيح وهو تاريخ العالم الجديد أو الدنيا الجديدة أى تاريخ الامم المتأخرين والملل المتخاورين ببلاد آسية وافريقية واوروبية وامريقة والاقوة الانوسية من الترك والفرنسيس والانجليز والامان والاسكاندينافية والامريكانية وغيرهم من سكان المعمورة في المدة المذكورة وهي عبارة عن مدة الثلاثة قرون الاخيرة لغاية أو آخر القرن الثامن عشر من الميلاد المسيحى

المدة الرابعة مدة العصر الحاضر ويسمى بالتاريخ العصرى أو المعاصر وهو تاريخ الامم

المذكورة في هذه المدة الحاضرة الاخيرة أى مدة القرن التاسع عشر من الميلاد المسيحى

هذه اقسام التاريخ المدنى العام على الوجه الجارى عليه الانقسام عند جمهور المؤرخين

المتأخرين من العلماء الاورباويين وبعضهم يدخل هذه المدة الرابعة في ضمن المدة الثالثة أى

مدة الاعصار الحادثة ويجعل الاقسام ثلاثة وهذا القسم أعنى التاريخ العام هو ما كتب فيه مثل

كتاب الكامل لابن الاثير الجزرى وتاريخ ابى الفدا وتاريخ الخلدس والمسعودى وما أشبهها

وأما التاريخ المدنى الخاص فينقسم أيضا في اصطلاح المؤرخين الى قسمين

الاول تاريخ المدنى الخصوصى وهو عبارة عما يختص بغرض واحد معين كتاريخ مدينة

أو اقليم أو ملكة أو سلطنة أو دولة أو عائلة ملوكية أو ذات مخصوصة و يطلق عليه في هذه الصورة

الاخيرة في اللغة الفرنسية اسم البيوحافيه أى السيرة أو القصة أو الحياة الخصوصية كسيرة

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتاريخ دمشق وحسين المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة

للشيخ السيوطى والروضتين في تاريخ الدولتين النورية والصلاحية للشيخ المقدسى ووفيات

الاهليان وأنباء الزمان للقاضي ابن خلدكان وخلاصة الاثر في أعيان القرن الثاني عشر
للحبي وما أشبه ذلك

الثاني التاريخ المدني الجزئي وهو ما يتعلق بخصوص مدة شهيرة أو واحدة كبيرة كتاريخ حرب
الصليب وتاريخ حرب الثلاثين سنة وغير ذلك

ويطلق على التاريخ الخاص اسم التاريخ القيسي أو السفاري أو السياسي أو الشرعي أو
القضائي أو التجاري أو الزراعي أو الصناعي أو الأدبي أو تاريخ العلوم والفنون أو غير ذلك من
الموضوعات الخصوصية على حسب ما يقيد به المؤرخ تأليفه من المواد الخصوصية والاغراض
الشخصية فان كتب التاريخ على حسب ترتيب السنين بقلم فقل ووجه محل قيل له تاريخ
الحوادث السنوية وان كان بعض ما كتب على هذا الوجه قد يكتب بطريقة أدبية وإذا كان
المؤرخ معاصر لما سطره من الحوادث العصرية ومشاهد ما حصره من الوقائع الدهرية وكان
له فيها بعض مدخلية حيث شاهد بعينه مشاهدنا وعهد معاهدنا سمي ما يكتبه بالتذكرة
التاريخية وان تعلق جذاته الخصوصية سمي بالحياة الشخصية

وينقسم التاريخ على وجه العموم من حيث طريقة تحريره وكيفية تسطيره أي بالنظر للطريقة
المسلوكة في اقتصاص الوقائع الزمنية الى ما يسمى في اللغة الفرانساوية باسم الكرونولوجية أي علم
الازمان وهو ما يتبع ترتيب الاعصار على وجه الانتظام والى ما يسمى باسم التنوграфия وهو ما يتبع
تاريخ كل أمة من الأمم على حدتها فان تتبع جميع الحوادث الواقعة من الأمم التي في عصر
واحد سمي باسم السنكر ونيسم ويسمى التاريخ بالنظري أو الفلسفي إذا كان المؤرخ قد اقتصر
الوقائع مع توضيح اسبابها ومسبباتها وغير ذلك

وينقسم التاريخ القديم من حيث أصل استمداده الى التاريخ المقدس أي المظهر أو الالهى وهو
تاريخ اليهودي أو البشري وهو تاريخ من التوراة وهو المعبر عنه عندنا بقصص الانبياء والتاريخ
الديوي أو البشري وهو تاريخ من عداهم من الأمم المذكورة آنفاً لكونه من تأليف البشر
ووضعهم

ومن فروع علم التاريخ العام علم الانساب وهو معرفة أصل كل أمة أو قبيلة أو رجل من مشاهير
الرجال وكبار الابطال المذكورين في التواريخ البشرية أو المقدسة

وما يتخذ علم التاريخ الاتحاد الشديد ويرتبط به الارتباط الاكيد ما يعرف بعلم
الجغرافية أو الجيوجرافية أي علم وصف الارض وتقويم أحوال البلدان على ما هي عليه
في كل عصر وأوان وما يقال ان علم الكرونولوجية والجغرافية هما التاريخ عينا وبقال
أيضاً ان التاريخ والجغرافية اخوان يتعاونان وفسرهما يتسابقان ويتداخلان كل
منهما في الثاني اذ لا تتم معرفة حوادث الأزمنة من غير وقوف على ما وقعت فيه من المواضع
والامكنة

ومن فروع علم التارخ أيضاً ما يسمى في اللغة الفرنسية بالعلم الاستاتستيك أى علم التعداد بمعنى احصاء الاشياء واستقصاء جميع المواد في كل بلدة من البلاد وليس علم الجغرافيه من موضوع درسهنا هذا وذلك لئلا نط لعهده مدرس فاضل من اخواننا المدرسين الذين هم لتعليمكم متعمنون ليطلعكم منه مع ما سنلقيه اليكم من فوائد علم التارخ العام على ما ينور منكم ان شاء الله تعالى الافهام ويكون لكم في معرفة حقيقة السكرة الارضية التي نحن أهلها ودار الدنيا التي نحن ساكنوها كالاعلام اليسر من العار ان يجهل الانسان زوايا داره ولا يعرف كل ساكن بجواره والغرض المقصود انسابا لخصوص كما علمت وبما أوضحناه لكم الى هنا فهمتم انما هو ايراد فوائد تامة وشواهد مختصرة مفيدة تنههمها الخاصة والعامة من أخبار الامم الذين ساكنونا في هذه الدار واعتنوا فيها بابا سباب العمارات في جميع الاقطار والامصار على تعاقب الايام والاعصار بطريق التارخ الاتنوغرافي والوجه التعليمي التعريفي أعني استئصال أحوال كل أمة أمة بمفردها واستقصاء أخبار كل ملّة بعد ملّة على حدها من الامم المذكورة آنفا في كل مدّة بعد مدّة من المدد المسطرة بالفارخالفنا على وجه الاختصار هذا ما تجرد اليه من القصد لنمذّل فيه ان شاء الله تعالى الجهد والله هو الموفق للصواب واليه المرجع والمآب فان توهم جاهل أو قال قائل هؤلاء أعم قد خلت ومضت وملأ أندرسن وانقرضت أو أقوام في أقطار نأت عنا وبعثت فمالنا ولاستئصال أحوالهم وأعمالهم وما الفائدة العائدة علينا من استقصاء أقوالهم وأفعالهم قلنا الجواب في هذا المبحث الآتي بعد

المبحث الثاني

في بيان ثمره التارخ واصله وحكمه وماذا ينتج من مطالعة علمه

قال القاضي ابن خلدون رحمه الله تعالى في أول مقدمة تاريخه ما نصه « اعلم ان فن التارخ من فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية اذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الامم في أخلاقهم والانبيا في سيرهم والمملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا » اه وفي هذه العبارة كفاية للدلالة على نفاسة فن التارخ وينبغي ان كثرة فوائده وثمرته وشرف غايته وان المقصود به هو علم الاخلاق وهو اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل بواسطة الاقتداء بما يراه الناظر فيه من الافعال المحمودة والانتفاء عن الاعمال المذمومة في جميع أحواله الدينية والدنيوية.

وما أحسن ما ذكره الشيخ شهاب الدين اسماعيل بن ابراهيم المقدسي مؤلف كتاب الروضة من في تاريخ الدولتين النورية والصلاحية رحمه الله تعالى في خطبة ذلك الكتاب حيث قال واصاب أما بعد فإنه بعد ان صرفت جن عري ومعلم فكري في اقتباس الفوائد الشرعية ولتقتناص

الفرائد الادبيه عن أن أصراف الى علم التارخ بعضه فأخوز بذلك سنة العلم وفرضه اقتداء
بسيره من مضى من كل عالم مرتضى فقل امام من الائمة الاويحيى عنه من أخبرهم من
سلف فوأندجه منهم امامنا أبو عبد الله الشافعي رضي الله عنه قال مصعب الزبيري ما رأيت
أحدًا أعلم بأيام الناس من الشافعي ويروى عنه أنه أقام على تعلم أيام الناس والادب عشرين سنة
وقال ما أردت بذلك الا الاستعانة على الفقه « قال الشيخ المقدسي رحمه الله وأكرم مثواه « قلت
وذلك عظيم الفائد جليل العائده وفي كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من
أخبار الامم السالفه وأنباء القرون الخالفه ما فيه عبر لذوى البصائر واستعداد ليوم تبلى السرائر
قال الله عز وجل وهو أصدق القائلين « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك
وجاءك في هذه الحق وهو عظمة وذكرى للمؤمنين « وقال سبحانه وتعالى « ولقد جاءهم من
الانباء ما فيه من درج حكمة بالغة فما تنس الذر « وحدث النبي صلى الله عليه وسلم يحدث أم ذرع
وغيره مما جرى في الجاهليه والايام الاسرائيليه وحكي بحجائب ما رآه لأسرى بدو عرج وقال
حدثنا عن بني اسرائيل ولا حرج وفي صحيح مسلم عن سمك بن حرب قال قلت لجابر بن سمرة
أكنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم كثيرا كان لا يقوم من مصلاه الذي صلى فيه
الصبح والغداة حتى تطلع الشمس فاذا طلعت قام وكانوا يتحدثن فيما أخذون في أمر الجاهلية
فيضحكون ويتبسم وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال « كان نبي الله
صلى الله عليه وسلم يحدث ثمعا عن بني اسرائيل حتى يصح الحديث « قال الشيخ المقدسي
رحمه الله « قلت ولم تنزل الصحابة والتابعون ومن بعدهم يتفاوضون في حديث من مضى ويتذاكرون
ما سبقهم من الاخبار وانقضت « الى أن قال « ولقد رأيت مجلسا جمع فيه ثلاثة عشر مدرسا وفيهم
قاضي قضاة لك الزميا وغيرهم من الاعيان جري بينهم وأنا سمع ذكر من تحرم عليه الصدقة
وهم ذوو القربى المذكورون في القرآن فقال جميعهم بنوها ثم وبوعبد المطلب وعدلوا جميعهم
في ذلك عما يجب فعجبت من جهلهم حيث لم يفرقوا بين عبد المطلب والمطلب ولم يتدالوا ان
المطلب هو عم عبد المطلب وان عبد المطلب هو أبوها ثم فأحقهم بلوم كل لائم ان هذا اصل
من أصول الشريعة قد أهملوه وباب من أبواب العلم جهلوه ولزم من قولهم اخراج بني المطلب
من هذه الفضيله فابتغيت الى الله تعالى الوسيله وانفت لنفسي من ذلك المقام فأخذتها
بعلم أخبار الانام وتصحيح نسبتها وإيضاح محجتها الى آخر عبارته التي لولا خشية اطالنها
لاوردناها هنا برمتها

ومما قال في ضمن هذه العبارة أيضا من الكلام المناسب لما نحن فيه من المقام « ورأيت ان المطلع
على أخبار المتقدمين كأنه قد عاصرهم أجمعين والله علم بما تفكر في أحوالهم وتذكرهم كأنه
كان معاصرهم ومحاضرهم فهو قائمه مقام الحياه وإل كان من أجل الوفاة « قال الشيخ

الدرس التام (١٩) في التاريخ العام

المقدسى رحمه الله * قال نعم بن جاد كان عبد الله بن المبارك يكثر الجلوس في بيته فقيل له الاله تستوحش فقال كيف استوحش وأنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعني النظر في الحديث ، وأنشد لبعض الفضلاء

كتاب أطلعه مؤنس * أحب الى من الأنسه

وادرسه فير بنى القر * ون حضوروا أعظمهم دارسه

قلت وقرىب من هذا قول بعضهم

لنا جلساء لا يمل حديثهم * الباء مأمونون غيبا ومشهدا

يفيدوننا من علمهم علم ما مضى * وعقل لا يؤيدوا رأيا مسددا

فان قلت أموات فلست بكاذب * وان قلت أحياء فلست مفقدا

وقال ابن الاثير اضاف الى السكامل في هذا المقام رحمه الله ولا بأس هنا بما رآه من أبداه ونصه ، ولقد رأيت جماعة ممن يدعى المعرفة والدراية و يظن بنفسه التجرد في العلم والرواية يحتقر التواريخ ويرذرها ويعرض عنها ويأبى عنها ظنا منه ان غاية فائدتها انما هو ان يعصم والاخبار ونهاية معرفتها الاحاديث والاسمار وهذه حال من اقتصر على القسردون اللب نظره واصبح محشليا جوهره ومن رزقه الله طبعاسليا وعداه صراطا مستقيما علم ان فوائدها كثيرة ومنافعها الدنيوية والاحرورية جمة غزيرة وها نحن نذكر شيئا مما ظهر لنا فيها وتكمل الى قريحة الناظر فيه معرفة باقيها فأما فوائدها الدنيوية فنها الانسان لا يخفى انه يحب البقاء ويؤثر ان يكون في زمرة الاحياء فيما لبت شعري أى فرق بين ما رآه أمس أو سمعه وبين ما قرأه في ضمن الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوادث المتقدمين فاذا طالعها فكانه عاصره واذا علمها فكانه حاضرهم ومنها ان الملوك ومن اليهم الامر والنهي اذا وقوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوا هامة وثقة في الكتب يتناقلها الناس فيرويهما خلف عن سلف ونظروا ما اعقبت من سوء الذكرو قبح الاحدوثه وخراب البلاد وهلاك العباد وذهاب الاموال وفساد الاحوال استعجبوها وأعرضوا عنها وأطرحوها واذا رأوا سيرة العادلين وحسنها وما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم وان بلادهم وممالكهم عمرت وأموالهم ادرت استحسنتوا ذلك ورغبوا فيه وثابروا عليه وتركوا ما ينافية هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التي دفعوا بها مضرات الاعداء وخلصوا بها من المهالك واستصانوا بها مناس المدن وعظيم الممالك ولولم يكن فيها غير هذا لكانت كفى به فخرا ومنها ما يحصل للانسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير اليه عواقبها فانه لا يحدث أمر الا وقد تقدم هو أو نظيره فيزداد بذلك عقلا ويصبح لان يقدر به أعلا ولقد أحسن القائل حيث يقول شعرا

رأيت العقل لعقلين * فمروع ومطبوع

ولا ينفع مطبو * عاذلهم مسموع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

يعني بالمطبوع العقل الغريزي الذي خلقه الله تعالى للانسان والمسموع ما يزداد به العقل الغريزي من التجربة وجعله عقلا ثانيا توسعوا تعظيما له والافهوزيادة في عقله الاول ومنهما ما يتجمل به الانسان في المجالس والمحافل من ذكرشيء من معارفها ونقل طريفة من طرائفها فترى الاسماع مصغية اليه والوجوه مقبلة عليه والقلوب متأمله ما يورده ويصدره مستحسنة ما يذكره واما الفوائد الاخرى فيقنها ان العاقل اللبيب اذا تفكر فيها ورأى تقلب الدنيا باهلها وبنيها وتتابع نكباتها الى اعيان قاطنيتها وانها سلبت نفوسهم وذخائرهم واعدمت اصاغرهم واكبرهم فلم تبق على جليل ولا صغير ولم يسلم من نكدها غنى ولا فقير زهديها واعرض عنها واقبل على الترو ولا آخرة منها ورغب في دار تنزهت عن هذه الخصائص وسلم أهلها من هذه النقائص وعمل قائلا يقول ما نرى ناظرا فيهم ازهد في الدنيا واقبل على الآخرة ورغب في درجاتها العلية خيالت شعري كم رأى هذا القائل قارئ القرآن العزيز وهو سيد المواعظ وافصح الكلام يطلب به اليسير من هذه الحطام فان القلوب مولعة بما يجيب العاجل ومنها التخلي بالصبر والتأسي وهما من محاسن الاخلاق فان العاقل اذا رأى ان مصاب الدنيا لم يسلم منه ذكركم ولا ملك معظم بل ولا أحد من البشر علم انه يصيبه ما أصابهم وينوبه ما نابهم شعر

وهل أنا من عزيزة ان غوت * غويت وان ترشد عزيزة ارشد

ولهذه الحكمة وردت القصص في القرآن المجيد ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او لم يسمع وهو شهيد فان ظن هذا القائل ان الله سبحانه أراد بذكرها الحسايات والاسمار فقد تمسك من أقوال الزينج بمحكميها حيث قالوا هذه اساطير الاولين اكتبها نسأل الله تعالى ان يرزقنا قلبا بعقولا واسانا صادقا ويوفقنا للسداد في القرب والعمل وهو حسبنا ونعم الوكيل انتهى كلام ابن الاثير في الكامل

وفي عبارات هؤلاء العلماء الافاضل والفقهاء الاكامل ما لا مزيد عليه في التنبيه على مزية علم التارخ وفضله والتنويه بفخامة قدر المشتغل بروايته ونقله وعلومه رتبته والتدريج بسنناته أى منه وبيته مع التلويح بكونه قديك كون في بعض الحالات من الواجبات يعنى فروض الكفاية التي اذا قام بها البعض سقط الوزر عن الباقي كسائر العلوم والفنون والصنائع والحرف النافعة كما هو معلوم وهما والشيوخ المقدسي رحمه الله وبردثراه قد بدتنص في ضمن عبارته المنقولة هنا بأعلاه على ان علم التارخ هو من أصول الدين وهو كذلك يبين وببانه ان من الاصول المقررة والقواعد الاصلية المسطرة ان شمع من قبلنا شمع لنا اذالم يرد في شرعنا

ما يناقضه وعلى ذلك ينبغي ان يفتنى لئلا نعرف شرائع الامم الماضية ونقف على أحوال الملل الخالين حتى نقف على حقيقة حال شريعتنا ونعرف كيفية تركيب جسم جمعيتنا ونقابلهما بأحوال من مضى فنعرف فضلها ومن يتباهى بالنسبة لأحوال الجيل الذي انقضى ولهذا المعنى يرجع ما في قول الشيخ المقدسي اندرج من حدوث حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج فضلا عما يجب مع ذلك من معرفة توارخ نزول آيات القرآن الشريف لنعرف الناسخ منها والمنسوخ ومعرفة علم الانساب الذي توقف عليه كما أوضحه الشيخ المقدسي رحمه الله في ضمن حكاية الواقعة المسطورة في خطبه المذكورة من الانحراف عن الصواب والعدول عن اداء الواجب وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ولعل هذا هو معنى قول الامام الشافعي رضي الله عنه في ما روى عنه انه أقام على تعلم أيام الناس عشرين سنة وقال ما أردت بذلك الا الاستعانة على الفقه فليكن ذلك وليتأمل وليعمل له من وفقه الله تعالى للعمل

وذلك فضلا أيضا عما ينتج من مطالعة علم التارخ للناظر فيه من جليل العبر والاعتداء بتجمل السير والاتساء عن الغششاء والمنكر والبغى والضرر فيما يتعلق بخسنيين الاحوال في الحال والاستقبال كاصحح به في الآيات القرآنية المذكورة اعلاه ودل عليه حديثه من ورخه ومنا فقد احياه وقد قالوا ان التارخ مدرسة التجارب يتعظ فيها الحاضر بالعائب وغير ذلك وقد عبد العلماء علم التارخ من جملة العلوم الاثني عشر الادبيه ويقال لها العربية المضبوطة في قول الشيخ حسن العطار المصري رحمه الله

نحو وصرف عروض بعد لغة * ثم اشتقاق قريض الشعر انشاء
كذا المعاني بيان الخطا قافية * تارخ هذا العلم العرب اخصاء

والمراد بذلك هو ان هذه العلوم الاثني عشر بالكيفية التي هي عليها في اللغة العربية هي من علوم العرب التي اشتغلوا بها ودونوها لانها مختصة بهم على وجه بحيث انهم هم الذين اخترعوا أصلها وكوتونها ولا نظير لها عند غيرهم من الأمم فان من اطالع على اللغات الاجنبية ولا سيما على لغات الامم الاوربية علم ان لكل أمة متدنة نحو وصرفا وعروضا ولغة وشعرا وتاريخا وغير ذلك من العلوم المنسوبة للعرب في هذا القول الذي اشتهر وهو المعبر عنها بالنسبة لكل أمة بعلوم الادب والتارخ بمعنى مطلق اقتصاص الحوادث هو علم قديم بقدر مدة قدم العالم تصعدا وليته بالضرورة لعهد آدم وما أخذ ذلك من قوله عند استيقاظه من نومه التي ألقاها الله عليه ليخلق حواء من ضلعه حسبما ورد في التوراة فهذه عظم عظمى ولحم لحمي اذ قوله هذا هو حكاية حادثة شاهدها وواقعة عهدها وما أشبه ذلك ثم ترقى التارخ بهذه المعنى شيئا فشيئا كسائر العلوم البشرية والصنائع والفنون والحرف الحضريه حتى دونه السلف من الامم المتقدمين كالعبرانيين والقبط واليونان والرومانيين وجاءت مله العرب المسلمين فاعتنوا به كذلك ودونوه كسائر العلوم الاسلاميه

والصنائع والفنون والحرف العملية والعلمية لغريزة الميل بالطبع لتناقل الاخبار والآثار لقصد الفخار الى ما يأتي من الاعصار والضرورة تداول أحكام الشرع من السلف للخلف في جميع الاقطار فان قيل وهل لعلم التاريخ هذا أصول ثابتة بتداولها وقواعد قوية يعتمد عليها وهل له أساس يدمع معتبرة يؤخذ منها وموارد مستقرة يروى عنها أم هو كما قد بتوهم خيط عشواء وخلط عمية وأقوال هوائية من روايات القصاصين وحكايات الراوين لأصل لها والافاسائله واستمداده ومآلاته التي آل اليها في هذا العصر واستمداده والجواب عن ذلك في البحث الآتي ابراده

البحث الثالث

في قواعد علم التاريخ ومساائله واستمداده وما آل اليه من حالة كماله واستمداده

لا شك في ان التاريخ علم متين وفن مكين مبني على قواعد قوية وأصول ثابتة مستقيمة سوية وبيان ذلك ان التاريخ إنما كان عبارة عن حكاية وقائع الزمان وحوادث الحدثنان كان مبنيًا اما على دلائل المشاهدة والعيان التي هي أقوى أنواع البرهان وأما على النقل عن الرواة الملقاة بالاسانيد المعتبرة والروايات المعتمدة المشتهرة كعلم تفسير القرآن والحديث بل يصح ان يقال انهما فرع منه فهو داخل في ضمن قول بعضهم « العلم ما كان فيه حدثنا » وانما يرجع على كل حال لامانة حاكميه وديانته راويه على ان علم التاريخ لا يكفي فيه بمجرد النقل والرواية بل لابد من النظر فيه أيضا بنور العقل والدراية فالقاصي ابن خلدون رحمه الله في صدره مقدمة تاريخه في سياق قوله المنقول أعلاه « فهو (أي علم التاريخ) محتاج الى ما أخدمته عدة ومعارف متنوعة وحسن نظر وثبوت يقضيان بصاحبه الى الحق وينسجنان به عن المزالات والمغالط لان الاخبار اذا اعتمدت فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال في الاجتماع الانساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذهاب فربما لم يؤمن فيها من العثور ومضلة القدم والحيد عن جادة الصدق وكثيرا ما وقع للأورخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غشا أو سميئال يعرضوها على أصولها ولا فاسوها بأشباها ولا سبروها بعيار الحكمة والوقوف على إنبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار فضلوا عن الحق وتأهوا في بيدها الوهم والغلط ولا سيما في احصاء الاعداد من الاموال والعساكر اذا عرضت في الحكايات اذهى مظنة الكذب ومطية الهذر ولا بد من ردها الى الاصول وعرضها على القواعد (انتهى كلام القاضي ابن خلدون رحمه الله)

ومن ثم يعلم ان علم التاريخ له قواعد يعتمد عليها وأصول يستمد اليها هو

الدرس الثام (٢٣) في التاريخ العام

أولا على دلائل المشاهدة والعبان فضلا عن النقل مع النظر في ذلك بنور العقل ومبناه في كلنا الحالتين حسبا أسلفناه وكما يفهم من أصل وضعه وتعريف معناه على أساس الصدق ومراعاة الحق من غير كذب ولا تلق ولا تعرض لقصدا كتساب حطام الدنيا الفانية كما أنه لا يذبح في أياض ان ينبنى على انكار فضل الفضل وعدم الاقرار بكمال الكمال وبخس الناس أشياءهم لحقد أو حسداً وحيدة دينية أو غير ذلك من أنواع سوء الخلق فقد قالوا ان المؤرخ يقتضى ان يكون حكم عدل وقاض منصف أو شاهد بالحق والانصاف ينقل الشهادة عن السالف للخلف من غير ميل ولا انحراف ومن هذا الوجه يخالف التاريخ ما يعرف الآن عند بدء الافرنج باسم **رومان** بمعنى الحكايات المخترعة والخرافات المصطنعة لقصد الترغيب في مكارم الاخلاق والترهيب من المساوى والنفاق وان كانت قد تستند لاصل تاريخي ومأخذ واقعي حقيقي مع بعض زيادات وتلغيمات وتوفيقات وقد تعنون بلفظ التاريخ أو القصة كقصة عنتر بن شداد والقصة المترجمة من اللغة الانكليزية باسم روينصون كروزي أو السندباد وغير ذلك

ثانيا من الاصول التي يعتمد علم التاريخ عليها والقواعد التي يرجع فيها اليها أصول العادة وهو المقصود بقوله ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالغائب ومعنى ردها لاصول العادة قياسها باباها وانظائرهما من الوقائع المضاهية لها وهذا امر لا يحتاج من الايضاح لزياده

ثالثا منها ايضا كما نرى عليه القاضى ابن خلدون رحمه الله في عبارته المنقولة عنه أعلاه قواعد علم السياسة أى سياسة الامم والدول والممالك وما يقتضى ان يكون عليه سيرها من الطرق والمسالك ومبنى ذلك كما يلقى الاجمال هو كما ذكره الفلاسفة المتقدمون وأوضحه الحكماء المتأخرون على العقد الاجتماعى او الانسنى او عقد الحركة الانسانية وهو ما انعقد ضمننا في مبدأ كل اجتماع تأنيس بين كل رئيس ومروءس او صريحافيا بعدد بقدم المبايعين بين كل راع ورعية على المخروق والواجبات اللازمة على كل من الطرفين المتعاقدين وذلك عبارة كما قالوه ونصوا عليه في مكانه واولوه عن كون المرؤسين بمجرد رضاهم بالسير امام رئيسهم المتقدم عليهم لمصلحة الدفاع عنهم في أول الامر مثلا كأنهم قالوا له انما راضينا بترئيسك علينا بشرط ان تقوم لنا بكل ما يجب لحفظنا وما فيه تحصيل غرض راحتنا وسعادتنا والتمزنا لك في نظير ذلك ببذل نفوسنا وأموالنا معك وكل ما يلزمك من المعونة والجنود للحصول على هذا الغرض المقصود وهو تقبل ذلك منهم بمجرد سيره بالنـ عمل امامهم وكونه رضى بان تقدمهم وكذا الحال فيما يترتب على المبايعه الشرعية الصريحة من الحقوق والواجبات الصحيحة الحاصلة بين الامام والرعية بالوجه الصريح حسب ما يقع عليه في صيغتها التدرج وبعبارة مختصرة أخرى اصول السياسة ترجع كلها الى امرين أصليين أحدهما ما يجب على الراعى من حفظ الرعية وهو حق الرعية عليه وهذا معنى قوله عليه الصلوة والسلام «كل راع مسئول عن رعيته» والثاني ما يجب

على الرعية من اعانتة وهو حقه عليهم وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم عليه ولا يؤمن أحدكم حتى اكون أحب اليه من ماله وولده ونفسه التى بين جنبيه ، كما هو مبسوط فى كتبه المخصوصة به رابعا من الاصول التى ينبى عليها علم التاريخ كما نص عليه أيضا علاه القاضى ابن خلدون رحمه الله طبيعة العمران واختلاف أحوال اجتماع الانسان يشرب ذلك الى ما ذكره بعض الحكماء وأوضحه أيضا العلماء من انهم كما صوروا فى علم تعبئة الجيوش العسكر فى صورة طائر له جناحان المينة والميسرة ورأس أو طليعة وذنب أو ساقية كذلك صوروا كل اجاعة انسانى وتأنس عمرانى أو دولة أو ملكة أو بلدة أو خطه أرضية ايا كانت من مدينة أو إقليم أو قرية أو غير ذلك فى صورة جسم آدمى حى وهيئة شخص معنوى رأسه ولاية الامور والامراء وقلبه العلماء ويده العساكر والجنود وباقي الاعضاء والاطراف هم سائر طوائف الرعية ومن ثم يعبر عن آحاد الناس فى كل جمعية عماريه باعضاء الجمعية بالمدية وبنوعا على ذلك ان الجميع الامم والملل والاديان والنحل وكل جمعية حضريه كالملاشخاص البشرية من توالى الاعار ما يعتريه سائر الاطوار فلا بد لهم من المرور بطور الطفولية والشبية والكهولة والشيخوخة والهرم وانه قد يعترىها فى اثناء ذلك من الاعراض بعض أحوال مرض وسقم ويختلف تاريخ كل أمة من الامم بحسب اختلاف أحوال تلك الاطوار قال القاضى ابن خلدون رحمه الله كلزوم العصبية فى أول أمر كل دولة من الدول أو ملة من الملل بخلاف ما اذا بلغت الحد الكمال والاستقرار وغير ذلك من الاحوال التى تختلف بحسب اختلاف الاعار على مر الاعصار وبهذا المعنى ألم أجدين الحسين المتنبى المشهور فى شعره المأثور بقوله

أتى الزمان ينوه فى شببيته * فسرهم وأتينا على الهرم

خامسا من القواعد الاصلية والاصول السكامة التى ينبى عليها علم التاريخ شكل الارض وطبيعة القطر والمكان الذى حصل فيه الاستيطان وبيان ذلك كما نص عليه غير واحد من المؤرخين الاوربوايين وغيرهم من المؤلفين ان لاختلاف أشكال الاراضى وتنوع طبائع البلدان تأثيرا عظيما على أحوال من بها من السكان فلا تجد نزلة بشرية ولا استيطانه حضريه اللهم الا على ما عجارو على نهر من الانهار او على سواحل البحار ومن كان استيطانه من الامم على أرض خصبة صالحة للزراعة كان الغالب عليهم العناية بالاعمال الزراعية وان كانت اراضيهم جبلية ذات مراعى واعشاب توجهت عنايتهم لتربية المواشى والدواب والا كان الغالب عليهم فى تحصيل مواد معاشهم والتماس وسائل سعادتهم وانشغالهم بالصناعات وترى الملل الذين استوطنوا سواحل البحار أكثرهم بحاره واغلب عنايتهم بالتجارة الى غير ذلك من اختلاف احوال الاقطار والممالك وحينئذ فيختلف تاريخ كل ملة من الملل بحسب اختلاف طبيعة اراضيها من سهل او جبل كما علم ذلك بطريق الاستأصاء وثبت بدليل النظر والاستقراء

فهذا هو ما يسر لنا استنباطه من القواعد الاصلية والاصول الاساسية التي يبني عليها علم التاريخ الخاص والعام كانه عليه هؤلاء الائمة الاعلام وامام مسائل علم التاريخ فقد قال العلماء ان مسائل كل علم هي اصوله الكلية وقواعده الاصلية التي تنفرع عنها احكامه الجزئية وبعبارة اخرى هي قوانينه الاجمالية المستنبطة من ادلته التفصيلية كقولهم في علم النجوم لا لكل فاعل مرفوع يبني عليه ان زيدا في قولك ضرب زيد يجب رفعه في مثل هذا المثال وهكذا على هذا المنوال وتطبيق ذلك على علم التاريخ ان نقول يقتضى ان تكون مسائل علم التاريخ هي قواعده الاصلية واصوله الكلية التي ذكرنا بعضها في ماسلف وعسى ان يأتى من بعدنا من يستقصيها فيمن خلف حيث تنفرع منها أحواله الاستقرائية وأحكامه الجزئية كقولهم مثلا ان كل دولة او ملكة في أول امرها يلزم لها العصبية وان كل ملكة بلغت الهرم صعب معالجة ما لا يدان يعتبر بها من المرض والسقم وعلى ذلك يبني اننا اذا شاهدنا في التواريخ والاعخبار دولة او ملكة بهذه الاحوال والآثار ردنا تلك الاحوال الجزئية الى هذه الاصول الكلية والقواعد الاصلية وهكذا على هذا المثال وأما استمداد، وأصل منبعمه وايراده فهو من عدة أمور حسب ما هو بعد مذكور

الأول الكتب الدينية التي بقيت على ممر الاعصار أو حصل العثور عليها في بعض الآثار الماثورة عن الامم السالفة والمملكات القديمة وأسبقها التوراة بحرف موسى عليه السلام حيث ذكر فيها تاريخ خلق العالم وقصص الانبياء السالطين وأخبار بعض الملوك المتقدمين وغير ذلك ولذلك يقول مؤلفوا الاقرنج عن موسى عليه السلام انه هو أول مؤرخ يعرف وان التوراة هي أول كتاب في التاريخ تدون وتألف ومن ثم اعتمدها المؤرخون من السلف في اقتصاص حادثة الخليقة وقصص الانبياء وأخبار العبرانيين وكثير من تواريخ الامم المتقدمين وقد ذكر منها ايضا في القرآن المجيد مقدار عديد عبرة لاولى الالبصار وتبصرة لذوى الاعتبار

الثاني الارصاد الفلكية وذلك عبارة عن مادتين أصليتين (احدهما) مجموع الارصاد النجمية التي جرت مدة ألف وتسعمائة سنة متعاقبة بمدينة بابل وبعثها الاسكندر بن فيليبش حين افتتح تلك البلدان الى بلاد اليونان فادرجها الحكيم بطليموس اليوناني في كتابه المعروف بالمجسطى (الثانية) حادثة كسوف الشمس المركزي الذي حصل احتسابه بلاد الصين قبل تاريخ المسيح عليه السلام بمدة ٢٢٥٥ عاما وغير ذلك من الآثار التي صار الحصول عليها من هذا القبيل وبمضاهاها بمعرفة النجومين المعتبرين والعلماء المشهورين وافقت عاذ كفي نصوص التوراة من التواريخ والاعخبار فحصل عليها الاعتماد وصار اليها الاسناد في تعيين تاريخ الخليقة وحادثة الطوفان وغيرهما من حوادث علم الزمان على قدر الامكان

الثالث التأليفات البشرية القديمة والقصاصات لشعيرة الميثية التي ألفها بعض مؤرخي تلك

الازمان ونظمها بعض شعراء اليونان والرومان اوصنفها بعض قس قداماء المصريين كالشاعر اليونانى الشهير باسم **أوميروس** المذكور في قول بعض شعراء المسلمين « كفى أمير وس لدين محمد » وذكره ترجمة مخصوصة في كتاب الملل والنحل للشهرستاني وغيره من الشعراء والمؤرخين السلف الذين ترجمت كتبهم من أصولها اليونانية والاطينية أى لغة أهل بلاد ايطالية القديمة الى اللغات الاوربية الحديثة ووقف عليها الخلف وطبقوها على نصوص الكتب الدينية المأثورة والارصاد الفلكية المذكورة وغيرهما من القواعد المتقدمة واستخرجوا منها النتائج المسلمة وذلك كتأليف المؤرخ اليونانى الشهير باسم **هيرودوت** دالىكارناس بمعنى الايمكارناسى (نسبة الى قرية ببلاد اليونان) وتأليف المؤرخ الرومانى المشهور باسم **ديودور الصقلى** (نسبة الى جزيرة صقلية السكائية فى بحر سفيد والبحر المتوسط الابيض) وكلقسديس **مانيتون** المصرى الذى ألف جداول ملوك الفراعنة السالفين بأمر أحد ملوك البطالسة الخالفين وغيرهم

الرابع ما اثر عليه السياحون المتأخرون من الامم الاوروباوية المعاصرين من الكتابات القديمة والتقييدات العميقة المعروفة بالانتية أى الآثار القديمة التى وجدت فى بعض النواويس والقبور واطلال المدن والعمارات والقصور التى كانت قد تشيدت فى سالف تلك الدهور كالا هرام وغيرهما من عمارات تلك الايام وذلك بواسطة ما انتدب اليه فى هذه المادة الحاضرة بعض العلماء الاوربيين من كشف حقيقة مطالعة خطوط الامم السالفين والتوصل لمعرفة كتابته الملل المتقدمة كالقلم القبطى القديم المعروف باسم **الهيورجليف** وقلم اللغة السريانية والهندية المسمى باسم **السنسكرىت** أى لغة أهل الهند القديمة وكذلك الصينية وغيرها وما تسطر أعلاه من الاسانيد المذكورة والمواد المسطورة انما هو بالنسبة لتواريخ القديمة دون تواريخ القرون الوسطى والاخيرى ومع ذلك فلا ينبغي ان يتصور ان المجتهدين من العلماء الاوروباوية مع بذل غاية مجهودهم وصرف أوقاتهم ونقودهم تحصلوا على تمام مقصودهم من الوقوف على حقائق أحوال الامم المعاصرة لعهد خلقة العالم فى تلك الاعصار الغابرة وغاية ما هنالك انهم توصلوا لمعرفة اسم ملك أو دولة كان قد سقط من سلسلة العائلات الملوكية او لو فوف على ايضاح بعض أحوال كانت غامضة من أحوالهم السلوكية ولم تزل تلك الازمان عن العموم غامضة سقيه وتواريخها بعد غير مستقيمة واما بالنسبة لتواريخ القرون الوسطى والمتأخرة فبمعاقب الايام والاعصار حصلت البصيرة والابصار وانتشرت الانوار وباختراع صناعة الورق الذى يكتب عليه المسمى بالقرطاس أو الكاغد من الخلقان البالية وقش القمح أو الارز وغير ذلك من المواد الاولية انتشر فى الكتابة فى كل الامم والملل واعنت الملوك والدول بضبط الاخبار وربط الآثار وكتب على قوم تاريخهم وسيرهم وقيدوا قصصهم وأثرهم وجاءت بدعة

المطبعة العجيبة في هذه العصر القريبه فسهلت نشر سائر المعارف والعلوم كما هو لكل أحد الآن من المعارف وبذلك ضبط علم التاريخ كغيره وارتفع الخاص والعام بفائدة وخيره اذ كتب فيه من المؤلفات ما لا يحصى وطبع فيه من المصنفات ما لا يستقصى وصار من الاعتماد والاستعداد لحالة الاستقرار والسداد بحيث صار يدرس الآن في البلاد الأوروبية وغيرها من الممالك المتخذة الاجنبيه في ضمن الفروع التعليمية الاصلية ومواد التربية الاولى كالخروج والصرف وسائر اصول العمليه الضرورية. للاطفال الصغار في المسكاتب الابتدائية الاهليه فضلا عن الشبان والكهول السجل في المدارس العاليه الميرييه الملكيه والعسكريه وفضلاء انتشار منه أيضا معرفة العلماء الاعلام بين طبقات العوام من الرسائل المختصره لقصد تقريب تناوله للافهام القاصره وها هو بالعناية الدائريه والرعايه الاميرييه ساغ لباحمد الله وحسن توفيقه ان نستفيد كغيرنا من علم التاريخ والجغرافيه اللذين بهما تنوير العقول وتكثير النقول وغيرهما من العلوم الرياضيه المتكده لتربية الافهام وازالة الاوهام ما لا بد منه من الفوائد ونستفيد من تلك المعارف البشريه والعلوم الضرورية ما كان قد نذعننا من الشوارد وصار يسهل لثلاثنا ان نحصل على نتيجة مدارسهم وأننى بثمره مدارسهم وتنقل زبد اجتهادهم وتمازجهم ونهايه القصد من بذل هذا الجهد هو ان تلقى عليكم أيها الاخوان وتفيد في هذا المجموع لكم وغيركم من سائر أبناء الاوطان ومن شاء الله تعالى له أن يطالع على أبا م الناس وأحوال البلدان من علم التاريخ العام زبد ما استقر عليه الحال وأقره العلماء الاعلام لغايه الآن على الوجه التام الذي يقر أبه لصد الترتيب في المدارس الأوروبية مع تحرى الصدق في النقل والانتقان على قدر الامكان وهذا آخر ما تيسر لنا ان نقدمه لكم في هذه المقدمة على سبيل التمهيد الضروري لفهم ما سنبديه اليكم في سياق العرض المقصود من الايضاح والبيان

تعليميه قد جرت عادة بعض المؤلفين ولا سيما المؤرخين ان يكتبوا بعض مؤلفاتهم على صورة السؤال والجواب ظنا منهم ان في ذلك تسهيم لا على الصبيان ودليلا لالذهان وربما كانت هذه الطريقة من الصواب بالنسبة للعقائد الدينيه وغيرهما من العلوم الاولى التي يكون جل القصد منها الحفظ واكثر الاعتماد فيها على اللفظ ولما كان علم التاريخ يقتضى ان يكون الاستناد فيه على تعقل الطالبه ومفكرتهم أكثر من الاعتماد على حافظتهم ومدكرتهم وكان يكفي فيه تعليق ما لا بد من تعليمه منه بالمعنى من غير حفظ اللفظ الا لا يمكن فيه على ظهر القلب الحفظ استصوبنا ان نسطر هنا بطريق التكرار وعلى سبيل الاختصار ما تقدم في هذه المقدمة من الفوائد المتقدمه وهكذا أتى آخر كتاب من الابواب الاثنيه على هيئه مسائل ارشاد المسؤل والمسائل ولم نخرر الجواب باراء السؤال اعتمادا في تمصيل هذا العلم على التعقل والفهم لئلا أتى الطالب بالجواب من مظانته ويستخرجه مما سبق له تقريره في الباب يقر بجهته تمرين لالذهان وتبيننا اسكيفية الامتحان على هذه الوجهه التي بعد من البيان

مسائل

تشتمل على مختصر ما تضمنته المقدمة من مبادئ علم التاريخ المتقدمه

المبحث الاول

- ١ ما اسم هذا العلم وما الاكثر استعمالا من اسمائه
- ٢ ما معنى السيرة لغة واصطلاحا
- ٣ ما معنى التاريخ لغة وما كيفية تصريفاته
- ٤ علام يطلق لفظ التاريخ اصطلاحا وما المراد منه في اصطلاح البلغاء على الخصوص
- ٥ ما تعريف التاريخ اذا أخذ على اعم اطلاقاته ومن ثم الى كم قسم ينقسم
- ٦ ما المراد بالتاريخ الطبيعي وما كيفية تقسيماته
- ٧ ما المراد بعلم حياة الحيوان
- ٨ ما المراد بعلم النبات
- ٩ ما المراد بعلم المعادن
- ١٠ ما المراد بما يسمى في اللغة القرائن ساويه بعلم الجيولوجيه
- ١١ هل جعل التاريخ الطبيعي من ضمن علم التاريخ هو مسألة اتفاقية ام خلافية وما توضيح هذا المقام
- ١٢ ما المراد بالتاريخ المدني وما من أقول الحسك ان الانسان مدني بالطبع وما بيان ذلك
- ١٣ ماهي الاقسام التي تنحصر فيها الاعمال المدنية والحضريه
- ١٤ ماضباط الزراعة والصناعة والتجارة والاماره
- ١٥ ماهما الأمران اللذان يضطر اليهما الانسان بالطبع وما المراد بالعائلة او القبيلة والعشير
- ١٦ ما المراد بقولهم حالة الجمعية البشرية او الحضريه او التمدن او ديمية الاجتماع الانساني وما أشبه ذلك من العبارات
- ١٧ ما المراد بالجمعية الوطنية او المدنية والجماعة الدينية أو الجمعية الدينية
- ١٨ ماذا يلزم لانتظام الجمعية البشرية من الامور الاصلية الضرورية
- ١٩ ما المراد بالدين وما المقصود بقولهم دين الدولة والديانة الرسمية
- ٢٠ ما معنى الموازع وما المراد بالملك والسلطنة او الدولة وولاية الامر العامة وما أشبه ذلك
- ٢١ الى كم قسم تقسم ولاية الامر العمومية
- ٢٢ ما المراد بالولاية الروحية والجنسية
- ٢٣ ما المراد بالولاية التشريعية والقانونية والقضائية والتنفيذية والتعجيزية
- ٢٤ ما المراد بالقوة العسكرية وما الغرض المقصود منها

الدرس النام (٢٩) في التاريج العام

- ٢٥ إلى كم فرع قنفرع الولاية التنفيذية وما المراد بالتقسيم السياسي او الخطط الارضية وماهى
- ٢٦ ماهى التقاسيم الادارية والوزارية والدواوين وما المراد بكل واحد منها
- ٢٧ ما اقسام ولاية الامر من حيث الهيئة والصورة
- ٢٨ ما معنى الحكومة الملوكية وكيف تنقسم وما الفرق بين الحكومة الملوكية المطلقة والمقيدة او النيابية وما المراد بجلوس شورى النواب
- ٢٩ كيف تنقسم الحكومة الملوكية من وجه آخر
- ٣٠ ما معنى الحكومة الاعيانية او حكومة الاشراف وما المراد بهذا اللفظ
- ٣١ ما معنى الحكومة الاهلية او الجمهوريه
- ٣٢ وحينئذ ما المراد بنظام الملك او السلطان وما المراد بالتمدن والعمران وما أشبه ذلك
- ٣٣ ما موضوع علم التاريج المدنى وما تعريفه بطريق الاختصار وكيف ينقسم
- ٣٤ ما المراد بالتاريج المدنى العام وما المدة التى يستغرقها من الدهر على الاصح من اول عهد الخليفة الى هذا العصر
- ٣٥ كيف قسم المؤرخون من الافرنج التاريج المدنى العام
- ٣٦ ما المراد بالتاريج القديم وما المدة التى يستغرقها من عمر الدنيا
- ٣٧ يقتضى تعداد الامم الشهيرة الذين يعبر عنهم بالتاريج القديم
- ٣٨ الم يكن يوجد فى الاعصار القديمة غير هؤلاء الامم المذكورين وهل لهم تواريج ثابته
- ٣٩ ما المراد بالتاريج المتوسط وما المدة التى يستغرقها من عمر الدنيا
- ٤٠ ما المراد بالتاريج الحديث وما المدة التى يستغرقها من عمر الدنيا
- ٤١ ما المراد بالتاريج العصرى وما المدة التى يستغرقها من عمر الدنيا وهل هو قسم مستقل بذاته أم كيف الحال
- ٤٢ ما المراد بالتاريج المدنى الخاص وما تقسيماته
- ٤٣ ما المراد بالتاريج المدنى الخصوصى والجزئى والقيسى والسفارى وغير ذلك وما المراد بقولهم تاريج الحوادث السنويه والتذكرة التاريخية والحياة الشخصية
- ٤٤ كيف ينقسم التاريج المدنى من حيث طريقة تحريره وما المراد بما يسمى فى اللغة الفرنساوية باسم الكرونولوجيه والاتنوغرافيه والسكرونيسم والتاريج النظرى او الفلسفى
- ٤٥ كيف ينقسم التاريج من حيث اصل استمداده وما المراد بقولهم التاريج المقدس والتاريج الدينوى والبشرى

الدرس الثام (٣٠) في التاريخ العام

٤٦ مناسبة علم الانساب وعلم الجغرافيه وعلم الكرونولوجيه وعلم الاستاتستيك لعلم التاريخ
المبحث الثاني

٤٧ ماثرة علم التاريخ لقارئيه وهل هو عبارة عن مجرد اقتصاص قصص واخبار للتفكه
بهايين السمار وما الفوائد الحقيقية والثمرات الدنيوية والاخرويه التي تنتج عنه
حسبما يؤخذ من كلام العلماء الافاضل والدقهاء الاكامل الاسلاميين الذين صنعوا فيه
ماحكم علم التاريخ

٤٩ ماهية علم التاريخ خصوصاً بالنسبة لعلم الاخلاق
٥٠ هل علم التاريخ معدود في جملة العلوم الاثني عشر المسموينة للعرب وما المراد بذلك
٥١ ما أصل علم التاريخ وما كيفية ترقيه على مر الازمان الى ان صار حالة السكال التي هو
عليها الآن

المبحث الثالث

٥٢ هل لعلم التاريخ اصول ثابتة يستند اليها قواعد مستقرة يعتمد عليها أم كيف الحال
ومن أين يؤخذ ذلك

٥٣ ماهي القواعد التي ينبغي عليها علم التاريخ
٥٤ ما اول اساس يقتضى ان يبنى عليه علم التاريخ وما الفرق بينه وبين ما يسمى باسم الرومان
٥٥ ماهي القاعدة الثانية التي يبنى عليها علم التاريخ وما المراد برده لاصول العاده
٥٦ ما القاعدة الثالثة التي يبنى عليها علم التاريخ وما المراد بقول الحكماء العقد الانسي
او السياسي او عقد الشركة الانساني

٥٧ ماهي القاعدة الرابعة التي يبنى عليها علم التاريخ وكيف صور الحكماء في صورة محسوسة
كل اجتماع انساني ومكان عمراني وما المراد بذلك وهل يستأنس لهذا المعنى من قول
بعض الشعراء المشهورين

٥٨ ماهي القاعدة الخامسة التي يبنى عليها علم التاريخ وما المراد بذلك
٥٩ ما مسائل علم التاريخ وما كيفية تطبيق ذلك عليه

٦٠ ماهي الامور التي منها استمداد علم التاريخ وما توضيح كل مادة مادة منها وهل هذه المواد
التي منها العلم التاريخ استمدادها بالنسبة للتاريخ العام بجميع اقسامه ام كيف الحال
وماذا آل اليه علم التاريخ الآن من حالة السكال

٦١ ما فائدة تكرار ما تقدم في المقدمة السالفه وفي آخر كل باب من الابواب الخالقه
بطريق الاختصار في صورة مسائل بالنسبة للمسئول والسائل

اذا قرر هذا في الادهان ساغ لنا ان نشرع الآن في الغرض الموضوع له هذا المجموع منقسم
الى ثلاثة اقسام او فروع على مقتضى الترتيب الطبيعي والله سبحانه وتعالى هو المسئول في تمام
كل مشروع

القسم الاول

في التاريخ القديم

معلومات اوليه وتقسيمات اصلية

مسألة عمر الدنيا

ذكرنا في المقدمة ان التاريخ القديم عبارة عما يشمل احوال عدة أمم شهيرة وملل كبيرة في مدة القرون الاولى من ابتداء حادثة خلق الدنيا لغاية حادثة زوال دولة الروم الاولى باغارة اقوام شمال اوروبة عليها في سنة ٤٧٦ من ميلاد المسيح عليه السلام والقرن في اصطلاح المؤرخين وفي بعض العلاقات عند اللغويين وعلى حسب ما يفهم من مدلول هذا اللفظ عند جريانه على الالسنه هو عبارة عن مسافة من الزمن معينة بحلى الاصح بمائة سنه كما صرح به في القاموس وتوضيح في شرحه المسمى بالوقية انوس وقد يطلق هذا اللفظ ويراد منه الجيل أى اهل زمان واحد من غير تعيين مدة سننات معينه قال في الصحاح « والقرن من الناس أهل زمان واحد » (قال الشاعر)

« اذا ذهب القرن الذى أنت فيه * وخلقت في قرن فانت غريب »

١٥ والسنة او العام عبارة عن مدة من الزمن متكونة من اثني عشر شهرا والشهر أربعة أسابيع والاسبوع سبعة أيام واليوم عبارة عن المسافة الزمنية التي تدور فيها الشمس حول محورها حسبما يفهم ذلك من مبادئ علم الفلك والهيئة أو قسم الجغرافية الفلكية المندرج في ضمن فروع علم الجغرافية العمومية وقد جرت العادة عند الملل المعتمرة والامم المشتهرة بتقسيمه الى اربع وعشرين ساعة والساعة الى ٦٠ دقيقة والدقيقة الى ٦٠ ثانية والثانية الى ٦٠ ثالثة وهلم جرا اذا احوجت الى ما فوق ذلك الضرورة

والشهر ما قرى او شمسي فالشهر القمري عبارة عن مدة الزمن المنقضية من ظهور هلال الى آخر وهي المسافة التي يدور فيها القمر حول الشمس وهي مدة ٢٩ يوما ١٢ ساعة و ٤٨ دقيقة ولكن جرت العادة في المعاملات المدنية يجعل الشهور القمرية على التعاقب شهرا ٢٩ يوما وشهرا ٣٠ يوما

والشهر الشمسي عبارة عن مدة الزمن التي تسيرها الارض حول الشمس مسافة ثلاثين درجة وعدة اشهور شمسية تارة ٣٠ يوما وتارة ٣١ يوما الا الشهر المسمى باسم فبريه او فبراير حيث يكون دائما ٢٨ يوما في السنة البسيطة و ٢٩ يوما في السنة الكبيسة

وبناء على ذلك تكون السنة اما قمرية او شمسية وكلتاها اما بسيطة او كبيسة فالسنة القمرية هي التي تتركب من الشهور القمرية اعني من دوران القمر حول الارض انثى عشرة مرة وعدة ايامها ٣٥٤ يوما و ٨ ساعات و ٤٨ دقيقة ولكن جرت العادة بجعل السنة القمرية ٣٥٤ يوما عددا كاملا وتسمى حينئذ بالسنة القمرية البسيطة واما السنة القمرية الكبيسة فهي ما يضاف اليها في كل اربع سنين يوم يتحصل من حاصل جمع الزيادة المذكورة فتكون عدة ايامها ٣٥٥ يوما والسنة القمرية هي الجاري عليها العمل في المراد الشرعية الاسلامية والتواريخ العربية

والسنة الشمسية هي المركبة من الشهور الشمسية وهي عبارة عن مدة دوران الارض حول الشمس وعدة ايامها ٣٦٥ يوما و ٥ ساعات و ٤٨ دقيقة و ٤٥ ثانية فهي أكثر من السنة القمرية بنحو واحد عشر يوما وينبني على ذلك ان كل دور ٣٢ سنة شمسية يساوي نحو ٣٣ سنة قمرية والسنة الشمسية هي المستعملة عند جميع الامم الاوروبية وسائر طوائف النصرانية في معادلاتهم الشرعية واستعمالاتهم السياسية لكنهم يفرضون عدة ايامها ٣٦٥ عددا كاملا فقط وتسمى حينئذ بالسنة الشمسية البسيطة وفي آخر كل أربع سنوات يضمنون مدة الزيادة التي هي نحو ست ساعات فيتكون منها يوم يضمنونه الى تلك السنة الرابعة فتتم ايامها ٣٦٦ يوما وتسمى بالسنة الشمسية الكبيسة وانما ينقص عندهم عدد السنوات الكبيسة في كل أربعة ترون سنة واحدة لداعي نقص مدة الزيادة المسطورة بنحو ١١ دقيقة في كل سنة كبيسة

ومن السنوات الشمسية ما يسمى بالسنة القبطية وغاية الفرقان الانبساط يجعلون شهورهم الشمسية كلها مكملة بنظرية مطردة من ٣٠ يوما ويضمنون اليها في آخر كل سنة عدة ايام لواحق يسمونها بايام النسيء (وهو في اصل اللغة التأخير) وهو خمسة ايام في السنة الشمسية البسيطة وستة ايام في الكبيسة تتأخر في كل سنة قبطية فيضمنونها اليها التتم عدة ايام سنتهم ٣٦٥ او ٣٦٦ يوما كعدد ايام السنة المستعملة عند سائر الطوائف النصرانية والسنة القبطية هي التي عليها العمل في مواد الحسابات الديوانية والمواقيت الزراعية بالديار المصرية

والقرن ان تتركب من سنوات قمرية فهو قمرى والافو شمسي وهناك ما يعبر عنه أيضا في اصطلاح علماء الكرونولوجية اى علم الأزمان بالدور وهو عبارة عن المدة التي تدور فيها الحوادث الفلكية وتعود الى مثل احوالها الاولى وهو كذلك بقمرى او شمسي فالدور الشمسي ٢٨ سنة والقمرى ١٩ سنة ولكنهم جعلوه في العمل ٣٠ سنة

واما العصر فهو الدهر بمعنى مطلق الزمن والذي نحتاج لمعرفة هنامن جملة توازن الامم المتنوعة بمعنى الحوادث الشهيرة والوقائع الكبيرة

الدرس التام ٣٣ في التاريخ العام

التي جعلوها مبدأ النسبة غيرها من الوقائع التاريخية التي ساعدت على حساب عوائدهم الغير المؤتلفة
كلمة سبق توضيحه في المقدمة عند الكلام على اطلاقات لفظ التاريخ الاصلاحية المتقدمة
هو تاريخنا

الاول التاريخ المسيحي او الميلادي لداعي انه هو الجاري عليه العمل في كتب التواريخ الاوربية
التي نعتمد عليها ونستند اليها في ترجمتنا هذه الى اللغة العربية وهو الذي عليه في توقيت الحوادث
التاريخية الاعتماد حيث يقال وقعت الحادثة الفلانة في عام كذا قبل الميلاد او بعد الميلاد
ومبدأه من ميلاد السيد المسيح عليه السلام والثاني تاريخ الهجرية المجدية لكونه في تاريخ القرون
الوسطى هو مبدأ تمدننا الوطني المحلي ومنذ تاريخنا الديني الاهلي والجاري عليه العمل عند
جميع أهل الاسلام ومبدأه على الاصح من يوم الجمعة السادس عشر من شهر يوليه الا فرنجي
سنة ٦٢٢ لميلاد عيسى عليه السلام كما حقه العلماء الاعلام وهو يوم هجرة سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم وشرف ومجد من مكة المحترمة الى المدينة المنورة المكرمه كما هو
مقرر في الافهام

اذا علمنا هذه المعلومات الاولى ساغ لنا ان نقول ان مسألة تعيين مبدأ خلق العالم او المدة التي
مكثها الغاية الآن المعبر عنها بعمر الدنيا او عبر عنها المؤرخ المحقق والملك العالم المدقق أبو
القدا سماعيل ملك حماه في مقدمة تاريخه بعمر الزمان هي مسألة خلافية حيث لم يحصل فيه الغاية
الآن التوف على قول ثابت صحيح ولا رأى واحد راجح يطهئ العقل اليه ويسكن القلب لديه
وذلك ان العلماء الاوربيين والمؤرخين المتأخرين مع بذل غاية مسوهرهم وفضل مساعدة ولاية
أموهم لم يصلوا بعد لأن يعينوا لعلم الكرونولوجية بمبدأنا عليه يعتمد ولم يعرف أحد لغاية هذا
العهد متى خلقت الدنيا ولا وقف على أول الوقت الذي أخرج الله فيه آدم من جنة عدن الى
الارض السفلى وان اصل الأشياء انما هو بعد مجهول حيث لم تصل اليه العقول واختلفت
فيه النقول ولذلك تشعب الخلاف في هذه المسألة الى نحو ما تقي مذهب لا اقل قال بعضهم
والذي هو الصحيح والاعتماد جميع هذه المذاهب اقرب هو قولان معتبران ورأيان شهيران

الاول ان المدة الممتضية بين حادثة الخليقة وولادة عيسى بن مريم عليه السلام هي ٤٠٠٤
اعوام وهذا هو التاريخ الذي قال به المؤرخ المدعو باسم اوسيريوس الارلندي (نسبة لجزيرة
ارلندة من الجزائر المحقة بمملكة انجلترا التي هي بلاد الانجليز) قال به المؤرخ المذكور في سنة
١٦٥٠ بعد الميلاد ومضى عليه أشهر المؤرخين من الفرنسيين كلاسقف بوسوه والمؤرخ رولان
ودانو وهذا القول هو المشهور والاكثر اتباعا عند الجمهور وبناء عليه فيكون مجموع مدة عمر الدنيا
من أول عهد آدم الى الآن عبارة عن ٥٨٧٧ عاما حاضرة من جمع مبلغ الاربعة آلاف وأربع
سنوات المذكورة اتفاقا على مبلغ ٨٧٨٣ سنة التي بلغ اليها التاريخ المسيحي في هذا العام وهو

قريب مع بعض نقص من مبلغ السمة آلاف سنه الذي ذكرناه في المقدمة سالفا (١٣٣ سنه)
القول الثاني ان المدة المنقضية بين الحادثتين المذكورتين هي ١٣٨٤ عاما وهذا القول
هو الذي أبداه المؤرخ الانجليزى المسيحى باسم كلايتون فى سنه ١٨٢٩ للميلاد ومشى عليه
المؤرخ ويكتور دوروى وزير المعارف العمومية فى عهد الدولة الامبراطورية الفرنسية الاخير
ورفقاؤه من جماعة المدرسين والمؤرخين الذين القوا تحت ادارته الرسائل التاريخية الشهيرة
وبناء عليه فيكون مجموع مدة عمر الدنيا عبارة عن ٦٠١٩٠٠ سنة من جملة المسطورة مع
مدة التاريخ الميلادى المذكورة وهو قريب من مبلغ ٦٠١٩٠٠ سنة الذى ذكرناه في مقدمة متنا مع بعض
زيادة يسيرة (١١ سنه)

ومن اطلع تفصيلا على جميع الاقوال التى ادى اليها الخلاف فى هذا المجال علم انها كلها انما
هى مبنية على حسابات مؤسسة على الاعداد الواردة فى أصل التوراة عند ذكر تواريخ الولادات
والوفيات ومدد الولايات والاعمار لبعض الانبياء وغيرهم من ذكر فيها من مشاهير الرجال وانه
لم يكن واحدا من القائلين بهذه الاقوال يقول بان المدة المنقضية من ابتداء خلق العالم لغاية ميلاد
المسيح تزيد عن ٧٠٠٠ سنة ولا تنقص عن ٣٧٠٠ سنة وهذه الاقوال كلها الاجمال لها اللهم
الا عند الملل الذين يعتقدون تقديس التوراة وكونها منزلة من عند الله تعالى على موسى بن عمران
عليه السلام واتضح له ايضا هذا الخلاف انما هو ناشئ ككتبه عليه الملك المؤيد أبو الفداء فى مقدمة
تاريخه عن تنوع نسخ التوراة وفى ثلاثة أصل النسخة السامرية والعبرانية والترجمة اليونانية التى
نقلها اثنان وسبعون حبرا بالاسكندرية قبل ميلاد المسيح بنحو ٣٠٠ سنة لبطليموس ثانى المملوك
اليونانيين الذين تولوا امر مصر بعد الاسكندرية وتعرف بتوراة السبعين وهى التى لها على ما عداها
الترجيح كاسمى لذلك فى موضوعه زيادة توضح على اننا اذا خرجنا عن تلك المعلومات المستنبطة
من نسخ التوراة وجدنا فى هذا المقام اشبع الحسابات واشنع المبالغات وذلك ان كل واحدة من الاعم
الاقدمين والملل السالفين ارادت ان يكون لها قصب السبق والتقدم فى مادة العتاقة والهرم على
غيرها من سائر الملل والاعم فحسبت لنفسها من مدد الاقدمية فى مبداء تواريخها الاولية اعدادا
تعدبها آلاف الملايين من السنين لاجل الفخار ولقصد تقديم اصل وجودها فى بحر ظلمات
الاعصار فغمهم زعم انه متوغل جد فى مادة القدم حتى انك ترى بعض ملل جعلوا لانفسهم قبل
ان يترتب لهم عائلات ملوكية من البشر عدة دول من آلهة وانصاف آلهة مكشوا تحت حكمهم على
حسب زعمهم مددة من الزمان تبلغ ستة آلاف سنه وبعضهم أربعة وعشرين ألفا وبعضهم
اثنين وسبعين ألفا وبعضهم أربع مائة واثنتين وثلاثين ألف سنه

ومن هذا القبيل ما قال به وألف فيه رسالا مخصوصة بعض المؤلفين المتأخرين من علماء الفرنسيين
المعاصرين بقبول ما ذكره القسطين المصرى المدعى باسم مائدة السالف المذكور من ان ديار مصر

في سالف الدهر قبل ان يابها ملوك من البشر كانت محكومة بدول عديدة من الالهة واوراخ^١ اناس من الاموات مدة مسافة من الزمن تبلغ ٥٧٣٠ سنة قبل الملك مينيس الذي كان اول من ولي مصر من البشر في سنة ٥٧٧٣ قبل ميلاد المسيح حسبما اعتمد ذلك القائل وعارضه غيره من علماء هذا العصر

والذي يقتضيه الدوق السليم وينضى به العقل المستقيم هو انه لا حاجة للمناقضة في الستة قرون الاولى التي يقول بها الهنود ولا في شأن الدول الالهية التي يزعمها اهل الصين واهل جزيرة يابونية وقدماء المصريين وما يخرج عن حد العقل من عتاقة نسبة قدماء الكلدانيين الى العرافيين بل ولا في ما هو النطف من ذلك واخف من جميع ما هنالك مما حجب به لانفسهم قدماء الفرس المعروفين عند العرب الآن بالاعجماء وانما الذي يصح التشبث به في تحقيق هذا المقام هو ما يستنبط من النتائج التي هي اكثر علمية وان كانت هي ايضا حدية تقريبية عن تأمل الارصاد الفلكية كمنطقة فلك البروج وغيرها من الاسرار السماوية واكبر من ذلك كله الى الصحة اقربية هو ما نتج عن دقة النظر في احوال الكرة الارضية وكيفية تكونها وما اعتراها من التغيرات والاحوال الى ان صارت الى ما هي عليه الآن من المآل وهو المعبر عنه بعلم الجيولوجية وذلك ان طائفة العلماء الاوروايين المتأخرين المدعوين بالجيولوجيس (يعنى علماء الجيولوجية أى علم طبقات الارض كما سلف ذكره) قالوا باختيارهم ان الكرة الارضية على الحالة التي هي عليها الآن لا ينبغي ان تكون اولية خلقها مؤرخة من مدة زمنية أكثر من ستة آلاف الى ثمانية آلاف سنة شمسية حسبما أثبتته الفيلسوف المحقق والعالم الطبيعي الفرانساوي المدقق المشهور باسم كوفيه في رسالته المعنونة بتجذبات في مادة تقلبات الارض فهم يرجعون ما يعرف في اصطلاح المؤرخين بمحاذنة خلق الدنيا الى زمن قريب مما يضعه فيه الكرونولوجيون (علماء الكرونولوجية أى علم ترتيب الزمان) من احبار الانصارى العيسويين

قال المعلم كرويس دريس (يكسر الدال وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحت) في آخر مجت الخليفة من كتاب الكرونولوجية العمومية الذي الفه من ضمن كتب التواريخ المؤلفة تحت ادارة ويكتور دو روى السالف المذكور مانصه ووعلى كل حال فتعيين تاريخ لوقت الذي حصل فيه نفع الروح المتفكر في الحياة البشرية على الكرة الارضية بالقوة الالهية هو من قبيل الجراءة الكلية ومع ذلك فنلزم الضرورى ان تقدم عليه جرياً على العادة التعليمية لنخذلنا مبدءاً نشى عليه في ترتيب الزمان بكتابنا بهذا وهو قول المؤرخ كلاتون الانجليزى القائل بان حادثة خلق الدنيا كانت قبل ميلاد المسيح عليه السلام بقدر ٤١٣٨ من الاعوام اهـ معرباً

قلت وهكذا أقساما على هذا الكلام يقتضى لنا اننا لم نعتمد على الكرام ان نخذلنا أيضاً في سياق هذا الدرس التام في التاريخ العام مبدءاً تاريخياً نرجع في توقيت سائر الحوادث اليه ومنشأ زمنياً نعلم في تاريخ الوفاة عليه وهو هذا القول الأخير والمذهب التاريخى الشهير لاسيما

وهو الجارى عليه العمل في سائر الاصول الاوروبية التي ننقل منها ونزوى لكم عنها في سياق درسنا هذا باللغة العربية

طريقة تحويل التواريخ الميلادية الى الهجرية

وطريقة تحويل التواريخ الميلادية الى الهجرية أعني ارجاع التواريخ الشمسية الى القمرية بالعمل حسبما قدمنا اليه الحاجة وكما قد يتعلق بذلك منكم الامل وليكون عليه في معرفة تواريخ الحوادث التاريخية الاعتماد سواء كان ذلك قبل الميلاد او بعد الميلاد هي ان تجمعوا بالقواعد الحسابية الاصلية المعلومة لكم التاريخ كل حادثة مؤرخة بالسنوات الميلادية اذا أردتم ان تعرفوا تاريخها بالسنوات الهجرية وكان التاريخ المطلوب تحويله قبل الميلاد مبالغ ٦٢٢ الذى هو مقدار الفرق بين الهجرة المحمدية والولادة المسيحية او تنظر حواشي العدد الاخير من اصل التاريخ المطلوب تحويله اذا كان ذلك بعد الميلاد ثم تقيمه واعلى كل حال من الحسابين حاصل الجمع او الباقي الطرح الجار بين على العددين المذكورين على عدد ٣٢ على حسب اختلاف الصورتين وخارج القسمة يضاف الى نتيجة احدى العمليتين فيكون مجموعها هو التاريخ الهجرى المطلوب حسب المرغوب وتوضح ذلك بالمثال لاجل ان يقاس عايه في سائر الاعمال

مثال الصورة الاولى المطلوب تحويل تاريخ خلقة الدنيا وهو ٤١٣٨ قبل الميلاد بناء على القول الذى جرى عليه الاعتماد ان التاريخ الهجرى المعتاد اعني معرفة تاريخ الخليقة كم كان من السنوات بالنسبة للهجرة كما حسبها المؤرخون الاوروبيون بالنسبة للميلاد والجواب هكذا على حسب ما هو مما قررناه بالضرورة يستفاد

	٤١٣٨	
	٠٦٢٢	
	٤٧٦٠	
٣٢	٣٢	
١٤٨	٢٤	
	٣٢	
٤٧٦٠		
	٢٤	
	٣٢	
٤٩٠٨		
	٢٨٠	
	٣٥٦	
	٢٤	

ومن ثم ينتج ان حادثة الخليقة قد كانت قبل الهجرة بقدر اربع لاف وتسعمائة وثمانى سنوات ونحو ثلثى سنة قريية وذلك هو المطلوب وهو قريب مما ذكره الشيخ الكبير والعالم الولي الشهير محي الدين بن العربي رضى الله عنه في بعض تأليفه ونوع عليه في بعض تصانيفه

الدرس الثام ٣٧ في التاريخ العام

مثال الصورة الثانية. المطلوب تحويل تاريخ فتح القسطنطينية على يد احد سلاطين الدولة العثمانية وهو سنة ١٤٥٣ الميلادية الفاصل بين مدى التواريخ المتوسط والاخير حسبما ذكره من مؤرخي الافرنج الجمل الغفير الى التاريخ الهجرى الذى هو فى التواريخ الاسلامية مذكور والجواب عن ذلك حسبما هو بعد مسطور ١٤٥٣

		٦٢٢
	٣٢	٠٨٣١
	٣١	٦٤
٢٥	٣٢	
٨٣١		١٩١
	٣١	١٦٠
٨٥٦	٣٢	
		٠٣١

ومن ثم يتبين ان حادثة فتح القسطنطينية قد كانت بعد الهجرة المحمدية بقدر ثمانمائة وست وخمسين سنة هجرية مع زيادة سنة قريبة واحدة ناشئة من كسر $\frac{31}{32}$ بعد فرضه دورا كاملا وبعد اصحها شاهلا حتى تتم جملة ذلك ٨٥٧ وهذا هو المطلوب ودوعين تاريخ هذه الحادثة الشهيرة حسبما ذكره سائر المؤرخين الاسلاميين وارضه فى ضمن قوله (بلدة طيبة) بعض الادباء المعاصرين كما أسلفنا ذكره فى المقدمة

مثال آخر من الصورة الثانية - المطلوب تحويل سنة ١٨٧٣ الميلادية الحاضرة الآن الى سنة هجرية اعنى معرفة السنة القمرية المقابلة للسنة الشمسية الحاضرة والجواب هو كما يظهر من هذه العملية الآتية ١٨٧٣

		٦٢٢
	٣٢	١٢٥١
	٣١	٩٦
٣٩	٣٢	
١٢٥١		٢٩١
	٣١	٢٨٨
١٢٩٠	٣٢	
		٠٠٣

ومن ذلك يتبين ان السنة الهجرية المقابلة لسنة ١٨٧٣ الميلادية التى هى العام الميلادى الحال هى سنة ١٢٩٠ القمرية مع زيادة بعض اجزاء كسرية ($\frac{3}{32}$) ليس لها قيمة اعتبارية حيث كانت هذه الطريقة العملية انما هى فى الجمله تقريبا. والافى أرادها مقابلة السنوات الميلادية بالهجريه على وجه الضبط مع معرفة مبدأ السنة القمرية باليوم والشهر من السنة الشمسية فليراجع الجدول الزمنى المسطور فى آخر الكتاب المسمى **نظم التقالى فى السالك** فيمن خبكم فرانسوا من قابلهم على مصر

من الملوك تعريب العبد الحقير المطبوع بمطبعة بولاق سنة ١٢٥٧ في عهد أفندينا المرحوم محمد علي باشا الكبير حيث ذكر فيه مقابلة كل سنة قريية بنظير تمام السنوات الميلادية من اول هجرة النبوية الشريفة لغاية عقد ١٣٠٠ من السنوات الهجرية المنيفة

تقسيمات خاصة بالتاريخ القديم

ثم ان المؤرخين الاورباويين قسموا التاريخ القديم بالخصوص من حيث السقامة وعدمها الى ثلاثة اجزاء اصلية وهى الاعصار الاوليه والاعصار الخرافيه والاعصار التاريخيه ثم قسموا الاجزاء الاصليه المذكوره الى مداد اصليه أخرى بالطريقة التى هى بعد مسطوره فاما الاعصار الاوليه فهى فى اصطلاحهم عبارة عن مدة من الازمان اولها حادثه خلق الانسان وغايتها حادثه الطوفان وتبليغ اللسن وتفرق الناس الى البلدان ومن ثم انقسمت تلك الازمان الى مدتين عظيمتين احدهما مدنا الخلقه الديويه والثانيه المدة الطوفانيه واما الاعصار الخرافيه فهى عبارة عن المدة المنقضيه بعد تلك المدة من ابتداء تفرق الناس على الكرة الارضية وتأسيس الدول والممالك ببلاد الصين وآسيه وبلاد مصر واليونان وما تلا ذلك من انشاء المدن والقرى وسائر أنواع العمران لغاية المدة التى نشأ فيها الانبياء المعتمرون والسعراء المشهورون من الامم المتنوعين ووضعوا أوائل اسس تمدن العالم الديوى ولذلك انقسمت تلك الاعصار ايضا الى ثلاثة مدد اصلية

الاولى تسمى فى اصطلاحهم بالازمان الوثنيه وهى تلك الازمان الممتدة بنشأة الدول والممالك ببلاد الصين وآسيه ومصر وبلاد اليونان وانما سميت وثنيه لداى ميل جميع الامم الذين تكوّنوا فى تلك الازمان لترقية ملوكهم الاولين وارباب دولهم السالفين فى مرتبة الآلهة المقدسين

الثانيه تسمى عندهم بالازمان البطلمية (نسبة للبطل بمعنى الشجاع) وهى تلك المدة المنقضيه بعد ذلك ما حدث فيه من نوع البشر رجال اختطوا المدن واسسوها وابطال تعدى بعضهم على بعض فى تلك المدن واقتحوها وكان الناس حينذاك قد اخذوا فى أن تنورت فروعهم وانتشرت علومهم وشروعوا فى أن يميزوا بعض التمييز الحقيقه الآلهيه عن الطبيعه البشرية فاقصر واعلى ان يدعوا من تميز من الرجال بخصله من تلك الخصال بحجود قلب الابطال او انصاف الآلهة بمعنى كبار الرجال ولذلك سميت تلك المدة الزمنية بالازمان انبطليه

الثالثة تسمى عندهم بالازمان النبويه والشعرية وهى المدة التى نشأ فيها الانبياء الكرام والشعراء العظام ووضعوا أوائل اسس تمدن الامم والممالك وتمكن الممالك والدول ولذلك سميت تلك المدة الزمنية بهذه النسبة الاصطلاحيه

واما الاعصار التاريخيه الخمسة فهى المدة التى أخذ علم التاريخ فيها فى أن يكون على بعض درجه من

الثبات والاستقامة بخلاف المدد السابقة على تلك المدة حيث كانت بكمكان مكين من العموض والسقامه ولذلك سميت هذه المدة الاخيرة بهذا الاسم فهي تنقسم في العادة الى ستة أقسام عند أهل العلم

الاول يقال له المدة التشريعية وهي المدة التي ظهر فيها في عصر واحد تقر بباكل من المشرع اليوناني المتقدم (نسبة الى لقدمونية اقليم بلاد اليونان) وهو المسمى باسم ليكورجه اولى كورغه (بالجيم اوبالعين المجبة) في مدينة امبرطة بلاد اليونان والمشرع الروماني المعروف باسم نوميه بونوليموس ثاني ملوك رومية الكبرى ببلاد ايطاليا والمشرع اليوناني الاتيني المشهور باسم سولون بمدينة أبنية أو أذينة (بالتاء المثلثة الفوقية اربا لاء المثلثة احدى مدائن بلاد اليونان الشهيرة) وهو احد الحكماء اليونانيين السبعة المشهورين والمشرع الصيني المشهور باسم كونفسيرس (بضم الفاء الموحدة) في بلاد الصين

الثاني مدة فجار بلاد اليونان

الثالث مدة الفتوحات الرومانية اى فتوح دولة الروم الاولى لكثير من البلدان

الرابع مدة الخلاف الذى حصل في الجمهورية الرومانية

الخامس مدة استئصال الامبراطورية الرومانية اى سلطنة دولة الروم الاولى

السادس مدة اضمحلال السلطنة المذكورة وهذه المدة تنتهى بنا الى سنة ٤٧٦ قبل الميلاد

التي هي مبدأ تاريخ القرون الوسطى حسبما ذكرناه في المقدمة

ملحوظات عامة

تتعلق بالتاريخ القديم على وجه العموم

ذكرنا في المقدمة ان التاريخ القديم في اصطلاح المؤرخين الاوروبين هو عبارة عن تاريخ عدة أهم شئيره وملل كبيره كانوا في تلك الاعصار العتيقة موجودين وهم المصريون والعبرانيون والفنيقيون والاسوريون والميديون والليديون والسيثيون واليونانيون والرومانيون والقرطاجيون

لكن تاريخ جميع هؤلاء الملل والامم ليس على حد سواء من حيث كونه منتظما او غير منتظم ولذلك نؤمننا قبل ان نتكلم على كل واحدة منها بالخصوص ان نلقى نظرة عامة اليها وذلك بعدة ملحوظات كما هو بعدات

الملاحظة الاولى انتظام تاريخ الرومانيين واليونانيين .

اما تاريخ الامة الرومانية فانه كما هي ترجمة عبارة ويكتور دروى وزير المعارف العمومية

الدرس التام ٤٠ في التاريخ العام

في متأخر عهد الدولة الفرساوية السلطانية يتكون منه مجموع جليل وعقد منتظم جميل كأنه قصيدة شعرية من نوع القصائد الجدية والهلزية التي تؤلف لألعابها في المجال التمازية الى الملاعب التصويرية اذيرامقاريه يتوارد على نظاره وينكشف بصره شيئاً فنيماً من أول عهد نشأة مدينة رومية مع ما كانت عليه في أوائل امرها من حالة الخمول على يد المدعو باسم رومولوس الى ان بلغت الى اعلى درجة الكمال فآلت الى النزول حتى نزلت بها المصيبة الكبرى التي اوقعت هذه المدينة العظمى بعد ان كانت سلطنة سلاطين الدنيا اجعين تحت ايدام رئيس قوم متوحشين وانما مثل مدينة رومية هذه كمثل حبة انبذرت في ارض فبنت ومنت وامتدت وسمت حتى صارت شجرة عظيمة ودوحة ذات فروع جسيمة فآلت اكلها واثرت واستكملت عملها واشجرت حتى استقال في ظلها واستقامت بأكلها نحو ثمانين مليوناً من الناس ثم مالت وذبلت وسقطت من ثقل ما حملت وانقطعت منها الانساس وازفقت منها ماء الحياة فاعتزتها الوفاة قال ويكتور دوروي المروى عنه أعلاه « واما بلاد اليونانيين فقد كان سكانها اقواماً متنوعين ومداثر شتى عامرة بقبائل متشعبين ولم يكن ما يجذب نظر الناظرين في تاريخ بلاد اليونان من حيث التمدن والعمران مدينة واحدة بل مدناً متعددة واقواماً تترددة فان من أراد ان يقف على احوال مدينة اتينيه او اثينه واسبرطة وكورنثية وأرجوس (يسكون الزاء المهملة) ومدينة ثيبه او طيبة (اليونانية بالفاء او بالهاء) ومملكة مقدونية وغير ذلك من قبائل اليونان المستعمرة ووزائهم المنتملة الى بعض البلدان الغير المعامرة لانه ان يردد نظره ويعد بصره على سائر نواحي بلاد اليونان وجميع سواحل البحر الابيض المتوسط او بحر سفيد بل والى اقصى بلاد آسية الى امد بعيد غير انه يرى من ذلك كله منظر اواحد وقد نامت قدماً وامة لم تغير احوالها وعهدا ظهر الوضوح والمعلومية من جملة كيفيات الحياة البشرية العمومية ومعيشة الملل والامم في هذه الدنيا الدنيوية »

الملاحظة الثانية عدم انتظام تواريخ الامم السابقة المعبر عنهم بالتاريخ القديم

وأما تواريخ الامم الاقدمين الباقين غير اليونانيين والرومانيين وهم المعبر عنهم في اصطلاح المؤرخين الاوروبيين بالتاريخ القديم الحقيقي فليس لها رابطه معنوية تربطها ولا جامعة عندية تضبطها بل ترى قدما المصريين والاسوريين والفرطاجيين والميديين والميديين والفرس وغيرهم من الامم المتقدمين يعيش كل منهم في بلاده امة وحده بحيث لم يخلط بغيره عقائده الدينية ولا مصالحه المدنية ولا شيئاً مطلقاً من احواله الدنيوية والاخرى بل للامم الاثني الازمان الاخيره من مدة التواريخ القديمة حين اجتمعت جميع هذه الامم غير الفرطاجيين تحت ولاية ملك واحد وهو ملك النجم الملقب في ذلك العصر بالملك الاعظم غير ان جميع هؤلاء الامم يجمعهم امر عام واحد وهو انهم اغنام مهدوا لطريق التمدن والعمران لامي الرمنانيين واليونان وساعدوا

على

على ما اتصل عند الملتين المذكورتين من ترقى درجة هيئة اجتماع الانسان وسبب ذلك كون
الملوك اليونانيين الخالفين لاسكندر حكاما العالم الممتدة الفارسية وكذلك دول قرومية استولت
على ممالك القرطاجيين ويمكن لنا ان نقول ان ما كان قد اتصل في تلك الاعصار القديمة من العقائد
الدينية والعلوم والفنون عند الاسوريين والمصريين انما هو الذي جرت تدوين بلاد اليونان وجاءت
بعد ذلك رومية ورثته منها واخذته عنها بحيث اننا اذا اردنا ان نعرف اولية المعارف البشرية
فلا ينبغي لنا ان نقف عند مدنية قرومية ولا اتيانة بل يجب ان نسير الى تلك المداين القديمة التي
كانت هي الخبث العظيمة التي اهل العالم المشرق في القديسة ومضى مدينة مندس (ما تهرينه) وبابل
وايكابانان (قال المعلم بوليت في مجمع التاريخ والجغرافية العمومية واعلمها ما يعرف الآن
بها جدان) ومدينة يرس بوليس (المسماة الآن اثيل مينار وهي التي توجد آثارها على القرب
من استمار في الشمال المشرق من شيراز كما في المجمع المذكور)

الملاحظة الثالثة ليس التاريخ القديم بعد الاعبار عن تاريخ الامم المتوطنين على سواحل
البحر المتوسط الابيض (او حرس نيد)

قال ويكتور دورون المدكر آنا « يهزلك نظري التاريخ القديم اسلم يقل على تواريخ جميع
الامم بالنفس الذين تواتر في تلك الاعصار القديمة على الارض الممورة كشيئين واهل يمتد على
وجه العموم سواحل البحر الابيض المتوسط (او بحر قنط) اليوم الى اياما غير بعيد من جهة
بلاد الفرس ران لا يعرف بعد من تواريخ الامم الموجودين في ذلك العهد خارجا عن المنطقة الضيقة
المحيطة بذلك البحر غير شيء وفي الواقع ونفس الامر نحن لا نعرف من التواريخ القديمة
فيما يتعلق بأسلاف سكان بلاد اسبانية (المعروفة عند العرب بجزيرة اندلس) المسلمين
بالايبيير والايبييرين واسلاف سكان بلاد الجول والغاللة (فرانسة) المسلمين بالسلت والسلتيين
ولا فيما يتعلق بأسلاف سكان بلاد الالمان المدعوبين باسم الجرمان والجرمانيين واسلاف سكان
بلاد سراسية (بنزد اوروبا) المعروفين باسم الإسلاوا والاسلويين غير بعض أخبار مهمة وآثار
مظلمة ولا نعرف غير الاسم من أحوال الاقوام المسلمين بالسيتين (وهم باجوج وما جوج اى أسلاف
سكان بلاد الروس والترك) وأما الهنود فان لهم علوما عظيمة وآدابا حسنة لم تزل تنكشف للعلماء
الاوروب والآخرين شيئا فشيئا غير انهم ليس لهم تاريخ يؤثروا كونهم وان كانوا قد حفظوا باغاية
الدقة والتحرى عقائدهم الدينية في ضمن قصائد شعرية ذكروا فيها آدابهم التعليمية فيما يتعلق
بآدابهم غير انهم لم يتعرضوا فيها لذكر حوادث تاريخية من أحوالهم الدنيوية

وكذلك اهل العرب المسلمين لا يعرفون شيئا من أخبار أسلافهم المتقدمين وأما الصينيون فان لهم
حوادث سنوية متتامة وتواريخ زمنية محقة مسقيمة تصعد الى أقصى الاعصار القديمة غير انهم
يعيدون بكيفية معاشية لم تزل لغاية الآن مخافة لكية عيشنا بالكلية ولم ير الوابع لغاية هذا

انعهد متخصنين خلف أسوارهم العظيمة كائنين في عالم وحدهم بحيث بقي البحث فيما يتعلق بالوقوف على حقيقة أخلاقهم وعواظهم وكيفية دياناتهم وعقائدهم وترتيباتهم السياسية وهيئات اجتماعاتهم التأسيسية وما اعترى بلادهم من القلبات والاحوال منظورا فيه بعديين العلماء الاوروبوا وبين لغاية هذا الوقت الحال

ولانعرف شيئا ايضا من تاريخ هذه الطائفة السودانية المعمرة لبلاد افريقية ولا من تاريخ الاتوام التابعين للطائفة الممماة بالماليين بكائنة في بعض جزائر البحر المحيط الغربي المسماة بالافريقية الشمالية ولا تاريخ القبائل الامريكية المعروفة بذي الجلود الحمراء مع انهم كانوا قد اسسوا بلادهم الاصلية في تلك الاعصار الحاضرة مما لك دولة قبل ان تنزل عليهم انتزائل الاربوية فال المكرم ويكتور دوروي المذكور وحينئذ فلم توث من العلم فيما يتعلق بتاريخ الامم القدم الا قليلا جدا وان كانت اجتهادات العلماء الحاصلة مع شدة العزم لم تنزل تزيد فيه وتوسعه وتقويه « اه

هذا ما سطره ويكتور دوروي في الباب الاول من مختصر تاريخه القديم وبني عليه تبعه الفقيه الموسوي جيلمان أحد أعضاء جمعية العلماء والمدارسين الذين انشأوا الكتب التاريخية تحت ادارته المشي على ما جرت به عادة ما زخير الاوروبايين السلف من تقسيم التواريخ القديمة الى قسمين أصليين الاول توارخ الممالك القديمة وهي ممالك آسية وافريقية القديمة يعني الامم الكبريين والممل السويريين الذين كانوا قد انتشروا في تلك الاقاليم الشرقية ونهروا في تلك الاعصار العادية ما عدا اليونان والرومانين

الثاني توارخ الممالك المغربية يعني الامم الاوروية الذين حصل الوتوف لهم على توارخ حقيقة وهم اليونان والرومانيون ولذلك انقسم هذا القسم الثاني أيضا في طريقة سلف المؤرخين الاوروبواوين بالطبيع الى قسمين متميزين أحدهما تاريخ اليونان والثاني تاريخ الرومانيين ولم يتعرض ويكتور دوروي المذكور من التواريخ القديمة لتاريخ من عدا هؤلاء الامم المذكورين من الامم السالفة كالعرب والمغاربة والنسبيين وغيرهم من الامم المتقدمين وهذه هي الطريقة المدرسية القديمة أي الجارية عليها العمل في تدريس التاريخ القديم بالمدراس الاوروية من قديم الزمان وهي المعروفة بطريقة المؤرخ ريدان وهي عبارة عن الاقتصار في تأليف الكتب التاريخية القديمة وتدريسها للتعلمين على ما كان قد التقطه قداما مؤرخي اليونان والروم في تلك الازمان من أفواه الناس المعاصرين لهم على حسب الروايات المتداولة بينهم في تلك الاعصار الغابرة بانشاء سياحاتهم في ممالك المشرق العامرة واودعوه في ضمن كتبهم القديمة التي بقيت على مر الازمان فنقلت الى اللغات الاوروية الحديثة نصية مسلمة من غير تدقيق نظر ولا امعان وذلك كالمؤرخ هيرودوت الاليكارناسي ويودور الصقلي وغيرهما سائر من حذا على حذوهما وهي

الطريقة التي مشى عليها ابن الاثير الجزري في السكامل والملك المؤيد أبو الفدا والقاضي ابن خلدون في تاريخهما وغيرهما من سائر علماء المسلمين في جميع ماسدا رود وكتبوه وحرروه من أخبار الامم المتقدمين مع ما اعتري ذلك من الخلط والخبط والغلط والسقط في أسماء الرجال والبلدان الانحطمة بتحرير جهالة النسخين وتصحيف العملية المماخزين من المترجمين وغيرهم في أثناء النقل الى اللغة العربية اذ لا سبيل لهم غير ذلك ولا مواد عندهم سوى ما هنالك

هذا وأما الآن فان العالم المدقق والمؤرخ المحقق الذي اشتهر باسم فرانسوا الوافر انيس لوفورمان أمين كتبة انا الاستيتوت (أي جمعية العلماء الفرنسية بديانة باريس كرسى دولة الفرانسيس) انتدب لتأليف كتاب في قسم التاريخ القديم فريد وانصب لتصنيف مؤلف في هذا الفن وحيد اشتمل على ثلاثة جلود يسمى بعامناه الرسالة اليدوية في تواريخ الامم القديمة المشرقية لغاية الحروب اليونانية الميمنية وقد طبع عدة طبعات اخرها المؤرخة في سنة ١٨٦٩ الميلادية أعني من منذ نحو أربعين سنة فنقل الى اللغة الانجليزية وشرع اليه من الناس ببلاد اوروبا الجمل الغفير فاخذت طبعها نسخة المطبعة في مسافة بعض شهور حتى صارت نادرة الوجود ممنوعة لا يوجد منها غير اليسير وذلك اننا اترشح في قسم التاريخ القديم اربعة نظريات جديدة دقة فلسفية جديدة واحداث فيها عدة اصلاحات عديدة على غير الطريقة المدرسية التي كانت لغاية تمام تأليفه المعهوده وضم اليه منها ما لم يكن في كتب التواريخ القديمة المتداوله في أيدي الناس بالمدارس الاوروبية مشهوره وعنده فيه أبواب فصول لا يبارعها من المثل الاقدمين كذات لغاية الآن في التواريخ القديمة معقوده فكلم فيه فضلا عن الامم المذكورة فيه بعد على تواريخ هن الهند وأخبار القبائل العربية في أيام الجاهلية مستندا في ذلك كله لجملة الاستكشافات التاريخية التي وقف عليها السياحون الا فرنجيون المتأخرون ومعتمدا على نتيجة المحادثات العلمية التي انتدب اليها العلماء الاوروبيون المعاصرون مبينا بآراء كل باب من الابواب التي عقد هذا أصل الموارد المعتمدة التي اعتمدها والمواد المعتبرة التي أخذ عنها واستخدمتها ثم انصرت تاريخه هذا الكبير حسب التمس منه الجمل الغفير من المفهين ولا سيما دولة القوم المعروفين بجمهورية النمسا وبجمهورية النمساويين في جزئين مختصرين وجمليدين صغيرين لحاجة التدرس على مقتضاها في المدارس الاوروبية من الآن فصاعدا على حسب هذه الطريقة النظرية الفلسفية عنوان أحد شهما بعنوان تاريخ القوم اليهود والناس بتاريخ الامم المشرقيين والهند والاول هو المعبر عنه في اصطلاح المؤرخين الاوروباء بين السلف بالتاريخ المقدس كما اوضحناه في موضعه من المقدمة فيما ساف قال المؤرخ فرانسيس لوفورمان المذكور في ديباجة الجزء الاول من التاريخ القديم المسطور ما معناه وانما عنونت كتابي هذا بهذا العنوان لا بالتاريخ المقدس حسب الجارى فيه لغاية الآن لكوني بنية في الاكثر على ملحظ تأسيسه على الوفايع البشرية أكثر من بناءه على مجرد اقتصاصه في التوراة العيسوية

وأستسته على أساس الاستكشافات العلمية العصرية كغيره من تواريخ الامم السالفة في تلك
 المدة اندهرية مع ملاحظة ما هو مبنى عليه من التأسيس في التأليف والتدريس على صفة
 التقديس اعنى كون هذه الامة الاسرائيلية لم تزل ملحوظة بعين العناية الالهية الى ان فسدت
 وبلغت للحالة الاضحالية ولم يتعرض المؤرخ المذكور في الجزء الثاني لتاريخ العرب والصين
 وغيرهم من بعض الامم المتقدمين الذين ليس لهم تاريخ ثابت معين وان كان قد عتد بابا مخصوصا
 للعرب قبل الاسلام في تاريخه الكبير فقال في ديباجة تاريخه المذكور ما ملخصه وانما لم اتعرض
 في كتابي هذا لتاريخ أهل الصين مع كونهم من الامم القديمة أولى التواريخ المنظومة كما أسأر على
 به بعض المشيرين لكوني لم أجد نفسي في الحقيقة أهمل لتاريخ هذه الامة الممتدة ولدا على انه
 تراءى لي ان تاريخ الامة الصينية وان كان من التواريخ القيمة هو دائما معزل بالكلية عن
 سائر تواريخ العوالم الدنيوية على وجه بحيث لا يليق ان يدخل في دائرة كتابي هذا ولا يكونه
 لا مدخل له مطلقا في اقتصاص أخبار أنواع الهيئات التمدنية التي كان لها تأثير قرر بابا وبعيد
 على كيفية التمدن المتحصلة عند الامم الاوروبية في هذه الحقبة الزمنية (اهم معر بابا المعنى)
 والحاصل من نتيجة هذه الملاحظات التمهيدية والفوائد التاريخية القديمة ان الكتابة قسم
 التاريخ القديم وتدرسه من حيث كيفية بنائه وتأسيسه مذهبين مختلفين وطريقتين
 متباينتين

احدهما الطريقة التقليدية القديمة وهي المبنية على ما تقدمه كتعب قداماء مؤرخي اليونان
 والروم من الروايات الالهية والحكايات الاولية من غير تدقيق نظرو الامعان وهي طريقة
 المؤرخ رولان ومن تبعه من مؤرخي الافرنج لغاية الآن وهي طريقة معيبة وكيفية في اغلب
 تأسيس قسم التاريخ القديم على وجه العموم غير مصيبة ولذلك صارت متركة في هذا الاوان
 لاعتماد عليها ولا استناد اليها اللهم الا فيما ثبتوه في بدون تلك الاوراق من أخلاق القدماء
 وعوائدهم ودياناتهم وعقائدهم لاستنادهم فيه الى دليل المشاهدات حيث تحقق فيما هو من
 هذا القبيل اندلا بأس بالاسترشاد بهم والاعتماد عليهم اذ هم في ذلك خير دليل بخلاف ما يتعلق
 بسلاسل الملوك وترتيب العائلات الموكية وسائر أحوال الدول القديمة فان أكثر أقوال مؤرخي
 اليونان والروم العتيقة وجدت في ذلك كله بالتحريرات الاخيرة غير صادقة لليقينه

الثانية الطريقة الاجتهادية الجديدة وهي المبنية على أسنندات الاصلية والتحريرات الرسمية
 أى الكتابات الدولية المعقدة والاثار الاولية المعتبرة التي كانت تلك الدول والممالك قد حرروها
 في كتاباتهم الالهية بنفوسهم وأوعوها في داخل قبورهم ونواويسهم وعبروا فيها عن حقيقة
 أحوالهم وتفاصيل واعيهم وأعمالهم سيما انضجت حقيقة ذلك في هذا العصر الاخير بالبحث
 والتحرير بمعرفة الجمل البغير والمجدد الكثير السالفة الى حداثتنا من السياحين المعتمدين

والعملية المشاهدين من الافرخ المتأخرين والعلماء المجتهدين المعاصرين حيث عثر واعي تلك الآثار المعبرة واختبروا هذه الاخبار المحررة بقراءة كتاباتهم المسطرة بعقبي أفلامهم في اطلال قصورهم وعماراتهم وهذه هي الطريقة التي اقترحها المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان وهي الطريقة الجادة والمذهب النويم الذي يقتضي ان يكون لكل مؤرخ تحقيق ومعلم العلم التاريخ القديم مدقق هو المادة ولذلك التزمنا ان نتبع في تقرير قسم التاريخ القديم طريقة هذا المؤرخ العظيم اعني اننا نترجم ما يلزم من كتبه هذه غنية بآراءه ونضم اليه من مظانه المعتمدة المتفق عليها ما لم يكن يوجد فيه من كل شارده عملا بقوله تعالى في نص القرآن الكريم وهو اصدق انقائين « وأسألو أهل الذکر ان كنتم لاتعلمون » قال المفلسون المراد بالذکر في الآية الشريفة التوراة كما نص عليه ابراهيم الحسني في كتاب الكليات وليست التوراة المنزل بمبدلة في نصوص نسخها الاصلية ولا محررة في أصل كتابها التنزيلية كما هو شائع من قبيل الاوهام على السنة أكثر العوام من أهل الاسلام والتغيير والتبديل انما حصل فيما طرأ عليها بعد ذلك من الشرح والتأويل كما قد يختلف علماء المسلمين في تفسير بعض الآيات المتشابهة القرآنية اذ لا يعقل ان أمة تتجاري على تبديل كتاب قدس متصف بالتنزيل عليها من لدن الحضرة القدسية كما نص عليه الحق ابن خلدون رحمه الله في أوائل الجلد الثاني من تاريخه المذكور أعلاه

وحينئذ فلامر قد لا اعتراض علينا بتضعيف سندنا من بعض سقماء الافهام بدعوى ان العدالة الشرعية مشروطة بالاسلام لا بانقول ان لا انا خو في دعاوى والخصومات وغيرها من أنواع المعاملات والعبادات حيث كانت الشهادة فيها هي مظنة الكذب والتدليس اللذين كثيرا ما ينشأن عن الحجة الدينية بخلاف المواد العلمية فان الاصول الفقهية لا تأتي فيها الاعتماد على أهل الكتاب اذ التدليس قيم أمون ولو اختلف الذين لان علماء كل أهل دين يؤفون هذه الكتب فيها لانفسهم ويدرسونها بمدارسهم ولا شبهة فيها للفش والتدليس ولم يزل العلماء الاسلاميون السالفون يأخذون السنون والعلوم بتعريب كتب اليونان والروم ويعتمدون عليها كل الاعتماد في عهد الخلفاء العباسيين بمدارس بغداد وفي أيام الخلفاء الامويين وغيرهم بمدارس قرطبة وغرناطة بالاندلس كما يؤيد ذلك وله يستأنس بما يروى عن النبي عليه الصلاة والسلام من الاحاديث المشهورة والاخبار المأثورة في قوله « أطلبوا العلم ولو بالبعدين » وقوله ايضا « الحكمة ضالة المؤمن يبلت طها حيث وجدها » أو كما قال عليه الصلاة والسلام وما أحسن قول القائل من بعض الاول في هذا المقام

خذ العلوم ولا تنظر لقاتلها * من أين كان فان العلم مدح

كدرجة أنت تلقاها من بله * ألسن تأخذها والزل مطروح

وانما العبرة بضبط التعريب لا بالترجمة على وجه التقرير والعمدة على ضبط أسماء الرجال

والبلدان الأجنبية سواء كان النقل من التوراة أو من الكتب التاريخية الأوروبية المنقول منها إلى اللغة العربية وهذا هو ما نختاره ونلتزمه ونتوخاه على قدر الامكان ان شاء الله والله المستعان في كل ماتنعناه

وكل يدعى وصلابلي * وليلى لا تفر لهم بذلك

وبناء على ما توضع اعلام من هذه المعلومات الاولى والتقسيمات الاصلية لزماننا نقسم هذا التسم الاول حسب اصار عليه من المؤرخ فرانيسس لونورمان المعول وكما هو الصواب الى عدة ابواب

الباب الاول وهو كما مقدمة لسائر الابواب التالية له في تاريخ الاعصار الاولى والازمان الاصلية من ابتداء عهد خلقه الانسان الى عهد تبليل اللسان ببابل وتفرق الامم ومنشأ الملل والدول بعد الطوفان

الباب الثاني في تاريخ قدماء المصريين ودول الفراعنة المتقدمة

الباب الثالث في تاريخ الاسرائيليين والعبرانيين وبلادهم وداوودا وفلسطين

الباب الرابع في تاريخ الاسوريين والبابليين وأهل بلاد العراق واذربيجان السالفين

الباب الخامس في تاريخ الميديين ودولة الفرس الاصلية

الباب السادس في تاريخ الفتيقيين والصوريين وسكان سواحل الشام الاولين

الباب السابع في تاريخ قدماء اللبديين أى أهل أسية الصغرى أو بلاد أرمنية وأهل الشام المسماة سورية

الباب الثامن في تاريخ قبائل العرب في أيام الجاهلية وسالف الحقب

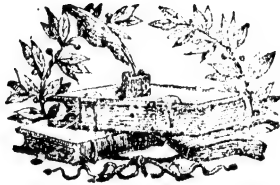
الباب التاسع في تاريخ بلاد الهند وما عرف من أخبارهم بعد

الباب العاشر في تاريخ بلاد اليونان ودولها وحكامها في سالف الزمان

الباب الحادى عشر في تاريخ الامة الرومانية ومنشأ مدينة رومية الكبرى ببلاد ايطاليا

الباب الثانى عشر في تاريخ القرطاجيين والامم الليبيين وهم سكان بلاد برقة وما والاها من الاقوام المغربيين

وحيث نجهزت منكم الافهام أيها الطلبة الكرام بهذه الافكار العامة والفوائد العلمية الثمينة التي أردنا ادخالها في أذهانكم على هذا الوجه التام قبل الشروع في تعليمكم واعدانكم بعلم التاريخ العام فلنشرع الآن في الكلام على تاريخ كل قوم من هؤلاء الأقوام في بابة بالخصوص على هذا الترتيب المخصوص عازين ما سنسطره لكم في هذه الابواب من النصوص فيما يتعلق بأساطير هؤلاء الأمم الاولين بقلم التعريب الى أصل المؤلف الذي أخذنا منه واعتمدنا حتى تستندوا الى أصل الاستناد ونعتمدوا عليه كل الاعتماد فتفهّموا معنى هذه القصص والاختبار وتعلموا مغزى تلك الحكايات والآثار الذي هو حسن التذكار والاعتبار بأحوال من تقدمنا من السلف الصالح في تلك الاعصار كما علمتم مما أسلفناه وكما هو الغاية القصوى من تعلم كل علم وتحصيل فحواه وليكن تأخذ الأذهان منه * على قدر القرائح والفهوم



الباب الاول

في تاريخ الاعصار الاولى والازمان الاصاية من ابتداء عهد
خلقة الانسان الى عهد تفرق الامم بعد الطوفان
وفيه فصلان

(معربا من تاريخ اليهود المختصر للمؤرخ فرانسيس لوفورمان وأعمال مأخذه الباب الاول لغاية الباب
الحادى عشر من سفر الخليفة من التورات)

أفكار تقديميه وقوائد عموميه

هذه المدة تشتمل على تاريخ نوع الانسان من أول عهد مباديه أعنى من أول ما خلقته الرحم فنشأ
غريبا وحصل له على الارض أول الاستيطان قبل الطوفان وبعد الطوفان فنأزال الى عهد تفرق
الامم وانتشارهم فى البلدان وهى تنقسم كما أسلفناه آنفا بفواصل حادثة الطوفان سالمة وانفلا
الى عهدين مختلفين ومدتين أصليتين

الاولى من عهد خلق الانسان لغاية حادثة الطوفان أعنى من ابتداء سنة ٤١٣٨ فإزال لغاية
سنة ٢٤٨٢ قبل ميلاد المسيح وهى سنة حصول حادثة الطوفان على الاصح أو الاقرب للحجج
كما اختاره علماء الازمان وهى عبارة عن مدة ١٦٥٦ سنة شمسية حسبما يؤخذ من نسخة
ترجمة التوراة اليونانية المعروفة بالسبعين وكما اختاره المؤرخ الانجليزى المسمى باسم كلا ترون وغيره
من جمهور المؤرخين الفرنسيين وبين ويعبر عنهم فى اصطلاح المؤرخين الاوروبين بالمدة السابقة على
الطوفان

الثانية من عهد الطوفان لغاية تفرق الامم فى البلدان أعنى من ابتداء سنة ٢٤٨٢ ق م
فنأزال الى غاية هى غير محققة بعد اذ لم يعلم تاريخ معين لهذا العهد وانما يفهم من كلام بعض
علماء الازمان الاوروبين لامن قبيل اليقينيات العلمية بل من قبيل الحدسيات التاريخية
ان النمرود كان قد اختط مدينة بابل العراق على شاطئ الفرات واخطط أسور مدينة نينوى على
نهر الدجلة فى سالف الزمان قد كان بعد الطوفان فى نحو سنة ٢٢٠٠ ق م وبناء على
ذلك تكون هذه المدة عبارة عن نحو ٢٨٢ سنة شمسية ويقال لها فى اصطلاح المؤرخين
المدة اللاحقة للطوفان وذلك بعيدا عما نص عليه أبو الفدا فى تاريخه حيث قال « ثم ولد الفلغ
(بالعين المهملة فى آخره) (رعو) ولفلغ مائة وثلاثون سنة وعنده ولد (رعو) تبا بلت

الاسن وقسمت الارض وتفرقت بفتح وذلك بمعنى استعانة ووجه يز سنة الطوفان ، اع ما ذكره ابو
 القدم من التفصيل والبيان والفرق جسيم فليتنظر ومثله ابرأ اللد اهنا ايضا ومخالف ما نقله
 بعد عن المزيخ فرأى انيس لوزنرمان (في النصل الثاني من هذا الباب) من ان تبليبل المائل وتفرق
 الامم كان في زمن فالعرب سام من نوح عليه السلام وبابا لقا قال المأثور في ترك الادهار الاوية
 لبعدها عن اهل مضطربة فليتنبر وعلى كل حال فقد لزم ان يكون في هذا الباب الاول فصلان

الفصل الاول

في تاريخ الانسان من عهد الحماية لغاية حادثة الطوفان (من سنة ١٣٨٤ قارلا
السنة ٢٤٨٢ ق م) وفيه عدة مطالب

مطلب اصل - أخذ تاريخ أوائل الإنسان وعدم إمكان الوقوف على حقيقة أحوال أولية
الذمنا قبل الطوفان وبعد الطوفان

قال المؤرخ فرانكيس لوفورمان لا نعرف من تاريخ أرائل الانسان لغاية حادثة الطوفان ولا في شأن أصل النوع البشري كيف كان غير ما أقادناه الكتاب المقدس (بني التوراه) وان كان بعض الحوادث الاصلية من هذه التواريخ لازالية توجد متأثرة بمعض تغيير وتبدل في الروايات الاصلية والحكايات المأثولة في عدة قصار شتى من الارض متباعدة بعضها عن بعض ولا يمكن أدائها بتخاطرون من ذلك علا من السنين

ومن المستحيل في الحقيقة اني صارت اليها المعارف البشرية في هذا الجبل ان يتوجه أمل أحد إلى تعيين تاريخ معين لأول نشأ النوع البشري على وجهه بين فان التوراة لا يرد فيها ما واضح في هذا الغرض وليس لها في الحقيقة قوة إيمان لا فيما يتعلق بالآثار السابقة السابقة على عهد آدم في الإنسان ولا في الحقيقة الماضية ثم عن عهد الحاخامات إلى عهد الفريسيين بل دل في ما بعدهم وان لغاية عهد بعدة ابراهيم (عليه الصلاة والسلام) والتوقيعات التي زعمها المفسرون للتوراة انما هي أقوال هوارة ليس لها قيمة اعتقادية من الحيثية الاعتقادية بل هي من قبل الحاخامات استاريخية لا غير وخاصة ما يصح ان يثق في هذا المجال هو ان ظهور نوح الإنسان على الكرة الأرضية انما في حديث عهد جدا بالنسبة لجسامة ذلك العالم الجورلوجية التي توالت على مدار الحياة الكونية وان ما يدعيه بعض الامم الاقدم كالحبراء والكلدانيين (المعراقيين) والهند والخليج من أسبقية وجودهم على غيرهم من العالمين بملايين من السنين في رأيهم هم المخالفة على حسب زعمهم في ما انف الدهر انما هو ذلك الكلمة بالزمنة و حديث خرافة تأمل عمرو

مطاب خاتمة الانسان في كرفي اول سفر الانبياء الى هارالكه في الاول من التوراة ان الله سبحانه وتعالى خلق على هذا الترتيب النور فالنور في الارض فالكواكب والارض في اربعة فلك هي في الاسفل فالطير في الاربع اوتات ثم السموات منة خاتمة الانبياء في وكن تدعى ابي آدم اولاً

في حالة البراءة مطلقة من الذنوب وزاهاة محقة من العيوب وسعادة تامة ثم عصى ربه كبراً في جنة عدن اللذيذة حيث كان أولاً قد أسكنه فيها ثم أخرجه منها وحكم عليه لدأى هذا العصيان هو وخلقه بالكتب والام والموتان وصرح في سفر الخليقة المذكور بان الله سبحانه كان قد خلقه من أهل أمره للعمل غير ان هذا العمل صار تعب وأصعب تكفير الخطيئة حيث قال الله تعالى له كما هو نقص التوراة « ستأكل خبزك بعرق جبينك » وسرى هذا الحكم على سائر ذريته

مطلب تاريخ الآباء الاولين والانباء السالفين - ولد لآدم وحواء اللذين هما أول زوج خرج الى حيز الوجود من يد الخالق المعبود ولدان

أحدهما **قايين** (وهو المعرب في القرآن الشر يف باسم **قابيل**)

الثاني **هابيل** وكان الاول قد اتخذ حرفة الفلاحة والثاني حرفة رعاية المواشي وهكذا نصت التوراة على أصعاده أولية هاتين الحرفتين الى أول عهد الخليقة البشرية وقتل قاييل أخاه هابيل حسداً منه وبغضاً له حيث كافأ الله أخاه على تقواه ثم هاجر بحالة يأسه على قتل أخيه التي صار اليها يلوم نفسه وتوطن مع بنيه وعائلته وذويه على شرفي جنة عدن حيث أنشأ هناك أول مدينة حدثت منذ خلق العالم من المدن سماها أنوشية (بالشين المعجمة في آخره) باسم ولده البكرى المدعو باسم أنوش وكان الله سبحانه قد خلق الانسان على حالة من الهبات اللدنية العقلية والبدنية بحيث يفتقر على أداء الغرض المقصود من ابرازه الى حيز الوجود أعنى كونه ينشئ اجتماعات بشرية منتظمة ويحدث شركات تأنسية وترتيبات مدنية تامة وقد نص سفر الخليقة المروى عنه أعلاه على ان عائلة قايين أو قابيل هي التي ينسب اليها أولية اختراع الفنون الصناعية ثم ذكر فيه انه ولد لأنوش بن قايين أو قابيل

لامك اولايخ (بالكاف في آخره وقد يعرب بالخاء المعجمة من فوق) وولد لآيخ عدة أولاد منهم **جايليل** الذي هو كما نصوص بنى التوراة أبو الرعاة والقاطنين تحت الخيام

وجوبال مخترع الموسيقى (وهو من الاخوان والمغاني)

وتوبال قايين أو توبال قابيل الذي هو مبتدع فن سبك المعادن وصناعتها

ومهم أيضاً البنت المسماة **لعييمه** (على صيغة التصغير) وهي المخترعة لصناعة غزل صوف المواشي ونسج الاقشة منه

ثم ولد لآدم ولد ثالث يسمى باسم **شيث** وهب الله آدم عدة أولاد آخرين كثيرين لكن كان ولده **شيث** هو الذي عمر تسعمائة واثنى عشرة سنة وصار له خلف كثير حافظوا بغاية الامانة على بقاء الروايات الدينية المأثورة عن النبوة الاولى فهم الى عهد الطوفان بخلاف ما كان عليه غيرهم من بقية ذراري آدم في تلك الازمان من الاعتمكاف على عبادة الاوثان والانهمسك على الرذائل التي تخل بمربة الانسان ثم بعد ذلك صارت هذه الفضيلة وآلت تلك المنقبة الجيلة من أبناء **شيث** ابن آدم الى بنى سام بن نوح (عليه السلام) ومن أبناء **شيث** بن آدم

اينوس (بالسين المهملة في آخره)
وقاينان اوقينمان (بتشديد الياء او بتخفيفه الله تعرب)
ومهلائل (ببهاء هموزة ثم ياء أخرى مثناة من تحت)
ويرداويزد (بالدال المهملة او بالذال المعجمة كما في تاريخ أبي الفدا)
وحنوخ (بجاء مهملة ونون يلبها واو افتحاء معجمة في آخره وهو ادريس كما في تاريخ أبي الفدا)
وهو الذي سار في سبيل المولى الباقي مدة ثلاثمائة وخمسة وستين سنة ثم رفع الى السماء
ومن ولد حنوخ أيضا **توزاليم او متي شلخ** (بتاء مثناة من فوقها وقيل بشاء مثناة و آخره حاء
مهملة كما ضبطه ابر الفدا) وهو اوطهم عمرا عاش تسعمائة وتسع وستين سنة
ثم **لامك اولاخ** (آخر غير لامخ بن أنوش بن قاين لوقايل السالف الذكر)
ثم **نوح** وهو أبوسام وحام ويافت وقد كان كل منهم اصلا لنسل كثير وخلف كبير (كاسياني
توضيحه بعد) اه معربا من مختصر تاريخ فرانسيس لوفورمان
تنبية حصل في هذا الفصل من تاريخ أبي الفدا نقل عن ابن الاثير وغيره رحمهم الله تعالى
أجمعين في عمود نسب الآباء الاولين والانبياء السابقين خلط كبير وخط لا يخفى على الناصد
البصير وكلاهما في ذلك معذور بالنسبة لما هو هنا مذكور من تصحيح النسب نقل عن اصل
التوراة الاصلية وهو أحرى بالاثبات اليه والتعويل عليه والشئ من معدنه لا يستغرب (رجع
للتفصيل من مختصر تاريخ فرانسيس لوفورمان)

مطلب ما حصل عليه العصور من الآثار الواهية للاجيال الانسانية الخالية
دلت الاستكشافات العلمية الحديثة والوجية الاخيرة على تمام تصديق ما قص في نص الكتاب المقدس
(يعنى التوراة) في شأن اصل نوع البشر وكيفية مباديه في أول الامر وذلك بواسطة ما حصل
العصور عليه من الآثار العديدة والعلامات المفيدة الدالة على اصل وجود الانسان قبل
الطوفان في طبقة الاراضى المتدونة بقدة العهد السابق على مدة عهدنا هذا المنفصل منه بفواصل
هذه الحادثة الكبيرة المذكورة فان بعض امة منزلية وآلات معاشية عمارية مصطنعة بيد
الانسان مع بعض نظام بشرية من بقايا اجسام الناس في تلك الازمان وجدت في تلك الطبقة
الارضية مختلطة بآثار عظام الحيوانات الغائلة والوحوش الهائلة التي كانت موجودة بتلك
الاعصار فيما نحن مقيمون عليه الآن من الاقطار ثم زالت بحادثة الطوفان كنوع الحيوان
المسمى باسم الماموت (او الفيل ذى اللبد) ونوع الحيوان المعروف باسم الكركدان والخرطيط
(أو ذى القرن القاتل للقيس) ذى الشعر الطويل وفرس البحر والفم والذئب والضبع والذئب
وقد وجدت جميع تلك الحيوانات كلها كبرجها و كثر عظامها من انواعها الموجودة الآن
ولقد كانت درجة الهواء الجوى من السكرة الارضية على العموم اوبالجماعات المنزلية من الخصوص

لا أقل في تلك الأعصار السالفة أشد نقساً و رطوبة على نوع الإنسان مما صارت إليه بعد في الأزمان الخالفة لغاية الآن فكانت أشبه بما هو متسلطن في هذا الزمان من درجة الهواء الجوبة بالجهات الشمالية من بلاد الروسية وكان البرد الشديد متحكماً بجميع بلاد أوروبا يقع فيها من الجبال قطع هائلة من الثلج فتبقى في جميع الأودية المرتفعة وكان وادي الرون (بلاد أوروبا) مثلاً تمتد لغاية جبال بورة وكان بعض أنواع الحيوانات التي لا يمكن أن تعيش الآن إلا في نواحي القطب تعيش على سواحل البحر الأبيض المتوسط (بحر سفيدي) في ذلك الزمان ومن ثم علم كيف كانت من حالة الشدة والصعوبة معيشة الناس قبل الطوفان في مثل هذه الدرجة من الاقليم وفي وسط وحوش غائلة يضطرون للدفاع عن أنفسهم منها على الدوام في كل حين وأوان وفي الحقيقة يظهور أن ما كان قد قضى الله سبحانه وتعالى به على النوع البشري من الألم والتشكد على سبيل العقوبة في نظير عصيان آدم عليه فإن كان ظهور أثره على الناس في ذلك العهد منذ غداً المبشرة لأناب على وجه أصعب وانعب مما صار إليه الحال فيما بعد .

وقد كان الناس الذين حصل انعمور لهم على بعض الامتياز في الاراضي السابقة على حادثة الطوفان من تلك الأعصار في أفتح حالة من التوحش والأعسار لا يعرفون زراعة الارض ولا رعاية الماشي ولا بناء مساكن يأوون اليها بل كانوا بعاثلاتهم يهيمون في الغابات ويتقوتون بمجرد الثمرات الوحشية وما ينمى من الصيد ويسكنون الكهوف الجبلية ويستقرون بجبال الحيوانات ليدفعوا عن أنفسهم شدة البرد وكانوا يجعلون صناعات المعادن لا يتخذون منها الاسلحة الحربية والادوات المنزلية ولم يكن لهم من الادوات في ذلك الزمان غير قطع من حجارة الصوان مقطعة على هيئة خيطة او عظام حيوانات مسنونة ومع ما كان عليه نوع الانسان في تلك الأزمان من حالة التوحش وابند اوة يرى بديها انه كان له قوى عقلية وغرائز خلقية يفوق بها أسرار أنواع المخلوقات من حيوان ومعدن ونبات وذلك أن الناس الذين كانوا موجودين قبل الطوفان كانوا بوسيلة ما يديهم من تلك الاسلحة الغشمية يغربون على الوحوش التي تقع منهم الابدان في هذا الزمان وبقوة التحيل والحداع يتوصلون المظفر بهم وانغلبة عليها فاضلا عن مجرد الدفاع وكانوا يعتمدون في حياة أخرى غير الحياة الدنيا ويتخذون محافل جنازية على مقابرهم وبنائهم ويصنعون رسوم صور بعض الحيوانات المحيطة بهم بسن حصة يجعلونها كالاقلام على أحجار لينة او قطع من العظام من هذا القبيل ما حصل عليه العصور بهذا العصر في كهف باقليم ريخورد (بلاد فرانسة) من صورة فرد من نوع الحيوان المسمى بالماموت السالف الذكر مرسومة بيد رجل من الناس الذين كانوا موجودين قبل الطوفان في سالف الدهر واقدرى في بعض تلك المبادئ الأولية من الصناعة التصورية أن نوع الانسان كان عنده الشعور بالامر المنظر بع وان كان لا يمكن لاحد ان يثبتهم في تعيين وقتها حين لا ومة عند النظر بالمظفر

ولقد ثبت دليل الاستكشافات الجيولوجية ان النوع البشري كان قد انشترق قبل الطوفان على جميع سطح الكرة الارضية وانه يمكن شغلها لافل من المسافة التي هو عليها الآن ودل كل ما استكشف من هذا القبيل من آثار ذلك الجيل على ان نوع الانسان قد كان في كل مكان من الارض في ذلك الزمان على مثل حالة التوحش التي كان عليها الجميع لا يتفاوت في ذلك بعضهم عن بعض غير انه مما ينبغي التنبه عليه و يقتضي التيقظ اليه ان البحث عن تحقيق هذا المقصد لم يحصل بعد في اقصار بلاد آسية التي اتفق جمهور العلماء عموما على انها كانت لنوع الانسان هي أول مهد وفي الواقع ونفس الامر قد كانت الامم الذين هاجروا من تلك الاقطار في أوائل ذلك العصر قد مكثوا على الحالة التي كان عليها آدم عند خروجه من جنة عدن بخلاف القبائل الذين بقوا منهم على اقرب من ذلك الوطن الاصيل والمهد الاول فانهم كما يؤخذ من ذات حكاية التوراة كانوا هم الذين حصل فيهم تقدم المدن الانسانية الحسنى المتصورة في مادة انشاء أول المدن والتشييد بأول تربية المواشي وزراعة الارض واختراع صناعة المعادن وحرقة الغزال والحائك وذلك هو غاية ما كان قد وصلت اليه درجة المدن الانسانية فيما هنالك .

مطلب قصة الطوفان ومع ذلك فقد كان فساد اخلاق الناس في ذلك الوقت لا يزال يزيد الى ما لانهاية له من الحدود وبلغ فيهم وطغيانهم لغاية ان المولى سبحانه وتعالى غضب عليهم واراد أن يقطع دابرهم ويستأصلهم من أولهم الى آخرهم وكان نوح الذي هو من نسل شيث تديني وحده بمنال الاستقامة والصلاح فلذلك انعم الله عليه وأمره أن ينشئ سفينة ليقيم عليها هو وبنوه مع سبعة ازواج من جميع أنواع الحيوان ثم ابتدأت طامة الطوفان وهي عبارة عن غرق هائل عم جميع سطح الارض وانافى على أعلى رؤس الجبال العليا وأهدت سائر الناس الذين كانوا موجودين في ذلك العصر بجميع أقطار الدنيا غير نوح وعشيرته حيث التجأوا الى سفينة

وتدقيق في ضمن الزوايا الاصلية المتدالة عند كثر الامم القديمة ذكرى حادثة الطوفان والرجل السالح الذي أنجاه الله لصد عمارة الارض بالثاني واستكشف العلماء الجيولوجيون عدة آثار عديدة تثبت حصول هذه الحادثة الطبيعية الشديدة وقرروا انها آخر الحوادث الكبيرة التي كانت سببا لتكوين الكرة الارضية وصيرورتها الى الحالة التي هي عليها الآن وقالوا ان الانقلابات التي هي من هذا القبيل كانت كثيرة في سالف عهد خلق الكون قبل ظهور الانسان وان كل دور جديد من أدوار تكوين الارض كان مسببا عن طامة كبرى من هذا القبيل وكان دور هذا الطوفان الاخير هو الذي قارن وجود الانسان على الارض وانه شوا آخرها وبه تشكلت الاراضي القارة (أي البرور المقابلة للبحار والبحور) على الهيئة التي نراها عليها الآن من الجبال والسهول والوديان لم يتغير منها شيء فيما بعد عما كانت تدصارت عليه في ذلك الزمان بحادثة هذا الطوفان اللهم الا في بعض بقع بسيرة وقطع من الارض غير كبيرة لاسباب حوادث

خصوصية وبواعث محلية

مطلب تحقيق عذبة الجبل الذي وقفت عليه سفينة نوح عليه السلام

ثم انه بعد ان مكثت المياه الطامية على سائر سطح الارض مسافة مائة وخمسين يوما اخذت في انشقاق وفي الشهر الثامن من ابتداء تاريخ الطوفان وقفت السفينة على جبل ارارات او عرارات (قال المؤرخ فرانسيس لونورمان) والمراد به الجبل المسمى باسم اراراته عند سلف القبائل السافائية الاولى وباسم ميرو عند أهل الهند وباسم جبل البرج عند الفرس أعني بولورداغ أي جبل بولوراو الروبة الالمانية (نسبة الى جبال ألبه) المسماة باسم بامير في ولاية بخارى الصغرى (أي بلاد تركستان الصينية) وليس على الجبل المسمى باسم عرارات بلاد أرمنية قال المؤرخ المذكور هذا ما يدل عليه صريح نص التوراة وقضية ذلك انه قد تصرح فيها بان بنى نوح انما وصلوا الى سهل سنار الكائن فيما بين دجلة والفرات من الموضع الذي وقفت عليه السفينة سائرين دائما من المشرق الى المغرب وهذا دليل لا يروج معه ان يظن كون مبداء سيرهم كان من بلاد الارمن بل من الكتلة الجبلية الكائنة بولاية بخارى الصغرى (بلاد الصين) كما ينطبق عليه هذا الدليل على وجه تام مبين اهـ فتأمل هذا مع كون المكرم ويكتورد وروى مشي في تواريخه على ان سفينة نوح وقفت على جبل ارارات ببلاد الارمن وقال أبو الفدا (صفحه عدد ١ من نسخه تاريخه المطبوع بمدينة القسطة طينية في سنة ١٢٨٦ هـ) وكان استقرار السفينة على الجودي من أرض الموصل ، اهـ كلامه بلفظه ومعناه وهو مخالف لما حققه المؤرخ فرانسيس لونورمان أعلاه فان أرض الموصل هي بلاد أرمنية بعينها وانما أخذ أبو الفدا قوله هذا من أقوال مفسري القرآن الشريف حيث قال الزمخشري في الكشاف « الجودي جبل الموصل » اهـ وزاد المولى أبو السعود في تفسيره « الجودي هو جبل الموصل أو بالشام أو بآباد » اهـ وفي اتقان السيوطي « الجودي جبل بالجزيرة » اهـ ومن المعلوم يقيان ان جميع هذه الاماكن هي في جهة الغرب من المكان المدعى باسم سنهارا الواقع عند ملتقى دجلة والفرات من اقليم بابل القديمة (ولاية بغداد الآن) لانها كلها من ممالك غربى آسية كما هو مذكور في جغرافية المعلم فورتنبير الفرانساوى الشهير واذا كان مبداء سفر بنى نوح بعد الطوفان قد كان من هاترتب عليه ان سفرهم كان من المغرب الى المشرق بخلاف الوارد بنص التوراة فليتنظر هذا مع ما حققه المؤرخ المحقق والعالم المدقق فرانسيس لونورمان السالف قال المؤرخ المذكور في تاريخه الكبير ما ملخصه وأما سبق الظن لكونه هو جبل ارارات الكائن ببلاد الارمن فما ذلك الا لداعي ان القبائل الذين هاجروا من بلاد تركستان الى تلك الاوطان في سالف الازمان اطلقوا على بعض الاماكن من اوطانهم الجديدة أسماء بعض اوطانهم القديمة كما هي العادة للمعهودة اهـ معربا باختصار (رجع للنقل فيما يتعلق بالطوفان من كتاب مختصر تاريخ اليهود للأورخ فرانسيس لونورمان) قال مؤلف الاصل ثم أخذت الارض في الانكشاف فإرسل نوح عليه السلام جماعة من الجمال

الذي كان معه بالسفينة طارت ثم رجعت عند غروب الشمس وفي منقارها غصن من شجرة زيتون استدلل به على ان المياه قد تقشعت عن الارض وانه يمكنه ان يخرج اليها ويسمى عليه حيث جفت ونشفت ولما خرج نوح من السفينة مع بنيه الثلاث ومن كان معهم من الاناث قرب للمولى سبحانه وتعالى قربا ناشكرا لله على ما اولاه من النجاة وعاد بزرع الارض كما كان وكان نسله كثيرا جدا حيث عمر بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة وكان مبلغ عمره حين لحقته الوفاة تسعمائة وخمسين عاما

الفصل الثاني

(في تاريخ نوع الانسان بعد الطوفان من سنة ٢٤٨٢ فنادى لغاية نحو سنة ٢٢٠٠ ق م)

مطلب تفرق الامم بعد الطوفان الى البلدان

قال مؤلف الاصل وكانت ذرية نوح قد تكاثرت جدا في اسرع وقت غير انه من ابتداء ذلك العهد كانت اعمار بني آدم قد تناقصت نقصا كبيرا وصاروا لا يعيشون كثيرا بل صارت الاعمار البشرية في ذلك العصر على العموم لا تنيف على متوسط الاعمار المعتادة في هذا العصر كما صار ذلك من المعلوم بدليل ما شوهد من هذا القبيل في أقدم الكتابات المصرية العتيقة المؤرخة من نحو ألف سنة قبل بعثة ابراهيم عليه السلام وان كان سام بن نوح (وكذلك أخواه المذكوران بحسب التخمين) قد عمر عدة قرون وقد ذكر بنص التوراة ان أهل البيت الذي نشأ فيه ابراهيم عليه السلام كانت أعمارهم لغاية نشأة ابراهيم فيهم تطول أكثر من أعمار غيرهم من الناس الذين كانوا موجودين في ذلك الوقت وذلك من غير شك ولا نكر لداعي ما كان قد اعتمد عليه الآباء الاولون والانبياء السالفون في طريقة معاشهم من اخلاق القناعة والاكتفاء من العيش بالشيء النزر

وكان كل أهل بيت من البيوتات واعضاء كل عائلة من العائلات في ذلك العصر يتكلمون في أول الامر بلغة واحدة ويتفاهون بلهجة متحدة فلما توالى بعد الطوفان عدة قرون من الزمان كانت ذرية نوح عليه السلام قد كثرت جدا واستقرت في السهول المتسعة الكائنة من بلاد آسية فيما بين دجلة والفرات من تلك الاقطار وهي القطر المسمى في مبادئ ذلك العصر باسم سنهار ومعهنا بلغة بني سام القديمة بلاد النهرين ثم فتحكم فيهم الكبر والجبر بانفسهم لداعي كثرتهم وزيادة قوتهم وشوكتهم حتى تخيل لهم انهم على كل شيء قادرون وتوهموا بجهلهم انهم بكل أمر جديرون فقال بعضهم لبعض هيا بنا نبني مدينة وصرحا عاليا تبلغ رأسه السما فأتقم الله من كبرهم بان خلط لغاتهم بحيث صاروا لا يفهم بعضهم بعضا فاضطر والافتقر في البلدان وذهبت كل عائلة أو جملة غائلات مجمعة بما بقي مهمل من اللهجة التي حفظتها فتكلمت بها من حينئذ ومن ثم تولدت في اقطار العالم أنواع اللغات المتنوعة والالسن المتفرعة التي رتبها العلماء على عدة مراتب متميزة بحسب محاو جسد بينها من علائق المشابهة والموافقة وعلى هذا الوجه كان أصل منشأ الانسال البشرية

بالمثلث الذين عمرت بهم الدنيا بالثاني بعد الطوفان وهم

ولد حام انتشر في قطعة من آسية وافر يقبه

ولد سام باقظار آسيه

ولد يافث باقظار اوروبه

وبقي الصرح المذكور غير تام التشييد والتعمير يسمى باسم بابل ومعناه ببلغة بنى سام السلف الاختلاط لدعى اختلاط اللسان واللغات في ذلك الموقف وكانت حادثة نبيل اللسان واللغات وتفرق الأمم الى سائر الجهات كما يتخذ ذلك من ظاهر معنى عبارة التوراة وان كانت قد كثرت عليها من المفسرين لهذا الشروح والتأويلات في زمن ولد سام المسمى باسم فائغ (بالغين المجمة في آخره) وكان خامس ولده وقد وقعت تلك الوقفة على عهد قريب من مولده فدعى بهذا الاسم ومعناه الفراق تذكاراً منهم لهذا الحادث

تفصيله قف على هذا القول مع ما سبق عن أبي الفدا من النقل

قال مؤلف الاصل على انه لا يوجد في نص التوراة ما يمنع من الظن بأن عدة عشائر من أبناء نوح الذين كان قد أعدهم الله لعمارة الارض بعد الطوفان بالثاني كانوا من قبل قد هاجروا من ذلك المكان الذي كان قد اجتمع فيه جاسم والتأم فيه شملهم وانثأوا ببعض نزائل مستعمرة خارجا عن مركز هذا النجم العام ودليل ذلك أن تناسل أولاد نوح عليه السلام من يافث وسام وحام على الوجه الذي ورد به في سفر الخليفة من التوراة لا يتعرض فيه الا لام الطائفة التي تضم نوع البشر ولم يذكروا الطائفة الرئيسية اواله واولاد الطائفة المذكورة (بنى الاصفر) التي منها سكان بلاد الصين

مطلب در آري بنى نوح عليه السلام - نسل حام

يظهر ان من قبيل اليقيني ان الرجحة والحوادث التاريخية الصحيحة كون بنى حام سكانا قد توطنوا اولاً في أكثر اقطار بلاد آسية الغربية والجنوبية قبل بنى سام وأن هؤلاء الاخيرين طردوهم منها وازالوهم عنها ودليل ذلك ما ذكر في التوراة من أن النمرود الذي هو ولد كوش بن حام حكم ولاية بابل وانتط مدينة آراش وشالانة (مدينة أور) في بلاد سنهار وكان اول من انشأ اقدم دولة او سلطنة في سالف الاعصار وان جماعة من بنى حام كانوا أول من عمر البلاد المحسطة بنهر جيحون لغاية العهد على من مجرى نهر السند وهذا نفت كلمة جميع العلماء الآراء على الاعتراف بان الاقطار المذكورة على شواطئ نهر الدجلة من بلاد الميديه والفرس لغاية بلاد الهند كانت عامرة في سالف العهد من بنى كوش بن حام قبل ان يغلبها بنو سام والقوم المسمون باسم الأرياء أو الآريين الذين هم من ولد يافث بن نوح عليه السلام ولنا من الاسباب القوية ما يقتضى أن القوم المسمين بالسكرابين وهم أول سكان الجزء الاعظم من بلاد الارمن في سالف الزمن كانوا أيضاً من ولد حام ولا شبهة لاحد في أن ولد حام المذكورين كانوا هم القوم المحكمين دون غيرهم من الاقوام

السالفين

الدرس الثام ٥٧ في التاريخ العام

السالفين في أول الامر على سواحل بلاد القرمات و بلاد الجندرو زية (وهي الاقليم المدعو الآن من بلاد ايران التي هي مملكة العجم باسم ميكران) وعلى طول سواحل البحر المحيط الهندى وسائر الاطراف الجنوبية من الجزيرة العربية

وهكذا يرى عما ذكر أن بنى حام هم الذين كانوا أول المهاجرين عن مركز اجتماع الناس الاولين من الانسال الثلاثة الاصليين الذين تفرقوا بعد تبليبل اللغات والالسن بصرح بابل في سالف الزمن وانتشروا ولا في أوسع مسافة من البركة الارضية وانشأوا أقدم الدول الملوكية وانهم كانوا هم الذين حصل فيما بينهم أسرع الحركات التقدمية في امور التقدمين المادية غير ان زحاعليه السلام كان قد دعا باللعنة على ولده حام لدأى انه كان قد أساء الادب في حقه اذ كان أبوه قد شرب خمر اسكر فأنكشفت عورته فضحك منه فغضب عليه أبوه فقال له انك لتكون خادما لياث وسام ولقد تحققت تلك اللعنة على الوجه الثام وذلك ان الممالك التي كان بنو حام قد أنشأوها لم تلبث ان تخالطت مع أقوام من نسل أخويه المذكورين فتنافسوا معهم وكانت الدائرة على أبناء حام والغلبة لابناء يافث وسام فاخذوا هاهنا واستوطنوها ببلادهم واقام ولد سام في بلاد كلداء والشام وفلسطين وجزيرة العرب واقام منهم القوم المدعوون باسم الآريين في بلاد الهند وفارس (بلاد العجم) ولم يبق لنسل ولده حام الملاعين دولة الا بافريقية وخصوصا بالديار المصرية حيث كان لهم بمصر في ذلك العصر ابنى نزل مستعمرة واهج دولة ظاهرة (يعنى دولة الفراعنة الغابرة) بل استجيب الدعوة الابوية باللعنة على بنى حام حتى في تلك الاقطار فيما بعد على توالى الاعصار حيث كان بنو حام وان مكثوا مستبدين بدولتهم مستعلين بصولتهم في تلك النواحي أكثر من غير هالكينهم كانت عاقبة أمرهم في آخر عصرهم بأن صاروا فيما بعد خدما لابناء سام وكذلك بعد أن مكثت بلاد الفنيقية والديار المصرية وشمال افريقية مدة مديدة من الدهر في قبضة اليونانيين والرومانيين الذين هم من ولدي يافث صاروا بعد ذلك أيضا تحت طاعة العرب المسلمين مسافة مديدة من القرون واستولى الحبش الذين أصلهم أيضا من ولد سام على الاثيوبيين (وهم سكان بلاد الحبشة الاقدمون) وبالجملة فاذا كان ولده حام قد بقوا لغاية هذا الاعصار متوطنين في بعض الاقطار على وجه بحيث يتكون منهم دائما اصل اهلها فانهم منذ آلاف من السنين لم يتيسر لهم فيها ان يكون لهم حياة أهلية ولا هيئة اجتماع ملية خاصة بهم أعنى انهم لم يعودوا لأن يكونوا على صورة دولة او ملّة مستقلة

مطلب ذكر ولد سام واما ولد سام فقد كانوا ثمانى من انتشر في الارض بعد مهاجرتهم من مركز التجمع الاصلي والمكان الاول الذي كان قد اجتمع فيه افراد الانسان بعد الطوفان وتوطنوا في النواحي الممتدة من عند النواحي العليا من بلاد الميزوبوتاميه (بلاد الجزيرة) لغاية جنوب جزيرة العرب ومن عند سواحل بحر شفيد لهند ما وراء نهر الذهب وحينئذ في ولد سام بن نوح

الدرس التام ٥٨ في التاريخ العام

كان أصل الاسوريين (اوالمريين) والعبرانيين (أى اليهود والاسرائيليين) والعرب والاسوريين (الشاميين)

مطلب ذكر ولد يافث وأما يافث بن نوح فدلّول هذا اللفظ في اللغة الممرانية القديمة الانتشار وانما سمى بذلك ليكون خلفه انتشارا على مسافة تسعة من الاقطار وقد كانوا آخر من اجتمع شملهم فهاجروا من المكان الذى كان قد اقام فيه نوح عليه السلام عند خروجه من السفينة (على الخلاف السالف الذى حصل في هذه المسألة بين العلماء الاعلام) قال مؤلف الاصل وانما يذكروا في التوراة تعداد جميع شعوب بنى يافث الذين توطنوا في جميع البلدان بعد الطوفان لذاعى ان موسى عليه السلام كان قد اقصر منهم بل ضرورة على الامم المعروفين للعبرانيين المعاصرين له واما علماء هذا العصر الاوروبيون فانهم استدلو بالبراهين المستنبطة من المشابهات الغيزولوجية (نسبة لعلم الغيزولوجية أى علم منافع الاعضاء الحيوانية ومعرفة كيفية تركيب البنية الجسمية) ودلائل العرائق اللغوية فتوصلوا في هذه المسألة بطريق الاثبات لتتبع ما ذكر من شهادة سفر الخلق من التوراة وارجعوا عدة عديدة من الامم التي هي الآن موجودة لاصل الشجرة النشائية واتفق جمهورهم على وجه العموم على ان من ولد يافث بن نوح في بلاد اوروبه اليونان والرومانيسين والجرمان والالمان والسليتين والاسكندنيان والاسلاوين وفي بلاد آسية فارس والميديين والبيكتريين والطبقات العليا من أهالي بلاد الهند وذلك ان هؤلاء الاقوام المتأخري الذكروا قد اجتمعوا في سالف العصر باسم الآريين ومكنوا مدة مديدة وأعصارا عديدة ملتئميين في الاقطار التي يسقيها كل من نهري جيحون وسيحون أعنى بالقطرين المسميين أحدهما بلاد البيكترية (وهي المعمورة الآن بخانية بلخ من بلاد التتار الممتدة له بلاد آسية) والثاني بلاد السوجديان (وهي ما يسمى الآن بخانية بخارى وخوقند وما يليها من تلك البلدان) وقد كانت تلك الاقطار هي أول الأوطان التي أقام فيها جميع بنى يافث في سالف تلك الأزمان ثم تفرع منهم فرع توجه الى جهة الجنوب وتعدوا الى ما وراء الهند وكوش والهند كوه (بالشين المجعومة او بالهاء في آخره) وهي سلسلة الجبال السكائية في وسط بلاد آسية فيما بين ٢٤ الى ٣٦ درجة من العرض الشمالي و ٥٩ الى ٧٢ درجة من الطول أعنى البلاد الممتدة (من عند تخوم مملكة فارس الى حد الشاطئ الايمن من نهر السند) وتوغلوا في بلاد الهند بازالة من كان قد سبقهم اليها من ولد سام عنهما وبادخالهم تحت طاعتهم وغلبتهم عليهم وتوطن فرع آخر منهم بالبلاد الممتدة فيما بين بحر الخزر والدجلة وفي جبال بلاد الميديه وفارس بل يرى انهم كانوا قد خالطوا في بعض الاحيان من سالف الأزمان الاسوريين وحكموهم مسافة عدة قرون من الزمان وحيث كان الامر كما ذكر يقتضى ان يكون ولد يافث هم من يعبر عنهم أيضا باسم النسل الهندى الاورواوى للاشارة الى سعة ماسمهم ولواعليه من الممالك والبلدان (قال مؤلف الاصل) وهذا هو النسل الذى نحن منه

الدرس التام ٥٩ في التاريخ العام

وهو النسل الشريف والصحيح والفرع النوي المدعوله بالوجه الصريح الذي ينط اليه من الملك المدبر لجميع الكائنات امانة تبليغ درجة الفنون والعنوم والفلسفة وسائر المعلومات الى درجة كمال ليصل اليها غيرهم من التسليخ الاخرين فقد ورد في نص التوراة ان نوحا عليه الصلاه والسلام دعا لياث بقوله «بارك الله في يافث وأمدّ عقبه الى أمد بعيد واسكنه في خيام سام وجعل حامله من الخدام والعبيد» ولقد تحقق هذا الدعا وتصدق هذا الرجا وظهر من هذا الخبر بالقيب ان الاثر فان نسل يافث لم يكونوا فقط أكثر عددا وأكبر ملكا ومدا من سائر من عداهم من نسل أخويه بل هو النسل المتسلطن على المملكة الدنيوية ولم يرزل يتقدم في كل يوم الى ان يصير ليدمه مقالة السلطنة العمومية

مطلب مراتب اللغات البشرية الاصلية اعلم ان كل واحدة من الفروع البشرية الاصلية الثلاثة التي ذكرنا كيفية نسبتها بناء على سفر الخليقة من التوراة بقابلها مرتبة أصلية وفصيلة اولية من مراتب اللغات البشرية التي حصل الاستدلال على ترتيبها بواسطة اشتقاق اللغات الانسانية ومقابلها بعضها ببعض من حيث المشابهات اللسانية وذلك انه قد تحقق بالادلة النظرية انه يوجد أظهر المشابهة اللغوية بين اللهجة الهندية المقدسة القديمة المسماة باسم السنسكريت ولغات فارس واليونان واطالية القديمة والسنة الجرمانية والاسكندينية والاسلتيين والاسلاوين (بلاد أوروبا) وثبت عند العلماء الاوروايين المتأخرين اتحاد المواد الاصلية والاصول الاولية التي قد كان منها منشأ اشتقاق جميع هذه اللغات المتنوعة واللهجات المنفرعة وعلم انها كلها ترجع الى لغة أصلية ولهجة اولية وهي لسان القوم المسلمين لآريين السالفين في قديم الزمان حيث استدلل على معظمها الآن ومن ثم استنبطوا أعني انهم - نواعلى ما تحقق عندهم من النسبة بين اللغات بانضمامها الى ما ثبت من الروايات عن التوراة انه يوجد أصل عام لجميع فروع نسل يافث بن نوح عليه السلام

وغاية ما هنالك ان أصل ما جوج بن يافث هو المسبثني وحده من ذلك كله حيث تحقق ان اللغات التوراتية (نسبة الى بلاد توران التي هي بلاد التتار المستقلة الآن في مقابلة بلاد الفرس المسماة ايران) وهي اللغات انتتارية (أى لغات قبائل التتار بلاد آسية) واللغات الفنلندية (لغات بنى ما جوج بلاد أوروبا) أعنى سائر لغات ولده ما جوج المذكور يتكون منها مرتبة لغوية منفردة وحدها وفصيلة من اللغات مميزة عن غيرها مستقلة بمفردها لكن هنالك بعض علامات تدل للظن بأن تقدمات العلم لا بد وانها تصل ذات يوم لارجاع فصيلة اللغات المذكورة الى أصل اولي ومأخذ سابق من أصول مرتبة اللغات الهندية الاوروبية وعسى ان تكون هذه الطائفة اللغوية الياجوجية انما هي فرع انفصل من أصلي شجر مرتبة اللغات الهندية الاوروبية العمومية قبل غيره من سائر الفروع اللغوية

الدرس الثام ٦٠ في التاريخ العام

وليس اتحاد لغات بنى سام باقل وضوحا من اتحاد مرتبة لغات بنى يافث وذلك انه قد تحقق عند علماء الأفرنج الآن ان لغات الكلدانيين (أى البابليين او قدماء العراقيين) والسوريين (أى قدماء أهل الشام) والعبرانيين والاسوريين والعرب والحبشة كلها من مرتبة بعضها مع بعض بأشدا الروابط القرابية واوكدا العلائق النسبية بحيث يتكون منها مجموع مرتبة لغوية تام وأصل فصيلة لسانية عام ويقتضى ان ينضم اليه أيضا السان الفنيقيين (أى الصوريين) وان كانوا من ولد حام بواسطة ولده كنعان لكنهم لما كانوا قد احتلوا بنى سام بمخالطة شديدة مدة أعصار مديدة امتزجوا بهم بطريقة أكيدة جدا حتى تسككوا ببلغتهم وصاروا من حيث ترتيب اللغات يعدون في مرتبتهم وكذلك لغات بنى حام يتكون منها مرتبة لغات متميزة وفصيلة لهجات متباعدة لم ينزل نظر علماء اشتقاق اللغات البشرية لى يؤدى للوقوف عليها وأحسن ما عرف منها واهه وأقواه اللغة القبطية القديمة حيث ثبت بواسطة معرفتها والوقوف عليها الآن انه يرجع اليها بالضرورة لغة الليبيين (سكان جبال ليبيا وهى بلاد برقة وما والاها من بلاد افر بقية) وهذه اللغة هى التى لم ينزل يتكلم بها الغاية الآن الاقوام المعروفون بالقبايل والطوارق بشمال بلاد افر بقية وكذلك اللغة الايتيوبية القديمة التى لم ينزل يتكلم بها الغاية عصرنا هذا قبيلة العرب البشارية المقيمة على شواطئ نهر النيل الاهلى

تتمة

تشتمل على عدة مسائل

المسألة الاولى (من تاريخ جيلمان)

(قال مؤلف الاصل) قد تحصل لنا ما ذكرناه ان تاريخ تمدن بلاد المشرق الذى ذكرت أخباره وانتشرت آثاره عن السلف فى قديم الزمان يصح ان يقال انه يرجع لتاريخ طوائف ذرارى نوح الثلاث الذين تعمروا منهم الارض بالثانى من بعد الحوادث الطوفانى وهى متباعدة كل منها عن الأخرى كل التباين فى الاخلاق والعوايد والالسن والعقائد وهى كالملبين بعد الاولى طائفة بنى يافث ويعبر عنها أيضا بالنسل الهندى الاورباوى وهى تشغل كما ذكرنا آتفا على الطبقات الشريفة العليا ببلاد الهند وفارس واهل جبل قوه قاف والقوقازية واهالى أقطار أوروبا كلها

الثانية طائفة بنى سام وهى تشتمل على جميع اهالى بلاد اسيات الغربية والجنوبية من عند نهر الفرات الى حد بحر سفيدي

الثالثة طائفة بنى حام وهى تشتمل على جميع أهالى أفر بقية وخصوصا المصريين والايثيوبيين غيران الفنيقيين والقرطاجيين الذين هم خلفهم وان كانوا من بنى حام بولادة ولده كنعانه

الدرس الثام ٦١ في التارخ العام

لكنهم لداعى اختلاطهم بنى سام صبح أن الحقوا بهم ويغدوا منهم والذي دل على تميز الطوائف أو الاسأل الثلاثة المذكورة هو ما حصل بعناية علماء الافرنج المتأخرين من امعان النظر الدقيق وزيادة التأمل بعين التحقيق فضلا عن الاخبار التوراتية والامار التاريخية ومقابلة الاشتقاقات اللغوية وكيفية تراكيب البنية الجسمية فى افراد كل واحد منهم حيث دلهم كل ذلك على اخوية سائر الامم المتنوعة والاقوام المتفرقة عنهم ورجوعهم الى أصل واحد منهم فمن ذلك ما ثبت عندهم مثلام ان اللغة الهندية المقدسة القديمة المسماة بالسانسكريت يوجد فيها وبين لغات فارس واليونان وايطالية القديمة مشابهة عظيمة جدا وان هذه اللغة العتيقة قد كانت مستعملة بالحقيقة فيما يتعلق باصولها الاصلية فى الاعصار الاولى لاقال فى سائر الاقطار الممتدة من أول بلاد الهند لغاية بلاد الاسكندرية (بلاد أوروبا) ومن ثم استنبطوا أن الهنود والفارس والجرمان أو الألمان واليونان كلهم يرجعون الى أصل واحد عام وهو دايت بن نوح عليه السلام وان عينية بنى يافث مع الطائفة الاهلية التي يعبر عنها فى اصطلاح العلماء المتأخرين من الملل الافرنجية بالطائفة الهندية الجرمانية أو الهندية الاوروية قد صارت من أوضاع الواضحات والعلوم البديهيات على الوجه التام

وكذلك ثبت لديهم فيما يتعلق بطائفة ولد سام ان اللغة هى الزابطة العامة والعلاقة الثامة الجامعة بين الكلاديين والسوريين والعبرانيين والعرب باضافة الفنيين اليهم ولا غربة فيما لوحظ من اتحاد لغة الفنيين مع لغات بنى سام وان كانوا هم من بنى حام اذا نظرنا لما علم من شدة اختلاطهم وما ثبت خصوصاً من كون الفنيين المذكورين كانوا قد صاروا تحت سلطة الساميين من أول الامر فى سالف الدهر (قال المؤرخ جيلمان المحكى عنه أعلاه) وبما كان يظن اهل من مدة مديدة من الزمان بين العلماء الاوروا بين ان لغة قدماء المصريين هى لغة مستقلة بذاتها ولهجة منفردة على حدتها غير ان الميزل يتحقق عند العلماء المتأخرين من العلائق العديدة والمناسبات الاكيدة بين اللغة الفرعونية والعبرانية يؤخذ منه كما هو المتبادر انه يقتضى ارجاع اللغة القبطية الى أصل جماعة اللغات السامية كما هو الظاهر (اه الى هنا معرمان تاريخ جيلمان) قلت وهذا الجحالف ما نقلناه آنفاً عن مختصر تاريخ اليهود للمؤرخ فرانسيس لوتورمان من ان لغات بنى حام وهم المصريون واليبوسيون والايثيوبيون هى مرتبة من اللغات البشرية مستقلة وفصيلة متميزة من اللهجات التي اقتص بها كل قوم من بنى نوح عند تفرقهم بعد الطوفان وذلك ان مرتبة اللغات الحامية وان كانت كذلك لكن ثبت عند بعض علماء الاشتقاقات اللغوية المتأخرين ان بينها وبين اللغات السامية مناسبة شديدة وقاربة أكيدة بحيث لا يمكن إلا أن تكون كلتا الطائفتين طائفة متحدة وكان لغات بنى سام وحام قد كانت فى الاصل واحدة كما ذكره فرانسيس لوتورمان فى تاريخه الكبير فليتأمل .

(ثم قال المؤرخ جيلمان بعد ذلك أيضا) ومن ثم اسنة الحال على ان بنى سام وحام وبافث هم الذين تكونت منهم الاقسام الثلاثة الاصلية التي ترجع اليهم المرتبة الالهية البشرية البيضاء المسماة في اصطلاح العلماء الاوروا بين المتأخرين بالقوقازية التي عرت بلاد آسية الغربية وسائر الاقطار الاوروبية وشمال افريقية غبران هناك مرتبتين اخريين وهما المرتبة الصفراء والمغلية (اي التتارية) التي اقامت دائما بالاقطار الشرقية والشمالية من آسية والمرتبة السوداء او النجبية التي انحصرت ببلاد افريقية اما السوداء فلاتاريج لها وما الصفرى التي منها قبائل المغل والنتار والصينيون فقد بقيت معزل تام عن مركز المدن العام فلذلك لم تنعمر في تاريخها بين المرتبتين من المراتب الالهية البشرية الى آخر ما ذكره وبني عليه طريقته التاريخية

المسئلة الثانية

مطلب ترتيب سكان الكرة الارضية على ثلاث مراتب أصلية

ما ذكر أعلاه في ضمن عبارة المؤرخ جيلمان فيما عنه نقلناه هو جملة المراتب البشرية الالهية التي تنقسم اليها سكان الكرة الارضية من حيث الصفات الطبيعية والعقلية التي تتميز بها كل مرتبة منها عساها وذلك ان علماء التنوع جرافية والجغرافية رتبوا جميع سكان الكرة الارضية من هذه الحيشية على ثلاث مراتب أصلية يعبر عنها بالانسال أو الانواع الالهية البشرية وهي تتميز بظاهرها وتباين تباينها وافر باختلاف الالوان وتقاطيع الوجه وشكل الرأس والشعر واللغات وغير ذلك جسماء بعدآت

الاولى المرتبة البيضاء وهي عبارة عن النسل والنوع الأبيض من جنس البشر والادميين وتسمى أيضا بالمرتبة القوقازية والقوقازية (نسبة الى جبال قوقازة او قوقاز في كتب العرب بجبال قاف وهي سلسلة الجبال السكائية فيما بين البحر الاسود وبحر الخزر وهي بلاد الخركس والاباطة وجرجستان) وانما نسبت هذه المرتبة اليها ليكون ذلك الجبال هي موضوعه تفرجها في وسط الاقطار التي توجد فيها هذه المرتبة الالهية ولداى انه انما يوجد في نواحي تلك السلسلة الجبلية أكمل افراد هذا النوع وأجل اغنوج لهذا الفرع من الحلقة البشرية وتنتشر هذه المرتبة في غربى القارة القديمة اعنى في جميع بلاد أوروبا والنصف الغربى من بلاد آسية وشمال افريقية وقد نزل منها عدة نزائل مستعمرة وقبائل متكاثرة في بلاد القسم الثالث والرابع من أقسام الدنيا العاصرة ولا سيما في بلاد أمريكة

والصفات الاصلية التي تتميز بها هذه المرتبة الالهية هي كون الرأس منها على شكل بيضاوى منتظم والجيئة عريضة تكاد تكون افقية وسعة العينين مع كونها في الاكثر شراوين اوزقواوين وشعرها جعدة دقيقة متضفرة في الغالب وعلى وجهه العموم سمراء او شقرى الا في الانظار الجنوبية من الكرة الارضية حيث تكون شعور هذا النوع سوداء وزاوية الوجه منه على العموم

الدرس الثامن ٦٣ في التمازج العام

منفرجة جدا (ونعني بزاوية الوجه المتكونة من خطين متوهجين يبتدى أحدهما من ثقب الأذن والثاني من ابرز موضع من الجبهة ويتقاطعان عند اطراف الاسنان القواطع العليا) وأظهر ما يتميز به هذه الطائفة الالهلية من الصفات المميزة الاصلية هو كون البشرة الجلدية متبايضا ووردية وقد يكون لونهما نائلا للصفرة بل قد يكون أسودا بالكلية في الانظار الجنوبية وهذه هي صفاته الجسمية بمعنى الظاهرية واما ما يتميز به من الصفات العقلية والمعنوية بمعنى الباطنية فهو كونه ذات نشاط وأقدام على الامور وطمع كبير واليه ترجع جميع الاعمال والملل الذين بيدهم مقاليد رياسة التمدن ومقاومة سياسة قوة الدول

الثانية المرتبة الصفراء والنسل أو النوع البشري الاصفر (وهو لما برع عنه عندنا بيني الاصفر) وتسمى هذه المرتبة أيضا بالمرتبة المغلية (نسبة الى المغل بمعنى التمارى التتارية) وانما نسبت هذه المرتبة البشرية بهذه النسبة الاصطلاحية لتكون اقواما تتأثرهم الذين يوجد فيهم -م أتم أعوذج من افراد هذه الطائفة الالهلية وعى تنشر في جميع الاقطار الشرقية من بلاد آسية وقد يوجد منها أقوام قلائل وبعض قبائل في شمال هذه القسم من الارض وفي الشماليات الشمالية من بلاد آفريقية وأوروية وفي شمال الاوقيانوسية

والصفات الاصلية التي تمتاز بها هذه المرتبة البشرية الالهلية هي كون وجوههم عريضة مستم وأنوفهم -م فطسا وأعينهم -م مسطيلة جدا مع كونها ضيقة مرتفعة مائلة الى الخارج وشعورهم سوداء مصقولة متوترة والوانهم مصفرة اوزيتونية وزاوية وجوههم أقل انفرجا من زاوية وجوه المرتبة البيضاء وكثير من الاقوام الذين هم من المرتبة الصفراء -م ذه ولا سيما أهل الصين قد كانوا من أقدم الامم المتقدمة في سالف الالعصار واعتنى الملل المتحصرة في جميع الاقطار وكانوا قد عرفوا من قديم الزمان كما عرف ارباب المرتبة البيضاء عدّة فنون بدعية وجملة صنائع عجبية غير انهم بقوا في مادة التمدن والحضارة على حالة واحدة من غير تقدم حتى فاقهم ارباب المرتبة البيضاء بكثير الا ان واقتصر سكان الارض الممودة قامة وهم -م الاقوام المدعون بالاسكيمين واللابونيين (وهو -م سكان أقصى شمال اوروية وآسية) هم من هذه المرتبة (وأطولهم قامة يبلغ أربعة أقدام أى نحو متر و ٣٥ ستمترا في الاكثر)

الثالثة المرتبة السوداء والنجية وهي تتأثر في وسط بلاد افريقية وفي جهة الجنوب منها وفي جنوب بلاد الاوقيانوسية كبلاد الاسترالية منها ويعرف أهل هذه المرتبة يكون ألوانهم أما سوداء أو مسودة وجسامهم -م مخفضة مع كون الفكين بارزين والاسنان مائلة مع كونها أطول من اسنان المرتبتين الأخيرين وأنوفهم فطساء عريضة وشدهم غليظة واذا هم من متسعة جدا واصداغهم حمر تنفة وشعورهم صوفية وزاوية وجوههم قليلة الانفرج وأهل هذه المرتبة هم أقل تمدنا والظاهر انهم أقل فهمًا وفطنة من ارباب المرتبتين السالفتين وقد استرق منهم الاوروبيون اذوا ما كثيرين

الدرن السام ٦٤ فى السارن العام

ونقلوهم الى بلاد امرىقة بحالة المأسورين فاستخدموهم هناك فى نزاللهم وأدخلوهم فى مستعمرات قباللهم

هذه هى المراتب الالهية الاصلىة التى ارجع اليها العلماء الاوروبابون جميع أنواع الامم والممل الموجودين على سطح الكرة الارضية من الخلقة والبشرية وهناك عدة فروع أو أنسال بشرية ثانوية بمعنى انها غير مستوفاة للصفات التى تمتاز بها على وجه بحيث تعدد من احدى تلك المراتب الاصلىة بل يوجد فيها بعض صفات من كل واحدة منها فهى مشتركة بينها ولذلك سميت بمرات

البين بين الالهية أو بالمراتب القرعية والثانوية فيها
أولا المرتبة الجراء ويقال لها الامرىقية وهى سكان بلاد امرىقة المتوحشون أى اهلها البلديون الاصليون وهم ذرارى الاقوام الذين كانوا متوطنين بتلك القارة الجديدة قبل أن ينزل الاوروبابون اليها ويستولوا عليها ويتميزون بكون جلودهم حمراء نحاسية وشعرهم مستوية متدلية واعينهم متسعة ورؤسهم مستطيلة وجماهم مخفضة وانوفهم كبيرة بارزة

واطول سكان الارض المعمورة وهم القوم المسمون بالبجنونيين أو البتجنونيين (بالجيم المجمة التحتية أو بالغين المجمة الفوقية) هم من أهل هذه المرتبة الالهية الفرعية (وههم أناس يبلغ ارتفاع متوسط قاماتهم من ٦ الى ٧ اقدام أى أكثر من مترين لالى أكثر من ٨ اقدام أى الى ما يقرب من ثلاثة امتار كما بالغ فى ذلك بعضهم)

وقد ثبت عند العلماء الاوروبابوين أن بعض الاقوام الامرئيين الاصليين فى الاعصار السالفة قبل أن تنزل عليهم النزائل من الاورو بابوين قد كان لهم دول قوية وممل ممتدة غير انهم الآن انما هم أقوام متوحشون وقبائل ضعاف بدويون (انتهى الكلام على هذه المسئلة معربا باختصار من جغرافية فورتنبير الكبرى)

المسئلة الثالثة

مطلب حل مسئلة كبيرة ومنظرة هى بين العلماء الاوروبابوين شهيرة وهى هل جميع سكان الأرض من مراتب الانسان هم من أصل نسل واحد ونوع متحد كسائر أنواع جنس الحيوان وهذه المراتب انما هى فروع عنه متفرعة أم هم أنواع مستقلة متنوعة وبعبارة أخرى هل افراد العالم هم من نسل آدم واحد بمعنى أنهم هل كانوا فى أصل نوعهم متحدين أم هم من أنسال عدة أو آدم متعددين وباهل ترى كيف الحال فى هذه المجال وحاصل ما يقال فى الجواب عن هذا السؤل هو ان هذه المسئلة خلافية فيما قولان شهيران ومذهبان مختلفان

القول الاول - قال بعض علماء الطبيعىات من الافرنج الآن وهم القائلون بتعدد أصل الانسان ان أصل جميع الناس من العالم متعدد وانهم ليسوا من نسل آدم واحد ولا نوع متحد قالوا بل هم أنواع متنوعة لافروع متفرعة وبنوا على هذا الكلام أن الطوفان لم يكن بعام واقوى دليل

دليل لهم على ذلك وغاية ما يروج مذهبهم هذا فيما هنالك هو ان سفر الخليفة من التوراة لم يتعرض فيه عند الكلام على عود تناسل الامم والممل الاقدمين من ابناء نوح الثلاثة يافث وسام وحام لغير المرتبة البيضاء أو بعض المرتبة الصفراء من العالمين ولم يتعرض لكيفية تناسل الاقوام الزنيين ولا لاهل الصين وغيرهم من كثير من الامم والممل الذين يقتضى أن يكونوا من أول عهد خلق العالم في الاقطار المتنوعة من الارض المعمورة موجودين مع تنوع انسالهم وأنواعهم وتباين تقاطيع بنيتهم وطبائعهم اذ منهم الابيض والاسود والاصفر والاحمر وما بين ذلك

القول الثانى - مذهب الطبيعيين القائلين بوحدة نوع الانسان على جميع الكرة الارضية من كل مكان سواء الابيض منه والاصفر والاسود والاحمر وبعموم حادثة الطوفان على سائر البلدان قالوا باختلاف الصفات والالوان انما هو ناشئ عن اختلاف أحوال الاكوان المعبر عنه عندهم بالوسط الذى يكون عليه الانسان أى اختلاف الاحوال الجوية والوسائل المعاشية والعوائد المدنية التى يكون عليها الشخص بحسب اختلاف الاوطان وهذا هو القول الصحيح والمذهب المأمن الذى رجح الذى عليه جمهور علماء الانام من الافرنج وأهل الاسلام قال أبو الفدا فى تاريخه ما نصه

« والصحيح ان جميع أهل الارض من ولد نوح عليه السلام لقوله تعالى « وجعلنا ذريتهم هم الباقين » فجميع الناس من ولد سام وحام ويافث أولاد نوح عليه السلام» الى آخر ما ذكره واستدل علماء الافرنج على وحدة النوع البشرى فضلا عن هذا الدليل النقلى بدليل آخر وادعى عقلى وهو ما شوهه فى جميع أنواع الحيوان من انه اذا حصل زواج نوعين مختلفين تولد منهم ماتاج يصير عقبيما كالبعغل المتولد عن مزاجرة نوع الفرس والحمار وبالعكس وما أشبه ذلك من أنواع الحيوان بخلاف نوع الانسان حيث يقولون من مزاجرة انساله كالابيض مع الاسود مثلا ذرية مولدة فرعية لا يزال يوجد فيها الصفات النوعية من التناسل وغيره كما يحصل تعلية الفرس العربى على البرذون اذ يترتب على ذلك تحسسين مادة النتاج لا عديم الانتاج ومن ثم استنبطوا ان مراتب الانسان ترجع كلها الى نوع واحد وأصل متحد بمعنى انها فروع عنه متفرعة لانواع متنوعة واجابوا عن اقتصار التوراة فى توزيع بنى نوح على الارض وذكر البعض دون البعض بانه انما ذكر فيها الامم المألوفة للعبانيين فى ذلك العصر واستدلوا على عمومية حادثة الطوفان بما تحقق عندهم ايضا من البرهان على وجود طامة كبرى من هذا القبيل فى روايات اغلب الامم السالفة فى ذلك الجيل مع ذكر الرجل الصالح الذى نجاه مولاة وان اختلف منه الاسم فى رواية كل قوم منهم كما قدمناه وعلى كل حال من هذين القولين والمذهبين الشهيرين فبما ان كيفية تناسل بنى نوح عليه السلام وانتشارهم فى اقطار الارض حسبا لمقتضى الباب الحادى عشر من سفر الخليفة من التوراة وكاد عليه ما تحقق وثبت عند علماء

الافرنج المتأخرين من المعلومات هو كما في هذا المطلب التالي آت

المسئلة الرابعة

مطلب تفصيل ما اجل فيما تقدم عن المؤرخ فرانسيس لونورمان من الكلام فيما يتعلق
يتناسل جميع أهل الارض من بنى نوح عليه السلام

عائلة حام نص في سفر الخلق من التوراة على أنه ولد لحام بعد الطوفان أر بعه صبيان وهم
أولا كوش (بالشين المحجة في آخره)

ثانيا مصر او مصريين (ببائين أولا هم هموزة فيم في آخره)
ثالثا - فوت (ببامشناة فوقية في آخره)

رابعا - كنعان (يفتح الكاف في أوله ونون موحدة في آخره)

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في تاريخه الكبير اما كوش فولده الايتيو بيون وهم اسلاف الحبس
حيث تحقق كون الكوشيين هم عين الايتيو بيين وذلك أن كل ما عثر عليه من الكتابات
الهيروغليفية المصرية العتيقة وجد فيه التعبير باسم كوش عن جميع الامم والاقوام الساكنين
على شواطئ الصعيد الاعلى من النيل بجهة الجنوب من بلاد النوبة وبذلك ثبت ان كوشا هذا
هو أبو السودان

وأما مصريين فهو أبو المصريين لما أنه كان يبرعن وادي مصر في التوراة دائما بل نظ مصريين ولم
يزل العرب لغاية هذا انصر بمعون جميع وادي مصر بتمامه أو كرسى ولايته فقط باسم مصر
(واخطأ من زعم أن مصريين هذا هو عين مينيس الذي هو أول ملوك مصر كما سيأتى توضيحه
في الباب الثاني)

وأما فوت فلم يثبت بعد على وجه التحقيق الجد عند العلماء الاوروبوا وبين بهذا العهد
أنه أبو الامم والاقوام الساكنين على السواحل الشمالية من افريقية وان كان قد ذهب جماعة من
اعلمهم بهذه المادة ان اسم فوت هذا اذا أخذ على اعم اطلاقاته انما يدل على الاقوام الاندليين
الاولين (أى أهل جبال برقة وما والاها من قبائل البربر المغربيين) الذين نزل بهم فيما بعد بعض
قبائل من بنى يافث وتوطنوا معهم

وأما اسم كنعان فلا شك في أنه يشمل الفينيقيين (أى الصوريين) وكل من انتسب اليهم بأكد
القراية من القبائل الذين كانوا قبل ان ينزل عليهم العبرانيون متوطنين بالقطار المدعو باسم كنعان
(من سواحل الشام) أى فيما بين صيدا وغزة لغاية سدوم وجوهرورة (من قرى قوم لوط عليه
السلام) اعنى سائر البلاد المنحصرة فيما بين بحر سفيدي وبحيرة لوط وهى البلاد المسماة باسم يهودا
وفلسطين أو بلاد القدس الشريف

قال المؤرخ فرانسيس لوفورمان المذكور دوماً يظهر من قبيل الامور المحققة والظنون المصدقة ان بنى حام سكنوا في اول الامر الجزء الاكبر من بلاد آسية الغربية والجنوبية قبل ان يتوطن بهابنو سام حيث جاء هؤلاء فطردوهم منها وأزالوهم عنها بدليل ان النرد الذي هو من نسل حام حكم ولاية بابل واختط فيما المدينتين المسميتين باسم (أراش وشالانه) ببلاد سنهار أو شنغار وانه كان أول من أحدث دولة وأنشأ سلطنة في قديم الاعصار وقد كان في ذلك العهد من بنى حام أيضاً أول من سكن البلاد المحاطة بنهر جيحون مما يمتد لغاية نهر السند ولذلك سميت سلسلة الجبال السكائنة بتلك البلدان باسم هندكوش وبقي هذا الاسم يطلق عليها لغاية الآن وقد اتفقت كلمة جميع العلماء الاورو باويين في هذا الاوان على ان سواحل نهر الدجلة وبلاد فارس الجنوبية وجزءاً من ذات بلاد الهند (حيث يدعون القبائل الذين هم هنالك من أصل بنى حام لغاية الآن باسم الكوشيكاس) قد كانت كلها معمورة بأقوام من بنى كوش بن حام قبل ان ينزل بها عليهم أقوام من بنى سام ومن الآخرين الذين هم من بنى يافث وهنالك أدلة قوية تدل للظن بأن القوم المسمين باسم الكاريين الذين هم أول من توطن بجزء عظيم من بلاد آسية الصغرى أو أرمنية هم أيضاً من ولد حام ولقد تسلمت عائلة حام أيضاً على سواحل بلاد القرم وبلاد الجيمدر وزية (المسماة الآن باسم ميكران من بلاد فارس المسماة باسم ايران) وعلى طول البحر المحيط الهندي وجميع جنوب جزيرة العرب كما ذكرنا في غير هذا المكان

عائلة سام — قال المؤرخ المذكور في تاريخه الكبير أيضاً ما معناه ذكر بنص التوراة انه ولد لسام بعد الطوفان خمسة صبيان وهم كالمسطر أدناه

أولاً - ايلام (بكسر الهمزة في أوله)

ثانياً - اسور (بمد الهمزة في أوله)

ثالثاً - ارغششد (بالذال المهملة في آخره) ومن ولد ارغششد عابر وقحطان

رابعاً - لود (باللام والواو والذال المهملة في آخره)

خامساً - آرام (بمد الهمزة والراء المهملة والميم في آخره)

قال المؤرخ المذكور أعلاه ما معناه كان أول من ولد لسام بعد الطوفان حسب ما ورد في سفر الخليقة

من التوراة مع غاية الايضاح والبيان هو ولده المدعو بيلام وهو بالقوم المدعون بالابلاميين

الاقدمين الذين كانت مساكنهم ببلاد سوزيان (وهي المسماة ببلاد خوارزم الآن)

وأما اسور فهو الولد الثاني لسام وهو أصل القوم أولى الدولة القوية والصلوة الشديدة المعروفين باسم

الاسوريين أو السريانيين الذين كان لهم أعظم مدخلية في تاريخ بلاد آسية الجنوبية قال في

التوراة مانصه و اختط أسور كلا من مدينة بنوى وريزانه (مدينة رأس العين ببلاد الجزيرة) ومدينة كالاش ، ودل على ذلك ما تحقّق الآن عند علماء الافرنج المتأخرين من قراءة الكتابات الاثرية القديمة من أن اللغة التي كانت مستعملة في أقليم بابل وبلاد كلد (أي بلاد العراق القديمة) هي عين اللغة التي كانت يتكلم بها في مدينة بنوى وهي اللغة السريانية العتيقة وكان أكثر الالهالي بتلك البلاد من نسل أسور هذا وان كان أصل أساس الطوائف الالهية الاصلية فيها هم من بني حام بواسطة ولده كوش المذكور آنفا حيث كان أول تأسيس السلطنة فيها على يد العمود كما ذكرناه سالفا وخالفا وبذلك علم ان سكان تلك الاقطار في سالف الاعصار كانت مختلطة من بني سام وحام وغيرهما من أصول الانام

وأما أرفخشذ فهو ثالث أبناء سام ومعناه في اللغة السريانية متناخم كدة (العراق) ومن ثم علم انه كان أصل جميع الامم الذين كانوا بأضيقة رابطة النسب من تبطين وفي تلك الازمان بعد الطوفان بتلك الاقطار متوطنين ومنهم تناسل العرب والعبرانيون ويبان ذلك ما ذكره بالتوراة من ان من ولد ارفخشذ المذكور عابر الذي هو جد ابراهيم والملة العبرانية وقحطان الذي هو أبوقبائل العرب الجاهلية الأولى الذين اختلط بهم فيما بعد بنو اسماعيل وصار لهم الغلبة عليهم ويدل على ذلك أيضا ما سيأتى ذكره (في الباب الثالث) من ان ابراهيم عليه السلام في وقت بعثته كان متوطنا بين أظهر الكلدانيين

وأما لود فهو أصل أسلاف القوم الاقدمين المسمين بالليديين وبحسب الظن القوي قد كان هؤلاء القوم قداما في نول الامر على القرب من بلاد الآسورية والجزيرة ثم هاجروا بعد ذلك في سالف العصر وتوطنوا في النهاية الغربية من بلاد آسية الصغرى (وهي أرمنية) حيث دلت انظار علماء هذا العصر الاخير فيما بقى من اللغة الليدية ورواياتهم الالهية من الشئ اليسير على انهم من أصل النذرية السامية

وأما آرام فهو كما نصت عليه التوراة رابع أبناء سام وهو أصل نسل قدماء أهل الشام الذين كانوا متوطنين في الجهات السكاينة في ما بين بحر سفيد والفرات بل قد كان ايضا من الآراميين جماعة كثيرة في الجهة الغربية من بلاد الجزيرة ولذلك كان العبرانيون يسمونهون بلاد آرام الى عدة أقسام فيقولون

الاول آرام النهرين ويريدون بذلك ما كان يعبر عنه عند اليونان من الجهات يسيلاد الميزوبوتامية أي ما بين النهرين دجلة والفرات (وهي المعبر عنها عند علماء الاسلام بجزيرة بابل) أو بمطلق الجزيرة على الوجه العام

الثاني بلاد آرام الحقيقية ويعنون بذلك بلاد الشام الاصلية التي كان أقدم كراسيها وأعظمها من قديم الازمان هو دمشق الشام.

الدرس التام ٦٩ في التاريخ العام
الثالث آرام سبأ وهي القطر الذي فيه فيما بعد نشأ ملك مدينة بلير (وهي تدمر)

عائلة يافث — ذكر بسفر الخليفة من التوراة انه ولد ليا فث بن نوح عليه السلام بعد

الطوفان سبعة صديان وهم

أولاً جومير (بأمانة الميم على الياء المثناة من تحت والراء المهملة في آخره)

ثانياً مأجوج

ثالثاً ماداي (بياء مثناة تحتية مشددة في آخره)

رابعاً نو بال (بالتاء المثناة انفوقية في أوله)

خامساً مسوخ (بضم الميم في أوله وحاء معجمة في آخره)

سادساً تيراس (بكسر التاء المثناة الفوقية في أوله وسين مهملة في آخره)

سابعاً چاوان (وهو المعرب بيونان)

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان فاما جومير فهو أصل العشاائر القديمة والقبائل العتيقة التي كانت قد توطنت في غابر الأزمان حول بحر بنطس (بضم الباء الواحدة في أوله وسكون النون وضم الطاء المهملة وبالشين المعجمة في آخره) أو بحر بنتسكان وهو المسمى بالبحر الاسود الآن وفي شمال البحر حيث جزيرة الهيلينية (وهي بحيث جزيرة المورة ببلاد اليونان) وقد نسب لجومير هذا في التوراة ثلاثة أولاد وهم

أولاً اسكيناز (بفتح الهمزة في أوله والراء المعجمة في آخره) وهو أصل الاقوام المعروفين الآن من الاوروبايين باسم الجرمان أو الالمان أو الجرمانيين أو الالمانيين والاسكنديين أو الاسكانديناويين وكانوا حينذاك منضيين بالشمال الشرقي من بحر بنتسكان

ثانياً قديفات وهو أبو السلت والملتيم والغالة أو الغاليم (أي اسلاف أهل البلدة المعروفة باسم فرانجة الآن) وقد كانوا في أول الامر قبل أن يأتوا الى فرانسة متوطنين بالجبال المسماة في قديم الزمان باسم جبال الريفه وهي المعروفة الآن بجبال الكركبات (ببلاد اوروپه)

ثالثاً توجارمة وهو أبو الارمن كما علم ذلك من الروايات المأثورة والحكايات التي هي لغاية الآن بين هؤلاء القوم مذكوره

وأما مأجوج (قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في تاريخه الكبير السالف الذكر والبيان) فلا يزال مذكوراً في نصوص التوراة (كما هو كذلك في نص القرآن) معجوباً باسم مأجوج والذي يفهم من اشارات انبياء بني اسرائيل العديدة الى كثرة مفاسد هؤلاء الاقوام العنيدة هو انهم أقوام درخالة نزلة كانوا لما زلزلت ارضهم في الشمال الشرقي المجاور لبحر الخزر وقيل هم قريون مما يعبر عنه عند اليونانيين باسم الماسيجهيين ومما هم يوسف مؤرخ اليهود باسم السيتيين والظاهر من جميع

ما ذكر في الكتاب المقدس أن يأجوج ومأجوج عبارة عن جميع القبائل العديدين المعبر عنهم عند العلماء الأورباويين المتأخرين بالمرتبة التوراتية وهي تنقسم إلى نوعين كبيرين أحدهما الأوجريون الفنلنديون والثاني أيضا إلى فرعين آخرين أحدهما الفرع التركي وهم أهل بلاد تركستان وصغرى بلاد آسية الوسطانية (ومنهم نسل اترك بنى عثمان المستولين على مدينة القسطنطينية الآن) ومنهم كذلك القوم المعروفون بالبحر المقيون ببلاد اوروپة من مدية مدية من الدهر والثاني الفرع الأورالي الفنلندى وهو يشمل القوم المعروفين باسم الفنلنديين والاستونيين والايثوبيين وسائر القبائل المتوطنين بالمنطقة الشمالية من اوروپة وآسية بخلاف قبائل الفرع الثاني من الفرعين المذكورين آنفا وهم الدراويديون حيث كانت مواطنهم بالجهة الجنوبية فهم ما يتركب منهم الاهالى البلديون ببلاد هندستان وغيرهم من الاقوام الذين غلبت عليهم الاقوام الآريون واستولوا على ما كان لهم هناك من الاوطان

وأما توبال فهو أصل القوم المعبر عنهم عند اليونان باسم التيماريثيين ومن نسلهم القبائل المتوطنون لغاية الآن بأودية جيل قوه قاف

وأما مسوخ فهو أبوالقوم المعبر عنهم في تاريخ هيرودوت باسم المسوخيين الذين كانوا مقيمين بالأرض السكائية بين بلاد التيماريثيين المذكورين واقليم افرنجية (بلاد آسية الصغرى) وأما تيراس فهو أصل القوم المسمين عند اليونانيين باسم الاتراسيين (أى أهل اقليم تراسية القديمة وهو الجزء الشمالى الشرقى من الألبانسمية باسم الروملى الآن) ودليل ذلك ما ذكره بكتب مؤرخى اليونان من أن الاتراسيين كان أصلهم من بلاد آسية الصغرى ثم هاجروا في تاريخ لم يزل بعد مجهولا من اقليم بثنية (بكسر الباء الموحدة فى أوله) وهو الجزء الشمالى الغربى من الألبانسمية باسم الماضول الآن) وتعدوا بونغاز هيلسبون أو هيلسبونوس (وهو بونغاز الدردانيل المدعى الآن باسم بونغازشقي قلعه على لسان اترك بنى عثمان) وتوطنوا بالاقطار الكائنة على شمال اقليم مقدونية من بلاد اليونان

وأما جوان العرب بيونان فهو أبوالقوم اليونانيين المعبر عنهم الآن بالاجر يكيين أو الهيلينيين في بعض الاحيان وذلك انهم كانوا قد خرجوا من الاقطار الجنوبية من آسية الصغرى وامتدت أوطانهم على سواحل البحر المسمى في سالف الزمان باسم بحر ايجية (وهو ما يسمى الآن ببحر الارخبيل أو بحر جزائر اليونان وهو جزء من البحر داخل في الارض من أصل البحر الأبيض المتوسط أو بحر سفيد) وكذلك في الجزائر الكائنة في البحر المذكور ومن أبناء يونان أيضا سكان جزائر الارخبيل اليونانى وجزيرة كريداجريدو كذلك أهل اقليم الايبير (وهو القوم المعروفون الآن باسم الارنثوط) وأصل كثير من سكان بلاد باطالية الاقدمين، والحاصل ان العلماء الأورباويين المتأخرين اتفقت كلمتهم على وجه العموم لمصارع عندهم من

أقرر المعلوم على أن من بنى يافث بن نوح عليه السلام ببلاد أور و بة كلام اليونان والرومان
والجرمان أو الألمان والسلت والاسكندرية والاسلاويين وفي بلاد آسية الفرس وعلية الأقوام
المدعورين بالميديين والبكر بين والطيفة العليا من أهل بلاد الهند المجتمعين تحت اسم الآريين
هذا حاصل ما أوضحه المؤرخ فرانسيس لونورمان من التفصيل والبيان في تاريخه الكبير وإن كان قد
يستغنى عنه بما عر بساه أنف من تاريخه الصغير وهو بيان ما ذكره أهل النسب والتواريخ من مجل
قولهم أن جميع أهل الأرض بعد الطوفان هم من أولاد نوح الثلاثة وهم يافث وشم وحم فسام أبو
العرب والعجم والروم وحم أبو الحبشة والنج والنبوة و يافث أبو الترك والخزر والصقالبية
ويأجوج وماجوج وهو القول الصحيح كما قدمناه وذلك بواسطة ما توضع أعلاه من تعدد نسلهم فليعلم
ذلك وهو غاية ما هنالك

المسألة الخامسة

مطلب - تفصيل ما اجل في مسلف عن المؤرخ فرانسيس لونورمان من الكلام على
مراتب لغات نوع الانسان

قال في القاموس مانصه واللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم جمعها لغات ولغون ولغا
لغوا تكلم اه وفي المصباح « ونعى بالامر يلقى من باب تعب لمج بهو يقال اشتقاق اللغة من ذلك
حدفت اللام وعوض عنها الهاء وأصلها الغوة مثال غرفة وسمعت لغاتهم أى اختلاف كلامهم
اه وفي الصحاح « واللغة أصلها النعى أولغوا والهاء عوض وجمعها النعى مثل برذورى ولغات أيضا
وقال بعضهم سمعت لغاتهم بفتح التاء وشبهها بالتاء التى يعقف عليها بالهاء والنسبة اليها لغوى
ولا تقل لغوى اه صحاح

وحاصل ما يفهم من أقوال اللغويين المنقولة أعلاه فضلنا عن اختلافهم في أصل مأخذ لفظ اللغة
واشتقاقه ومبناه هو أن اللغة عبارة عن أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم في معاملاتهم
ومخاطباتهم ويعبر عنها أيضا بالهجة قال علماء اللغة الالهجة اللسان ويعبر عنها أيضا باللسان من
باب تسمية الشيء باسم آله الاصلية وهى اللغات الانسانية هى من الأوضاع الالهية أو البشرية هذه
مسألة خلافية مشهورة بين العلماء الأور واوربين والاسلاميين والأصح عند الأفرنج انها من الأوضاع
البشرية ناشئة عن القوى الادراكية الخصوصية والمزايا النطقية التى اودعها الله سبحانه وتعالى
في نوع الانسان دون سائر أنواع الحيوان وعلى كل حال من هذه الاحوال وبناء على كل قول من
تلك الأقوال فتارة يرجع أصل منشأ اللغات البشرية في مبادئ تلك الحقبة الدهرية هو امر لم يرزل بعد
من قبيل المنجهول اذ لم يستدل على حقيقة حاله بجمع قول ولا منقول كان حقيقة حال ذات الانسان
في مبادئ أمره لم يوقف عليها غاية الآن وغاية ما يصح أن يقال في هذا المجال كما هو

ملخص ما شرحه المؤرخ فرانسيس لونو رمان في تاريخه الكبير نقلا عن بعض علماء اشتقاق اللغات فيما يتعلق بهذا الامر في هذا العصر الاخير هو ان اللغات البشرية على العموم لا بد وانها مرت بثلاثة احوال دورية وان منها ما وقف عند بعضها ومنها ما مر بجميعها وهي الاولى الحالة المقطعية بمعنى ان اللغات الاقدمية كانت مركبة في الاصل من مقاطع للنظية أى تكلمات ساذجة بسيطة غير متصرفة ولا متغيرة الاخرى تنطق بها الصوت دفعة واحدة وكانت تلك الكلمات اسماء واقفالا في أن واحد بحيث تدل على معناها بقطع النظر عن كيفية استعمالها والذي يخصص المعنى المراد منها من الفعلية والاسمية انما هو كيفية انجذابها مع غيرها من الكلمات المستعملة في الجملة الكلامية وهذه هي حالة اغلب لغات المرتبة الالهية الصغرى المعبر عنها باللغات التورانية (أى التنارية ولغات أهل الصين القديمة والحديثة ولغات أهل الهند والصين على وجه العموم وغيرهم ومن هذا القبيل اصل اللغة التركية العثمانية وان كانت قد ترفت بالاخذ من اللغة العربية والفارسية على حسب ما صار اليه أهلها من الحالة المتعدنية)

الثانية الحالة الاختصاصية أى اللغات التى يضم فيها الى أصل بنيتها الكلمات الاصاحية حروف زوائد للدلالة على اختلاف الاحوال المرادة منها وهي وان كانت متصرفة متغيرة الاواخر أيضا كاللغات المتصرفة التاليفية لكنهم لم يبلغ من حسن الحال لما عليه لغات الحالة الانية بعد من درجة الكمال

الثالثة الحالة التصريفية أى اللغات ذوات التصريف بمعنى التى يعترى كلماتها من احوال التغيرات الاخرية والتصرفات الفعلية ما يدل على اختلاف أنواع الدلالات المتنوعة حسبما يقتضيه اختلاف انواع الاستعمالات المتفرعة من العددى الافراد والتثنية والجمع والجنس أى التذكير والتأنيث والزمن أى الماضى والحال والاستقبال وما ينزع عنه من احوال الغيبة والتكلم والخطاب وغير ذلك من الاحوال حسبما يقتضيه المقال وهذه هي حالة لغات بنى سام وبافت المعبر عنها باللغات السامية أو اللغات الاوروبية الهندية أو اللغات الآرية (أى لغات سكان بلاد الهند الاقدمين المعبرين بالاريا والاربيين) ومن ثم فهم ان مرتبة اللغات المتصرفة تنقسم الى طائفتين كبيرتين وفصيلين أصليتين احدهما اللغات السامية والثانية اللغات الاوروبية الهندية أو الآرية والى هاتين الطائفتين اللغويتين ترجع لغات جميع الامم المتعدنة الشهيرة والممل المتحضرة الكبيرة التى نذكر توارىخها فى ضمن قسم التواريخ القديم ولذلك ازمنا هنا ايها الاخوان ان نسردها لكم لتكون عندكم من المعلوم فنقول

أما اللغات السامية فهى ثمانية

الاولى اللغة العبرانية وهى التى كان يتكلم بها بنو اسرائيل والفنيقيون بيقين وسائر القبائل الكنعانيين

الثانية اللغة الآرامية وهي التي كان يتكلم بها في سالف الزمن ببلاد سورية (بلاد الشام) وهي تنقسم الى عدة فروع وأقسام احدها ما يعرف باللغة الآرامية التوراتية وهي التي تألف بها بعض أسفار التوراة في القرن السادس قبل ميلاد المسيح عليه السلام الثاني الآرامية الترجمة وهي التي كتب بها ترجمة التوراة أي تفاسيرها التي تحررت في أوائل التاريخ المسيحي الثالث اللغة السورية الكلدانية وهي اللغة العامية التي كان يتكلم بها اليهود ببلاد فلسطين بعد فساد لغتهم العبرانية في وقت ظهور عيسى عليه السلام وكتب بها تأليفات احبارهم المسماة باسم التلمود (بالشاء المثلثة في أوله) الرابع اللغة النبطية وهي لغة قدماء سكان الشمال الغربي من جزيرة العرب الخامسة اللغة السامرية (نسبة الى الارض المسماة باسم سامرية ببلاد فلسطين) وهي اللغة التي حدثت على الارض المسكونة باحد الاسباط أي قبائل بني اسرائيل القديمة المدعو بسبط افرايم بعد ان افتتحها الاسوريون ثم بقيت بصفة اللغة الادبية عند القوم المعروفين من اليهود بالسامريين وهم معزلة الديانة اليهودية

الثالثة اللغة السبئية (نسبة الى سبأ) وهي اللغة المستعملة لغاية الآن عند القوم المدعوين بالمنديين المتوطنين في جنوب حوض الفرات وهم قوم وثنيون يتدينون بمذهب ديني مخصوص متكون من بقايا جاهلية الاسوريين والفرس الاقدمين

الرابعة اللغة السورية وهي اللغة التي كان يكتب بها في كل من بلاد اديس (وهي أورفة) ونصيبين أو نصيب (وهي انطاكية) من بلاد الجزيرة في القرن الثاني لغاية القرن السادس من تاريخ المسيح

الخامسة اللغة الاسورية أو السريانية وهي التي كان يتكلم بها أهل مدينتي بابل ونيوى وبها عثر الآن على بعض كتاباتهم المأثورة من قديم الزمان السادسة اللغة الحيرية وهي لغة أهل جنوب جزيرة العرب في سالف المدة العصرية ولا يوجد منها الآن غير بعض كتابات أثرية

السابعة اللغة الغيزية (بالعين المعجمة في أوله) وهي لغة بلاد الحبشة القديمة وقد كانت موجودة في تلك البلاد الافريقية حتى بعد ان تمكن بهاديين النصرانية أعني في القرن الثالث من تاريخ المدة الميلادية

الثامنة اللغة العربية وهي التي يتكلم بها لغاية الآن دون جميع اللغات السامية التي كانت مستعملة في سالف الزمان وتفرع الى بعض لغيات يسيرة لا يختلف بعضها عن بعض مخالفة كبيرة وهذه اللغة وان كانت في سالف الزمان لم تكن الا لغة بني اسماعيل أو معدلة كمنها قد انتشرت

فيمابعد بانتشار القرآن فى كثير من البلدان بهذا الزمن من عند أقليم بابل لغاية مراکش ومن عند بلاد سورية لغاية بلاد اليمن

فهذه هى جملة اللغات المعبر عنها بالسامية وهناك طائفة لغوية أخرى من اللغات الحامية تشاركها فيما لها من الهيئة والمزية يعبر عنها باللغات النيلية لتكون معظمها ولا سيما أهمها وأعظمها وهى اللغة المصرية القديمة كان يتكلم بها من أبناء حام الاقوام المتوطنون بوادى النيل وأعظم اللغات التى هى من هذا القبيل هى

أولا - اللغة المصرية القديمة المعبر عنها بالقبطية أو بالهيروغليفية وهى أقدم اللغات التى بقيت لسانها كتابات أثرية وكانت قد بقيت يتكلم بها لغاية القرن السابع عشر من المدة المسيحية ثم غلبت عليها اللغة العربية فانعدمت بالكىة ولم يبق لها أثر الا فى صورة الادعية والصلوات التعبدية المستعملة عند قسس الطائفة النصرانية المصرية المعروفة بالقبطية

ثانيا - لغة القوم المعروفين باسم الحلى (بفتح الجسيم المججمة واللام المشددة المفتوحة) ببلاد الحبشة وما ألحق بها من سائر اللهجات المتنوعة التى يتكلم بها الطوائف السودانية المتوطنة فيما بين النيل الابيض (المعبر عنه بالبحر الابيض) والبحر الاحمر واسان أهل جزيرة مدغشقر ولغات بلاد النوبة وكردفان وهى كثيرة لا حاجة لحصرها غير ان لا بأس بأن يقال ان منها اللغة المسماة بالبشاريه التى لم يزل يتكلم بها القوم المسمون بهذا الاسم والظاهر انها بقايا اللغة التى كان قد كتب بها الكتابات الهيروغليفية المأثورة عن الدولة الايتوبية بمدينة ميرويه القديمة (التي كانت موجودة فى سالف الزمان ببلاد السودان وهى بامالة فقهة الميم على ياء مشددة تحتية يليها اراء مهملة مضومة ثم واو مفتوحة بعد ياء مشددة تحتية ساكنة فهاء ساكنة أيضا كآخر نحو سيمويه) وكذلك لغات أمم البربر (ببلاد المغرب) وهى بقايا اللغة الليبية القديمة ولم يزل يتكلم بها القبائل المتوطنة فى جهة الشمال والشمال الغربى من أفريقيا كاللغة المعروفة بلغة القبائل ببلاد الجزائر المغربية ولغة الطوارق وغير ذلك مما يطول شرحه

فهذه هى طائفة اللغات الحامية النيلية وهى وان كانت مرتبة لغوية خصوصية تقابل مرتبة بنى حام فى جملة ما سلف ايضاحه من مراتب الانسال النوحية فغير انه استقر الحال عند علماء اشتقاق اللغات من الافرنج المتأخرين على ان يبينوا بين لغات بنى سام من العلائق القرابية والروابط النسبية ما يقتضى ان تعد منها وان كانت هى مرتبة من اللغات منفردة عنها أو كأن لغات بنى سام وحام كانت فى الاصل واحدة كما قال به بعضهم وذهب اليه وتقدم فى موضعه التنبية عليه

وأما اللغات الياقثية المعبر عنها ايضا بالهندية الاور وباوية أو اللغات الآرية فهى كثيرة جدا لانكاد تنحصر عددا ولا كتب امرتبه على ست مراتب فرعية

الاولى - اللغات الهندية وأصلها اللغة المعروفة باسم السنسكريت أى اللغة الهلمية وهى اللغة المقدسة بمعنى المطهرة المجترمة عند أهل الهند حيث يوجد بها كتباً ذات أصول ديانة أرباب المذهب المعروفين بالبراهميين وتدوين علومهم وهى لغة عتيقة كان يتكلم بها فى بلاد الهند مدة أكثر من عشرين قرناً بقيت عندهم فيما بعد بصفة لغة أدبية وتولد منها اللغة المسماة بالبيالية التى كان يتكلم بها فى سالف الزمان بشرقى ولاية هندستان ثم صارت هى اللغة العلمية لأرباب المذهب المعروفين باسم البوديين فى جزيرة سيلان والمادورة والهند الصينية وسلطنة برمان (بكسر الباء الموحدة فى أوله) وكذلك لغيات بلاد الهند العامية التى كان يتكلم بها فى تلك البلاد فيما قبل الميلاد ثم الالسنه المتنوعة المتفرعة عنه فيما بعد وهى الهندى والهندستانى والبنغالى والجورزاقى والمهراتى والنيبالى وغير ذلك

الثانية - اللغات الإيرانية وأصلها اللغة المسماة بالزندية وهى أصل اللغة الفارسية ومن هذه المرتبة أيضاً من اللغات التى يتكلم بها الغاية الآن اللغة الأفغانستانية والبيلووشية والكردية والارمنية وغير ذلك

الثالثة - اللغات اليونانية اللاطينية المعماة أيضاً بالبيلاجية فأما اليونانية فهى معلومة وأما اللاطينية فهى لغة أهل بلاد إيطاليا القديمة ومن ثم انتشرت فى مدة القرون المتوسطة جميع اللغات الافريقية المستعملة الآن فى بلاد أوروبا الجنوبية كالإيطالية والفرنسية والبرونسية والاسبانية والبرتغالية ولغة بلاد الجريزون (من جمهوية أسونيجره بلاد الأوروبية) ولغة ولابى الافلاق والبغدان المسماة الآن باللغة الرومية

الرابعة - اللغات اللتيقية الاسلاوية ومن هذه المرتبة اللغوية اللغة الليتانية والبروسمانية والاسلاوية وهى المستعملة فى صور الادعية والصلوات التعبدية بكائنات بلاد الروسية والبلغارية والروسية والصربية والمجارية والنيكمية والبوهمية وغير ذلك

الخامسة - اللغات الجرمانية والالمانية وهى على فرعين أحدهما الجوتى أو الغوتى (بالجيم أو بالغين المحجمة) واليه ترجع اللغة الاسكندنافية القديمة المسماة بالنورسية وهى أصل اللغة الدانيمركية والاسويجية وكذلك اللغة السكسونية التى هى أصل الانجليزية واللغة الالمانية السفلى التى هى أصل الفلنكية والثانى الفرع الالمانى الاصلى واليه ترجع اللغة الالمانية العليا والسوايبية والنساوية والفرانكونية

السادسة - اللغات السلتية وهى أيضاً على فرعين أحدهما الأبريطانية والثانى الغيلية والى كل منهما يرجع بعض لغات فرعية لم يزل يتكلم بها لغاية الآن فى بعض الجزائر الأبريطانية (جزائر بلاد الانجليز) وبعض الاقاليم الفرنسية (اه هذا المطلب) والذى قبله معربا من تاريخ فرانسيس لورمان الكبير

المسألة السادسة

مطلب - ابن كانت جنة عدن التي كان قد وضع فيها أبونا آدم في أول الامر ثم اخرج منها وهل كانت في السماء أم في الارض وماذا كان صنف نوع الشجرة التي كان الله سبحانه قد نها عنها هذه مسألة لم تحل بعد لغاية هذا العهد عند العلماء الاورباويين ولا عند العلماء الاسلاميين أما الشق الاول منها فهذا هو تعريه بما ذكره فيه المؤرخ فرانسيس لونورمان عند الكلام عليه في تاريخه الكبير كما هو بعدمستطور قال المؤرخ المذکور وكان مسألة تعيين تاريخ معين لاولية خلق الانسان هو مما لا حاجة اليه ولا سند قوي يشهد له ولا عليه فكذلك يقال في حق من تتعلق منه الآمال بتعيين المكان الذي قد كان فيه أول مهد لنوع الانسان ولا ين كان موضع جنة عدن من الجهات على حسب ما يفهمهم من التوراة حيث لم يرد فيها دليل قطعي في هذا الموضوع ولكون اهل المفسرين لها رأي كثيرهم تعلقوا بالاعتقاد فيها توفيقا في هذا المشروع فوجب علينا أن نتقدم بهم في ذلك ونقتصر على ما اشتهر من القول العام فيما هنالك وهو القول بان بلاد آسية هي التي كانت أول مكان لأول عائلة من نوع الانسان وأول مهد لكل تمدن وعمران اه كلامه وهو الصواب وان كان أكثر المتكلمين من العلماء الاورباويين على ان جنة عدن كانت بالارض فيما بين دجلة والفرات وكثيرا ما يعبرون عنها بالجنة الارضية ومن المعلوم ان معنى الجنة البستان وكون جنة عدن بالارض هو ما ينجح اليه أكثر من علماء الاسلام وان كانوا توقفوا في هذه المسئلة أيضا عند تفسير ما ورد فيها من الذكر في القرآن قال المولى أبو السعود رحمه الله عند تفسير قوله تعالى «وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلامنا حيث شئتم ارعدوا ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين» ما نصه

« والمراد بها (أي بالجنة) دار الثواب لانها المعهودة وقيل هي جنة بأرض فلسطين أو بين فارس وكرمان خلقها الله تعالى امتحانا لآدم عليه السلام وحمل الاهباط على النقل منها الى أرض الهند كما في قوله تعالى «اهبطوا مصرا» لما ان خلقه عليه السلام كان في الارض بلا خلاف ولم يذكر في هذه القصة رفعه الى السماء ولو وقع ذلك لكان أولى بالذكر والتذكير لما أنه من اعظم النعم ولانها لو كانت دار الخلد لما دخلها ابليس وقيل انها كانت في السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم أن الاهباط الاول كان منها الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وقيل الكل ممكن والادلة العقلية متعارضة فوجب التوقف وترك القطع اه

وأما الشق الثاني اعني تعيين نوع الشجرة لما كوله منها فهو أيضا ما كثرت فيه الاقوال قال المولى أبو السعود رحمه الله في تفسير الآية الشريفة المذكورة اعلاه والمراد بها (أي بالشجرة) الجنة أو العتبة أو التينة وقيل هي شجرة من أكل منها احدث والاولى عدم تعيينها من غير قاطع اه والله سبحانه وتعالى اعلم بحقيقة الحال

المسألة السابعة

مطلب - أصل منشأ الممالك القديمة فى وادى النيل والفرات والدجلة (معرى بن مختصر التاريخ القديم تأليف ويكتور دوروى) قال مؤلف الاصل ما معناه ان ما ذكر اعلاه فيما يتعلق باولية الدنيا هو ما اقتصر فى سفر الخليفة من التوراة ونص فيها أيضا على أن النمرود قد كان أول رئيس تقلد سياسة الامم والممل غير أن سفر الخليفة من التوراة لم يتعرض فيه لبيان تأسيس اقدم الدول فيما سلف من تلك الاعصر الاول ولم يصل علم العلماء بعد من الاستكشافات التى حصلت فى هذا الوقت لما يسد فراغ ما حصل عليه منها الصمت وغاية ما يمكن أن يقال فى هذا المجال هو انه يظهر كون الناس قد اجتمعوا من أول الامر على هيئة الاجتماع والائتلاف والتعاون بعضهم ببعض على ظهر الارض وانهم توطنوا فى سالف العصر على شواطئ الانهار الكبيرة التى اخصبت مياها تلك الاقطار الشهيرة من الديار المصرية وبلاد الآسورية (بلاد العراق) حيث كانت طرق المعاش فى تلك السهول سهلة الحصول لكون الاقوات الضرورية فيها تكاد ان تخرج منها بمجرد القوة الطبيعية (أى من غير معالجة صناعية) (قال مؤلف الاصل) ولكن متى كان أول اجتماع الناس على هيئة الجمعية البشرية وباهل ترى من كان رؤساءهم الاولين وزعماءهم السابقين وكيف كانت احوالهم وماذا كانت افعالهم لاندري ولا تخال ندري بل لانزال نجهل حقيقة هذا الامر الى آخر الدهر (امعربى بن مختصر التاريخ القديم للتورخ ويكتور دوروى)



مسائل

تتضمن على وجه الاختصار ما تقدم في هذا الباب الاول من الفوائد والافكار

مسألة عمر الدنيا

معلومات أولية وتقسيمات أصلية

- ١ - ما المراد بالقرن لغة واصطلاحاً
- ٢ - ما المراد بالسنة أو العام والشهر والاسبوع واليوم والساعة والدقيقة والثانية والثالثة الزمنية
- ٣ - ما المراد بالشهر القمري أو الشمسي
- ٤ - ما المراد بالسنة القمرية أو الشمسية وما المراد بالسنة البسيطة والكبيسة وما عدد أيام كل واحدة منها
- ٥ - ما الفرق بين عدد أيام السنة القمرية والشمسية البسيطة والكبيسة وماذا ينبغي على ذلك
- ٦ - ما السنة القبطية وما الفرق بينها وبين السنة الشمسية المعتادة
- ٧ - ما المراد بالقرن القمري أو الشمسي
- ٨ - ما معنى العصر والنهر
- ٩ - ماها التاريخان اللذان يحتاج اليهما في تعليم علم التاريخ العام هنامن تواريخ الامم المختلفة
- ١٠ - ما المراد بالتاريخ المسيحي أو الميلادي وما مبدأه
- ١١ - ما المراد بالتاريخ الهجري وما مبدأه
- ١٢ - ما قدر الفرق بين التاريخ الميلادي والهجري
- ١٣ - ما المراد بمسألة عمر الدنيا وهل هي مسألة اتفاقية أم خلافية
- ١٤ - ماها القولان الاقرب للصحة من جملة الاقوال العديدة التي تشعب اليها الخلاف في هذا المجال وما أصل تشعب هذا الخلاف
- ١٥ - ما الذي ينهضه الذوق السليم ويقضى به العقل المستقيم فيما يدعيه بعض الامم من الاسبقية في القدم وماذا يصح التثبت به في تحقيق هذه المسألة التاريخية
- ١٦ - ما هو القول الذي يلزم اتخاذه مبدأاً تاريخياً ومنشأً زمنياً للمشى عليه هنا طريقة تحويل التاريخ الميلادي الى الهجري
- ١٧ - ما هي القاعدة العمومية في تحويل التاريخ الميلادي الى الهجري وما كيفية توضيحها بالامثلة العملية

تقسمات خاصه بالتاريخ القديم

- ١٨ - كيف قسم المؤرخون الاوروبون التاريخ القديم بالخصوص من حيث السقاة وعدمها
 - ١٩ - ما المراد بالاعصار الاولى
 - ٢٠ - ما المراد بالاعصار الخرافية والى كم قسم تنقسم
 - ٢١ - ما المراد بالاعصار الوثنية والبطانية والنبوية والشعرية
 - ٢٢ - ما المراد بالاعصار التاريخية والى كم قسم تنقسم وما المراد بالمدة التشرعية
- ملحوظات عامة

تعلق بالتاريخ القديم على وجه العموم

- ٢٣ - الملاحظة الاولى — ماذا يلحظ فيما يتعلق بتاريخ اليونان والرومانين في جملة التاريخ القديم على وجه العموم من حيث كونه منتظما أو غير منتظم وما هو القول المردى في هذا المعنى عن المؤرخ ويكتوردوروى
- ٢٤ - الملاحظة الثانية — ماذا يلحظ من حيث الانتظام وعدم الانتظام في شأن تواريخ باقى الامم القدام وماذا قال المؤرخ ويكتوردوروى في هذا المقام
- ٢٥ - الملاحظة الثالثة — ماذا يلحظ في شأن تاريخ جميع الامم المذكورين فيما بعده عنده ما لتاريخ القديم على وجه العموم حسبما نراه للمؤرخ ويكتوردوروى وماذابنى على ذلك لتاريخ القديم من التقسيم
- ٢٦ - يقتضى التوضيح والبيان للطريقة التاريخية الجديدة التى مشى عليها المؤرخ فرانسيس لونورسان وماذابنى عليه طريقة هذه من أقوى الاساس والبنان
- ٢٧ - وحينئذ فما هما الطريقتان التاريخيتان المستعملتان عند متأخرى علماء الافرنج الآن وما أساس كل واحدة منهما وما أصولهما
- ٢٨ - ما درجة قوة الاعتماد التى يعتمد عليها وما كيفية الاستناد التى يستند إليها في تعليم علم التاريخ العام بهذا الدرس الثام
- ٢٩ - ما عدد الأبواب التى يفحص فيها الكلام على قسم التاريخ القديم على مقتضى هذا الوجه من الاستناد القويم

الباب الاول

أفكار تقديمه وفوائده عموميه

- ٣٠ - ماهى المدة التى ينحصر فيها بالباب الاول الكلام وكيف يجرى عليها الانقسام على حسب ما يؤخذ من كلام بعض علماء الازمان الاورپايرين وما مقدار تلك المدة على حسب قول بعض المؤرخين الاسلاميين وما حال أقوال علماء التاريخ في توقيت الحوادث بتلك الاهصار التاريخية على وجه عام

الفصل الاول

- ٣١ - ما مقدار المدة التى يتكلم عليها فى الفصل الاول من الباب الاول وما مبدأها وغايتها من أصل جملة عمر الزمان
- ٣٢ - ما أصل ما أخذ تاريخ أوائل الانسان وهل يمكن الوقوف على حقيقة أحوال أولية الدنيا قبل الطوفان و بعد الطوفان
- ٣٣ - ما كيفية ترتيب خلق المخلوقات حسب ما ذكر فى التوراة وما الحالة الاولى التى كان الله سبحانه وتعالى خلق عليها الانسان ثم ماذا وقع منه بعد ذلك وماذا ترتب على ما حصل منه من العصيان
- ٣٤ - من هما ولدا آدم الاولان وماذا كانت حرفة كل واحد منهما وما أول خطيئة قتل نفس وقعت فى الدنيا وماذا ترتب على هذا البغي والعدوان
- ٣٥ - ما أول مدينة أنشئت فى الدنيا
- ٣٦ - كيف كان الله سبحانه وتعالى قد خلق نوع الانسان من حيث الهبات اللدنية العقلية والبدنية وأى عائلتى ولدى آدم الاولين ينتسب اليها اختراع الفنون الصناعية
- ٣٧ - من ولد أنوش بن قابيل ومن هم ولدا له وماهى الخاصية التى ذكر بها كل واحد منهم فى التوراة
- ٣٨ - من هو ولد آدم الذى بقيت فى عقبه فضيلة حفظ الروايات الدينية المأثورة عن النبوة الاولى والى من انتقلت هذه الفضيلة بعد الطوفان
- ٣٩ - من هم أبناء شيث بن آدم وماذا ذكر فى التوراة لمنوخ أو ادريس بن شيث من خواص الصفات
- ٤٠ - من هم ولد حنوخ وماذا ذكر فى التوراة لكل واحد منهم من خواص الصفات وما عمود النسب من آدم الى نوح عليهما السلام

- ٤١ - هل ما ذكره نقلا عن التوراة من تناسل بنى آدم لغاية نوح عليهما السلام هو موافق لما تناقلته أقلام الرواة من مؤرخى الاسلام أم كيف الحال فى هذا المقام
- ٤٢ - ماذا دلت عليه الاستكشافات العلمية الجيولوجية الأخيرة فيما يتعلق بأصل وجود نوع البشر وكيفية مبادئه فى أول الامر
- ٤٣ - كيف كانت درجة الهواء الجوية من الكرة الأرضية فى تلك الاحصار الاولى وماذا ينبئ على ذلك من حيث ما قضى الله به من العقوبة على بنى آدم فى تطير الخطيئة الابوية
- ٤٤ - كيف كانت حالة الناس قبل الطوفان من حيث مادة التمدن والعمران وماذا ثبت بدليل الاستكشافات الجيولوجية من حيث انتشار نوع الانسان على سائر البلدان من الكرة الأرضية بالنسبة لما هى عليه الآن واين كان أول مهد لنوع الانسان وماذا كانت قد بلغت اليه غاية درجة التمدن والعمار فى تلك الاعصار
- ٤٥ - ما زبدة قصة الطوفان على حسب ما ورد فى نص التوراة من الايضاح والبيان وهل لذكرى هذه الحادثة العظيمة آثار فى ضمن الروايات الالهية المتداولة عند بعض الامم القديمة غير العبرانيين وما قول العلماء الجيولوجيين فى شأن هذه المسألة الجسيمة
- ٤٦ - فى أى مكان كان الجبل الذى وقعت عليه سفينة نوح عليه السلام وما كيفية تحقيق هذا المقام
- ٤٧ - كيف عرف نوح عليه السلام ان المياه قد تقشعت عن الارض وماذا فعل من العبادات والاعمال بعد النجاة حسب ما ورد فى التوراة وكم عمر نوح بعد الطوفان وما حلة عمره من الزمان

الفصل الثانى

- ٤٨ - ما مقدار المدة التى يتكلم عليها فى الفصل الثانى من تاريخ الانسان بعد الطوفان على مقتضى بعض الاقوال التى قيلت فى هذا الشأن
- ٤٩ - هل كانت مدة اعمار بنى آدم بعد الطوفان كما كانت قبل الطوفان وماذا آلت اليه بالنسبة للاعمار البشرية المعتادة الآن وهل هذه القاعدة كانت كلية ام لبعض احوال استثنائية
- ٥٠ - ما قصة حادثة تفرق الامم بعد الطوفان الى سائر البلدان وما اسم المكان الذى كان قد اجتمع فيه بنو نوح عليه السلام من بلاد آسية بعد الطوفان واين كان ذلك المكان وما منشأ تنوع مراتب اللغات والانسال الثلاثة البشرية التى تعمرت بهم الارض بعد الطوفان

- ٥١ - ما كيفية توزيع ذراري نوح عليه السلام في أقطار الأرض المعمورة على وجه عام
- ٥٢ - في زمن أي ولد من بني سام كانت حادثة تبلبل اللسان وتفرق الأمم في سائر البلدان على حسب ما ذكره المؤرخ فرانسيس لونورمان وما القول الذي يقابله من أقوال علماء الإسلام
- ٥٣ - هل في نصوص التوراة ما يمنع من الظن بأن بعض عشائر من بني نوح كانوا قد هاجروا من مركز مجموعهم قبل حادثة تفرق أكثرهم وما دليل ذلك
- ٥٤ - من كان أول المهاجرين من بني نوح عليه السلام عن مركز الاجتهاد مع الأصلى وما كيفية سير بني حام في عمارة الأرض بعد الطوفان وأي بني نوح دعا عليه أبوه وماذا ترتب على ذلك الدعوة من المترتبات حسب ما ورد في التوراة
- ٥٥ - من كان ثاني المهاجرين من بني نوح عن مركز الاجتهاد مع الأصلى وما كيفية سير بني سام في عمارة الأرض بعد الطوفان ومن هم الملل المتناسلون منه
- ٥٦ - من كان آخر المهاجرين من بني نوح عليه السلام عن مركز الاجتهاد مع الأصلى وما معنى لفظ يافث في اللغة السريانية القديمة وماذا معنى بذلك وما الداعي لعدم ذكر شعوب بني يافث في التوراة وماذا توصل علماء الأفرنج المتأخرون لارجاعهم إلى ذلك النسل الأولى
- ٥٧ - ما هنر بني يافث على النسلين الآخرين وما أصل ذلك حسب ما ورد في نص التوراة
- ٥٨ - ما صراحت اللغات البشرية الأصلية وما هي الأدلة التي توصل بها علماء الأفرنج المتأخرون لترتيبها وما حاصل ما تحقق عندهم في هذه المسألة العلمية
- ٥٩ - ماذا ثبت عند علماء الأفرنج المتأخرين في شأن اللغة القبطية القديمة بالخصوص

تتممة

المسألة الأولى

- ٦٠ - ما حاصل ما ذكر في شأن عمارة الأرض ببني نوح عليه السلام بعد الطوفان وما الدليل العقلي على هذا الإثبات فضلا عن الدليل النقلى الذى يؤخذ من صريح التوراة
- ٦١ - ماذا كان يظن أولا في شأن لغة المصربين القديمة وماذا تحقق عند علماء الأفرنج المتأخرين في هذا الخصوص وما كيفية التوفيق بين هذا القول وما سبق عن المؤرخ فرانسيس لونورمان من النقل فى النصوص
- ٦٢ - ما الذى استقر عليه الحال في كيفية عمارة الأرض من بني نوح عليه السلام بعد الطوفان

المسألة الثانية

- ٦٣ - ما كيمية ترتيب سكان الكرة الأرضية على ثلاث مراتب أصلية وما حثية تباينها
- ٦٤ - ماهي المرتبة الاولى وما المراد بها وما الداعي لتسميتها بالقوقازية وما مكانها من الكرة الأرضية وما الصفات الأصلية التي تتميز بها هذه المرتبة الإلهية من الصفات الحسية والمعنوية
- ٦٥ - ماهي المرتبة الثانية وما المراد بها وماذا سميت بالمعنية وما مكانها من الكرة الأرضية وما الصفات التي تتميز بها هذه المرتبة الإلهية من الصفات الحسية والمعنوية
- ٦٦ - من أقصر سكان الأرض المعمورة ومن أي مرتبة أهلية هم من هذه المراتب المذكورة
- ٦٧ - ماهي المرتبة الثالثة وما مكانها من الكرة الأرضية وما الصفات الأصلية التي تتميز بها هذه المرتبة الإلهية من الصفات الحسية والمعنوية وما درجتها من حيث التمدن والفهم بالنسبة للمرتبتين السالفتين
- ٦٨ - ما الفرق بين المراتب الإلهية الأصلية والثانوية
- ٦٩ - ما أشهر المراتب الإلهية الثانوية وما هي الصفات التي تتميز بها عن المراتب الإلهية الأصلية
- ٧٠ - من أطول سكان الأرض المعمورة وما المرتبة الثانوية التي هم منها
- ٧١ - ماذا ثبت عند علماء الأفرنج المتأخرين في شأن تمدن أهل امريقة الأصليين في سالف الزمان وما حقيقة حالهم الآن

المسألة الثالثة

- ٧٢ - هل جميع سكان الأرض من نوع الإنسان هم من أصل نسل واحد ونوع متحد كسائر أنواع جنس الحيوان ام كيف الحال يقتضى توضيح ما قيل في هذه المسألة من الاقوال وما الحق به كل صاحب مذهب لمذهبه من وجوه الاستدلال وما القول الاصح والمذهب الارجح من هذه الاقوال

المسألة الرابعة

- ٧٣ - بيان تماثل ابتداء نوح عليه السلام - من هم اولاد حام وسام ويافت ومن هم الامم والاقوام المتفرعة عن ذرية كل واحد منهم

المسألة الخامسة

٧٤ - بيان مراتب اللغات البشرية - ما المراد بال لغة وما هي اللفاظ المرادفة لها وما هي الاحوال الدورية التي يقتضى ان اللغات البشرية قد مرت بها على تمادى الاعصار وما مرتبة اللغات السامية وكم هي وما هي والحامية والياقنية وما مراتبها والفرع المتفرعة عنها

المسألة السادسة

٧٥ - اين كانت جنة عدن التي كان قد وضع فيها آدم في أول الامر وهل كانت في السماء ام في الارض وما معنى الجنة وما نوع الشجرة التي أكل منها وماذا قال علماء الافرنج والاسلام في هذا المقام

المسألة السابعة

٧٦ - ماذا قيل في شأن منشأ الممالك القديمة بعد الطوفان وما قدم الممالك في سالف الزمان



الباب الثاني في تاريخ المصريين والفراعنة المتقدمين

اعنى تاريخ الديار المصرية والنيل وما يعتريه من الاحوال السنوية واخبار دول الفراعنة السالفين في الاعصار الغابرة من اول عهد تأسيس الدولة الفرعونية في الديار المصرية لغاية افتتاحها بالدولة الفارسية

وأصل ما آخذ هذا الباب الاصلية هو

اولا من كتب التواريخ الماثورة عن مؤرخى السلف من اليونان والروم وغيرهم
ثانيا من مجاميع النصوص الاصلية وذات الكتابات الاثرية الاولية التي حصل العثور عليها
في نواويس قدماء المصر بين وقبورهم واطلال عماراتهم وقصورهم وغير ذلك
ثالثا من تأليفات متأخرى العلماء الاورواو بين واهل الخبرة بأحوال المصر بين المسلمين
بالايجيبتية ولوجيين وسياحات السياحين من الافرنج العصر بين

افكار تقديمه وفوائده عموميه

نشرت عادة المؤرخين النور و باو بين بأنهم يتبدون من الامم المذكورين في قسم التواريخ القديمة بتاريخ العبرانيين وكثيرا ما يفر دونه بالتأليف ويعلمونه لاطعاهم في المدارس الابتدائية باسم التاريخ المقدس أى المظهر الشريف وأكثرهم على الابتداء من ذلك بتاريخ قدماء المصريين والفراعنة المتقدمين وهى طريقة الجمهور ومذهب الجمل التغيير وقد استصوبنا المشى على هذا المسلك الاخير ليكون هذا البلد العظيم هو بلدنا وهذا الوطن الكريم هو وطننا واول ما يقتضى للانسان أن يتخلى به من انواع العرفان هو ان يعرف تاريخ وطنه ويقف على حقيقة التغيرات التى اعترت هيئة تمدنه واذا كان هؤلاء الاقوام من الافرنج الذين هم بديننا كفار وليسوا المصرنا من العمر يضربون آباط آلات البخار ويوفدون لسرعة سيرها فى البرور والبحار

ذخائر الفهم الجري من شديد وقود النار و يهرعون من أقصى بلادهم لمشاهدة ما في على
 من الاعصار لاوطانها هذه من بعض الآثار و يسارعون للوقوف منها على حقائق التواريخ
 والاخبار و يذولون نفائس أنفسهم وأموالهم و يصرفون اهزأوقاتهم وأحوالهم في السفر لمعاينة مثل
 الاهرام وهي اقرب اليان من يدنا الى فينا وقائمة برأسها الى عنان السماء فينا وما من من تتعلق
 رغبته بمعانيها وتشوق علقته لمشاهدتها حتى ان من جملة علمائهم وزمرة فلاسفتهم وحكماءهم
 طائفة من أهل العلم عندهم مخصوصين يعتنون بعرفة أحوال ديار مصر بالخصوص ويخون
 بطائفة ما يتعلق به من الآثار والنصوص يقال لهم الايجيبتيمولوجيون يعني أهل العلم والخبرة
 بأحوال مصر في سالف العصر افلسنا اولى منهم بالعناية بمثل هذا الامر وهل لا يقتضى أن يكون
 صاحب الدار اذرى بما فيها وأولى بعرفة حقائق ظواهرها وخوافيها ورحم الله عصرنا بمصر
 مضى ودهرا انقضى وانقضى كان فيه مثل الشيخ عبد اللطيف البغدادي العقيه اللغوي الطيب
 نزيل مصر رحمه الله وأكرم في أعلى عليين من الجنان مثواه يذهب بنفسه ويتسلق اعلى
 الاهرام بجلالة قدره ويقيس ما عليه بناؤها من الابعاد والمقادير وينظر في حقيقة احوالها ونظر
 العالم البصير ويرجع الى خلوته فيكتب مثل رحلته المسماة (بالاقادة والاعتبار في الامور
 المشاهدة والحوادث العانية بأرض مصر) واقدس رحب بناسخ الفكر الى ما آل اليه الخصال
 من حيث العناية بالعلم في هذا العصر ولا حول ولا قوة الا بالله واليه يرجع كل امر فانه كف عنان
 القلم ولا تقطع بعناية الدولة الخديوية اعزها الله من اصلاح الاحوال في الحال والاستقبال حبل
 العثم ونرجع لما نحن بصده من تاريخ ديار مصر في سالف الدهر ونبتدئ به جريا على الغالب
 فنقول ان في هذا الباب مقدمة وعدة فصول تستمل على جملة مطالب

مقدمة

في بيان جغرافيا ديار مصر الطبيعية وذكر احوال نهر النيل

المبارك وما به تربيته من احوال الزيادة والنقص السنوية

مطلب - ما المراد بما به تربيته بمصر في كل عصر - قال الجوهري في الصحاح ما نصه المصير
 هي المدينة المعروفة تذكر وتؤثر عن ابن السراج والمصير واحد الامصار والمصيران الكوفة
 والبصرة والمصير ايضا الحد والحاجز بين الشيتين قال (الشاعر)
 وجعل الشمس مصر الاخفاء به * بين النمار وبين الليل قد فضلا

وأهل مصر يكتبون في شروطهم اشتري فلان الدار بمصورهاى بجوددها، الى آخر ما ذكره من المعانى اللغوية المعهودة في هذه المادة العربية

يقال الفيروز بادی فی القاموس فی ضمن عبارته ايضا مانصه والمصر بالكسر الحاجر بين الشيتين كالماصر والحديدین الارضين ، الى أن قال « ومصر والمكان تصيرا ابعاده مصرا فتعصر والمصر المدينة المعروفة سميت لتعصرها ولانه بناها المصر بن نوح وقد تصرف وقد نذكر وحمر مصر ومصارى تجمع مصرى والمصران الكوفة والبصرة ويزيد مصر محدث ، الى آخره وقال صاحب المصباح مانصه مصر مدينة معروفة والمصر كل كورة يقسم فيها الفئى والصدقات قال ابن فارس وهذه يجوز فيها التذكير فتصرف والتأنيث فتنوع والجمع امصار ، الى آخر ما أوضحه ومن ثم يفهم ان لفظ المصر وان كان في الاصل علما جامدا امر تجللا لاحد ابناء حام بن نوح عليه السلام لكن في أصل اللغة العربية صار من جملة هذلولاته اللغوية وهو الحاجر بين الشيتين والخديين الارضين وان من اطلاقاته اللغوية ايضا المدينة المعروفة وهو في هذه الحالة معرفة تامة من حله الاعلام الخاصة وحينئذ يجوز فيه التأنيث على اراء البقعة والبلدة فينتع من الصرف للعلمية والتأنيث ويجوز تنوينه بناء على القاعدة النحوية المعلومة انه يكون ساكن الوسط كهنداسم امرأة مخصوصة ويجوز فيه التذكير على ارادة البلد او المكان فيجري مجراه وقد يطلق على القطر بتمامه كما أسلفناه وقد يكون نكرة عامة يطلق على كل مدينة عاهرة وفي هذه الصورة الاخيرة يذكر ويؤنث ايضا ويجمع على امصار وفي عبارة بعضهم ان المصر هي كل بلدة اجتمع فيها حكم شرعى وسياسى اى قاض ووال وحينئذ تكون مثل بنها العسل وطنندا ودمنور ومنية ابن خضيب واسميوط وقناواسنا وما شبهها من مقرر كل مديرية فضلا عن مثل القاهرة ودمياط ورشيد والاسكندرية من المدن المحكومة بما يعيه عنه بدواين المحافظات بصدق عليها اسم الامصار وهكذا الحال في سائر الاقطار وفي هذه الصورة ايضا اشتق منه فعل متصرف يقال مصر البلدة تمصير فتصيرت اى صارت مصرا كما يقال مدنهم تمدنوا فتمدنت بمعناه فاللفظان مترادفان وعلى كل من الحالتين يجوز ان يدخل على لفظ المصر ارادة التعريف كما يجوز فيه التذكير والتأنيث والتصرف وعدم التصريف كما يفهم من ضرب عبارتي القاموس والصحاح خلافا لصاحب المصباح حيث خص جواز التأنيث والتذكير مع هذا الجواز الاخير بحالة التشكيك كما يفهم من نص عبارته الذى هو بأعلا مسطور ومن الحالة الاولى ورد قوله تعالى « ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين » وقوله تعالى « وأوحينا الى موسى وأخيه ان تموا لقومكم بمصر بيوتا » وعلى الحالتين المذكورتين ورد قوله تعالى « اهبطوا مصر » بالتثنية في القراءة المشهورة وورد ايضا فيما يعرف « اهبطوا مصر » بدون ان يصرف قال المولى ابوالسعود رحمه الله في نفسه هذه الآية البشرية سائغة « والمصر البلد العظيم وأصله

التلخيص الشئيين وقيل ار يديه العلم وانما صرف لسكون وسطه أوبتأ ويله بالبلدون المدينة
ويؤيده انه في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه غير ممنون وقيل اصله مصر ائيم فعرب ه اه
وقد تحصل لنا مما ذكر اعلاه ان لفظ المصر له حالتان تشتملان على ثلاث اطلاقات الحالة الاولى
أن يكون منكرا يطلق على كل مدينة من سائر الاقطار اجتمع فيها بعض شروط على حسب
اختلاف الاقوال في ذلك وانما حينئذ تجتمع على أمصار واشتق منها فعل يتصرف كسائر الافعال
بمعنى التمدين والاستحضار

السانية أن يكون معروفا وله في هذه الحالة اطلاقان احدهما أن يكون علما على كرسى مملكة
قطر مصر في كل عصر وحينئذ فكل من مدينة منفيس أو منف (مائه رهينة) وطيبة الصعيد
(مدينة أبو) وكذلك الفسطاط (مصر القديمة) والقاهرة المعزية كلها يطلق عليها اسم مصر
بطريق العلمية الثاني أنه قد يطلق على سائر القطر المتدمن أعلى الصعيد يعني من هذه المدينة
اسوان الى غاية البحر المتوسط الابيض أو بحر سقيف

ومصر بهذا المعنى الأخير تسمى ايضا في اللغة اليونانية واللاتينية باسم إيجيبتوس (بحجم فارسية
بعدها ياء مثناة تحتية ثم ياء فارسية بعدها تاء مثناة فوقية ينتهي بـ ين مهمله في آخره كـ أكثر
الاسماء اليونانية) وهو المارخم بلفظ (إيجيبت) في اللغة الفرانساوية والمغرب بلفظ القبط في اللغة
العربية وحينئذ فلفظ القبط كما يطلق على ذات القطر يطلق كذلك كما لا يخفى على هذه الطائفة
النصرانية التي هي بقايا قدماء اهل مصر وجعها قباط كما يجمع لفظ العرب على اعراب والتركية على
أترك وهكذا

وتسمى مصر ايضا في اللغة القبطية اي المصرية القديمة باسم (كيمي والكيمية اي الخامسية بمعنى
أرض حام بن نوح عليه السلام)

وبيعبر عنه في التوراة بالعبرانية باسم مصر ائيم (ببائين تحتيتين اولاهما مهموزة) كما سلف تعريف
ذلك ومصر بهذا الاطلاق الأخير (قال المؤرخ فرانسيس لوفورمان في مختصر تاريخه الصغير) هي
هذا القطر المستطيل من الجنوب (المعبر عنه على لسان اهل البلاد بالقبلي) الى الشمال (المعبر عنه
عندهم بالبحري) وهو الكأثر في الزاوية الشمالية الشرقية من قسم افريقية أو كما كان السلف
الاقدمون يقولون من بلاد الليبية (وعلى برقة وما يليها من الاقطار المغربية) وذلك حيث تتصل افريقية
ببلاد آسية بواسطة برزخ السويس وحده مصر من جهة الشمال هو البحر الابيض المتوسط أو بحر سقيف
ومن جهة الشرق برزخ السويس والبحر الاحمر أو بحر القلزم ومن جهة الجنوب بلاد النوبة حيث
يخترقها النيل قبل أن يدخل مصر من عند جنادل اسوان (المسماة أيضا بشالات اسوان)
وحدها من جهة الغرب صحارى يوجد فيها بعض الواحات أى أراضي خصبة ينبع فيها بعض
عيون من الماء فتزرع ارضها ويسكنها الناس وهي المسماة بسلسلة الجبال الليبية أو البرقية
وتتدفق جهة الجنوب الغربي الى قريب من البحر الابيض كما أن الجبال الشرقية المسماة بسلسلة
الجبال

الجبال العربية تمتد الى سواحل البحر الاحمر وتمتد تلك الصحارى ايضا الى امد بعيد في داخل ذات بلاد مصر وكل ما كان من ديار مصر لم يصل اليه الري بزيادة نهر النيل السنوية فهو غير قابل لسكنى الناس فيه لكونه لا يخرج به اثمار من حبوب ولا خضر اوات ولا اشجار ولا اعشاب مطلعا ولا يوجد فيه ماء غير بعض آبار على مسافات متباعدة بعضها عن بعض في تلك القفار وبعض تلك الآبار اقل عرصة من بعض لأن يفيض مأوها في درجة من الجؤهى على الدوام متقدة النار وفي صعيد مصر اى في الجهة الجنوبية (الوجه القبلى) منها ترى المطر حادثة نادرة جدا وجميع ارض مصر عبارة عن رمال او صخور ما عدا ارض وادى النيل وهو واد لغاية تنزع النهر فيه الى عدة فروع اعنى في مسافة أكثر من ثلاثة ارباع طول الديار المصرية لا ينف متوسط عرضه على أربعة فراعخ وخسة وفي بعض المواضع منها هودون هذا القدر بكثير كما ذكره المؤلف رويو

ولقد أصاب المؤرخ اليونانى المعروف باسم هيرودوت حيث قال ان ديار مصر كلها انما هى هبة من هبات النيل اه وذلك انه لو انعم النيل من ارض مصر كانت كلها اجراء جديدة وأرضا غير خصبة لاما فيها ولا زرع ولا نبات بها ولا ضرع ولو انحرف مجرى النيل من الجهة العلوية لانعمت الديار المصرية بالأكية وكانت قد خضرت هذه الفكرة بخاطر أحد سلاطين بلاد الحبشة السالقين في القرن الثالث عشر من التاريخ المسيحى ثم لرجل برتغالى يقال له الفونس دالبوكيرك كان عاملا لدولة البرتغال (أحدى الممالك بأورپه) على ما كانت قد استولت عليه مدة حقبة من الزمن ببلاد الهند الشرقية في القرن الرابع عشر وأراد كل منهما أن يصرف نهر النيل عن طبيعى مجراه بأن يسده من اعلاه ويوجه مصبه الى جهة البحر الاحمر فلم يتيسر له تحقيق ما قنناه وفي الواقع ونفس الامر ترى نهر النيل فيه خاصية ظاهرة دون غيره من الانهار وهى كونه في جميع الجزء الاسفل من مجراه لا يأتى به مادّة أخرى تنضم اليه وانه بخلاف سائر الانهار يعترى انقصاص كاملا نزل الى أدناه بدلا عن أن يزداد كما اسفل لداعى كونه يفرغ مائه في الترع والخلجان المعدة لرى الاراضى ولا يصب فيه ما يجبر هذا الانقصاص (اه معربا من مختصر التاريخ القديم للأورخ فرانسيس لوريمان)

وعبارة المؤرخ ويكتور دوردى في تاريخه القديم عند الكلام على ديار مصر لا بأس بايرادها هنا أيضا وهى هذه قال المؤرخ المذكور في هذا الشأن ماتعربيه ان ديار مصر عبارة عن واد تبلغ مساحته ٨٨٠ كيلومترا طولاً (والكيلومتر عبارة عن الف متر والمتر ذراع وثلاث ذراع بالذراع المصرى المعمارى المعتاد) وهو منحصر من جهة الجنوب بين سلسلتين جبليتين صوانيتين لا يبلغ عرض ما بين سفحهما ومجرى النهر غير بعض مئين من الامتار ثم تتباعدان شيئاً فشيئاً حتى تكاد ان نزولا بالأكية كلما نزل النهر الى جهة الشمال وتنضم ديار مصر

من هذه الجهة بحر سفيد واما حدها من جهة الجنوب فقد كان غير ثابت ولا شك في انه انما تعينت حدودها على وجه القطع من هذه الجهة بجنادل أسوان من بعد حروب طويلة حصلت بين الفراعنة المتقدمين وملوك بلاد الايتيوبية (ملوك الحبشة السالفين) وذلك انه يوجد في ذلك الموضع من النهر بعض صخور تطل مجراها كأنها حوافل للسفر فيه (وهي المعبر عنها بجنادل أسوان أو شلالات أسوان) ويتمد على مينة هذا الوادي ويمسرتة صحارى جديدة متكونة من رمال غير ثابتة تحركها الرياح كأنها بحر من البحار وكثيرا ما يحصل الفرق على هذا الاوقيانوس من البرارى وذلك ان تلك الرمال في أغلب الاحوال قد تنقلها الرياح فتجتمع عند موانع يقابلها من بعض الصخور والجبال فتتبلغ قوافل من السيارة كاملة عما معها من الاحمال والجبال وداما يخشى من هذا الامر على وجود ارض مصر قال المؤرخ اليوناني المشهور باسم هيرودوت مامعناه ان ارض مصر هي هبة من هبات النيل ومعنى ذلك كما يظهر هو ان بحر سفيد قد كان في سالف الزمان باخلا الى امد بعيد في هذا الوادي المديد ثم صار النيل على توالى الاعصار يأتي من اعدى الاقطار بما يجبر معه من المواد الراسبة الكثيرة (وهي المعبر عنها بالطحى) حتى ارتفعت الارض التي اقبلها عليهم اودعها فيها بالدرج شيئا فشيئا الى ان انسد البوغاز (بمعنى الجزء من البحر الداخلى الى البر كما هو معلوم من التعريفات الاصطلاحية المستعملة عند علماء الجغرافية) الذى كان متمكنا من البحر الايض المتوسط في موضع ما يدعى من ارض مصر عند اليونان باسم (الدلتة) من ذلك المكان وقد صار ارضا جافة تزرع بعد ان كان بحرا فيا بالسفن بقلع ولفظ الدلتة هذا عبارة عن الجزء الاسفل من وادى مصر من عند افتراق النهر الى فرعين (المسمى على اسان أهل مصر ببطن البقرة أو فم البحر) الى سواحل بحر سفيد سمى بذلك لكون هذه القطعة الارضية من الديار المصرية مقفلة من جهة الشمال بالبحر الملح محاطة من جهتي الشرق والغرب بفردى النيل الاصليين على وجه بحيث يتكون منها شكل على هيئة أحد حروف الهجاء اليونانية المسمى باسم الدلتة وبعبارة أخرى أحسن من هذه انما سميت تلك القطعة بهذه اللفظة لكونها يتصور منها شكل مثلث قاعدته بحر سفيد ورأسه مفرد نهر النيل الى الفرعين الاصليين (انتهت عبارة المؤرخ ويكتور دوروى) وانما اوردها هنا في هذا المكان مع عبارة المؤرخ فرانسيس لونورمان لاشتمالها على فوائد زائدة عنها وان كان فيها تكرار لبعض المعانى المفهومة منها وشكل حرف الدلتة هذا قريب من شكل حرف الدال من حروف الهجاء العربية وذلك ما كان يسمى في عهد الحكومة الخديوية السابقة بهذا العصر باسم مديرية روضة البحرين وهو مجموع مديرتى المنوفية والغربية (رجع للثقل من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ فرانسيس لونورمان)

مطلب الكلام على نهر النيل وصفة هذا الوادى الجليل — قال مؤلف الاصل مامعناه ان وادى النيل يكاد أن يكون في جميع الامكنة من طوله مخفضا بين سلسلتين من الجبال

تسمى احدها ماهوى الشرقية بسلسلة الجبال العربية والثانية وهى الغربية بسلسلة الجبال الليبية (أو البرقية أى جبال برقة وما والاها من سلسلة الجبال المغربية) وهاتان السلسلتان الجبليتان تتقاربان في بعض الاماكن جدا احدهما من الاخرى ولا سيما في جهة الجنوب من هذا الوادى حتى يتكوّن منهما ما يسمى (في الاصطلاحات العسكرية) بالمضيق أو الدربند الحقيقى) ومع ذلك فانك ترى الاقليم المعروف من ديار مصر باسم الفيوم الكائن على غرب النيل في جملة الاقاليم المصرية الوسطى فوق المكان الذى كانت مدينة منف أو منف كائنة فيعبروى بواسطة خليجان تخرج من النيل بواسطة بحيرة هنالك مصطنعة ولذلك ترى ديار مصر وان كانت من عند شلالات أسوان لغاية ذلك المكان ليست الاعبارة عن واد كنز يأخذ عرضها عند هذا الاقليم في بعض اتساع عظيم ثم اذا بلغ الوادى الى مادون مدينة القاهرة التى هى كرسى دولة مصر الآن) وهى كائنة على القرب من اطلال مدينة منف كرسى دولة الفراعنة (في سالف الزمان) ترى النيل يتفرع الى فرعين أحدهما وهو فرع رشيد يتوجه الى جهة الشمال الغربى والثانى وهو فرع دمياط الى جهة الشمال ثم ينحرف الى جهة الشمال الشرقى وقد كان السلف من الامم الاقدمين يعرفون للنيل خمسة فروع أخرى غير هذين الفرعين الاصليين ارتدت الآن أو صارت غيرصالحة للسفر بالسف فيها وترى عدة ترع وخليجان ثانوية تتحرق داخل ديار مصر السفلى أو الوجه البحرى من الديار المصرية ثم ان النيل يتكوّن منه على القرب من البحر الملح عدة بحيرات أو برك كبيرة مغلقة من جهة البحر بيرازخ من البرم تكون من طين أو رمل متصلة ببحر سفيد بواسطة فرجات والبحيرات الاصليّة منها ثلاث احدها بحيرة المتزلّة في جهة الشرق من الجهات البحرية الثانية بحيرة البرلس في وسط السواحل المصرية الثالثة بحيرة مريوط وهى المسماة في سالف الدهر باسم بحيرة مريوطيس في جهة الغرب من سواحل مصر على القرب من مدينة الاسكندرية الشهيرة التى أنشأها الاسكندر الاكبر في المكان الذى قد كان به القرية القديمة المسماة باسم راكوتيس وقد كانت تلك الجهة معمورة في سالف العصر وتسمى المسافسة المنحصرة فيما بين أبعد فروع النيل باسم الدلتة (أو حرف الدال) لذاعى موافقة شكلها الذى يكاد يكون شكلا مثلثيا الشكل الحرف المسمى بهذا الاسم من حرف ألف باليونانية اذا كتبت بقلم الثلث (قال مؤلف الاصل اه هذا القول منقول من كتاب المؤلف رويو)

مطلب زيادة نهر النيل الدورية — قال مؤلف الاصل وفي كل سنة في وقت الانقلاب الصيفى اعنى عند أواخر شهر يونية الا فرنجى أو حيزران الرومى (أى عند منتصف شهر يونيو القبطى) يأخذ النيل في الزيادة وفي مدة يسيرة تبلغ مياهاه الى حد ضئيل ثم تفيض عنها فظفو وتنتشر بخاء في سائر الوادى لكونه على وجه العموم هو أسفل من ضفتي النيل وقد توصل أيضا

بواسطة أعمال الري الصناعية لنشر خيرات النيل على أرض الديار المصرية الى أكثر من حدود زيادته الأصلية ثم في أواخر شهر سبطهمبر الافرنجى أو ايلول الرومى (منتصف شهر توت القبطى) تبلغ مياهه الى أعلى درجة من الزيادة وتعدكث على هذه الحالة مدة أيام قلائل ثم تأخذ في التناقص شيئاً فشيئاً حتى اذا جاء شهر دسمبر الافرنجى أو كانون الاول الرومى (أو آخرها توت القبطى) رجعت النيل لحالتها الأصلية وعاد مجراها لدرجة ارتفاعه الاولى وأخذ أهالى مصر في بذر الارض (المعبر عنه عندهم بالتخضير) واستمروا على هذا العمل كلما تنازل النيل وسفل وينضج الزرع عندهم فيحصل في شهر مارس الافرنجى أو شهر اذار الرومى (برمات القبطى) وان أعمال الحرثة عندهم لسهلة كثيراً حيث كانت أرض مصر خصبة مستعدة للزراعة استعداداً كبيراً وفي مدة فيضان النيل ترى الناس منحصرين في المدن والقرى حيث كانت كائنة على ربوات من الارض إما طبيعية أو صناعية قائمة في وسط المياه كأنها جزائر في وسط بحيرة أو بركت من الماء منسعة ينتظرون مع غاية القلق والضجر متى يعرفون الى كم تبلغ درجة فيضان النيل في العام اذ بذلك يتعلق أمر كثرة الحصاد وقلتها وهو عندهم ميزان السخاء والرخاء أو القحط والغلاء (قال مؤلف الاصل انتهى هذا القول منقولاً من كتاب رويو ثم قال بعد ذلك ما معناه) وهذا الأمر العجيب القائم بنهر يخرج من طبيعى مجراه في أوقات معلومة ليروى الارض ثم يعود الى حالته الأصلية قد كان استغربه الامم الاقدمون لكنهم لم يكونوا يعلمون ان جميع الانهار الى منابعها بالمنطقة الحارة هي بهذه المذابة فتوجهت أفكارهم وتنوعت أنظارهم في تأويل هذه الحادثة الى عدة حدسيات غريبة وتوهوا في هذه المادة جملة أو هام بحجية من أراد أن يطالع عليهم اقلية قرا تاريخي المؤرخ هيرودوت داليكارناس المؤرخ اليونانى وديودور الصقلي السالفي الذكر والقول الصحيح في سبب زيادة النيل انما هو كثرة نزول الامطار الدورية التي تنزل في أعلى بلاد الحبشة حيث ينزل النيل منها وينقل فيضانه هذا عن الاخير (اه) معرباً من مختصر التاريخ القديم للأورخ فرانسيس لوفورمان

وعبارة المؤرخ ويكتور ورو في هذا المطلب لا بأس بابرادها هنا أيضاً لاشتمالها على زيادة توضيح وهي هذه كما هو معرب قوله الصريح

ان شهر النيل كل عام عند حلول الانقلاب الصيفي في يوم يكاد أن يكون معيناً فيما بين ٢٠ شهر يونيه لغاية أول شهر يوليو (١٤ الى ٢٥ بؤنه) يزداد بالتدريج شيئاً فشيئاً مدة مائة يوم ثم يطفو على ضفتيه في الاقاليم الوسطى وفي القطعة المعبر عنها من الديار المصرية باسم الدلتا وينشرف في سائر البلاد الى آخر شهر سبطهمبر (أو آخر شهر توت) فيسرى منه في أراضي مصر كمية من الماء باجتماعها مع الانداء التي تتساقط عليهم بالليل تكفي لغذاء النباتات فيها ثم في أوائل شهر اكتوبر الافرنجى أو تشرين الاول الرومى (أو آخر شهر توت القبطى) يأخذ في التناقص حتى اذا

حل الانقلاب الشتوى يعود الى مجراه الاصلى و يترك على الاراضى التى رواها راس بادهما خفيفا يكون للارض بمنزلة السجاد (أو الدبال بالدال المهملة كلاهما بمعنى ما يعبر عنه عند العوام بالسباح وذلك هو المعبر عنه باسم الطمى على لسان أهل البلاد) ولا يزال النيل يتناقص لغاية آخر شهر رمايس أو ما يه الا فرنجى أو أيار الرومى (أو خر بشنش القبطى) ولا بد من ان الزيادة تبلغ من ٧ الى ٨ أمتار ونصف متر حتى تعلوا المياه على جميع سطح الارض الصالحة للزراعة فتأتى المزارع بالخصيدة الوفرة فان وقعت الزيادة دون ذلك المقدار لزم الاقتصار فى زراعة الارض على ما لحقه الرى فقط وبقى ما عداه منها غير منزرع (يعبر عنه بالارض البورا والشرافى) وان انافت الزيادة على ثمانية أمتار كانت مضره حيث كانت المياه حية فثذرت كد على الارض مدة مدبده فان كانت الزيادة فوق ثمانية أمتار ونصف كان الغلاء متحققا لان الارض تصبح مستحجرة فلا يمكن زراعتها ويخشى على الديار المصرية حينئذ من وقوع الوباء فيها ولما كان النيل فى جهة الصعيد مخصرا بين ضفتين عاليتين لزم ان يتدارك فيه أمر رى الاراضى الزراعية بالطريقة الصناعية وقد علم بالحساب ان ارتداد الطبقة الارضية العليا من وادى مصر الناشئ عن تراكم راسب مياه النيل المعروف بالذمى يقتضى ان يصكون بقدر ١٢٦ ر . ٠ ميليترا (أى مائة وستة وعشرين جزءا من الالف من المتر الواحد) فى كل قرن من الزمن

وهذه الحادثة وان كان قد تخيل للسلف من الامم المتقدمين انهم امن الجحائب التى لم تعلم أسبابها صار لواجهه الآن لاستغرابها فانهم من المعارف الضرورية وليست لهم النيل بخصوصية حيث كانت جميع الانهار التى منابها فى الاقليم الحار يعتبرها أحوال فيضان ينشأ على وجه الانتظام عن الامطار اندورية التى تسقط بتلك الاقطار الارضية وذلك ان جبال بلاد الحبشة التى ينزل منها النيل لما كانت موضوعة فى جنوب دائرة الانقلاب لزم ان ينزل عليها فى كل عام فى موسم رياح الجنوب الغربى أعنى فى موسم سقوط الامطار على تلك الاقطار مقادير جسيمة من الماء فتجر الى مجرى النيل فينقلها مع ما يتبعها من المواد التى تأتى معها من اعلى اراضيها الى اسفل وادى النيل ولولا ذلك الحال لكانت ديار مصر تستر بها الرمال وكانت الصحارى تمتد بها على عليه من حالة الجذب والقحولة الى حد البحر الاحمر بالسهولة وبأيت شىء ما اذا كان يترتب على ذلك من المترقيات وما الذى كان يلزم عليه من جسيم المضرات لاشك اننا لو فرضنا ان ثلثة من الارض منعت مجرى النيل من السير فى طريقة المعتاد الى جهة البحر الابيض المتوسط وصرفته الى جهة البحر الاحمر لزم عليه ان ديار مصر على الحالة التى نعرفها بها الآن أعنى كونها أحد مرا كرت من العالم الدبوى ومربط بلاد أور و بة بلاد آسية وافريقية فنجسى من خريطة بلاد الدنيا بالكلية وكانت بلاد اليونان لا تيسر لها أن تستدشما مأمنها وكان الاسكندر لا يأتى اليها ولا يفتحها وبقية بلاد افريقية أمة وحدها وبقعة منعزلة عن سائر بلاد الدنيا الى الابد وقام

مانع حصين وقاطع رصين لا يمكن تجاوزه بعد بين بلاد اور و بلاد الهند حيث كان وادى النيل فيما بينهما والطريق الاعظم والمسلك الاقوم

مطلب - مصاب النيل (معربا من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ ويكنورد روى) (قال المؤرخ المذكور) لما كان النيل في الديار المصرية لا يسهل بماء مائة تلقى معه طبيعة وكان يخرج منه عدة ترع وخلقجان صناعية تتفرع عنه لقصد ري الاراضى منه لزم ان يتناقص كلما قرب من البحر وهو يمر عند وصوله الى ديار مصر ببعض قطع من الصخر توجد في مجراه وتظهر رؤسها منه على سطح الماء عند بلوغه لادنى درجة الارتفاع (المعبر عنها في اصطلاح أهل البلاد بالتخاريق) وهذه الصخور هي ما يسمى بشلالات النيل ويجتادل النيل وكان لها شهرة كبيرة عند الامم الاقدمين ومع ذلك فلما كانت هذه الصخور قريبة من وجه الماء كانت غير مخوفة جدا وغاية ما هنالك انما تعطل السفر على النيل بعض التعطيل حيث يترقب عليها حصول بعض انحدارات مائية وتياورات نهريه ولكنها غير مانعة للسفر فيه بالكلية ثم ان النيل يجري من عند اسوان الى مدينة منفيس او منف في مجرى واحد حتى اذا بلغ الى قاعدة المثلث الذي يعرف باسم الدلتا تفرع الى عدة فروع وذهب حتى يصب في بحر سفيدي سبعة مصاب أصالية كانت تسمى في سالف الزمن احدها بمصب قانوب او قانوبوس (يوقر الآن) والثاني بمصب البوليبية وهو المعروف الآن بفرع دمياط والثالث بمصب سبنييت اوسبنييتوس (بالسين المهملة في اوله) وهى الآن سمود والرابع المصب الفاتى او الفاتى (بالميم او بالنون الموحدة الفوقية) وهو فرع رشيد والخامس مصب منديس أو الدبية والسادس مصب مدينة تانيس (المسماة ام فرح اوسان الآن) والسابع مصب مدينة ييلوز (وهى المسماة في سالف الزمن بمدينة اواريس وفي التوراة باسم لبنه (بضم اللام) والان باسم تينه (بالتاء المثناة الفوقية في أوله) ولم يبق الان من فروع النيل التى ينصب بها في بحر سفيدي غير فرعى دمياط ورشيد وساعداها صارا الآن من قبيل الترع والخلجان ولما كان النيل يطفو مائة في اثناء جريانه على كتلتا ضفتيه بدون مانع منعه لزم ان الخططة الارضية المتشكلة بين فرعيه الاصليين بشكل الدلتا لا تمتد في البحر الملح الا شيئا قليلا اعني بنحو ثلاثة امتار او اربعة في كل عام حدا وسطا (قال المؤرخ ويكنورد روى) وهذا بخلاف النهر المسمى باسم البو (بالباء الفارسية بعدها واو في آخره) وهو المسمى بنهر بادوس (ببلاد باطاليه) فانه حيث كان منحصر بين جسرين كانت خطته الارضية المنحصرة بين فرعيه المسماة ايضا بالدلتا ترتد من قاع البحر بما يجبره ماءؤه معه من الرمل والحصا بنحو ٢٥ مترا في متوسط كل عام (اهم ما من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ المذكور)

مطلب - اختلاف مناظر الديار المصرية بحسب اختلاف الفصول (وهو من الكتاب المذكور انفا ايضا نقول)

يفتخر لعين الناظر هيئته غيطان الجهات البحرية من الديار المصرية ثلاثة مناظر أصلية تختلف بحسب اختلاف فصول السنة الزراعية فمن أول منتصف فصل الربيع من السنة العادية تجمع الحصاد وتشال عن الأرض فلا يرى الناظر من مجموع أرض الديار المصرية في هذه الجهة البحرية حينئذ غير أرض زرقاء غبارية يتخللها شقوق عميقة جدا بحيث لا يتيسر للسائر فيها أن يمر بها إلا بغاية المشقة فإذا حل وقت الاعتدال المار في تزي الأرض كانت باسطا ممتد من ماء أحمر ملح يبرز من باطنه رؤس نخيل وقرى وجسور ضيقة هي الطرق الموصلة بين القرى بعضهم البعض ثم متى نزلت المياه عن الأرض لا يرى الناظر إلى آخر الفصل غير أرض سوداء وحشية ولا تظهر محاسن الطبيعة وخيراتها البديعة إلا في مدة فصل الشتاء بالديار المصرية حيث ترى حينئذ من طرارة الهواء وقوة النباتات الحادث وكثرة الثمرات التي تملأ سطح الأرض ما يفوق كل جميل استغربه الرأى في أجل بلاد الدنيا من هذا القبيل وذلك أنك ترى ديار مصر من الأول إلى الآخر كأنها سراج جميل أوروش أزهار جليل أو أوقيانوس زاهر ويشتهر هذا المنظر الخصب بما يشاهد من ضده خصوصاً من الرمال والجبال المحيطة به حيث لا ترى منها غير مطلق القحولة والجذب وفي هذا الاقليم السعيد لا ترى الماء ينجم والتلج أمر مجهول لا يوجد والاشجار لا تسكد تسقط أوراقها إلا ليخرج لها أوراق أخرى تستجد ولا ترى النباتات في الأرض يتعطل عن العمل وترى الزراع فيما حيث لا يخيب منهم الأمل لا يرون جميع فصول السنة إلا كأنهم فصل واحد ينتج الكثير من المحصول لولأن تغير أحوال فيضان النيل يوجب الاقتصاد على الزراعة في بعض الفصول ومن ثم يعلم اندازاتهم استبدال أعمال الري الطبيعية بأعمال صناعية لزم أن تعطى الأراضي المصرية حصيدتين إلى ثلاث حصائد في كل سنة زراعية ونضم لما منح الله سبحانه وتعالى ديار مصر من المزايا الطبيعية ذكرى تمدن عتيق يصعد إلى أقصى الأزمان يسخر خصوصاً نظره كل سياح ذى تبصر وعرفان وذلك أن بلاد صعيد مصر يكثر بها من مآثر الأمم الأقدمين وتذاكر الأقوام السالفين في الأعصار الغابرة ما يتخيل لناظره أن تلك البلاد هي في الحقيقة مسحورة وذلك هو ما يترآى حتى لا قل ذوى العقول تبصروا وأدناهم تدبروا وتفكروا فإنه يرجد فيها نحو عشرين مدينة عميقة وكثير من الأماكن الغير المعمورة كلها انظر لعين السياح وهو على الدوام لا يزال يتعجب منها أنها اطلال قصور وهياكل قديمة وآثار بديعة من فن العمارة عظيمة لأم من حيث عظم أجزائها الجسمية وهيئتها الدينية السكرية فقط بل كذلك من حيث بساطة تركيبها وحسن هندسة ترتيبها وظرافة ما يوجد عليها من الصور والمناظر الاشادية وكثرة ما هي مزيينة من أنواع الزينة التي تقف عندها الأفكار وتنهل منها الابصار حيث كانت كلها لا تتخلو عن دلالات معنوية ومعاني تاريخية قال المؤرخ وپكتوردورى (ناقل هذه العبارة) لآنية عن نص العالم الفرنسي المدعو باسم دوروزير الذي كان متوظفاً بوظيفة رئيس المهندسين في الإيوان واحد أعضاء جمعية العلماء

الفرانساوية الذين كانوا حضروا مع غزوة الفرانسيديس لدير مصر في مبادئ هذا القرن الثالث عشر
لقد قصد النظر في أحوال هذا القطر ما معناه بالعربية ، ومن ذلك مدينة طيبة صعيد مصر فانها
وان كانت قد توالى عليها الكثير من تقلبات الدهر وصارت الآن اطلالا خربة وتلا لاجدية
لم تزل تملأ من العجب والاستغراب قاب من أطلع على الجائبات القديمة والغرائب العظيمة
التي توجد بمدينة روميسة الكبرى (كرسى مملكة ايطالية) ومدينة اثينة العظمى (كرسى
بلاد اليونان) ولقد وقف عند منظر مدينة طيبة هذه على حين فجأة منهم جميع عساكر
الفرنسيس المنصورة صائحين كلهم من شدة العجب والاستغراب صيحة واحدة يا لعجب
العجاب وهذه المدينة التي اشتهرها الشاعر اليوناني المشهور باسم أودروس في أشعاره وقد كانت
في عصرها اجل مدينة في العالم الانساني لم تزل لغاية الآن بعد مدة أربعة وعشرين قرنا من
تخريب الزمان اعجب مدينة تنظر واغرب حاضرة تذكر فان من تأمل لجسامة اطلالها ونظر
لعظمة آثارها وتلاها وفخامة عمارتها وما بقى بعد مما لا يحيط به العد من بقايا عظم سعتها
تخيل له انه انما هو في عالم رؤى يانماية وحالة توهية لاحقيقة علية (٥١) معر بان مختصر
التاريخ القديم للتورخ ويكتورد روى

تنبية

مطلب صفة ديار مصر على حجابها في هذا العصر يقتضى أن يتنبه منها لكون بعض
ما ذكره المؤرخ ويكتورد روى وأبداه من أحوال النيل ومناظر الديار المصرية على حسب اختلاف
السنة الزراعية في ضمن المطلبين المسطورين اعلاه هوليس بمحقق الآن ولا صادق في حيز
الوجود والعيان وان ما ذكره من وصف النيل ومصر من التفصيل والبيان انما هو بحسب
ما كان في سالف الزمان وأما الآن فقد تغير منظر البلاد بحسب ما حدث فيها في هذا العصر من
الاصلاح والاستجداد بالنسبة لما كانت عليه في العهود السابقة من الاهمال والفساد وذلك
ان ديار مصر منذ وليها المرحوم محمد على باشا الكبير عليه سبحانه الرحمة والرضوان وهكذا
ولاية بعض خلفه الامجاد لغاية الآن صار يترأى عليه في جميع فصول السنة على وجه العموم
والاجمال والحق ينبغي أن يقال انها كأنها فردوس من الجنان أو كما قال فيه وتحقق قوله بعض
التحقق تخيل الشاعر المفلح حيث قال

لعمرك ما مصر بمصر وانما * هي الجنة العليا لمن يتفكر

فاولادها الولدان من نسل آدم * وروضتها الفردوس والنيل كوثر

ولقد صدق فيها كل الصدق قول الآخر

من شاهد الارض وأقطارها * والناس أنواعا واجناسا

ولا رأى مصر ولا ههنا * فلا رأى الدنيا ولا الناسا

ولذلك

ولذلك ترى افاضل الناس في سائر الاعصار من سائر الاقطار يهرعون اليها ليتفرجوا عليها ويقتبسوا منها المعارف والانوار دون سائر الاعدصار وبيان ما صارت اليه الآن ديار مصر من المنظر الحسن بطر بقى التفصيل والبيان وبديل العيان الذي هو أقوى برهان انه لو وقف من ديار مصر على مكان عال ناظر ذوبصر مديد او مسافر في عربانات سكة الحديد يقلب نظره ذات العين وذات الشمال كلما انتقل من مكان الى آخر على حسب اقتضاء أحوال التنقل والارتحال لظهر له من حسن منظر هذا القطر وظاهر ما آل اليه من اصلاح احوال الامكنة في هذا العصر بالنسبة لما كان عليه في سالف الازمنة من اختلاف المنظر بحسب اختلاف الفصول حسب ما هو آنفا منقول ما ينتج على فؤاده نتيجة عمل السحر ويخرج من قلبه نفحات الشعر حيث يرى (اولا) ان جميع جهات القطر صارت متقطعة يفروع شجرة من سكك الحديد أصلها في محطة مصر القاهرة وأغصانها متنوعة ظاهرة تمتد من نهايات الجهات السائرة الى أم بعيد كائنها سادرة المنتهى المذكورة من القرآن الشريف في بعض الآيات ويرى القطاران المجرورة بعيا تظهر للناظر على البعد كأنها هي ماذ كر لها من عجيب الثمرات ويرى الناظر (ثانيا) منظر آخر يمر الناظر ويروق الخاطر وهوان هذا النهر الأكرم يخترقها ويزين فروع سكك الحديد ما هو قائم عليهما من جميع الاطراف من قوائم الخشء الحاملة لسلوك التلغراف منحصر الآن بين جسرين عظيمين يسكنانه عن الطغيان يسميان بجسرى العموم وجسرى البحر الأعظم (لا كما ذكر في الوصف السالف البيان وانما ذلك بحسب ما كان) ومبداء انشاءهما بصعد المدة عهد المرحوم محمد علي باشا الكبير عليه صحائب الرحمة والرضوان ولم تزل العناية بالمحافظة عليهما في مدة الفيضان من الحكومات الخديوية الحافلة لغاية الآن ويختلها على النيل من الحافقين ويخرج منها من الضفتين اقسام نحو مائة من كبير الترع والخجان منحصرة كذلك بين ما يطبق بها من متين الجسور والقناطر ومكين البنيان شبيهة بغدران صالحة للسفر فيها بالسفن في كل زمان وكلها صناعية مستجدة في مدة عهود الدولة الخديوية العصرية بيد الانسان واكثرها يبلغ من الطول من خمسة عشر الى عشرين او ثلاثين فرسخا يفرع عنها مساق وترع اصغر منها كثيرة تروى سائر الجهات المتباعدة عن شواطئ النيل والترع والخجان الكثيرة الى حد يبلغ جدا بحيث يصعب حصرها عدا وان كان البصر المديد قد يحيط بهامدا وهي تأخذ ماء النيل المبارك في وقت الفيضان وتوزعه الى سائر النواحي والبلدان بحيث لا تبقى ناحية من فوات ديار مصر منه بحاله الحرمان وتسمى حينئذ بالترع والخجان النيلية ومنها ما يعبر عنه بالترع الصيفية وهي ما يبلغ قاعها الى استواء أدنى قاع مجرى النيل في وقت تجاريقه فلا يزال يجري فيها ماء في غير مدة الفيضان حتى يعود لاعادة فيضانه فتسقى منها المزارع الصيفية أما بالراحة او بالآلة فمن ذلك مثل الترع الصيفية المسماة بالشرقاوية والبوسمية والاسمعية المعروفة ايضا بالترعة الحلوة الموصلة ماء

النيل الى جهات الترع الماخلة الموصلة بين البحر بن الابيض والاسود بجهة السوس وكذلك بحرموس والخطاطبة والمحمودية الموصلة ماء النيل الى نواحي الاسكندرية ورياحات القناطر الخيرية بالجهات البحرية ولا سيما الترع الصيفية المستجدة باسم الابراهيمية في الاقاليم الوسطى ونواحي صعيد مصر وغير ذلك مما تغير به - نظر هذه الديار في هذا العصر - وصارت لا يصدق عليها اكثر ما قيل في وصفها في سالف الدهر حيث صارت جميع اراضي الوجه البحري وكثير من اراضي الوجه القبلي من القطر المصري الى ما يعبر عنه على لسان أهل البلاد في العادة في الجهات البحرية بالرواتب وفي جهات الصعيد بالنباري بمعنى ما ستمى من ماء النيل بالراحة والارادة في مقابلة ما كان يدعى بالملق بمعنى ما يعمه ماء النيل الجاري بطبيعته ولا يمكن الحصول على زراعته بالمزارع النيلية والذي ينطبق عليها في الحقيقة من الوصف الصادق والقول المنخفق الآن هو كما يأتي بعدم وصفها بالتفصيل والبيان على قدر الامكان في كل موسم واوان وذلك ان السنة الزراعية بالديار المصرية تنقسم الى ثلاثة مواسم فصلية

الاول موسم الزراعات الصيفية.

الثاني موسم الزراعات البيلية

الثالث موسم الزراعات الشتوية

فالما ماسطره المؤرخ ويكتوردوروى في شأن منظر الجهات البحرية من الديار المصرية في هذا الجزء من السنة الزراعية أى في موسم الزراعات الصيفية أعنى من أول منتصف فصل الربيع من الوصف البديع فهو كما وصف وتفنن في التعبير عما عليه وقف غير انه وصف شيئاً وغابت عنه أشياء وحكى ظاهراً بارق حال تلك البلاد في ذلك الاوان من كونها حفر اقفر كأنها صحرا حسماً كان ولكن فاته شنب ما حدث فيها في هذا الزمان من حسن المنظر بالاستجداد والاستحيا ولا بأس بان يقال له هنا على وجه التمثيل مع بعض تعبير في البيت وتبديل كما قال الشاعر الفصيح

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مخضر مليح

المير الرائي الآن ان منظر البلاد في مثل هذا الاوان بالوجه البحري من القطر المصري بل وفي الاقاليم الوسطى وبعض نواحي الصعيد قد تحوّل الى منظر حسن جديد بواسطة ما حدث الآن في منظر تلك البلدان من تقطع الارض البور بما يتخلل المنظر المذكور من أصناف الزراعات الصيفية المعهودة لاهل مصر من سالف العصر مع ما ابتدع او توسع فيه من أصناف الزراعات الصيفية الجديدة كالنيلة والارز وقصب السكر والتبناك والاقطان حيث يمتلئ قلبه سرورا ويتفقا له بمحبة وحبوراً اذا نظرت لآلات الجندل المعبر عنها بالثوابير قائمة بعد اخنها الشاحنة

في وسط تلك القفار وعلى الجانبين من شواطئ النيل وسائر الترع والمجلبان تشغل معامل السكر ودواليب حليج الاقطان وتسقى تلك المزارع الخضرا مع السواقي المعروفة بالنواعير بدلا عن عمل الانسان مع حسن منظر القرى والدواحي والمدن محففة بالبساتين والاشجار مصطفة في وسط تلك الصحرا بما فيها من التين والزيتون والنخيل والاعناب وغير ذلك من أنواع الاشجار

المبر المسافر في خط سكة الحديد المتوجه الى جهة الصعيد من سعة الاراضى المنزرعة بالقصب السكرى ما يقضى منه الجنب الميمد نظره الرأكب على عربانات خط سكة الحديد المتوجه الى جهة السويس فيرى تلك المدن والعمارات المصرية القائمة برؤس منارات مساجدها وقباب معابدها في وسط تلك الاراضى المتسعة المستحياة من تلك الجبال على الجانبين من التربة الاسميطة المستجدة المعروفة بالتربة الحلوة وعلى ترعة برزخ السويس الحادثة المسماة بالترعة المائلة حيث يجد ان الارض الزراعية قد اغارت من تلك الجهات على الاراضى الرملية واستولت منها على مقدار وافرحج عن حالة المواث وصار ارضا منزرعة تسمر الناطر وتروق الخاطر ولا يخلو ان يلاقى نظر الناطر في خلال تلك المزارع الوسيعة والمنظر البديعة حقير منظر رجل فلاح ضئيل يعمل بالشادوف على بئر مصطنعة لسقى مقدار قليل من ارض له ضيقة منزرعة بالذرة البلدية او ببعض الاقطان (نحو نصف فدان) ولعمري ان هذا المنظر الحقير لا يلبث ان يقف عليه نظر الناطر البصير من تلك الوساطة المتسعة من حيث سايذل عليه ذلك المنظر النقيير من صبر الفلاح المصرى على كد العمل وكونه بكل مشقة على مصالحة معاشه بتجمل

فاذا حل موسم الزراعات النيلية أعنى وقت الاعتدال الخريفى او اوان قبضان النيل صبح من وصف الواصف المسطر انقاسا ما قيل غير انه فاته انه بصيرة ضرورة أكثر الاراضى من قبيل الرواتب والنبارى صارت تزرع أكثر تلك الاراضى الشبيهة بالقفار والبرارى بالمزارع النيلية كالاصناف الخضرارية والذرة المعروفة بالذرة الشامية وغيرها من المزارع المتنوعة البلدية وينضم اليها ما يبق على الارض من المزارع الصيفية فيحدث من مجموع ذلك منظر جميل حيث تسقى المزارع من الآن بالراحة من ماء النيل فيستتر وجه الارض في ذلك الاوان في كثير من الجهات بما هو أشبه ببساط من سندس أخضر جليل

ثم اذا حل موسم الزراعات الشتوية وعمت عملية التحضير كان منظر وادى مصر في مثل هذا الاوان بهذا العصر ابيض وازهر وازهى وأخضر مما هو فى الوصف السالف مسطر يفوق خصوصا فى ذلك الاوان ما هو فى كتب الادب العربية فى جملة منزهات الدنيا السبع قديذ كر من وصف غيضة دمشق الشام بلجنة عدن التى سبق عليها الكلام وكل ذلك بعناية الدولة الخديوية ورعاية الهمة الدامرية فى هذه الحقبة العصرية

وبالجملة فاعلموا ايها الاخوان ان وطننا هذا يحسب موقعا الحظرفى الجليل الشأن وبعض ما ذكر

أبضامن وصفه التعريفى أعنى كونه الوصلة بين بلاد آسية وأوروية وأفريقية والطريق الأعظم الى بلاد الهند الشرقية ومخزن ميرة الحرمين الشريفين والجامع الآن خصوصاً بواسطة ما حدث من جدول برزخ السويس بين البحرين (الاجر والابيض) هو اجل الاوطان وان بلدنا هذا هو افضل البلدان ولعل هذا هو معنى ما سارت به الركبان من القول بان مصر هى ام الدنيا ومصداق ما ورد فيها من الآيات القرآنية والروايات النبوية ذات السندات العليا كقوله صلى الله عليه وسلم ومضر اطيب الارض تراباً وعجمها اطيب الحجم ، وغير ذلك مما ذكره المقرئ وغيره فيما يعلم وان هذا البلد العظيم والمقام الكريم لا يحيط به الوصف ولا يسع المتكلم عليه غير أن يقف مثلاً بقول سيدى عمر بن الفارض الشاعر المصرى رحمه الله فيما نراه بقوله هذا وعناهُ وعلى تفنن واصفيه يوصفه * يقنى الزمان وفيه ما لم يوصف

مطلب - الكلام على ما ورد فى بعض التواريخ القديمة من ذكر دولة مصرية (مصر) بان مختصر التاريخ القديم للأورخ ويكتور دوروى

قال المؤرخ المذكور طالمّا قيل أنه كان يوجد فى قديم الزمان على جنوب الديار المصرية فى القطر المسمى على وجه المجاز باسم جزيرة مصرية أعنى فيما هو كائن من البلدان فيما بين نهر النيل والغدير المعروف عند الصلاف باسم الاستابوراس (وهو الغدير المسمى الآن فى بلاد الحبشة باتم ادبرة والتاجازة) دولة ايتيوية قديمة ذات شوكة عظيمة كان منها على ما يقال قد قامت أقوام من أسلاف سكان بلاد الحبشة تحت قيادة بعض قسس معبود قدماء المصريين المسمى باسم اوزيريس وساروا على مجرى النيل الاسفل الى جهة الشمال حتى نزولوا بصعيد مصر واختطوا مدينة طيبة الصعيد وأنشأوا هناك معابد فى مدينة قيس (بكسر التاء المثناة من فوق مدينة مصرية عتيقة بصعيد مصر لم يوجد لها الآن أثر) وفى جزيرة ايليفنتين (المسماة عد العرب بجزيرة الساج وهى جزيرة اسوان) وجعوا ما كان مرفقاً هناك على شواطئ النيل من رعاة المواشى وحرث الارض واحدثوا منهم دولاً صغيرة ثم عمروا بالتدريج نواحي الاقاليم الوسطى من الديار المصرية ثم ما عرفت باسم الدلتة من الجهات البحرية وهذا القول لا اصل له فلا ينبغي الالتفات اليه ولا التعويل عليه اذ لم يترغى بالآلآن فيما يوجد بصعيد مصر من البلدان على آثار عمارات قديمة سابقة على عهد العائلة المالوكية المصرية الثانية عشرة من البنين (انتهى كلام المؤرخ ويكتور دوروى فى هذا المقام)

والقول المعتمد الآن فى اصل عمارة ديار مصر فى سالف الزمان هو ما أتى بعد من قولنا عن المؤرخ فرانسيس لونورمان (رجعتم للنقل من مختصر التاريخ القديم للأورخ فرانسيس لونورمان)

مطلب - تقسيم قديم لتاريخ الديار المصرية الى ثلاثة أقسام أصلية - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في مختصر تاريخه القديم ماعناه اعلم ان تاريخ مصر هو اقدم تاريخ عثر له على حوادث تاريخية مؤرخة بالسنوات تذكر وانه يشتمل على أكثر مدة من القرون الصاعدة الى أقصى الدهر وتختصر وقد عتقد قدماء المصريين لانفسهم في تلك المدة المديدة والاعصار العديدة احدى وثلاثين دولة او عائلة ملوكية تداوت الولاية بطريق التوالى واحدة بعد واحدة على بلادهم. وقد جرت عادة المؤرخين السلف ان يميزوهن بصفات تعدادهم على حسب ترتيب وجودهم فيقولون العائلة الملوكية الاولى والثانية والثالثة وهكذا الى آخرها ثم جاء المحققون من المؤرخين الخلف فاثبتوا للديار المصرية في تلك المدة الدهرية ثلاث مدد كبيرة او عهود تاريخية شهيرة بناء على ما تحقق عند العلماء الاوروبين المتأخرين من التخرجات العلمية والنقوصات التاريخية وترتبوا تلك العائلات الملوكية الكثيرة والدول المصرية المذكورة الى ثلاث مراتب أصلية وهي ما يعبر عنه في اصطلاح المؤرخين الاسلاميين بدول الفرائنة السابقين وهي هذه

الاولى ما يعبر عنه بالدولة المصرية القديمة وهي عبارة عن ولى ديار مصر فى سالف العصر من ابتداء العائلة الملوكية المصرية الاولى لغاية العاشرة وذلك عبارة عما يشمل مدة من الزمن يمكن حصرها بوجه التقريب فيما بين سنة ٤٠٠٠ فنأزلا الى سنة ٣٠٠٠ ق م

الثانية الدولة المصرية الوسطى وهي عبارة عن العائلات الملوكية المصرية من ابتداء العائلة الحادية عشرة لغاية السابعة عشرة وتشتمل على المدة الزمنية المنقضية من بعد نحو سنة ٣٠٠٠ فنأزلا الى سنة ١٧٠٠ ق م

الثالثة الدولة المصرية الحديثة ومبدأها من العائلة الملوكية الثامنة عشرة أى من القرن السابع عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام لغاية العائلة الملوكية السادسة والعشرين اعنى سنة ٥٢٧ ق م

ولنتكلم على تاريخ مصر فى سالف العصر على هذا الترتيب حسبما سطره المؤرخ فرانسيس لونورمان المنه كور فى مختصر تاريخه الصغير موزعا على عدة فصول فنقول

الفصل الاول

فى الكلام على الدولة المصرية القديمة

مطلب ذكر أصل الامة المصرية ومنشأ عمارة ديار مصر فى سالف المدة الدهرية - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان لاشك ولا تردد الآن فى ان اول السكان لمصر فى سالف العصر هم من ولد حام بن نوح عليه السلام ومن ذرية ولده المسمى باسم مصر او مصرائيم وانهم وفدوا الى الاقطار النيلية من بلاد آسية بطريق صحارى بلاد سورية وتوطنوا فى وادى النيل الكرم وهذه حادثة تاريخية ثابتة من طريق العلم وواقعة محققة اكدت كل التأكيد ماورد عن موسى عليه السلام بنص التوراة من الذكر المفيد وأما ما كان يقال سابقا وكان مقبولا عند الجمهور من القول بان أصل الامة المصرية ينتسب الى نسل من الانسال الافريقية كان أول مر كثر منه فى مـدينة ميرويه وانه نزل بالتدريج من أعلى صعيد شواطئ النيل الى حدسواحل بحر سفيدي فهذا قول بعيد لايسوغ ان يعتد به الآن بدليل ما ثبت بطريق العلم من البرهان وقضية ذلك اننا نعلم علم اليقين الآن بدليل قراءة ما وجد على العمارات المصرية القديمة من النص والبيان على ان أقدم مركز للتمدن بالديار المصرية قد كان فى القطر السكائن حوالى مدينة منفيس اعنى فى الاقاليم الوسطى والسفلى أى البحرية من الديار المصرية قبل ان يحصل للمدينة طيبة الصعيد مصر العليا التأسيس وانه يمكن ان نتبع اثر التمدن المصرى ناشئا بالتدريج فى سالف العصر من ثمة فصاعدا مع صعود وادى النيل فى اتجاه بلاد الايتيوبية بعكس ما كان قد توهم أولا فى بادئ الامر غير ان أخبار الاعصار الاولى التى كان قد أقام فيها بنو مصرائيم على تلك الارض التى كانوا قد توطنوا عليها قد ضاعت فى بحر ظلمات الروايات الخرافية وانقطعت عنها بالكلية وصارت تاريخ الديار المصرية لا يعتمد الا من حين ان قامت بهادولة وراثية وولاية سياسية محضة خالصة عن الولاية الدينية يظهر عليها ظهورا بينا اثر القوة العسكرية اعنى انها جاءت فاحدثت الولاية الملوكية بدلا عما كانت انديار المصرية محكومة به لغاية ذلك الحين من الولاية الالهية بمعنى نوع الولاية التى ولادة الامر فيها معتبرون كأنهم يلون امر الرعية بطريق الوزارة والتفويض من لدن الحضرة الالهية (انتهى معر بامن تاريخ فرانسيس لونورمان الصغير)

مطلب ما ذكر فى كتب التواريخ القديمة للديار المصرية من الولاية عا عليها بالدولة القسسية (معر بامن مختصر التاريخ القديم للمؤرخ ويكتور دوروى) - قال المؤرخ المذكور اعلم ان تاريخ الديار المصرية فى سالف الحقبة العصرية يكاد أن يكون مجهولا لنا بالكلية وانما حكى القسس المصريين للمؤرخ اليونانى الشهير باسم هيرودوت ابن الالهة المعبودين للمصريين كانوا قد حكموا هذا النظم فى سالف العصر مدة حقبة طويلة من الدهر يريدون بذلك ان خرقه

القسس كانوا قد مكثوا مدة مديدة من الدهر ويبدوهم مقاليد ولاية الامر على ديار مصر ثم احوجت ضرورة المدافعة عن تلك البلاد من غارات الاقوام الرحالة التزالة بالصحارى والجبال لاحداث الطبقة العسكرية وبعد نوال عدة اجيال قام بعض الجنود فاجبر العاجلة القيسية على ان تقسم معها الولاية الامرية العمومية وتعترف بصفة الملوكية لاحد رؤساء القوة العسكرية (اه) (رجع للنقل من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ فرانسيس لونورمان كما كان)

مطلب أحداث الولاية الملوكية بالديار المصرية - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان وقد كان المباشرة هذه الحادثة السياسية رجلا جنديا من قواد العساكر المصرية يدعى باسم مينيس اصل مولده بمدينة تينيس بالاقليم الوسطانية وهى التى دعيت فيما بعد من ذلك العهد بمدينة آبيدوس (عذالهمزة فى أوله) وقد كان هو الذى اختط مدينة منف أو منفيس وأخذها قاعدا لملكته وكرسى سلطنته ولقد نص على اسمه سائر المؤرخين اليونانيين والرومانيين المعتمد على تأليفاتهم فى تدريس علم التاريخ بالمدارس الأوروبية عند الكلام على ديار مصر فى سالف العصر واكدما ذكره عنه منطوق السندات الاصلية الاهلية حيث لم يزل مينيس هذا يذكر فيها دائما تحت مؤسس السلطنة المصرية وبالجملة فلم نعثر لغيره الا على أثر عمارة معاصرة لعهد هذا الملك الذى قد كان من ذريته ملوك العائلة الملوكية المصرية الاولى

مطلب ذكر العائلات الملوكية المصرية الاولى - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان ثم جاءت العائلة الملوكية المصرية الثانية وكان أصلها كالأولى من مدينة تينيس المذكورة آنفا ولا شك انها كانت من أقاربها حيث لم يميزها المؤرخون السالفون دائما عنها وكثيرا ما يخلطونها بها ولقد عثرنا على بعض عمارات أثرية معاصرة لعهد هذه العائلة الملوكية المصرية يشاهد عليها علامات البداوة الاولى والغشامة الاصلية وعدم ثبات طريقة الابنية العمارة مما يدل على ان الفنون الصناعية المصرية فى عهد العائلة الملوكية الثانية كانت لم تزل تبحث عن الطريق المستقيم وانها لم تكن قد بلغت بعد لغاية ذلك العهد لتتمام الاهتداء الى سواء السبيل اللهم الا بشئ قليل

وبعد انقراض هذه العائلة الملوكية الثانية كانت قد جاءت عائلة ملوكية ثالثة أصلها من مدينة منفيس وأخذت بزمام الولاية المصرية فى تلك الحقبة العصرية ومن هذه العائلة الملوكية كان أول من خرج فيما يعرف من الفراعنة الفاتحين للملك الاجنبية من تلك الارض الفرعونية وذلك انه عثر فى صخور جبل الطور على نقش بارز يشاهد فيه تمثال الملك المسمى باسم اسنفرو (بهمزة مكسورة فى أوله يليها سين مهملة ساكنة فنون موحدة قوية محالة على فاء موحدة فراء مهملة يليها واو فى آخره) الذى هو الملك السلف لآخر ملوك من ملوك العائلة الملوكية الثانية

مصوراء على هيئة الزاجر قبائل عرب البوادي الكائنة بالشمال الغربي من بلاد العرب ولقد استدل بها حصل عليه انثور من العمارات المعاصرة للعهد المذكور على ان هيئة التمدن المصرية في ذلك العهد الدهرى كانت قد بلغت من درجات التمام وحسن الانتظام لمثل ما كانت قد صارت عليه في مدة اتمتاج ديار مصر بدولة الفرس والمقدونيين (أى اليونان أو الروم) غير انها كانت في ذلك العصر متكيفة بكيفية خصوصية وصفة شخصية قائمة بهامع جميع العلامات التي تدل على انها قديمة جذام توغلة في حيز وجود سابق طويل من سالف الدهر وبيان ذلك ان سكان وادى النيل كانوا قد بلغوا في ذلك العصر لتأينس سائر أنواع الحيوان النافعة لنوع الانسان بل وبعض أنواع حيوانية من ذوات الشدى لا تعرف لنا الآن الا بالحالة الوحشية فن ذلك أنهم كانوا يستخدمون البقر والطيور العوامية في مصالحهم منذ مدة مديدة وكان المقتنون منهم لتلك الحيوانات قد توصلوا الى تحصيلها من كل نوع من هذه الأنواع على أصناف عديدة وكانت اللغة المصرية قد تكونت وتكونت تامة وتصلت تحصلا منتظما بما هي عليه من الصفات الخاصة بها وتميزت عما سواها من سائر اللغات المجانسة لها

مطلب عر الاهرام الكبيرة وبيان تاريخ انشاء هذه العمارات الشهيرة - قال المؤرخ

فرانسيس لونورمان فيما سطره بمختصر تاريخه القديم وانشاء ما معناه فلما جاءت العائلة المالكية الرابعة وهى من مدينة منفيس أو منف كالثالثة استنار تاريخ الديار المصرية وتكاثر بها العمارات الاثرية وفي ذلك العصر كان انشاء الهرمين العظيمين اللذين انشأهما فى أرض مصر بجوار مدينة منفيس الملوك الثلاثة المصريين وهم الملك **كيوس** (بامالة الكاف على ياء مميحة تحتية فواو قباء فارسية بعدها سين مهملة فى آخره) والملك **كفرين** (بامالة الكاف على فاء موحدة) والملك **ميسيرينوس** فأما كيوس فقد كان ملكا حرييا كادل على ذلك ما عثر عليه بصخور جبل الطور من النقش البارز الذى فيه مسطور ما يشهر نصرات الملك المذكور على قبائل البدوان العربية حيث كانوا يناوشون نزائل العمال المصريين الذين كانوا متوطنين بذلك القطر من أرض مصر لقصد استخراج معادن النحاس التي كانوا يعملون عليها في ذلك العصر والذى خلده ذكر هذا الملك على ممر عدة قرون من الدهر انما هو الهرم الذى أنشاه وشيد بناه حيث تحقق بذلك ان يتخلد اسمه مادام يوجد على ظهر الدنيا نوع بشر وذلك ان مائة الف عامل كانوا يعملون كما يقال بطريق التبادل فى كل شهر على اعمال هذه العمارة الهائلة مدة ثلاثين سنة كاملة من العمر لقصد ان تكون له بمنزلة القبر ولقد صارت تعجب المصنوعات التي صنعتها يد الناس من العمل من حيث جسامتها لأقل وان ما يدل عليه بناء الإهرام من تقدم قدماء المصريين فى فن العمارات العظيم جدا ولم يكن قد فاقهم فيه اخذ أبدا حتى فى عصرنا هذا

حيث انه مع ما وصلت اليه العلوم من درجات التقدم لم يزل يصعب حل مسألة كون المهندسين المعمارية من قدماء سكان الديار المصرية كيف توصلا لوالا بنين وافي مجسم عظيم كالاهرام بيوتا ودهاليز في باطنها لم تزل على ما كانت عليه من كمال الحال الاولى وحسن الانتظام الاولى ولم يعثرورها أدنى خلل في أى مكان منها كان بعد نحو ستين قرنا من الزمان مع ما عليه مجسم تلك الاهرام من التحمل بشقل ملايين من الكيلوجرام (والكيلوجرام ألف جرام والجرام عبارة عن نحو ثلث درهم بالوزن المصري) .

وبالجملة فان عصر العائلة الملوكية الرابعة هذه هي نقطة أوج تاريخ مصر في سالف الدهر والظاهر ان ما كانت قد بلغت اليه الديار المصرية في عهد ملوك هذه العائلة الملوكية من العظمة والثروة الداخلية كان أمرا عظيمًا جدًا كما يدل عليه عمائرهم المهيبة وتأسيساتهم الغريبة وكانت حدود مملكتهم تمتد للغاية جنابا للذيل غير ان قاعدة دولتهم كانت بمدينة منف أو منفيس و من كثر حياة سلطنتهم باقيا حوالا لا غير .

مطلب بيان كيفية تمدن ديار مصر في ذلك العصر - وقد كانت عمارات العائلة الملوكية الرابعة هذه التي مكثت حاكمة على الديار المصرية مدة ٢٤٨ سنة وعمارات العائلة الخامسة التي كانت كذلك منفيسية وقد أقامت مستولية على كرسى المملكة المصرية مدة ٢٥٨ سنة مع ما كانت عليه تلك العائلة الملوكية الرابعة من درجة التمدن المرتفعة عديدة جدًا وذلك انه قد استكشف بناس العمال حول مدينة منفيس عدة قبور تحت الارض لجملة أناس من اعيان ذلك العصر كانوا من أرباب المناصب العالية في دولة ملوك هاتين العائلتين من فراغنة مصر وبها استمدل على ان الجمعية البشرية المصرية في تلك الاعصار الغابرة جردا من الحقب الدهرية كانت متمكنة بهيئة سيادية تامة وذلك ان القوة التنفيذية أعنى ان ولايه امر العامة بتلك البلاد كانت مقتصرة بيد طبقة عسكرية قليلة لا افراد يذعن لها بتمام الطاعة والانقياد سائر الطبقات الالهية من الامة المصرية وكانت تلك الطبقة الجندية على درجات قرابة بعيدة او قريبة كما هانت نسب لاصل العائلة الملوكية الاصلية وكانت افراد هذه الهيئة السيادية بصفة كونهم ارباب اوسية عظيمة اعنى اصحاب املاك جسيمة يقطعهم السلطان اياها بشرط أن يكونوا تحت الامانة والطاعة له يتوارثون جميع المناصب العلمية والوظائف السقية العسكرية والسياسية ويتعاقبون من الالاء الى الالاء على ولاية الاقاليم المصرية بل تغلبوا أيضا على الوظائف القسسية واحتكروها لانفسهم كسائر الطوائف السيادية السالفة في مدة الاعصار الوثنية وذلك ان ما عثر عليه بالاستكشاف من قبور الملوك المنفيسيين والاعيان المصريين السالفين في مدة العائلة الملوكية الرابعة والخامسة انما يشاهد على جوانبها صور مناظر من أطوار الحياة البشرية المنزلية والزراعية وبواسطة هذا التصورات تبسر لنا أن نقف على أسرار كيفية وجود الهيئة

السيدية التي كان عليها أعيان أهل مصر منذ ستين قرناً من الدهر وتفرج على ما كانوا يتخذونه في جنالكهم وأملاهم الأرضية من متسع الضياع والمواطن الزراعية ونعرف رؤايتهم حيث يعد فيهار رؤس المواشي بالآلاف وتوجد فيها الحيات وذوات القرون الفارغة والظير المسمى بالسكرى والاوز من سائر الأصناف يقتنون في منازلهم بالحالة التأسيية ويعتنونه على اختلاف الجنسية ونشاهد منهم ذاتهم في داخل مساكنهم الجميلة محاطين بغاية الاحترام والطاعة من أتباعهم بل يصح أن يقال من عبيدهم ونعرف أنواع الأزهار التي كانوا يزرعونها في مساكنهم واطعمة المغنيات والراقصات وأنواع الملاهي التي كانوا يحوزونها في منازلهم - لترويج أنفسهم وزاهم من أشد غواية الصيد والقنص وغير ذلك

مطلب ذكرنا وأخبرنا دولة المصرية القديمة - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان - وباتهاء مدة العائلة الملوكية السادسة انتهت المدة التاريخية الحقيقية التي يطلق عليها اسم الدولة القديمة المصرية - وذلك أن الديار المصرية بمدة عهد العوائل الملوكية الخمس الأولى كان لها طابعان حالة السلم الداخلية كانت فيها قد بلغت إلى درجة التمام وان حالة البلاد كانت في غاية الانظمة وان أبواب الوسايل البحار كانوا منضبطين تحت الطاعة والوفاء والرعايا متحمسين لشغل الظلم والصغار وكذا العمل الذي كان يجبرهم عليه كبرولاء الامور المنشئين للآلهام حتى جاءت العائلة الملوكية السادسة فظهرت في عهدها عوائل الفتن الاهلية والمحن الداخلية والظواهر ان مدة حكم الملوك الاولين من أعضاء هذه العائلة الملوكية قد كانت ساكنة وان البلاد كانت في عهدهم آمنة مطمئنة ومنهم الملك المسمى باسم **فيوبس** (بفتح الفاء الموحدة في أوله بليلها ياء مشددة تحته فوار قباء فارسية فسين نهمل في آخره) حكم ديار مصر مدة قرن كامل من الدهر وهذه حادثة تاريخية فريدة لم يعهد لها نظير معهوده في تاريخ العالم بتمامه وقد كانت مدة حكمه هذه على ديار مصر لا تخضع لوعن فخر اذ وقف له على آثار بعض عمارات نص فيها على انه غزا بعض غزوات وانتصر عدة نصرات على أقوام الزنوج المتوطنين بصعيد وادي النيل الاعلى وغيرهم من القبائل الرحالة التزلة الوارد من نواحي بلاد آسية حيث كانوا يسعون بالفساد على ثغور البلاد من تلك الجهات غير انه قد كان في مدة عهده الملك المديد ان قام رجل من ذوى البغي والطغيان يقال له **كتويس** (بفتح الهمزة في أوله) ورفع لواء العصيان بمدينة هيرقا وبوليس وأهريقلية الصغرى (مدينة مصرية قديمة كانت موضوعة على مسافة ٢٥ كيلو متر من شرق مدينة تانيس وهي المسماة الآن باسم أهنا من المدينة) بنواحي الدلتا النيلية وعزل من بلاد السلطنة الفرعونية عدة أقاليم مصرية واتخذها لنفسه مملكة خصوصية وجاءت بعد الملك فيوبس هذا الملكة المصرية المسماة باسم **نيمتوكريس** (بكر النون الموحدة في أوله) المعروفة في التواريخ بنعت (الجسنة ذات الجذود الوردية) وقد اطرى القسيسين ما ينتون المصري والمؤرخ

هيرودوت اليوناني ما كانت عليه هذه المملكة من درجة الحكمة والكمال وشدة الحسن والجمال فأرادت ان تجتهد في اطفاء نار الفتنة والاختلال وكانت قد اشعلت حتى وصلت الى كرسى المملكة الفرعونية الاصلية فلم تبلغ تلك الامنية بل أدركتها المنية في أثناء المباشرة لهذا العمل فهلكت وقد خاب منها الامل ومكثت الديار المصرية مدة تقرب من ثلاثة قرون دهرية وهى منقسمة الى ممالك كثيرة ومتوزعة بيد دولتين متفرقتين احدهما مستولية على نواحي الدلتا المصرية والثانية على بلاد بحرى انذيل العميدية وكانت العائلة الملوكية التاسعة والعاشرة من ترتيب المؤرخ مايتون المصرية حاكمة على الجهات البحرية والثمانية والحادية عشرة على الجهات القبلية

مطلب بيان انحطاط درجة التمدن المصرى فى ذلك العهد العصرى قال المؤرخ فرانسيس لونيومان فى مختصر تاريخه القديم السالف الذكر والبيان مامعناه ومن وقت ان افتتحت حادثة تعدى الرجل الباغي المسمى باسم اكتويس المذكور آنفا عهد الشين الالهية بالديار المصرية كان قد اعتري شمس التمدن المصرى فى ذلك العهد العصرى على حين بغتة منه حادثة انكساف كلى من حوادث الزمان لا يعلم لها سبب بعد لغاية الآن وذلك انه انقضت بعد ذلك مدة نحو ثلاثة قرون دهرية ونحس لا نرى للديار المصرية آثار عمارة أثرية مطلقا وكأن ديار مصر فى خلال ذلك العصر قد انحطت بالكلية من مراتب الامم والملل ولما انقضى من رقدة تقدمها هذا الاجل كأنه قام يستأنف السير فى طريقه بالثانى بدون ان يقفوا اثره الماضى

قال المؤرخ فرانسيس لونيومان المذكور فى عبارة المؤلف مارييت المشهور (وهو مارييت بك ناظر الانثى بمخانة المصرية الكائنة الآن على مينة نهر النيل ببولاق مصر) الحمية اى ناظر مخزن الاثار القديمة الفرعونية وهومن لدن الحضرة الحديوية بالحفر والبحث عن المواد التى يحصل عليها العثرفى الاطلال القديمة المعروفة بالكفرية لقصد الاستدلال بها على الحقائق التاريخية العميقة مأثور) مانصه كما هو بعد مسطور

ودول عمرى ان المنظر الذى يظهر من حال ديار مصر فى عهد الدولة المصرية القديمة لهو جدير جدا بان يقف عليه الناظر البصير وذلك انه بينما كان سائر جهات الارض المعمورة فى الحقبة المذكورة منغمسين فى ظلمات التوحش والبداءة وكان أشهر الملل والامم الذين صار لهم فيما بعد فى المصالح الدنيوية من العناية والمدخلية المنصب الاعظم لم يزالوا بعد متلبسين بالحالة الوحشية كانت سواحل نهر النيل تظهر لعين الراى فى منظر حسن جميل ومراى زاهر جليل تغذى قوما من الناس فى سالف تلك الحقب أولى حكمة وتمدن وأدب ودولة ذات شوكة قوية تعتمد على حسن ترتيب هائل من أبواب المناصب والعمال الدولية تحكم فى نوازل الاله بالاسباب والادلة ومن أول وقت لحظنا فقه همة التمدن المصرية 'فى سالف تلك الاعصار الدهرية' ولو بلغت ما بلغت

من التوغل في الاعصار الماضية لم نزل نراها بحالة كمال على وجه بحث تكاد ان لا تحتاج لاكتساب فائدة جديدة من الاعصار التالية وان كانت أيا ما كانت عديدة بل ربما صحت ان يقال ان تمدن ديار مصر من بعض الخيئيات اعتراه النقص والانحطام حيث صار لا يبق في عصر من الاعصار من العمارات مثل الاهرام (انتهى معربا)

الفصل الثاني

في تاريخ الدولة المصرية المتوسطة

مطلب يقظة تمدن مصر في سالف ذلك العصر - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور اعلاه في مختصر تاريخه الصغير مامعناه وفي وقت ان كانت الدولة المصرية القديمة قد ظهرت الى تلك الدرجة العظيمة من ذلك العهد لم تكن مدينة طيبة الصعيد توجد بعد والظاهر ان تلك المدينة التي كان المصريون يعتقدونها حراما لمعبودهم المدعو باسم آمون كان أول تأسيسها في مدة الاختلال والنجول التي اعترت الديار المصرية بعد العائلة الملوكية السادسة حسب ما هو آفا منقول وكانت هي أول مهد لتلك النشأة الثانية التي نتج عنها اشراق الملك والتمدن المصريين بالثاني وقد جرت عادة المؤرخين بالتعبير عن تلك المدة في اصطلاحهم بدولة المصرية المتوسطة وكأشها هي مدة القرون الوسطى بالنسبة لدار مصر العتيقة وان كانت سابقة على كل تاريخ يعهد في الحقيقة وقد كان من مدينة طيبة هذه منشأ الملوك الستة الذين قاتلوا عصية البغاة الخارجين على الدولة المصرية الاصلية مع غاية الهمة والثبات بالاقاليم البحرية وغيرهم بحسب التخمين من الغزاة المتعدين على الديار المصرية من ملوك البلاد الاجنبية وكانت عاقبة أمرهم ان استرجعوا دولة مصرهم باليديهم بالثاني قال المؤرخ ماريت بك (في مختصر التاريخ القديم الذي ألفه للديار المصرية بأمر الحضرة الخديوية ما نعرى بعبارة هكذا

وفي العهد الذي تشاهد فيه الديار المصرية بعد العائلة الحادية عشرة الملوكية قد استيقظت من طول رقدتها كانت الروايات المأثورة فيها من قديم الزمان قد انزوت في زوايا النسيان وحدثت أمور أخرى جديدة فتبدلت أسماء الاعلام التي كانت معتادة للمصريين في تسمية العائلات الالهية وتغيرت الالقاب والنعوت بالوظائف التي كانت تعطى لارباب المراتب المصرية وأصحاب المناصب الميرية وتغير كل شيء في مصر بذلك العصر حتى كيفية الكتابة الالهية وحقيقة الديانة المللية وزالت وظيفة قاعدة المملكة السلطانية عن كل من مدينتي تينيس وبليفتين (جزيرة أسوان) ومنفيس وصارت مدينة طيبة من غير سابقة ذكر لها في المأثورات المصرية السابقة هي قاعدة السلطنة الفرعونية وكرسى الشوكة المصرية السلطانية غير ان دولة مصر في ذلك

العصر كانت قد زالت يد هاعن كثير من أملاكها الارضية وصارت مملكة ملوكها الحقيقيين لا تمتد على غير مدار بسير لا يتجاوز حدود القطر المبرعنه بلقظ الطيبايد (أى البلاد الطبيعية بمعنى الصعيد) ولقدأ كد النظر في العمارات العصرية التى حصل الوقوف عليها فى ذلك العهد للديار المصرية تلك المحفوظات العمومية كل التأكيد وقضية ذلك ان تلك العمارات لم يزل يتظاهر عليها اشارات الغشامة والقساوة ويتبادر منها علامات الغلظ والبداوة وبالاطلاع عليها يظن الناظر انها ان الديار المصرية فى عهد العائلة الحادية عشرة الملوكية قد عادت تستأنف ما كانت قد تلبدت به من حالة الطفولية فى عهد العائلة الثالثة الملوكية » (اتهى معربا من تاريخ مصر القديم للأورخ ماريت بك)

مطلب ذكر العائلة الملوكية المصرية الثانية عشرة — قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكر أعلاه بعد ذلك ما معناه

ثم جاءت بعد ذلك عائلة ملوكية أخرى هى بحسب الحدس والتخمين لهؤلاء الملوك الطيبين الاولين فى النسب من الاقربين وأصل نشأهم كلهم من مدينة طيبة الصعيد المذكورة وهى التى يعبر عنها فى اصطلاح المؤرخين بالعائلة الملوكية الثانية عشرة وسائر ملوك هذه الدولة المصرية كلهم يدعون أماباسم **اوزورتوزان** او باسم **آمونيه** وكانت قد أقامت على كرسى السلطنة مدة ٢١٣ سنة ولقد كان عصر هذه العائلة الملوكية على الديار المصرية من السعادة والرفاهية وحسن الانتظام والسلم فى الامور الداخلية والهيبة الفرعونية لدى الممالك الاجنبية على وجه تام وذلك ان ملوك العائلة الحادية عشرة المصرية هذه كانوا قد استردوا ما كان بأيدي الدولة المصرية السالفة من بلاد الجزيرة العربية الشمالية الغربية وكانت قد انزلت من ايديهم فى مدة الفتن الاهلية والحن الداخلية التى كانت قد اعترت الديار المصرية فى سالف الحقبة العصرية وادخلوا تحت الطاعة الفرعونية بالطريقة القطعية بلاد اخنوبة مع جزء من بلاد الايتيوبية وانشأوا بعض عمارات اثرية عجيبة وابنية غربية تصاهى من حيثية الغرابة عمارات العائلة الملوكية الرابعة وان كان بعضها أعلى من هادروجه من حيث كونها نافعة فمن ذلك المغارة المشهورة والبركة المذكورة كل منهما باسم مغارة مريس وبركة مريس (بنواحى الفيوم) حيث كان انشأ هاتين انعمارتين العجبتين و بناء هذين الاثرين الغربيين فى عهد ملوك هذه العائلة الملوكية على وجه بحيث يتخلل بهما منهم الذكر ويبقى لهم بهما الفخر فيما بعد على عمر الدهر

مطلب الكلام على بركة مريس وأصل الباعث على أنشأ هذا الاثر النفيس — قال المؤرخ فرانسيس لونورمان فى هذا الشأن ما عر به هكذا.

فأما بركة موريس فقد كانت معدودة عند الامم الاقدمين من عجائب ديار المصريين وكانت مع ذلك من انفع المصنوعات الاثرية الماثورة عن الملكية الفرعونية المصرية. وبيان ذلك كما أوضحه المؤرخ ماريت بك في مختصر تاريخه القديم المذكور ونص عبارة (مصرية) كما هو بعد مسطوره انه في ذلك العصر قد كان نهر النيل بديار مصر اذا كانت زيادة الدورية غير كافية لرى الاراضى الزراعية بقى بعض الاراضى بدون رى وصار بالضرورة غير متزرع واذا خرج النيل عن مجراه الطبيعى بشدة طغيان قلع القناطر والجسور وافسد الترع والخجان وأغرق القرى والبلدان وأجذب الاراضى الزراعية بدلا عن ان يحصبها وكانت ديار مصر على مر الدهر لا تزال مترددة بين آفتين هائلتين متحيرتين ظامتين غائلتين فلما ولي ديار مصر الملك المسى باسم امونته الثالث من ملوك العائلة المالوكية الثامنة عشرة استمقظ لهذا المضرة فانشأت اذكارها عمارة جسمية جدا وذلك ان يوجدى فى غربى الديار المصرية بسلسلة الجبال الليلية واحدة متسعة من الارض الصالحة للزراعة وهى ما يدعى الآن بالفيوم تتصل بأرض الوادى الذى يرويه ماء النيل بما هو أشبه ببرزخ من الارض كما هو من المعلوم وكانت تلك الواحة ضائعة لا تتفاح بها فى وسط تلك الصحرا وفى وسط الواحة المذكورة هضبة متسعة تساوى درجة استواء سطحها درجة استواء سطح أرض وادى مصر المنزوعة على وجهه العموم وعلى جهة الغرب منها منخفض عظيم من الارض يتكون منه واد توجد فيه بركة طبيعية تدعى عشرة فراعخ طولها وهى التى تسمى **بركة قارون** فى وسط الهضبة المذكورة شرع الملك امونته الثالث فى ان يحفر حفرة أوبركة أخرى صناعية على نحو عشرة ملايين من الفراعخ المربعة فتم هذا العمل ودار النيل اذا جاءت يادته غير كافية لرى الاراضى المصرية المنزرعة توجهت تلك البركة المصطنعة فسالت المياه المخزونة فيها وقت أرض الفيوم وغيرها من أراضى الشاطئ الايسر من النيل لغاية ساحل بحر سفيده وان جاءت الزيادة فوق الحد المحدود وخشى على القناطر والجسور من هذا المخدور تركت مخازنها المتسعة مفتوحة حتى اذا طفا الماء على شواطئها انصرف ما ينض من تلك البركة الصناعية بواسطة قنطرة الى بركة قارون الطبيعية « (اه متعولا من تاريخ مصر القديم للمؤرخ ماريت بك)

مطلب ذكر ما عثر عليه من العمارات الاثرية المنسوبة الى هذه الحقبة الدهرية - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان فى مختصر تواريخه القديم السالف الذكر والبيان - لامنافضة الآن فى ان عصر العائلة المالوكية الثانية عشرة قد كان فى تاريخ الديار المصرية من أعظم الاعصار بل يصح ان يقال قولا لا يخفى عليه من ردولاسكار بأنتم ثن الدولة الفرعونية فى تلك الحقبة الزمنية كان قد بلغ الى أعلى أوج الإفخار وأتم درجة الانتشار والازهار غير ان غارة الملوك

المعروفين في تاريخ الديار المصرية بالملوك الرعاة الذين جاؤا من جهة بلاد آسية وتغلبوا على بلاد وادي النيل بعد ذلك بقليل كانوا كما يظهر قد وجهوا جل همهم واعمالوا شدة فظاظهم وغلظتهم نحو اتلاف كل ما يتقي به الملوك العائلة الثانية عشرة هذه أدنى ذكر أو أثر فاقفوا آثارهم واخربوا ديارهم وأزالوا ما كان هؤلاء الملوك المصريون قد أنشأوه من الابنية العظيمة والعمارات الجسيمة حتى انهم لم يبقوا لهم أثر اعظيما مطلقا من معبد ولا غيره ومع ذلك فقد حصل العثور لحالة الصنائع والفنون المصرية في العهد المذكور على مقدار كثير من النخوذجات والعينات المفيدة في جملة اعمدة اثرية عديدة وجدت في قبور بعض الموتى من آحاد الناس ولم يزل يوجد منها العدد الكبير في ذات القبور الكائنة بالناسحة المشهورة ببني حسن من بلاد الصعيد المصرية وقد نقل منها شيء كثير الى مخازن الاثنيتغخانات الاوروبية

وهذه المقابر العجيبة والملاحد الغريبة هي مقابر بعض اناس من اعيان قدماء مصر بين كانوا متقلدين بأعلى المناصب الميرية وأكبر المراتب العمومية في الدولة المصرية مو كانوا يعيشون عين كريمة المعاش السيادة التي كان عايلها الامراء العظام والاعيان الكرام في عهد الدولة المصرية القديمة أعنى على الوجه الذى هو من ألف ذلك العصر معهود من انهم كانوا يعيشون بمنزلة الاسياد وباقي الرعية لهم منزلة العبيد بل كانت حالة وجودهم الاجتماعية قد آلت بحسب الظن في هذا العهد من الزمن من أنواع الحكومات الدولية الى صورة الحكومة الاعيانية الوراثة النامة فن ذلك قهر رجل من ارباب الوظائف العامة يقال له **آمينى او آمونى** (بمذ الجهر في أوله بياها ميم بحالة على باء مثنى تحتية ساكنة او مضمومة عليها واو بمدودة ثم نون موحدة بعد ها يا م مثنى تحتية في آخره) وجد فيه عمود من هذا القبيل مسطرا عليه بالقلم المصرى القديم نص اثر طويل يحكى فيه مناقب حياته بنفسه قائلا « انه بوظيفة قائد عسكر غزا غزوة بلاد السودان ونيط اليه أمر خفر القوافل الحاملة لتع اذن انذهب المجاورة من بلاد النوبة الى مدينة قبط (المسماة باسم قبطوس عند اليونان) « واختصر قصة مدة حياته بوظيفة عامل اقليم من اقاليم المصرية (المعبر عنها الآن بانظ المديرية) بقوله « وقد كانت جميع الاراضى الكائنة تحت ولايتى من الشمال الى الجنوب محروثة مغروسة ولم يسرق شئ من معاملتنا ولم ازعج ما عشت طفلا صغيرا ولا أذيت أرملة قط بل أعطيت عطائى للارملة والمتزوجة بالسوية ولا قدمت كبير اعلى صغيرا في جميع الاحكام التى صدرت عنى « (انتهى نص كلامه معبرا بامعناه حسبا نقله المؤرخ ماريت بك في تاريخ مصر القديم ورواه)

مطلب - ما حصل في نظام الدولة المصرية المتوسطة من الاختلالات الالهية والفتن الداخلية

ثم باقراض العائلة المالوكية الثانية عشرة عادت الفتن الاهلية والمحن الداخلية في الدولة المصرية بالثاني وذلك ان العائلة المالوكية الثالثة عشرة وعدة ملوكها استولوا على كلهم من مدينة طيبة وسائرهم الا قليلا منهم يسمى أما باسم سيميجنوطيب أو باسم نيمفروطيب (بأمانة الطاء المهملة على ياء مثناة تحتية يليها ياء موحدة في آخره) هي وان كانت قد ابتدأت مدة ولايتها على كرسى الدولة الفرعونية بالاستيلاء على جميع أراضى الديار المصرية من غير منازع ولا شريك بالكلية بل كانت قد امتدت حدود المملكة المصرية في تلك الحقبة العصرية من الجهة الجنوبية والشمالية بدليل ما عثر عليه مما هو من قبيل الصور الهائلة (المعروفة بأبي الهول) المصروفة مالوك هذه العائلة المالوكية في المسكن الكائن فيه اطلال مدينة تأنيس (سان) باتسى جهة الشمال الشرقى من ديار مصر وفي جزيرة ارجو (بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة) على القرب من دنقله غير انها بعد مدة يسيرة من ولايتها كانت قد قامت عليها في الجهات البحرية من الديار المصرية عائلة ملوكية باغية أصلها من مدينة اكسويس (بكسر الهمزة في أوله وهي الآن سخا) وهذه العائلة المالوكية الحادية هي المعدودة في ترتيب المؤرخ مانيتون المصرى بالاربعة عشرة

مطلب ذكر غارة الملوك الرعاة على الديار المصرية «من القرن الحادى والعشرين فنازل الى القرن السابع عشر ق م» — وفي هذه المدة الدهرية كان قد اعترى الديار المصرية مسيبة هائلة وبلية غائلة هي أعظم المصائب وأدوم النوائب المسجلة في سجلات تواريخها السنوية حيث جاءت فقطعت ثانى مرة ما كان حاصل على شواطئ النيل من سير التمدن الجميل ومحت ديار مصر من مراتب الملل والاعم مدة حقبة من الدهر وبيان ذلك ان عدة من قبائل العرب والشام الرحالة التزلة وكان من أعظمهم شوكة وأقواهم عصبية الاقوام المسمون بالهيتيين من بنى كنعان انتزوا الفرصة عما كان واقع بين العائلة المالوكية الطيبية والاكسوسية من العداوة والاختصاص وما ترتب على ذلك في تلك البلاد بالضرورة من اختلال النظام فجاءوا الى الديار المصرية وأغاروا عليها وأدخلوها تحت طاعتهم وهذا هو ما عبر عنه في اهل التارخ الاورو باو بين بغارة الملوك الرعاة على الديار المصرية (ويقال له عند المؤرخين الاسلاميين ملك العمالة على ديار مصر) وهو آخر مدة الدولة المصرية المتوسطة وقد كان من اخبار الملوك الرعاة المذكورين انهم بعد أن تمكنوا من ديار مصر أخذوا في أول الامر كما فعل التارخ ببلاد الصين في انهم وجهوا اجل هتهم واعملوا كل فظاظتهم وغلظتهم نحو ائتلاف كل ما قابله من عمارات القوم السالقين ثم انتهى أمرهم بعدمدة يسيرة من السنين بان أذعنوا لعلى تمدن القوم المغلوبين وتخلوا وبالأخلاق المصرية وتعودوا بالعواد البلدية الاهلية فاتخذوا لهم مثل العائلات المالوكية المتقدمة بيوت ملك منتظمة وكانت جهة الصعيد لم ينزل بها من القوم المصريين الاصليين من لم يطرأ عليه شائبة اختلاط الدم

الاجنبي فبقيت فيه العصبية الالهية والشهامة الاصلية فقام منهم قوم على هؤلاء الاغراب بمقر ملكتهم وخرجوا عن طاعتهم وانقسمت البلاد الى مملكتين وانتظم فيها امر دولتين مقيمتين احدهما في الجهة الجنوبية وهى مصرية مخضعة قام بهاملوك العائلتين الملكيتين الطبيعتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة وكانت قاعدة ملكها بمدينة طيبة والثانية بالجهة الشمالية بيد الملوك الرعاة وقاعدة ملكها مدينة تانيس (سان) المسماة ايضا مدينة أواريس وقد كان في مدة دولة احدها وآخر هؤلاء الملوك الرعاة المسمى باسم **ابوفيس** ان حضر يوسف بن يعقوب الى الديار المصرية فصار له وزيراً وتوطنت عائلته يعقوب على الشواطىء النيلية ودليل ما ذكر اعلاه انه لم يثر لغاية الآن للملوك الرعاة على آثار عمارات ولا بنیان اللهم بمدينة تانيس هذه التى كانوا قد اتخذوها قاعدة مملكتهم وجعلوها كرسى سلطنتهم ولقد اتضح بالاطلاع على الآثار المذكورة ان صناعتها كانت أجمل وان العمل فيها كان ادق وأكمل من العمارات الماثورة عن العائلات المملوكية المعاصرة لها بالجهات القبلية وما ذلك الادعى ان المملكة التى كانت يسكنها هؤلاء القوم البغاة كانت بالضرورة أغنى وأهنأ واثرى راعياً مما كان قد بقي بيد دولة الملوك المصرية الاصلية من بعض الاقاليم الجنوبية التى كانت لم تزل تقاوم مع غاية المشقة والجهد لقصد خروجهما عن طاعة الملوك الرعاة

ولقد يشاهد في تلك الآثار من صحیح الاخبار ان الملوك الرعاة المذكورين كانوا قد انتهى أمرهم بأن صاروا فراعنة حقيقيين وتلقبوا بعين الاقارب التى كان يتناوب بها أعضاء العائلات المملوكية السابقين بل تدنوا أيضاً بذات أهل مصر والمدرجوا بطريق القهر في ضمن معبوداتهم المصرية الملية وأصنامهم الالهية ما كانوا يعبدونه في بلادهم الاصلية من الاله المسمى باسم (سبت) وانتهى امره بأن بقى مندرجاً في جملة معبوداتهم الالهية بالطريقة القطعية لا على وجه كونه في أول مرتبة الألوهية كما أرادوا ان يجعلوه في أول الامر ولكن بدرجة ثانوية ولقد كانت اخلاقهم وعوائدهم هم ورعاياهم هى عين عوائد المصريين الاصليين مع بعض عوائد خصوصية قليلة كانوا قد حضروا بها من أقطار آسية التى هى اوطانهم الاصلية

مطلب انقاذ الديار المصرية من يد الملوك الرعاة — كانت ديار مصر قد مكثت مدة اربعمائة سنة من الدهر منقسمة بين القوم الاغراب البغاة المعروفين بالملوك الرعاة والملوك المصريين الاصليين من القوم الصعيديين بل كان هؤلاء القوم المذكورون في أكثر تلك المدة ليسوا بانفسهم مستبدين بل كانوا اتباعاً لدولة القوم المتغلبين حتى جاء وقت أحسن فيه القوم البلديون بأنهم صاروا من البأس والقوة على درجة بحيث يمكنهم أن يتخلصوا من ربة القوم الباغين الذين هم عليهم من بلاد آسية من الاغراب الطارين وكان قد قام على كرسى ملكة طيبة الصعيد بيت ملك جديد كان أربابه أولى شجاعة تامة وبأس شديد وأصحابه ذوى

حرب عنيد فكان أول من تقلد منهم تاج المملكة الصعيدية الملك المنفى باسم أموزيس (بعد الهزيمة في أوله بعد هامي فوا وفرائي هجمة فياء مشنقة تخمسة فسين مهملة في آخره) وكانت حادثة تقليده على المملكة قد اشتهرت بحجربة لقصد انقاذ الوطن يظهر انها وان كانت غير مستطيلة لكنها كانت حرا بشدية وذلك ان الملك أموزيس هذا غلب الملوكة الرعاة وظفر بهم واستولى بطريق العنوة على قاعدة ملوكهم وادخل تحت طاعته سائر البلاد المصرية لغاية حدود أرض كنعان وانتقلت عليه القوم الرعاة الى ما وراء برزخ السويس وفروا الى بلاد آسية ورخص الملك أموزيس لمن بقي منهم في حيازة قطعة من الارض كان اسلافهم قد تغلبوا عليها ليزرعوها ويتعيشوا منها قال المؤرخ ماريت بك المذكور أعلاه في هذا المقام مامعناه ولقد تكون منهم في شرق الاقاليم البحرية من الديار المصرية نزلة اجنبية بالشرط التي كان قد اقام عليها بديار مصر بنو اسرائيل في ذلك العصر غير انهم لم يكن لهم حادثة هجرة وطنية اى قصة خروج من ديار مصر حكمت في سفر مخصوص من التواراة مثلهم وبالتقدير الازلية العجيبة نرى انهم هم الاقوام الغريبة اولو البنية القوية والوجوه الكشرة المستطيلة الذين هم لغاية الآن على شواطئ بحيرة المنزلة سكان (اه)

الفصل الثالث

في الدولة المصرية الحادثة

مطلب — ذكر العائلة الملوكية الثامنة عشرة المصرية (اعنى تاريخ ديار مصر في القرن السابع عشر ق م من سالف العصر)

اعلم ان حادثة طرده هؤلاء القوم البغاة المعروفين في تاريخ الديار المصرية بالملوك الرعاة هي أول البشرى العظيمة بقدم مدة حكم العائلة الملوكية المصرية الفخيمة المعدودة بالثامنة عشرة وذلك ان الملك أموزيس بعد ان اعد حدود السلطنة الفرعونية الى درجة كمالها الاصلية التفت لاصلاح الاحوال الداخلية وجير ما تفتت يد الغارة الاجنبية فأعاد عمارة مدينة منفيس بالثاني وكانت قد أخرجه الملوكة الرعاة المذكورون واشاد المباد والهياكل في سائر المحال وكانت قد صارت من قبيل الاطلال واستمر على أعمال العمارة والانشاء بالثاني سائر خلفائه الذين اقموا آثارهم من الملوكة الاولين المدعويين باسم الفراعنة الطوطموسين والامينوفيسين حيث كانت الديار المصرية في مدة عهد هؤلاء الملوك المصريين ايضا قد دخلت في طريق الفتوحات وشنت جيوشها على بلاد آسية اشد الغارات وكان ذلك لقصد ان تنتقم لنفسها مما فقد له بها تعدد هؤلاء البغاة فامست وت على جميع ارض كنعان

وتعدت الى ما وراء صحاري الشام من البلدان واغارت على الاسوريين (العراقيين) ببلاد الجزيرة وقد كانوا لم يبلغ لدرجة الكمال دولتهم ولم تتم مادة تكوين مدنيهم وان كانوا في ذلك العصر قد استولوا على مدينتي يندوى وبابل ومن مغازيهم هذه كان لمصريون قد سجدوا الى الديار المصرية بنوع الفرس حيث لم يشاهد له رسم في تصويراتهم ولا عهد له ذكر في تذكرياتهم بعد بل يظهر انه قد كان امرا مجهولا لهم لغاية ذلك العهد

مطلب — ذكر فرعون طوطميس الثالث (اعنى تاريخ الديار المصرية في نحو سنة ١٦٠٠ ق م) وكان قد حكم الملك منذ كور على ديار مصر مدة نصف قرن من الدهر

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور اعلاه مامعناه ان اعظم ملوك ذلك العصر وربما صح ان يقال ان اعظم من تسجل له ذكر في مجلات التواريخ السنوية بديار مصر هو الملك المسمى باسم **طوطميس او توتميس الثالث** (بالطاء المهملة او بالتاء المشناة التخمينة) وكان الملك المذكور قد صعد على كرمى مملكة مصر بعد مدة طويلة من الدهر قد أقامها وهو بحالة القصور فاستولت على المملكة المصرية بالطريقة التوكيلية اخته السمسة باسم **هاتاسو** وكانت عاقبة امرها ان تغلبت على سائر الامم من ولاية مصر حتى نال اخوها هذا أشده وبلغ رشده فوضع يده على مقاليد المملكة الفرعونية وأدار بنفسه فيها الحركة السياسية وان عمارات عهده الملك لمسى كثيرة جدا لا تحصر عدا وانما الجيلة الصنعة جليلة البدعة وأن ديار مصر لتظهر لعين المتأمل لها في ذلك العصر في صورها الحكم المرضي الحكومة والقاضى النافذ الكلمة بين سائر الامم والملل المتقدمة في تلك الحقبة من الدهر اذ كان سائر بلاد وادى النيل الاعلى مع ما يكاد ان يكون لغاية درجة خط الاستواء الاقصى داخل تحت قبضة ملك الفراعنة في ذلك العصر وكانت الاساطيل المصرية بمعنى السفن البحرية قد استولت مع ذلك على جزيرة قبرس و بعد عدة غزوات لم تزل تجدد على الدوام مدة ثمانى عشرة سنة من الاعوام كلن فرعون طوطميس هذا قد أطاع لسيفه سائر بلاد آسية الغربية وكانت مملكة مصر في مدة ولاية هذا الملك المتخيلة بالعز والفخر كما هي عين عبارة بعض أرباب الادب والشعر من أهل ذلك العصر توضع حدودها أين شاءت وتنتقل بشغورها حيث اشتهت وأرادت وكانت تخوم سلطنتها تمتد على ما يعبر عنه الآن ببلاد الحبشة والسودان وبلاد النوبة والشام وبلاد الجزيرة (بمعنى بلاد الموصل) وبلاد العراق العربي واليمن مع أرمينية وكرديستان ولم يعترشوكه الفراعنة الخارجية ولا كيفية سعادتهم الداخلية وهيئة رفاهيتهم الاهلية في مدة العهدين التاليين عهد الملك طوطميس الرابع والملك آمينوفيس الثالث أدنى الخطاط ولاشين حيث كانت آثار هذين الملكين كذلك تضاهى في الكثرة واتقان الفن والصنعة آثار سلفهما هذا من عجيب شك ولا من

مطابق — ذكر ما عثرى الديار المصرية في تلك الحقبة العصرية من الفتن الدينية والمحن الوطنية (في القرن السادس عشر ق م)

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في مختصر تاريخه القديم السالف الذكر والبيان وبعد وفاة الملك أمينوفيس الثالث حدثت في أحوال الديار المصرية حادثه من أغرب الحوادث وأعجب الوقائع المقيدة في دفاتر التواريخ الفرعونية وذلك ان أمينوفيس الثالث المذكور كان قد توفي عن عدة أولاد ذكر وركن أرشدهم واكبرهم سنا واشدهم ولده البكرى المسمى أيضا باسم أمينوفيس فخلف أباه على تخت المملكة المصرية غير انه في مدة ولايته على السلطنة الفرعونية ترك نفسه بالكلية في طاعة والدته المماعة بالمملكة طيبة (أوتية) بالطاء المهمله أو بالهاء المثناة الفوقية) وقد كانت غريبة المولد والحسب وليست بمصرية المحته والنسب فشرع هذا الملك طاعة لسوء تدبيرها واذعاناً لجأها عنده وتأثيرها في أن ينسخ الديانة المصرية الماثورة من قديم الزمان ويبدلها بالاعتقاد والإيمان بالله واحد يسمى اتان (بالهاء المثناة الفوقية) يعبد في صورة اشراق جرم الشمس قال بعضهم وليس قوله هذا مبنياً على غير اسباب قوية انه هو الاله المعبود باسم أدوناي (بمد الهمزة في أوله وتشديد الياء المثناة التحتية في آخره) بل لاداسية عند الامم السامية فتوجهت بأمر هذا الملك عملية نظم وتعذيب منتظمة على سائر افراد الرعية بسائر جهات السلطة الفرعونية وأغلقت فيها معابد الاصنام القديمة ومحببت صورهم واسماؤهم التي كانت مثبته في أساطير تلك العمارات العظيمة خصوصاً اسم وصورة الصنم الشهير المعبود باسم آمون بصفة الاله الكبير في مدينة طيبة الصعيد وتغيرت الاسماء والنعوت المعتادة بين الناس في تلك الاعصار الى شكل غير معهود حتى ان الملك ذاته بدل اسمه وبعد أن كان يسمى باسم أمينوفيس سمي نفسه باسم **شواتان** ومعناه اشراق جرم الشمس وأراد أن يقطع بالكلية والحزنية كل مواصلة تربطه بآثار اسلافه السابقين واجداده العتيقين فترك كرسى مدينة طيبة المعهود واختط لنفسه كرسى مملكة في مكان آخر جديد هو ما يعرف الآن باسم تل العمارنة بجهة الصعيد وبعد وفاة الملك أمينوفيس الرابع المذكور بقيت الديار المصرية بحالة اختلال لية لداعي ما كان قد شرع فيه هذا الملك من تبدل عقائدها الدينية فقام ثلاثة من أعيان أرباب دولته وأصحاب المناصب العالية في مملكته كان كل منهم منشرفاً بماهرته أعني متزجاً بكل واحد منهم بواحدة من بناته وتعاقبوا على كرسى السلطنة بعد وفاته وتنازعوا من نصب السلطان مدة حقبة من الزمان حتى قام ولده الثانى المسمى باسم **هارانهمبي** فأعاد انتظام الامر واخذ ببرنامج الولاية الصحيحة على بلاد مصر

مطلب — ما يظن من قبيل الآراء التخمينية من تداخل الامة العبرانية في هذه الفتن الدينية

قال المؤرخ المسطور اعلاه في هذا المقام مامعناه ولربما يقال هل كان للامة العبرانية بعض مدخلية فيما كان قدمهم به وان كان لم يكن الملك آمينوفيس الثالث من اغرب الحوادث اعنى ما حصل منه من الاهتمام والالزام بالاعتقاد في الوحدانية الالهية والحال انهم كانوا قد تكثر عددهم وتوفر مددهم بمصر حيث كانوا قد توطنوها منذ عشرة اجيال من الدهر لغاية ذلك العصر والجواب عن ذلك انه لا مانع من الحدس والتخمين بما هنالك بدليل ان مبدأ اضطهاد العبرانيين بديار مصر وتعميلهم بانقال الاسر والامر حسب اروى في ضمن قصة خروجهم من تلك الديار بالتوراة قد كان بما يكاد ان يكون من قبيل الضبط واليقين معاصرا من الزمان لوقت قطع دابر من كان قد تعدت يد الاستيلاء على كرسي السلطنة الفرعونية من هؤلاء الثلاثة الاعيان البغاة واسترداد الاخديان الثاني بزمام الولاية المملوكية ايمدهم نسخة من أهل بيت المملكة بالمصرية وان لنا من النخامين العديدة والظنون الاكيدة ما يدل على أن ما ذكره من التوراة من القول بأن الفرعون الذي لم يكن يعرف يوسف هو عين سيبتوس الاول وأما ما ورد بالكتاب المقدس المذكور من أن مدينتي يتوم ورمسيس بالشمال الشرقي من بلاد مصر إنما كان بناء وهما جميعا لبنى اسرائيل في ذلك العصر حيث كان فرعون قد حكم عليهم بالاعمال الشاقة فقد دل على ذلك ما تصرح به في عدة مواضع من أساطير العمارات المصرية القديمة من الشهادة بان الملك رمسيس الثاني ملك مصر هو الذي شيد المدينتين المذكورتين في ذلك العصر

مطلب — ذكر فرعون سبتى أوسيتوس الاول وفرعون رمسيس الثاني (أعنى تاريخ مصر في القرن الخامس عشر والرابع عشر ق م من ذلك العصر)

قد كان فرعون سبتوس الاول وفرعون رمسيس الثاني من أر باب العائلة المملوكية التاسعة عشرة التي خلفت بطريق المصاهرة العائلة الثامنة عشرة وقد كانت مدة ولاية كل من هذين الملكين ولا سيما المدعومهما باسم رمسيس الثاني وهو المعروف عند اليونان باسم سينوس وستريس متخلفة باليهبة والفخار بمثلثة بوقائع حرية كبار ولم يعهد لملك من ملوك مصر على مر الدهر ان أبقى أكثر ولا أجسم ولا أنخر مما وجد لهذا العصر على مر الاعصار بوادي النيل من العمارات والآثار وكلها كان انشاؤها وشييدها رتم او بناؤها بعمل اسرى الحرب الكثيرين الذين كان يأخذهم كل من هذين الفرعونين الشهيرين في غزواتهم المستمرة على القبائل الرحالة التزالة ببلاد العرب والكنعانيين والفينيقيين (أى الصوريين) والهيتيين وهم قوم كانوا متوطنين على شواطئ نهر الاورنت والاوروتس (وهو النهر التاسع من جبال لبنان الى حيث يصب في بحر سفيدي ويسمى باسم نهر الازى الآن) وعلى الاسوريين (أى العراقيين) والارمن وغيرهم من سكان بلاد آسية الصغرى والزنج والليبيين ولقد دل على واقعية تلك الحروب ما حصل العثور عليه من القصائد الشعرية المصرية المسطرة على قنبر النبات المهرى القديم

المسمى بالبردى (بضم الباء الموحدة في أوله) والاساطير الاثرية المحررة بغاية التطويل والبيان كقصائد الشعرية والتصور المنقوشة على الجدران من الهياكل والمعابد الالهية ولقد صار الحصول الآن على مقدار وافرجدا من السندات الرسمية والنصوص الاصلية التي يستدل بها على صحة واقعية هذه الوقائع الحربية ولا يتأخران يتيسر للؤرخين العصرين أن يقصوا تلك الحوادث التاريخية على ما هي عليه من حقيقة الواقعية لغاية أدق أحوالها التفصيلية

ولقد يظهر الآن من خفي تلك السندات الاصلية والنصوص الالهية مزية مدّة حكم فرعون سيزوستريس هذا بالنسبة لغيره من الفراعنة المصرية على خلاف ما كانت قد تظاهرت به لاعين مؤرخي اليونان في سالف الزمان بالكلية حيث كانوا قد اغتروا بما شاهدوه في تلك الازمان لهذا السلطان من عجيب البنين وغريب العمارات الاثرية والذي تقتضيه العدالة التاريخية هو ان الملك رمسيس الثاني المعبر عنه على لسان مؤرخي اليونان باسم سيزوستريس هذا لم يكن قد وسع السلطنة المصرية اذ كانت من قبله قد ابلغها طوميس الثالث لغاية العظمة الدولية ونهاية ما تيسر لسيزوستريس من ذلك التضرع النفيس هو انه اجتهد في حفظ ما كانت اسلافه قد احاطت يدها عليه من سعة الفتوحات والقبض على ما كانوا قد استولوا عليه من الممالك والولايات ولقد دل جميع مدّة حكمه على أن الشوكة الفرعونية الفخيمة والصولة المصرية العظيمة التي كانت ملوك العائلة الثامنة عشرة قد ابدعوها وشيدوا بناءها وصنعوها كانت قد كادت تريد ان تنقض وقارب بناؤها ان ينقض حيث ترى جميع الامم الذين كانت دولة ملوك مصر السالفين المدعويين بالطوميسين والاميين وفيسين في جميع الجهات من الجنوب الى الشمال ومن المغرب الى المشرق قد ارغموا أنوفهم وقهقههم واستولوا عليهم وأطاعوهم كانوا قد أخذوا في القيام عليهم واخرجوهم عن طاعتهم وترى السودان قد أخذوا في اشتغال نيران الفتنة والثوران وترى حيطان الهياكل الدينية والمعابد الوطنية مملوءة بتصورات سائر الانتصارات التي كانت ولاية بلاد الايتيوبية المنصوبون من لدن الدولة المصرية يظفرون بها على هؤلاء الاقوام الخارجين عليها وترى من جهة أخرى جزيرة صغيرة بارزة من الصحاري الكائنة على غربي الدلتة المصرية يخرج منها اقوام رحالة نزلة أولوعيون زرقاء وشعور شرقاء (وهم الاقوام المعروفون باليبين) ينزلون في ذلك العهد من جزائر البحر المتوسط الابيض (أو بحر سفيد) على قارة افريقية فيهددون الاقاليم الشمالية والبحرية ولا تقهبطهم الجيوش المصرية الابغاية المشقة والجهد وترى كذلك بلاد آسية مثل هذا الامر مما هو من قبيل رد الفعل وهو الدكرة على ديار مصر حيث يشاهد من هذه الجهة أيضا القوم المسمون باليهيين وهم قوم أولوشجاعة وبطش شديد يقابلون على عرايا باب حربية فدعادوا

للتعصب من عهد جديد مع عشرين قوما آخرين وعقدوا فيما بينهم عقد مخالفة على المصريين من أشد ما يعقد من هذا القبيل ويعهد وبعد ان حاربهم الملك رمسيس هذا مدة ثمان عشرين سنة متوالية لم يصل من نتيجة محاربتهم الا غير المنقطعة الى غير عقد شروط مصالحة معهم على أن يترك لهم سائر ما يدهم من الاملاك الارضية ولقد حفظت نسخة هذا العقد ووصلت اليها في هذا العهد واتضح منها ان الشروط التي اشتملت عليها هي أكثر عود الفخر على الهيتيين منها على فرعون مصر

مطلب ذكر ما ثبت من الظلم والجور عن فرعون رمسيس الثاني ملك مصر قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور أعلاه ما معناه كلما تأمل الناظر البصير في حقيقة تاريخ رمسيس الثاني ملك مصر عرف ان هذا الملك كان غير جدير بعت الملك الكبير الذي كان قد وصفه به أولا ببادئ الرأي اسلاف المترجين لاساطير العمارات المصرية القديمة من العلماء الادبوايين ولقد استقر الحال الآن بما فيه مقنع كاف لذوى العرفان من الدليل والبرهان على انه يصح أن يقال عنه انه انما كان رجلا دني النفس شديد الطمع والكبر محبا للالهة والفخر الى ما ليس له نهاية وانه كان ملكا جائرا للغاية قد بلغ من حب التظاهر والفخر الى ان محما من سائر العمارات والاثار التي تيسر له فيها ذلك العمل اسماء الملوك السالفين الذين كانوا قد أنشأوها ووضع اسمه عليها بدلا عنهم كانه هو مؤسسها وبانيها وقضى سائر مدته ولايته مفخرا بغزوة غزاها في عصر شببته مستندا فيها لما حصل منه من الجراة وهو ابن عشرين سنة في مبدأ وفاته الحربية مع الهيتيين وقد دارت عليهم دائرة الحرب وعادت عليهم كرة التزل والضرب فوقع في مكيدة كمين لهم وتوصل لائن تخلص منهم وليس معه من الخنز غير نفريسير ولم يترك له واقعة حربية على سائر العمارات التي هي عن مدته ولايته مأثورة غير هذه الحادثة المذكورة وهي التي اشهرها الشاعر المصري العتيق المدعو باسم **بنتاؤور** في قصيدته المشهورة التي اتقن ترجمتها لداع اللغة القبطية الى الفرنسية والعالم الفرنساوي الشهير باسم لوفونت دوروجه (بالجيم الفارسية) ولم يصل اليها غيرهما من الاشعار الفخرية والمؤلفات الادبية المصرية

وقد وصف الملك رمسيس الثاني هذا في سفر قصة خروج بني اسرائيل من مصر في التوراة بالملك الجائر لداعي ما ائق به على العبرانيين من انقصال الظلم والاسر وتقديمهم باجمال المشقة والاصر ولعمري ان هذا الذم هو ما وصفه به التار يخ متى تم عمل الكشف عن سائر اعماله وتحققت حقيقة افعاله وان ذات الاهالي المصريين قد كانوا هم ايضا في مدة ولايته على هذه الديار

الدرس الثامن ١٢٠ في التاريخ العام

يناسون أقصى ريفقة من المذلة والصغار ولقد حصل العثور الآن على سندات أصلية أثرية وقبوعات أهلية مصرية مشر وحافيا بأقوى ما يأخذ بمجامع القلب حقيقة أحوال ما كانت تقاسمه أهالي الارياف في عهده من الضنك والكرب

مطلب — ذكر فرعون ميرانفته (في القرن الرابع عشر ق م)

قال المؤرخ المحكي عنه اعلاه مامعناه وقد كانت مدة حكم فرعون ميرانفته وهو ابن رمسيس الثاني السالف الذكر وخلفه على كرسي مملكة مصر كله عصر نحس وشؤم حيث توالى فيه مصائب الدهر على رأس ديار مصر بسوء عاقبة ما كان قد حصل من اياه في مدة حكمه من الجور والظلم وذلك ان الليبيين بانضمامهم الى الاقوام البيلاجيين (بالباء الفارسية في أوله والجم الفارسية أيضا قبل ياء النسبة في آخره بمعنى اليونانيين) المتوطنين في جزائر حرسفيدر على سواحله والاقوام المسمين بالآشيين والتيرانيين والسيكوليين والسوردونيين (من سكان البلاد المسماة ببلاد اوروبه الآن) كانوا قد تعصبوا على المصريين واغاروا على ثغور الديار المصرية من الجهة الشمالية الغربية واضروا بجميع بلاد الدلتة أو الأقاليم البحرية وبلغوا من وراء مدينة منفيس الى حيث لم تحصل عليهم الغلبة والنصر من أهل مصر الا بغاية المشقة والصبر ولم يكن قد حصل دفع هذه الغارة الشديدة حتى بدأ امر الفتن العديدة وظهر سرالحن المتنوعة التي كان قد تسبب فيها على مصر بنو اسرائيل في ذلك العصر وانتهت بحادثة هجرتهم بمعنى خروجه من ديار مصر حيث كانت هذه الحادثة التاريخية في مدة ولاية هذا الفرعون على الديار المصرية وانتهت مدة ولايته بغارة أخرى جديدة حصلت على ديار مصر في ذلك العصر أيضا من الاقوام المتوحشين والام الرحالين النزالين من الآسيين واعقب تلك النازلة الكبرى عصر فتن أهلية ومنازعات داخلية استغرقت سائر آخر مدة ولاية العائلة الملوكية التاسعة عشرة المصرية ولم تنته مدة تلك الحركة الفتنية الا بوقت ان قام على سرير مملكة الديار الفرعونية الملك رمسيس الثالث على رأس عائلة جديدة ملوكية

مطلب — ذكر رمسيس الثالث ملك مصر (وهو آخر مدة القرن الرابع عشر ق م)

قال المؤرخ المذكور اعلاه مامعناه وقد كان هذا الملك المسمى بهذا الاسم وهو الذي بنى القصر المتسع المشيد الكائن بالناحية المسماة بمدينة أبومن طيبة الصعيد هو آخر الفرعنة الحربيين العظام وخاتمة الملوك المصريين الفخام غير ان سائر وقائعه الحربية انما كانت مجرد دفعية (يعنى انها لم تكن من قبيل الغارات البدائية) وكانت جميع هتمه متوجهة على الدوام والاستمرار نحو مقاومة ما كان يتوارد على ثغور مملكة مصر في آخر ذلك العصر من امواج الامم المتوحشين واقواج القبائل البدويين الذين كانوا يتوافدون اليها ومن كل جانب يغيرون عليها وينذرون على تلك الديار بتقارب الخراب والاندثار فمن ذلك ان الهيتيين الذين هم اشدها أعداء فرعون الدولة

المصرية الحديثة كانوا قد بلغوا ما قد صدهم من عقد محالفته شديدة على المصريين وتعصبا وعصبية جديدة مع اقوام كثيرين دخل فيهم لغاية القوم الاقدمين المسمين بالدردانيين الذين هم سكان اقليم تروادة الشهيرين واتحدوا ايضا مع عصبية الامم البيلاجيين وقد كان رأس عصبيتهم في ذلك الحين القوم المعروفون بالفلسطينيين الخارجين من جزيرة كريد وكان هؤلاء القوم المذكورون قد عقدوا سالف عهد وهدم على المصريين من جديد مع الاقوام الليبيين وشنوا الغارة كاهم دفعة واحدة على سائر الاقاليم والولايات الداخلة تحت طاعة الدولة الفرعونية من جهة الشرق والغرب والشمال فنزل الليبيون على غربي الاقاليم البحرية والهينيون على الديار الشامية ونزلت الاساطيل البيلاجية على سواحل أرض فلسطين ودارت رحى الحرب والقتال على البر والبحر معاني عدة محال وقد عثر في آثار أهل مصر القديمة على صورة جميع وقائع هذه الحرب العظيمة منقوشة على واجهة ابواب القصر الملوكي الكائن بجهة مدينة أبو حيث ترى الملك رمسيس الثالث هذا مصورا فيها على هيئة الخارج منصورا من المعركة وفي صورة الحامي لجميع ممالكه المتسعة من غائلة المملكتين وأنه يدفع ضالة الليبيين ويقمع شوكة الاقوام الآسيين ببلاد الشام مع كون اساطيله البحرية رافعة الاعلام تنال الاساطيل البيلاجية والسفن الفلسطينية غير ان ظفره بجميع هؤلاء الاقوام لم يكن على وجه تام بحيث أنه لم يضطر لأن يفعل كما فعل أمبراطورة الرومانيين بوقت انحطاط دولتهم حين كرت عليهم داهية الاقوام المتوحشين ولم يمكنهم الظفر بهم بالكيفية وذلك انهم بعد ان انتصروا عليهم وغلبوهم اضطروا لأن اقطعوهم اقطاعات أرضية من بلاد الدولة الرومانية وهكذا فعل فرعون رمسيس الثالث في آخر تلك الحوادث حيث نرى عدة قبائل عديدة من الليبيين مكثوا وتوطنوا بالاقاليم البحرية من الديار المصرية ونرى الفلسطينيين وان كانوا قد اضطروا للاعتراف بسيادة فرعون مصر عليهم لكنهم بلغوا غرضهم الاصل من شن الغارة على بلاده حيث نراهم قد استمقروا في احوال غزوة وعسقلان وشاهدتهم وقد صاروا قوما أولى قوة عظيمة وصولا جسمية بعد قرن من الزمن لا أكثر كما هو في سقر القضاة من التوراة قد ذكر وتقرر

مطلب — ذكر مبدأ ضبط الكرونولوجية المصرية (أى ذكر الحوادث التاريخية بتواريخها الزمنية على وجه الضبط والحجة اليقينية)

قال المؤرخ المحكى عنه أعلاه ما معناه ان الكرونولوجية المصرية بمعنى علم الازمان التاريخية أى اقتصاص الحوادث بأوقاتها الزمنية كان قد أخذ من بعد مدة ولاية فرعون رمسيس الثالث هذا فى أن يكون على وجه الضبط والحجة اليقينية وذلك انه قد عثر على تاريخ فلكى متيد بزيج منقوش على جدران قصر مدينة أبوالمز كور آنفا فحسبه العالم الفرنسي المشهور باسم **بيوت** ومنه استنبط ان تقليد هذا الملك بولاية الديار المصرية قد كان في سنة ١٣١٢

قبل ميلاد المسيح عليه السلام وقد دلت نصوص القبيدات الهيمور بمجانية التي استكشفتها المؤرخ مارييت بل في اطلال مدينة منفيس أو منف فيما عاق بمدة ولاية الملوك الخلف في داخل قبور الاثوار المقدسة التي كان يعبد بها المصريون السلف ويسمونها باسم آبيس (بمذ الهمة في أوله يليم باء فارسية فياء مثناة تحتية فسين مهملة في آخره) على تاريخ ولاية كل ملك تقلد فيما بعد على كرسى الديار المصرية من هؤلاء القوم بالسنة والشهر واليوم ونسخة اصل هذه القبيدات موجودة بمخزن الانثيقانات المحفوظة بسراية ملوك الفرنسيين المسماة بقصر لورد (في مدينة باريس)

مطالب — ذكر انحطاط المملكة المصرية (من القرن الثالث عشر فغارا الى القرن العاشر ق م)

قال المؤرخ المذكور أعلاه مامعناه وقد تعاقد على ملكة مصر عشرة ملوك كلهم يدعون باسم رمسيس من العائلة المتمدة للعشرين مدة قرن ونصف من الدهر وفي مدة تعاقدهم على سرير المملكة الفرعونية كانت قد انفلتت من ايديهم شيئا فشيئا سائر الاقاليم الاسمية التي كانت تابعة للدولة المصرية وكان هؤلاء الفراعنة المذكورون من قبيل الملوك الكسالى الذين هم في جملة ملوك ديار فرانسة بهذه الصفة مشهورون وذلك انه في مدة سلطنتهم على ديار مصر كانت كبار قسس عبادة الصنم المعبود للمصريين السالفين باسم (آمون) في مدينة طيبة الصعيد بذلك العصر قد تغلبوا شيئا فشيئا على جميع ولاية الامم المصرية وانتهى أمرهم بأن تجاروا على التنوع بتاج المملكة الفرعونية غير ان تعديهم هذا لم يرههم عليه كافة أهل البلاد بل كانت قد قامت عليهم بالاقاليم البحرية عائلة ملوكيه أخرى وانصببت خصما لطائفة كبار القسس الصعيدية وحيث كانت هذه العائلة الملوكية الجديدة قد ظفرت بهم وانتصرت عليهم في وقائع حربية عديدة كانت بالضرورة هي التي تسجلت في جملة بيوت الملك التالية بصفة كونها هي العائلات الملوكية المصرية والدول الصحيحة اسمرعيه

مطلب — ذكر العائلات الملوكية المصرية الناشئة بالاقاليم البحرية (من القرن العاشر فغارا الى القرن الثامن ق م)

قال المؤرخ المذكور أعلاه مامعناه ومن وقت ان انهزمت كبار القسس الذين كانوا قد تقلدوا بمنصب السلطنة المصرية في الاقاليم القبلية من الديار المصرية ثم زالت دولتهم وتولت صولاتهم كانت مدينة طيبة قد زال عنها ما كانت عليه من درجة الاعلوية بالكلية وصارت العائلات الملوكية الخالفة تخرج كلها من الاقاليم البحرية وفيها جعلوا مقر ملكهم واتخذوا فيها قاعدة سلطنتهم وصاروا من الآن فصلا عيارا عن عائلات ملوكية حقيقية من قبيل الدول المصرية المعروفة بدول الممالك البحرية التي استولت على بلاد مصر الاسلامية بمدة القرون

الوسطى من الاقسام التاريخية وذلك ان ملوك تلك الدول المصرية الحادثة كانوا كلهم يخرجون من الطوائف العسكرية الاغراب عن الديار المصرية الذين كان الملوك الحاكمون على شواطئ نهر النيل يتخذون منهم خاصة طوائف حرسهم الملوكية ومن أشهر تلك العائلات المذكورة العائلة الملوكية الثانية والعشرون التي كانت قاعدة مملكتهم بمدينة بوابستيس (وهي المعروفة بتل بسطة الآن) وقد مكثت على سرير الملك من سنة ٩٨٠ الى سنة ٨١٠ ق م اذ كانت هي خصوصاً مشهورة بأول ملوكها المسمى باسم فرعون سيمز ونخيس (سبن مهملة في أوله يليها بالمشناة تحتية فزاي معجمة فواو فتون موحدة فحاء معجمة فيه، مشناة تحتية فسين مهملة في آخره) وهو الذي غلب الملك روبرو ملك يهود من أرض فلسطين وأستولى على مملكة بيت المقدس واستلب خزائن الهيكل المقدس ومن تأمل في جداول انساب سائر الملوك الخارجين من سلسلة هذه العائلة الملوكية استغرب كل الاستغراب وقضى غاية العجب العجيب حيث يظهر له بالطريقة الجلية أن أكثر أسمائهم هي محض أسورية (أي سورانية بمعنى عراقية) كتمزود وتجلات وسرجون وما أشبه ذلك ولا شك ان هذا دليل قطعي وبرهان اقناعي يدل على منشأ ملوك هذه العائلة الاصلية .

مطلب — ذكر الملوك الاثيوبيين والاسوريين الذين استولوا على دولة الملوك المصريين (من سنة ٧٢٥ فنزالا الى سنة ٦٦٦ ق م)

قال المؤرخ المذكور أعلاه مامعناه وكان قد تعاقب على سري المملكة المصرية من بعد العائلة الملوكية البوبسطية خمسة ملوك أصلهم من مدينة تانيس (سان) ومدينة اكسويديس (سحنا) تركبت منهم العائلة الملوكية الثلاثة والعشرون والرابعة والعشرون وكان آخرهم الملك المشهور باسم فرعون **بوخوريس** الملقب بالمشرع أو القانوني وهو الذي كان قد عزله عن كرسى الديار الفرعونية وقتله في سنة ٧٢٥ ق م اقوام اثيوبيية كانوا قد أغاروا تحت قيادة ملكهم المدعوب باسم **ساباكون** على ثغور الديار المصرية الجنوبية واستولوا على سائر بلاد مصر مدة حقبة من الدهر تبلغ تسعاً وعشرين سنة وتكررت منهم عائلة ملوكية مركبة من ثلاثة ملوك لا غير ثم طرأ عليهم الاسوريون وتنازعوا معهم مملكة مصر حيث كانت قد صارت في ذلك العصر لحالة الجزع وعدم القيام بالذات وأصبحت مفتحة الابواب بالكلية لكل من أراد أن يطرقها من الامم الاجنبية حتى ان الملك سيناغريب (ملك العراق) كان قد استعد لفتحها ووصلت مقدمة جيوشه الى مدينة بيلوز (وهي المسماة بتبة الآن أو عين شمس المسماة أيضاً باسم اواريس في سالف الزمان) من تلك الديار ثم رمى الله سبحانه وتعالى عساكره في حصار القدس على وجه غريب بداهية الموتان العجيب فاضطر للرجوع الى بلاده بالثاني وفي سنة ٦٧٠ ق م انتزع الملك آساردون ملك نينوى الديار المصرية من يد الملك طهراقه ملك الاثيوبيية وبعد مدة يسيرة من الزمن قام الملك طهراقه بالثاني فطرد الاسوريين منها واستولى

فأبنا عليها ولما تولى ملكة العراق الملك آسور بانيبال بعد الملك آسارادون المذكور أنشأ عليه بالكر في سنة ٦٦٧ ق م على طهراقة ببلاد مصر ومكث الايتويون والآسوريون يتنازعون فيها الامر واشتد بينهم القتال وامتد الحرب والزوال مدة ثلاث سنوات مرت على بلاد مصر وهي في غاية الذل والاضمحلال حيث كان يطأها العسكران ويدوسها الطرفان حتى تخربت البلاد وهما فيها يتنازعان وأباحت حرمة مدينة طيبة لانتهاك العسكر فلسبت ونهبت وكثر فيها الفساد وكادت أن تخترب بالكلية وقصير من قبيل الاطلال وفي آخره الامر تمت الذكوة على الآسوريين وبقيت البلاد بيد الايتويين

مطلب — ذكر الدولة المصرية الاثني عشرية وولاية العائلة المالكية الصالخرية (في سنة ٦٦٣ ق م)

قال المؤرخ المذكور أعلاه مامعناه ولما خرج الآسوريون من الديار المصرية لم يبق للايتويين ولاية ثابتة من غير منازع لهم فيها الا بالاقليم الصعيدية من تلك البلاد وأما الاقاليم الشمالية والبحرية فكانت قد تحصلت لنفسه اعني مزية الاسه تقلال والاستبداد وقام فيها بولاية الامر اثنا عشر ملكا صغار تشاركوا فيها واقسموها وكان بعض الحكمة قد أخبر بان مصر كله ينتهي أمره لان يكون لمن يصب شرابا في اناء من نحاس على ذكر الصنم المعبود لهم باسم ملك افتاء على انه الاله الاكبر بمدينة منفيس وافترق ذات يوم ان اجتمع الاثنا عشر ملكا المذكورون في محفل ديني ليقربوا قربانا للصنم المذكور فقدم لهم كبير القسس أقدا حان ذهب كانت قد جرت عادتهم باستعمالها في محافلهم ونسي او تناسى فأقرب بأحد عشر قدحاً لاثني عشر ملكا الحاضر بن المجلس فبادر أحدهم المسمى باسم **إسماتيك** او **إسماتيكوس** ملك قسم مدينة سيميس (صالحجر) حيث بقي دونهم بغير قدح فنزع خودته عن رأسه وكانت من نحاس وصب فيها ما كان قد أعد للقربان من الخمر ولربما كان قد دبر لنفسه هذا الامر من قبل في السر ليكون هو الملك المشار اليه في خبر الكاهن كما قد يظهر ولما حسده على ذلك رفقاؤه من الملوك الاثني عشر اضطر لأن فر واختفى في بعض البحيرات بالاقليم البحرية حتى تيسر له ان يستعان بقوة امدادية اجتمعت له من جوع الاغراب اليونانية والكاريين وتوصل لأن غلب بهم عصبة اخوانه الملوك المصريين الذين كانوا قد اقتسموا معه مملكة الاقاليم البحرية وذلك في واقعة حرية قطعية وقعت بينهم في الناحية المسماة باسم مومنافيس وأخرج كذلك الايتويين من الصعيد وأعاد للديار المصرية حدودها الارضية الاولى أعني من الشلال الاول لغاية بحر سفيد

مطلب — ذكر مدة ولاية الملك اسماتيكوس على جميع الديار المصرية قال المؤرخ المذكور أعلاه مامعناه ولما كان الملك اسماتيكوس انما نال الرفعة على كرسى

سائر مملكة مصر في ذلك العصر باعانة الاغراب استمر على ان يدعوا اليه منهم الجمل الغفير ويستحب منهم الجمع الكثير من الاصحاب فترتب على ذلك ان قام عليه قوم من الجنود المصرية وهاجروا الى بعض البلاد الاجنبية وكان قد ساعد مادة التجارة الخارجية وأحدث طرق مخالطات اهلية مستقرة مع بلاد اليونان والفنقيين وأخرج بذلك الديار المصرية عن حالة العزلة السرية التي كانت قد انحصرت فيها منذ عدة قرون من الزمن بسياسة ملوكها السالفين وبحسن تدبيره واثاقن سياسته كانت الديار الفرعونية في مدة عهده وعهد من خلفه من الملوك الذين تكوّن منهم العائلة الملوكية السادسة والعشرون المصرية قد عادت لعظمتها الاولى واسترجعت على مرتبتها الاصلية

مطلب - ذكر حروب الدولة المصرية ببلاد سورية

قال المؤرخ المذکور اعلاه مامعناه وحيث كان الملك ايسماتيه كوس المذکور اذ ان ثبت أقدام عائلته الملوكية على كرسى المملكة المصرية بواسطة المفاخر العسكرية تشبث بان يسلك سبيل الطريقة السياسية التي كان قد استعملها اسلافه من ملوك الهائلتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة في بلاد آسية وتعلقت برغبته بأن يفتح بلاد سورية فلم يتسر له أن يستولى منها الاعلى بلاد الفلسطينيين ثم جاء من بعده ابنه نيجاواو ونيجاووس (بالسين المهملة وعدمها في آخره) فاستمر على ما كان قد بدأ به والده من شن الغارات المصرية على بلاد سورية وظفر في أول الامر في مغازيه بكثير من النصر وهزم الملك يوزياس ملك يهودا من أرض فلسطين في مدينة ماجيدو (بشديد الدال المهملة بعدها واو ولعلها ما تسمى الآن باسم مجدله) حيث قتل الملك المذکور (في سنة ٥٠٩ ق م) في حومة المقتلة واستولى فرعون مصر استيلاء وقتياعا على جميع بلاد سورية وذلك انه كانت قد ظهرت في ذلك العصر ببلاد العراق فيما بين دجلة والفرات الدولة الملوكية الكلدانية البابلية (بمعنى العراقية) وكانت قد دنت من أن تبلغ الى أعلى درجة من الشوكة الدولية بمدة الملك المدعو باسم نابوكودونوزور الاكبر وهو المعروف عند العرب باسم بختنصر ولزم ان يتصادم الدولتان المصرية والعراقية بالبلاد الشامية حيث كان كل منهما يدعى ان له بلاد آسية درجة الاعلوية فالتقى هناك الجيشان وتلاطم العسكران تحت أسوار مدينة جرجسية فظفر بختنصر المشهور ولم يكن بعد غير ولى عهد للمملكة العراقية بفرعون نيجاواو المذکور ولم يحجج بختنصر في استلاب جميع قنوجاته بالديار الشامية وطرده الى الديار المصرية لغير هذه الواقعة الحربية

مطلب - توسيع الدائرة التجارية بالديار المصرية في تلك الحقبة العصرية

قال المؤرخ المودى عنه اعلاه مامعناه غير ان هزيمة الدولة المصرية هذه ببلاد سورية كانت قد تجبر ضررها وانسد عورها بما كان قد حصل في الديار المصرية بتلك الحقبة العصرية من

تيسير اسباب المعادة الداخلية وتوسيع دائرة التجارة الاهلية وكانت الفنون والصناعات بشواطئ النيل قد تلبست في ذلك الجميل بأخر لباس زاهر جميل وذلك ان الملك نختاوس كان قد شرع في أن يفتح الخليج من نهر النيل الى البحر الاحمر وبحر القلزم وكان قد حفره من قبله الملك سيمتوس ثم ترك العمل فيه ولم يقم به بانذار بعض الكهنة له وبعث الملك نختاوس أيضا اسطولا من السفن الفينيقية (أى الصورية) للسفر في البحر حول داترسواحل بلاد افريقية بالابتداء من البحر الاحمر الى بحر سفيد لقصد ان يحدث من ذلك مادة التجارة طريق جديد

مطلب — ذكر فرعون ابريس — قال المؤرخ المذكور أعلاه مامعناه ثم ظهر بعد الملك نختاوس حفيده المسمى باسم **ابر ييس** وكان قد عقد العهد مع الملك سيدياس ملك يهودا من أرض فلسطين على مدافعة صولة الاسوريين لكنه لم يتسره له أن يحضر في الوقت اللازم لمساعدة مدينة القدس اذ كان قد حضر اليه ليجتصر وحصرها وانتهك حرمتها ودمرها وانما كانت الاساطيل المصرية قد توجهت الى جهة سوزية من الطريقة البحرية فظفرت بكثير من الظفر والنصر على سواحل بلاد الفينيقية ثم بعد ذلك بمدة بسيرة حصل للملك ابريس هزيمة كبيرة في حرب وقعت بينه وبين القوم اليونانيين المتوطنين (من بلاد برقة) بمدينة قورين وحينئذ ثارت على فرعون ابريس هذاثورة من جنوده فعزلوه وقتلوا به وقتلوه وولوا بدلا عنه على كرسي السلطنة المصرية رجلا من سفلة الناس كان قد ترقى الى أعلى المراتب العسكرية

يقال له **امازيس** وذلك في سنة ٥٧١ ق م

مطلب — ذكر فرعون امازيس — قال المؤرخ المذكور أعلاه مامعناه وقد كان امازيس هذاملكا ماهر اسعيدا وسلطانا قاهرا شديدا استرجع جزيرة قبرص ليد المصريين وكانت قد خرجت عنهم واستولى عليها الاسوريون ثم البابليون وكان أكثر ملوك عائلته الملوكية اعانة لاجتلاب الاغراب من اليونان الى الديار المصرية وفي مدة ولايته السلطانية بشاهدانه قد نشأ على حدود الدلتة المصرية بالاقاليم البحرية المدينة الهيلينية (بمعنى اليونانية) المسماة باسم فوكراتيس (وهي المعروفة باسم قوة الآن) حيث كان الملك امازيس هذاقادأذن في سالف ذلك الزمان لجماعة من الهيلينيين (بمعنى اليونان) ان يبنوها ويخجدها لهم وطن ويعمرها فبلغت من درجة النجاح والفلاح الى ما يشر بما تكون عليه فيما بعد من ذلك مدينة الاسكندرية

مطلب — زوال الدولة الفرعونية وسقوط اسمة لال الديار المصرية (في سنة ٥٢٨ ق م) قال المؤرخ فرنسيس لوفورمان المكرر الذكروالبيان فيما تقدم أعلاه مامعناه ان ديار مصر كانت تظهر لعين الرائي في عصر الملك امازيس على وجه من الرونق والفخار يضاهي ما كانت عليه في أى عصر كان من سالف الاعصار غير ان هذا المنظر كان لا يحجب الاعلى وجه غير تام ما كان قد ظهر في كافة أهل مصر في ذلك العصر من فتور العقل العام وتغير القلوب من الخواص

والعوام وتفرق الكلمة الاهلية وتزق عروة العصبيية الاصلية وضعف الترتيب الملمية فان ثرائيهم الملمية وان كانت في الاصل مبنية على قواعد قوية لقصد ان تكون مخلدة أزلية تقاوم صدمات الدهر كان تمدن أهل مصر في سالف العصر لا يمكن أن يستمر الا بقائه على حالة واحدة وكيفية ثابتة فلما اعتراه في ذلك الزمان الاختلاط بحركة التقدم والسرمان الطارئة عليه من طبيعة تمدن اليونان لزم بالضرورة ان يهتريه الفساد والموتان وبين ذلك ان الطائفة العسكرية في تلك الحقبة الدهرية كانت قد هاجرت بتماها مقر بيا من الاوطان المصرية فبقيت الملة بدون جنود أهلية وحل في مكانهم للحفاظ عليها جنود من الاغراب كان المصريون ينفرون منهم ويبغضونهم وكان قد اشتد فيهم الغضب العام حتى آل الحال الى الثورة والقيام وكان قد قام فيهم رجل من أهل الجراة والعصبيية وتغلب على كرسي المملكة الفرعونية حيث رأى الديار المصرية متوجهة في تلك المدة الزمنية الى طريق جديدة تمدينة فساعد على اجتلاب الاغراب فيها أكثر من كل من كان قد سبقه من الملوك السالفين عليها وكان هذا هو السبب في اكتساب الديار المصرية لدرجة الغنى والثروة الاهلية غير انه كان هو السبب أيضا في فتح أعين ذوى الاطماع من الملوك الفاتحين اليها ولما قدموا عليها وجدوا فيها قوما كانوا قد فقدوا عادة استعمال الاسلحة الحربية ولذلك كان الملك ايسماتيكوس الثالث ابن اماريس لم يصعد على كرسي مملكة مصر النفيس بعد أبيه الا ليرى نفسه مضطرا للتنازل عنه والعسقرط منه بعدمدة يسيرة من توليه اذ كان قد شن الغارة على القطار المصري الملك قميز الفارسي واستولى على ديار مصر بطريق العنوة والقهر ومن نار ميج ذلك العصر كانت قد زالت عنها الحالة الاستقلالية وصارت بالتبعية للدولة الفارسية (في سنة ٦٢٨ ق م)

الفصل الرابع

في بيان كيفية تمدن ديار مصر في سالف العصر

مطلب - ذكرنا ان عليه أهل الديار المصرية في سالف الحقبة العصرية من تركيب الهيئة الاجتماعية الاهلية وترتيب الجمعية الانسانية الملمية قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور أعلاه مامعناه ان ترتيب الامة بديار مصر في سالف العصر على مراتب أو طوائف أهلية قد كان باتفاق المؤرخين المتقدمين هو القاعدة الاصلية التي ينبنى عليها ترتيب الهيئة الاجتماعية بتلك الديار في تلك الاعصار وكان منصب الملك بها هو الرأس لها وانما وقع بينهم الخلاف في عدد تلك المراتب فقط فذهب هيرودوت اليوناني سبعاً وهي طائفة القش وطائفة الجنود وطائفة رعاة البقر وطائفة رعاة الخنازير وطائفة أرباب الحرف والصنائع وطائفة التراجمة وطائفة النواتية وقال ديودور الصقلي انها كانت

بجسالاتها وهي مرتبة القسوس والمحاربون والفلاحون والرعاة وأرباب الصنائع والفنون ولقد يدل هذا الخلط الحاصل في هذا المقام بين المؤرخين المذكورين مع كون كل منهم شاهدا بنفسه واخترق بذاته جميع الديار المصرية في تلك المدة الدهرية على أن ما نقلوه لنا من الفوائد التاريخية في هذا الشأن كان غير تام التحقيق ولا مستنبطاً بوجه التدقيق وطالما كان العلماء الأوروبيون بذهبون بناء على تأويل مثل هذه الشهادات التاريخية على غير وجوهها الحقيقية إلى أن الملة المصرية قد كانت في تلك المدة الدهرية منقسمة على وجه الضبط والدقة إلى فرق مميزة وفرق متفرقة وليس هذا القول بصحيح وللهذا المذهب ما يشهد له بالترجيح وقضية ذلك أن ما يعبر عنه بالفرقة المليية أو الفرقة الأهلية إنما يَحْتَمِلُ في صورة الوجود الخارجية بثلاثة شروط أصلية وهي أن يكون أربابها ممنوعين ألبتة من الاحتراق ببعض حرف أو صنائع خصوصية وأن يكونوا ملزومين بعدم المصاهرة إلا مع أبناء خرقهم وبالأستقرار على الارتباط بانخادما توارثوه من آبائهم من صنعتهم في عين فرقهم والحال أننا لم نجد شيئاً من ذلك واقعاً بالديار المصرية في سائر تلك الحقب الدهرية والقول الصحيح في هذه المسألة التاريخية هو أنه نعم قد كان بديار مصر في سالف العصر مراتب تدرججية بمعنى طوائف أهلية على درجات بعضها فوق بعض يسوغ لكل أحد أن يترقى فيها من مرتبة إلى أعلى منها أما بفضله أو بفضله فضل الساطن عليه بذلك لأنها كانت خرقاً ممتزجة وفاقاً محتمة بالمعنى المذكور آنفاً أي بمعنى أن كل فرقة كانت مغلقة الأبواب عن كل أحد من في سواها من الأرباب والأصحاب وأما كون الحرف والصنائع بديار مصر في تلك الأزمان كانت تتوارث من الآباء إلى الأبناء في أغلب الأحيان فلم يكن ذلك بوجه من الوجوه قاعدة جبرية ولا شريعة قهرية بحيث يصح للفتائلين بهذا القول أن يأخذوا القولهم هذا منه أدنى توجيه

مطلب — ذكر ما كان عليه منصب الملك بديار مصر في سالف العصر

قال المؤرخ المروني عنه أعلاه ما معناه قد كان ترتيب أمر الولاية المصرية من الحيثية السياسية في جميع مدة السلطنة الفرعونية المديدة وتلك الأعصار الزمنية العديدة على حال واحد لم يتحول وطريق ثابت لم يتبدل أعنى على صورة الحكومة الملكية المطلقة بل ربما كان أطلق ما وجد من أنواع الدول الملكية وأنفذ تصرفاً من سائر ما عهد في العالم بقامه من أنواع الولايات السلطانية المحققة إذ لم يطرأ عليه أدنى تغيير ولا تبديل ولا اعتراء شائبة تحول لا يبدل الدول والعائلات الملكية عليه ولا بتنازع الملوك المتنازعين فيه بوجه من الوجوه مطلقاً قال المؤرخ ديودور الصقلي في تاريخه ما نصه «إن المصريين يحترمون ملوكهم ويعبدونهم كآلهة ويرون أن ما تملكه الملوك بالحكمة الإلهية من ولاية الأمر السلطانية والقدرة على نشر الأعمال الخيرية إنما هو من صفات الألوهية» (انتهى كلامه) وهذه العبارة التي ذكرها المؤرخ

المؤرخ اليوناني المذکور موافقة بالكلية لما ينبثق من الوقائع التاريخية بدليل النظر في العمارات
الاثريّة وذلك انه منذ اقصى أعصار العائلات الملوكة المصرية الاولى لم يزل يشاهد وجود
هذه الحرمة اللانهاية المتوجهة من سائر افراد الرعية بالديار المصرية للمرتبة الملوكة الفرعونية
البالغة لدرجة الربوبية والعبادة الحقيقية بحيث كان يتصور لهم ان فرعون هو الاله المحسوس
لسائر الرعية ولم يكن الملوكة المصريون متقلدين بمنصب السلطنة العليا مع رياسة الديانة القصوى
فقط بل كانوا معدودين عند رعاياهم المصريين في جملة آلهتهم الحقيقيين ومعبوداتهم المحججين
وكانت طائفة امتناء الديانة المصرية في مطلق التبعية للمقلد بمنصب المملكة الفرعونية
يتصرف فيها كيف شاء جميع أنواع التصرفات الملكية وكان من جملة الاغاب السلطانية التي
تنضم بطريق القرية الضرورية لاسم كل فرعون من فراعنتهم في سائر تلك الاحقاب الزمنية
العنوان (بابن الاله الشمس) مع كونهم يتلقبون أيضا بلقب (الاله الكبير) و(الاله الرحيم)
وكانوا يتجسمون ويتحدون في ذات معبود المصريين الكبير المسمى باسم (هوروس) حيث كانوا في
تلك الاعصار يرون كما هو نص ما وجد مكتوب في بعض الآثار ان الملك بين الاحياء انما هو صورة
معبودهم المسمى باسم را (براءة مهلة يليها ألف ممدودة وهو الشمس) وكان الملك متى صعد على كرسي
المملكة كانه اسلخ عن الصورة البشرية وتصور في أعين الرعية بالصورة الالهية وصار وهو
في قيد الحياة الانسانية يتوجه اليه هيئة عبادة حقيقية
ولا يخفى على كل ذي مفهومية ما كان يترتب من انتاثيرات الوهية في تلك العهود على مثل
هذه المبالغة المجاوزة للحدود في المرتبة الفرعونية لتعظيم الصولة السلطانية وتجسيم الشوكة
الملكية فكان المصريون بالنسبة لملوكهم انما هو لهم بمنزلة اعيان المسترقين يجب عليهم بجملة ذات
الاحكام الدينية ان يمثلوا قضية مسلمة لا وامرهم السلطانية وبنق ادا ومن غير نظر في الاسباب
الموجبة لارادتهم العلية وكان أرباب أعلى المناصب العلية وأقوى أصحاب المراتب العمومية
بالدولة الفرعونية يرون أنفسهم انما هم عبارة عن خدم للدائرة الشخصية الفرعونية وعبيد
للذات العلية السلطانية ومن ثم يعلم ان المصريين في تلك الاحقاب الزمنية المصرية لداعي
كونهم استطاعوا لمثل هذه الطريقة من الهيمنة الاجتماعية وارتضوا باعداد صورة
وجودهم الذاتية وازالة مرتبة النفس بالكلية أعني كونهم لم يأنفوا من اعتبار نفوسهم
بمنزلة مجرد عمال لمفاخر اسيا دهم الفرعنة السالفين والآن اشغال بمسئلة لاهواء هؤلاء
السلطاطين كانوا خالين بالكلية والجزئية عما به تمام قوة الامم المتأخرين وقوام شرف الملل
الاورباوي بين المعاصرين وما كان قد أخذ يدب في طباع اليونانيين والرومانيين من الاحساس
بما يقتضى ان يكون قائما بكل نفس بشرية من صفة الحرية الشخصية ومعرفة قيمتها الانسانية
الخصوصية

مطلب — الكلام على شرائع المصريين وقوانين الفراعنة السالفة

قال المؤرخ المروى عنه علاء مامعناه ان القوانين المصرية القديمة هي من اشهر ذال عظيمه في درجة كبيرة معلومة بحيث يجب على كل مؤرخ الالتهفات اليها فلا يسوغ لثان لالتكلم عليها فنقول قال المؤرخ الشهير باسم الاسقف بوسودو الفرنساوي مانصه «قد كانت ديار مصر في سالف العصر منبوع كل سياسة حميدة وأصل كل ضابطية سديدة» (اه) وذلك ان ما نقل الينا عنهما من الاخبار في هذا المقام وان كان غير تام غير انه يسهل على كل من تأمل في كتب التواريخ المؤثرة عن السالف ان يعرف ان شرائع المصريين كانت مبنية على احترام سائر الحركات العظيمة التي تحسبها الروح البشرية مع الوفاء بجميع الامور التي تمس اليها حاجة نظام الهيئة الاجتماعية الانسانية ولندكر بعض احكامهم هنا نقلنا عن نص عبارة المؤرخ المشهور باسم ديودور الصقلي اد كان كلامه اتم ما قيل واصدق ما ذكر في هذا القبيل حيث قال مامعناه كما سطر ادناه ان من جملة احكام المصريين في الاعصار السالفة انهم كانوا يعاقبون على اليمين الكاذب بالقتل لداعي ان خيانة العهد بجامعة لذنبين هما اعظم الذنوب التي يتصور في العقل ارتكابها وهما الاساءة لدات الالهة المقتسم بهم والاضرار بالناس المكذوب عليهم ومن احكامهم ايضا ان من رأى في طريقه وجلا يصول عليه فقاتل أو صائل مطلقا ولم يغنه وهو يقدر على ذلك عوتب كذلك بالقتل فان لم يكن في الحقيقة من اغاثته وجب عليه ان يسعى بالذنب عند الحاكم ويرفع أمره الى الحاكم وان لم يفعل ذلك كان جزاؤه الحد بالضرب بالقضيب الى عدد محدود ومع الحرمان من الطعام مدة ثلاثة أيام ومن اتهم أحد بالباطل وثبت عليه ذلك كان جزاؤه عقاب المغتاب وكان من الواجب على كل مصري ان يسلم الى القاضي وثيقة مكتوبة تشمل على بيان أسباب معاشه فان كان ما تقر فيها كاذبا أو اتضح ان أسباب معاشه غير ما ذونة شرع احكم عليه بالقتل وكل من قتل نفسا عمدا سواء كان المقتول حرا أو عبدا كان قصاصه القتل وذلك ان مطمح نظر الشارع هونية القاتل لاختلاف أحوال المقتول وكان من احكامهم مع مراعاة جانب الرقيق حسما ذكر ان العبد مأمور بأن لا يتعرض أبدا لاساءة الخربووجه من الوجود مطلقا هذا فيما يتعلق بالجنائيات وأما فيما يتعلق بالاحكام المدنية بمعنى المعاملات الحاصلة بين الناس في الجمعية البشرية فقد وصل النيا ايضا من احكامهم ما ليس أدنى مما ذكر أعلاه ثمرة ولا أقل منه بالنسبة عليه جدارة فمن ذلك ما يعزى الى فرعون بوخريس من تشريع عدة قوانين تتعلق بالمعاوضات التجارية منها ان جاحد الدين يصدق بيمينه وسقوطه عنه اذالم يكن عند الماتعى سند يشهد له به ومنها انه في أى حساب كان لا يجوز ان يكون الربح المسحق زائدا عن رأس المال وان الدين يتعلق بمال المدين لاني نفسه لان الشارع نظر لكون ذات الشخص مملوكة للدولة بحيث يسوغ لالان نظايه لخدمته في كل وقت شاءت اما في الحرب أو في السلم ومن ثم كان حبس النفس ممنوعا عندهم في أى حال كان

وقد ذكر المؤرخ هيرودوت الايكارناسى أيضا للمصريين السالفين قانونا غريبا وحكما شرعيا عجيبا يعزى الى الملك اوزور تازان الثالث وهو انه كان يباح لهم ان يقتضوا بالرهن على جثث آبائهم المصربة وان يضع المقرض مع ذلك يده على قبر المقرض بحيث اذا لم يدفع البعديه كان له ان يمنعه من الدفن عند موته فى مقبرة عائلته وان يمنع من الدفن فيها أيضا كل من مات من ذريته مدة بقائه الدين فى ذمته الى غير ذلك من الاحكام والقوانين التى تروى عن قدماء المصريين

مطلب — الكلام على ما كان يتخذ المصرون من الحرف والفنون والنائع والفنون قال المؤرخ المحكى عنه أعلاه مامعناه انه يلزم كتابة جملة مجلدات للاحاطة بكل ما استفيد من آثار العارات المصرية القديمة فيما يتعلق بأخلاقيهم وعوائدهم الالهية وكيفية معيشتهم المنزلية ومخلص ذلك ان قدماء المصريين كانوا اناسا فلاحين وأرباب صنائع وفنون ورجالا محاربين معا اما من حيث الزراعة فان أرض وادى النيل الخصبة كان يرزعوها أهلها الكثيرون وبتفتحها سكنها العديدون فى كل جيل وأما من حيث الصنائع والفنون فان أهل مصر وان كانوا لم يتيسر لهم فى كل عصر ان يتخصصوا على الآلات الصناعية والدرايب الحقيقية الممينة على الأعمال البشرية وكان اصطناع أمتعة المعاش الضرورية والمواد التى تنس اليها الحاجات اليومية انما يحصل عندهم بواسطة طرق ساذجة بسيطة تشبه ما كانوا يستعملونه من الآلات والادوات الزراعية غير ان ما كانوا يتخذونه من أمتعة الترف والرفاعية قد كان لعمري أمرا ظريفا وصنعا لطيفا مع كونه أكثر كلفة ومصرفا ولقد كانت جميع هذه المواد الترفهية تصطنع بيد أرباب الصنائع والفنون الالهية بالديار المصرية من أوائل الحقب الذهبية فان جميع الاتيقحانات (بمعنى مخازن التحف العتيقة والطرف القديمة) بالبلاد الأوروبية يوجد بها من الأدلة القطعية العديدة والبراهين القوية السديدة على إثبات هذه الحقيقة ان تاريخية المعينة لا يمكن معه تروهم أدنى شك ولا شبهة فى هذه القضية ولقد كان يدأزمصر فى ذلك العصر جم غفيرة وجمع كثير من العمال يعملون فى صناعة نسج الاقشة الجيدة الغنية وآخرون يشغلون بصناعة صبغ اغصان بالالوان المستحسنة البنية وكانت صناعة المعادن واتخاذ الاوانى القيشانية (المعروفة بالصينية) وصناعة الزجاج وتحضير مواد الطلاء واستعمال المصق بالمصطكى فى عمل لصق النقوش الزواقية كل ذلك كان قد بلغ بشواطئ وادى النيل من ميادى ذلك الجيل الى أعلى درجة من التمام والتكامل وبالجملة ولاختصار فقد كانت حواصل الصناعة المصرية تجلب فى تلك الاعصار على البرور وعلى البحار الى أقصى الاقطار غير ان المصريين كانوا لا يعرفون فى مدة تلك العهود استعمال المسكوكات وصناعة النقود بل كانوا يتعاملون فى تلك الأزمان بطريق المبادلة فى الاعيان أو باستعمال المعادن لاهيئة النقديّة بل على صورة القضبان أعنى بحسب مبلغ قيمتها بالاوزان

مطلب — ذكر طباع الامة المصرية في سالف الحقبة العصرية

قال المؤرخ المذكور أعلاه مامعناه قد كانت طباع المصريين على وجه العموم سهلة هينة واخلاقم خلة لينة قال المؤرخ هيرودوت المسكر الذكرا أعلاه في هذا المقام مامعناه لم يوجد في الامم اليونانيين من يوافق طباع المصريين من حيث خصلة احترام الشبان للشيوخ غير المقدونيين وذلك انهم كانوا اذا لاقى منهم الفتى شيخا اخلى له الطريق وانحرف الى أحد الجنب واذا أقبل الشيخ على مجلس فيه شاب قام له الشاب وكانت تحية المصريين اذا تلاقوا بالانفاظ بل بالانحناء الشديد والر كوع الاكيد انما هي انما تبلغ اليدهم الى الفخذ (هـ)

مطلب — ذكر ما كان لامة المصرية من عوائد معيشتهم المنزلية وكيفية حياتهم في ديارهم الداخلية

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور الذكر والبيان قال المؤرخ هيرودوت المذكور أعلاه في هذا المقام ايضا وتحقق جميع ما ابتاده من الاخبار بدليل ما اتضح من النظر فيما أثر عن سلف اهل مصر من العمارات والاشجار ونص عبارته في هذا الشأن ايضا مامعناه ولم يكن في جلة الامم السالفين والمثل الاقدمين بعد الليبيين اناس اتم صحة واكمل من حيث اعتدال المزاج نعمة ومنحة من المصريين وذلك انهم كانوا متيقنين من ان اصل منشأ جميع الامراض البشرية انما هو من المواد الغذائية (هـ) وقد كانوا يتخذون خبزهم من صنف الحنطة ذات السنبال الشعيرة ويشربون في بعض الاقاليم من الديار المصرية نوع الشراب المعروف بالبوزة ويأكلون الاسماك النيئة من بعد تخفيفها بحجارة الشمس او بتملحها بوضعها ممددة من الزمن في ماء او مائع آخر مع الملح وكانوا يتناولون ايضا من لحوم الطيور النيئة كالحكم السماقي والبط وغيره من صغار الطير مع العناية بتمليحها قبل اكلها وبالجملة فقد كان المصريون يتخذون من سائر انواع الحيوانات والطيور التي كانت توجد في بلادهم وبقاعها ما مشوية او مسلوقة ماعدا انواع الطيور والاسماك التي كانت محترمة عندهم بحسب عفايدهم الدينية وعوائدهم التنسكية

وقال المؤرخ هيرودوت المحكي عنه اعلاه ايضا مامعناه «وقد كانت ملابسهم متخذة من غزل الكتان عبارة عن خرقه من القماش تدار حول الخصر كالازار ولها اهداب تسقط على الانفاذ ويتدثرون عليها بعباءة اودفتمية متخذة من قماش الصوف الأبيض غير انهم كانوا يخلعونها اذا كانوا في معابدهم وهياكلهم ولا يدفنون بها اذا كان ذلك ممنوعا عندهم بقضى احكامهم الدينية وقوانينهم التعبدية» (هـ)

مطلب — الكلام على ما كان يتخذة قسدا مصر من المصريين من كيفية دفن الموتى في القبور وصناعة التمهير

الدرس الثام ١٣٣ في التاريخ العام

قال المؤرخ فرانسيس لونفورمان المذكور أعلاه مامعناه قد كانت العناية بشأن الجثة بعد الموت والحرص على وقايتها من سائر ما يمكن ان يعتريها من اسباب الفساد من اهم الامور وذوات البال عند اسلاف المصريين بتلك البلاد ومن ثم حدثت عندهم عوائد تصبير الموتى واتخاذ التوابيت لدفعهم في القبور والنواويس المعبر عنه في اصطلاح ارباب النظر في المواد المصرية القديمة بلفظ الموميا واصل مبنى ذلك على ما كان من كوزا في اذهانهم من الافكار الدينية المتعلقة بما يعتري الروح البشرية من الاحوال الاخوية ولذلك كان يتراعى لهم لزوم جعل البدن بعد الموت في وقاية من الانهتك والفساد حتى تعود اليه الروح بالثاني في يوم النشر والعماد فتجده حينئذ محفوظا على حاله الاولى وابقا في صورته الاصلية ولهذا السبب عثنا عندهم ناشأ من أنواع العناية الشديدة وأصناف الاحتراسات العديدة لحفظ جيف موتاهم وعثر لهم على ما لا يحصى كثرة ولا يستقصى حصرا وعرة مما يعرف باسم الموميا المصرية وهي عبارة عن جثث الاموات المصبرة (قال المؤرخ فرانسيس لونفورمان السالف الذكر والبيان) وذلك بمقادير امتلأت به الانتقحات الانثوية ولا زال يوجد منه العدد الكثير والقدر الغزير في كل ناحية من الديار المصرية القبلية والبحرية ومن أراد ان يطلع على كيفية التصبير فليقرأ ما أورده المؤرخ هيرودوت المذكور في تاريخه من الوصف الجيب والبيان الغريب لأعمال التصبير التي كان قداماء المصريين يعملونها على جثث موتاهم حيث كانت تختلف باختلاف مراتبهم في الجمعية البشرية من أمير وحفير وعلى حسب درجاتهم الدينية من غنى وفقير

مطلب — الكلام على القلم المصرى القديم المسمى بالهيوري بجليف

قال المؤرخ فرانسيس لونفورمان المذكور الذكروالبيان أعلاه مامعناه كان اليونان يطلعون على كيفية الكتابة الاهلية المصرية اسم الهيوري بجليف وهي كلمة يونانية مركبة من كلمتين معناهما في الاصل النقوش المقدسة بمعنى المطهرة أو المحترمة اى الدينية حيث كان قداماء اليونان يتوهمون انها كلها مركبة من صوراً أشياء ساذجة وليس الحال كذلك كما يستقف عليه بالتفصيل والبيان وهذا الاسم وان كان غير صحيح الوضع في الاصل غير انه سارت به الركان ولا زال يستعمل عند العلماء المتأخرين من الاور وباوين على وجهه من الشهرة والاعلان بحيث لا يمكن الا ان استبداله باسم آخر اضبط منه ولم يحصل للتفات مطلقا لامن اليونان ولا من الرومانيين بوقت استيلائهم على بلاد المصريين لتعترف كيفية قراءة هذا القلم المصرى القديم ولا اشتغل احد منهم بشئ مما يقتضى له من التعلم والتعليم حيث كانوا يتوهمون انه سر مكنون وعمل مصون مع كون الالهة المصريين البلديين كانوا يزاولوا يستعملونه في سائر مده ولا يتهم عليهم واقامتهم فيما بين ظهرانهم وبقيت الكتابة الهيوري بجليفيه المذكورة مدة اعصار مديدة واجيال عديدة محاطة بسحب مظلمة ومستورة بحجب كثيفة غير نافذة ولم ينقل عن سلف المؤرخين

المعتمدين في مدارس الاوروبايين من اليونان والرومانيين شئى مطلقا يدل على انهم تعرضوا لما يساعده على فهمها وكان قد حصل اليأس بالكلية من الوقوف على علمها حتى برز الى حينز الوجود في فرنساوى ذوق رجيحة ناقية وفطنة صائبة فتوصل منذلا كثر من خمسين سنة لان كشف عنها القناع وتوصل على فتح ما كان عليه حصنهم من شدة الامتناع وحقق بحجج اجتاده من طريق الاستنباط والقوة التفرسية اعظم استكشاف حصل في مدة القرن التاسع عشر هذا من الميلاد المسيحى فيما يتعلق بآثر العلوم التاريخية الا وهو الشاب الذى اشتهر باسم يوحنا فرانسيس شامپوليون المولود بقرية فيجياك من اقليم اللوت (ببلاد فرانسة) في الثالث والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٧٩٠ وتوفي بمدينة باريس في رابع شهر مارس سنة ١٨٣٢ (ميلادية) وذلك انه توصل لان وضع اصول قراءة الحروف الهيروغليفية على قواعد قوية وجاعده جم غفير وجهور كثير من العلماء الاوروبايين فاحتذوا جذوه وانتفقوا خطوه في تلك الطريق التى افنتحها وكان من اشرهم واعظمهم وأكبرهم وعلموم من طائفة الفرانسييس كل من العالم الشهير باسم امپير والفاضل الكبير المشهور باسم دوروجه وحضره مارييت بك ومن طائفة الالمان المحقق ليسبيوس وجنا ب الموصو بروكش وبلاد انجلترا العالم الانجائيزى المشهور باسم بيرش واجتهد كل منهم في هذه الماد تاغايه الاجتهاد وانفذ فيما وسعه كل الاستفاد حتى بلغ استكشاف الشاب شامپوليون هذا بواسطة بذل مجهودات هؤلاء العلماء الاعلام وما حصل منهم من المواظبة على الاشتغال بهذا المقام الى درجة السكمال والتام واتسعت دائرة ثمره هذا الشأن في سائر الاماكن والبلدان وصار لا يشك فيها أحد الآن ولقد أصبح فلم كتابة قدماء أهل مصر يترجم الى جميع اللغات الاجنبية في هذا العصر بما ضاهى من حيث الصحة والوضبط ترجمة كتب الآداب المأثورة عن اسلاف ادباء اليونان والرومانيين المعتمدين في مدارس الامم الاوروبايين المتأخرين وملل الافرنج المعاصرين قال العالم الفرانسواى المعروف باسم رويومانسه «ولقد صار من المستحيل الآن ان يقول أحد بما كان يقال به من مدهديدة واعصار عديدة من الزمان بان الفلم الهيروجليفى هو من قبيل الادوار السرية المسكونة والالغاز المصرية المصنوعة التى اختص بمعرفة الكهنة المصريين واحتكر بواسطة الاختصاص بها جميع العلوم القديمة التى كان يعرفها هؤلاء الكهنة المتقدمون والقول الصحيح الذى يقتضى ان يعول عليه في هذا المقام هو ان الفلم المصرى القديم انما هو أمر عام كان يكتب به الخواص والعوام بدليل ان الكتابة الهيروجليفية تشاهد منقوشة في كل مكان من الدار المصرية وغيرهاسواء كان على العمارات العمومية كالحياكل والمعابد وما اشبهها وعلى الامتعة المستعملة في مواد المعاش المنزلية وفي القصص التاريخية وفي ضمن المدائح الشعرية والنثرية المؤلفة لقصص تخليد ذكر بعض الملوك معدة لغاية النشر والاعلان وبقاء الذكرا الى آخر الخلف على بحر الزمان كما توجد

مسطورة في الاصول الاثرية المعد للبيان اعلى العقائد الدينية المصرية ومن الخطأ البعيد جدا عن طريق الحق والوهم الخالي عن شائبة الصدق ايضا مذهب من يرى ان الكتابة الهيروغليفية قد كانت كلها وعلى وجه العموم في تلك الاوقات عبارة عن مجرد رموز واشارات نعم لاشك في انه كان من جملتها بعض اشكال رمزية لكنها كانت غالباً اسماء الانهام وكثير منها هو اشكال تمثيلية او تصويرية بمعنى انها عبارة عن صورة ذات الشيء الذي يراد الدلالة عليه بالطريقة الخطية واكثر ما يوجد في جميع العبارات والنصوص الاصلية التي حصل العصور عليها مكتوبة بالفلم الهيروجليفي المصري القديم اسماء واشكال صورته اعني دالة على صوت بدل على مقاطع لفظية او على حروف هجائية وهذه الحروف هي ايضا عبارة عن رسم صور بعض معاني يكون اسمها مبدوءاً بذلك الحرف كما ان الاسكال المقطعية التي هي عبارة عما يعرف في اصطلاح اهل الادب من انواع الانعاز والاحاجي بالمعميات تدل ايضا على معنى يشار اليه بالمقطع اللفظي المرصوع له والطريقة التي توصل بها تطلق اشباب اليبس والاديب الاريب المشهور باسم شامليون المذكور اعلاه لا عادة ما كان قد اندثر من معرفة سائر مجموع طريقة الكتابة الهيروغليفية واصول اللغة القبطية القديمة هو مضادها الحروف المكتوب بها بعض اسماء الاعلام الدالة على ذوات بعض الملوك حيث راهما مسطورة مع ترجمتها باللغة اليونانية في بعض النسخ الاصلية المحررة باللغة القبطية القديمة (كالاثر المشهور برأثر رشيد) فاستدل بها الاول اعني تعرف اوائل قراءة بعض حروف الهجاء المصرية ثم استعان على معرفة سائر هجاء معرفة اللغة القبطية الحادثة المتفرعة عن اللغة المصرية العتيقة وهي لغة قريبة منها لم تزل تستعمل في الادعية والصلوات الدينية لغاية عصرنا هذا عند طائفة الاقباط اى نصارى الديار المصرية (هـ)

مطلب الكلام على ديانة المصريين وعقائدهم سكان وادى النيل السفليين

قال المؤرخ فرانسيس لوفورمان المذكور اعلاه ما معناه تعجب المؤرخ هيرودوت اليوناني بوقت سياحته في الديار المصرية من شدة عبادة سكان ديار مصر في الاعمال التبعيدية وكم كثرة تعاليمهم في التنسكات الدينية فقال ان المصريين هم ادين جميع سكان الارض اجمعين واكثر عبادة لا الهتهم من سائر الملل والامم الا تخرب وبيان ذلك ان كل شيء في ديار مصر بذلك العصر كان يظهر عليه طابع الدين وكانت جميع كتاباتهم ملوثة بالاشارات الدينية والرموز الى الخرافات الالهية وكان استعمالها في اعداد المواد الدينية التي هي من هذا القبيل بكاد ان يكون من قبيل المستحيل وكانت علومهم وادابهم عبارة عن فروع من العلوم الالهية وصنائعهم وفنونهم ليس الغرض منها غير اشارة الاعمال التبعيدية واطهارها فخر آلهتهم او افراعتهم بالباغين عندهم مرتبة الالهية وقد كانت احكامهم الدينية واوامرهم التبعيدية كثيرة جدا للغاية انه كان من المستحيل لاحد من اهل الديار المصرية ان يتخلى حرفة لمعاشه او يستغل حق

بتحصيل مادة افادته الضرورية وحاجاته الاصلية الاولى بدون ان يبكون على الدوام والاستمرار مستحضرا في ذهنه وفهمه ومتصورا في خزانة حافظته وعلمه جميع القواعد المقررة والاصول المحررة من لدن الطائفة القيسية وقد كان للمصريين بكل اقليم من الاقاليم المصرية طائفة آلهة واصنام مخصوصين ومحافل دينية واتواع حيوانات معبودة لهم بطريقة خصوصية

وقال المؤرخ المروى عنه اغلاه أيضا ما معناه أن دين النصرانية لم يخش من ان يتكشف لجميع الناس من غير تستر ولا التباس ومع ما عليه عقائدهم من الدقة والتمعن في باطنه لأن صار مقبولا عند الكبار والصغار والعلماء والجهال لكونه هو الدين الحق الا ان المخطاط به جميع النوع البشري بخلاف سائر الاديان الباطلة التي كانت تتعلق بها الامم العالقة حيث كان كل ما احتوت عليه من الاسرار الدقيقة والافكار الفلسفية العالية الرقيقة بقي منحصر في دائرة المحراب ومحتمرا من وراء الحجاب في قبضة يد طائفة ابناء الاديان المذكورة وجاعة من الخواص واصحاب الاسرار محصوره لتصدر فرعونيتهم وجرسنتهم وفي الحقيقة ونفس الامر قد كان يوجد بديار مصر في سالف العصر كما كان الحال كذلك في جميع الاقطار والبلدان المتدنية بعبادة الاوثان في تلك الازمان دينان متباينان احدهما دين طبقات العوام وهو عبارة عن مجموع بشيع وتلفيق شنيع من الخش الاوهام واوحش ما تتعلق به الافهام والثاني يختص به المتوغلون في العلوم الدينية وهو يشتمل على بعض عقائد اعلى مرتبة واشرف منقبة يتكون منها نوع من علم الالهيات الدقيقة (وضرب من المعارف التوحيدية المسمى عند اهل الاسلام بعلم الحقيقة) وهودين الخواص حيث يتضمن في باطنه عقيدة وحدة الله سبحانه وتعالى التي هي العقيدة العظيمة والفكرة النورانية الفخيمة وذلك ان المؤرخ هيرودوت اليوناني صرح لنا في الواقع بان المصريين بدنية طيبة الصعيد كانوا يؤمنون بآله واحد فريدا لا أول له يعرف ولا ينبغي ان يكون له آخر عليه يوقف غير ان هذه العقيدة العالية الشان اعني الوحدةانية الالهية السامية المكان التي يقتضى ان يكون اصل مورد هالهم وحى سابق كانت قد اترها من أول الامر فيما بعد من سالف العصر الالتباس والابهام بسحاب الجهل والظلام ففسدت بتعصوات قسوسهم وحهل العامة وبما ابدعوه في شأن الحقيقة الالهية من عند انفسهم من التخيلات الخرافية واختلطت عندهم شيئا فشيئا حقيقة الذات العلية بمظهر صفة القدرة الالهية وتشخصت في اعينهم الصفات الالهية الاصلية ونعوت الذات الاولى في صورة عدد كثير ومقدار غير محصور من ذوات ثانوية مساعدة للذات الالهية الكبرى اعني من آلهة أخرى كانوا يعتقدون انهم يقرنونهم (كما ونص القرآن الشريف) الى الله زاني ووزعهم على مراتب تدريجية وزعموا انهم كلهم يساعدون على حسن نظام المخلوقات وحفظ سائر الموجودات ومن ثم نشأ عندهم تعدد الالهة

الدرس الثامن ١٣٧ في التاريخ العام

المعبودين وكثرة الاوثان العديدين وآل هذا الامر على ما يظهر من حقيقة ما انفتح لناهما كان لهم من الاشارات العجيبة والرموز الغريبة المتعلقة بمادة المعبودات لأن شمل جميع الكائنات من الكواكب والمعادن والنباتات وأنواع الحيوانات

مطلب — بيان ما كان يعبد في الديار المصرية من الآلهة الملية والادوان الاصلية قال المؤرخ المروى عنه اعلاه مامعناه ولا سبيل لنا هنا الى استقصاء جميع الذوات المؤلهة التي كان يعتقد قدماء المصريين نصبها في درجة ثانية حول عرش الحضرة الالهية العليا حيث بطول شرح ذلك ويضل السارى في بحر ظلمات تلك المسالك والآلهة الاصلية منها هي الاله الكبير المسمى باسم (آمون أو آمون را) وهو عبارة عن الشمس والاله المسمى باسم (اوز ريس) والاله المسمى باسم (هوروس) وهذه الآلهة الملية قد كانت في الاصل صفات ونعوت للذات الوعبد والفرد القديم الازلي الواجب الوجود ثم آل امرها في اعتقادهم لأن نسب اليها صورة وجودية وهيئة ظاهرية خاصة بها وصارت يمكن تعددها الى ما لا نهاية وجاءت أروهام العوام فلم تقصر في ذلك للغاية ومن تأمل في ماهية هذه الآلهة الاصلية والمعبودات الكبيرة الملية من قرب ظهر له انها ليست بمتباينة الحقيقة في الوجود الخارجي وانها عبارة عن شيء واحد في التصور الظاهري ويتضح له بالطريقة الجلية انها قد يلتبس بعضها ببعض ولا يتأخران بسنتج من دقة النظر في حقيقة هذا الامر ان تلك الخرافات المصرية وسائر افراد المعبودات الملية في تلك الاعصار الفرعونية ترجع في الباطن الى عدد يسير ومقدار محصور من الاصول الالهية

ثم تنوع افرادها الى ما لا نهاية وتوزع آحادها للغاية في صور الوجود الظاهرية

اما في دائرة الديانة العامة المرتبة اعنى في الاحتمالات الخارجية التي كانوا يشهرونها في الهياكل التعبدية أمام أعين العوام فقد كانت تلك الآلهة مصورة باصنام مميّزة الهيئة والقوام متباينة المرتبة والمقام وكانت العامة ومن بها على هذا الوجه بخلاف طائفة القسس وكل من كانوا قد اطلعوه على اسرار الحقيقة الدينية فانهم كانوا يعرفون حقائق العقائد الاصلية ويقفون على دقائق الديانة الملية ومن ثم يعلمون ان دين المصريين وان كان مبنا على الاصل ومنشأ الاولى على الاعتراف الصريح بالوحداية الالهية قد كان يظهر لآس الناس في صورة تعدد الآلهة المعبودين وعبادة الاوثان العديدين الى ما لا نهاية له ولا حصر ويرأى ان لم يتأمله بدقة النظر انه يشتمل على جملة معبودات عجيبة الهيئة والشكل غريبة الصورة والجل بل في الاكثر شيعة المنظر بشيعة المنظر وهكذا كان يظهر لآس عوام الملة واسائر الجاهلة والسفلة من الامة لا غير

مطلب — الكلام على ما كان قدماء المصريين يعبدونه من انواع الحيوانات المحترمة والدواب التي كانت عندهم معظمة

قال المؤرخ المحكى عنه اعلاه مامعناه وقد كان استعمال الاشارات والرموز من أصل طبيعة قديمة

الدرس التام ١٣٨ في التاريخ العام

الامة المصرية واساس ديانتها الالهية وقد كانوا أسرفوا الاسراف الكلى فيما كانوا قد جعلوا عليه من هذا الميل الجبلى وتجاوزوا الحد في هذا الطمع الاصلى لغاية انهم صاروا من حيث صورة عبادتهم الملية الظاهرية وهيئة مناسكهم الالهية الخارجية الى اخفش طرق الضلال وأوحش ما يعبد الاله بال وبال وذلك ان قسم دينة المصريين الساقين لقصداً يتخذون من الرموز والاشارات ما يلزم لصور ذرات آلهتهم المنوعين وتثخيف ما أوجبوه لهم من النعوت والصفات في صورة ذوات آخرين كانوا قد بنحروا واتخذوا كل شئ من الكائنات حتى استعملوا لهذا الغرض أنواع الحيوانات فاتخذوا الثور والبقرة والكلب والفرس والتمساح و فرس الماء والباز والغير المسمى بالقلق حتى اتخذوا لكل العمل والخنفساء وغيرها من انواع الدواب والجرار وجعلوا كل واحد من هذه الحيوانات رمزا وإشارة الى ذات مخصوصة كانوا يعتقدونها من الذوات المعبودات وكانوا يصورون كل آله معبود لهم بصورة ما جعلوه له علامة وامارة على سبيل الرمز والاشارة من انواع هذه الحيوانات بل كانوا في اكثر الارقات يعبدون عن كل ذات آلهية معبودة لهم بصورة تلتقي غريب وتوفيق عجيب خاص بالديار المصرية بكونه من مثال جسم انسان عليه صورة رأس ذلك الحيوان ومن ثم حدثت عندهم عبادة الحيوانات المحترمة وتأليه انواع الدواب المعظمة التي كان اليونان والرومان يهابون لها يستغفرون ومنها يتعجبون وكان المصريون يعتقدون كل العناية ويحرصون اتم الحرص والرعاية على علف كل واحد من هذه الحيوانات المقدسة والدواب المكرمة على حسب ما تشبهى نفسه في داخل الهيكل المعبود المعبود الذي اقتضت لاهة عليه وجعلوا رمزا وإشارة اليه وتبى مات ذلك الحيوان صبروه ودفعوه قبره كمن كان يعبده لوريجته لانسان وكانت كل مدينة أو اقليم من الاقاليم المصرية محترمة لحيوان معين ويحرم ان يراد انواع من هذه الحيوانات بمرغبة خصوصية اذ لا ينبغي ان يتوهم انهم كانوا يعبدون النوع على سبيل التعميم بل كانوا يحضون بالعبادة والتكرام بعض افراد محصورة من الحيوانات المذكورة وكان بعض افراد معينة منهم يلقب عليه من طرف الدولة ويخدمه بعض اعيان من كبار ارباب المناصب والصوله فكانت الاطعمة لا اذا ماتت تنقل من بعد تصيرها الى مدينة بوباستيس (تل بسطة) والبارات الى مدينة بوتو (اسنا والرهاوة) واللهائق الى مدينة هورمبوليس (مدينة مصرية قديمة) وكانوا كذلك اذا خصوا بعض انواع الحيوانات بالعبادة لا يعبدونها في جميع الاقاليم فكانت فرس الماء مثلا معظمة في الاقاليم المسمى باسم بيريس من ديار مصر القديمة وكان نوع التمساح ليس بمعبود الا باقليم طيبة الصعيد مع انه كان يصاد ويحارب بأشد الطعان فيما عداه ذلك الاقاليم من كل مكان ومن ثم يعلم ان دين الالهة المصرية في سالف الاحقاب الذهبية كان عبارة عن اختلاط غريب مجتم وتلفيق عجيب لا يبادر بفهم من بعض عقائد عالية تخلفت عن وحى سابق كان قد نال شئ أمره

الدرس الثامن ١٣٩ في التاريخ العام

وبقي أثره مع بعض تصورات مبتدعة وتخييلات مختزعة أكثرها غير مستقيم وكلاه في درجة المبالغة والتفنيم فيما يتعلق بالماهية الآلهية وأصل المباشرة الدينية يتخللها طريفة مكارم أخلاق مذهب نفعية مع صورة عبادة حقيرة دنيوية تصمم لملذات أو هام عابثة وتصورات فاسدة أهلية من أخفش ما يكون وأرذل ما تتعلّق به الظنون قال ابن الصراني المعروف باسم كليمان الاسكندراني مامعناه «المبادا دخلت هيكل ابن المعباد المصرية في تلك الأعصار لافاك قسيس بريمة الرقار وهو تلوذمة تتجسّد به في - ق الذات العلية ورفع لك طرف الستارة ليريك الحضرة الآلهية را في انحراث من وراء الخجب اماهرة أو تمساح أو شعبان أو غير ذلك من أنزاع الحيوان المؤذّر لنوع الانسان ولا ترى - يتبدّل غير بريمة مفرسة تفرغ على بساط من حرير الأرجوان فهذا هو أله أهل مصر في ذلك العصر » (انتهى كلام المؤرخ المتنفذ الذكر)

مطاب — الكلام على أعظم عمارات أهل مصر في سالف الأيام وهي الاهرام قال المؤرخ فراسيس لوفورمارس رود عنه أعلاه مامعناه لم يتكرأ أحد من أعظم العمارات المصرية من حيث الحجم وأغرب الانظمة العرونة من حيث التمرغ في القدم هو اهرام الجيزة وقد أسلفنا الكلام في غير هذا المقام على كثرة لرم لبنائها من العمال وغزار ما اقتضى لانشاءهم من الاعمال ومن لم يكن نظرها يتيسر له ان يصورها على وجه الضبط بقريب الاذعان عرف ان أكبر هذه الاهرام وهو هرم الميث كميونس او خيمويس (بالكاف او بالحاء المحجمة في زوله والباء الفارسية بعد هاسين مهملة في آخره) هو بيدان مخروطى عظيم وعمران هرمي جسم مركب من أكثر من سائتي سدائل او سدس البناء بالاجزاء والنحت الكبيرة الحجم والكتل البليغة الجرم جدا وقد كان ارتفاعه في الاصل قبل ان يعتريه الفساد يبلغ ١٢٠ مترا عنى نحو مرتين يتقدّر ارتفاع برج الكيسة الى نهر النيل المسمى (نوتر دم) بمائة ثمانى كنيصة سميت تبا الى مريم بدينة باريس وان مساحته عند تباغ ٣٣ متر ولاوار تجوع الامتجار التي يتركب منها بناؤه يتكون من مجسم يبلغ ارتفاعه من المنظر يبلغ خمسة وعشرين مليون متر مكعبا بحيث يمكن ان يبنى منه جدار يبلغ من الارتفاع مترع على ارتفاع ستة امتار ولاجل اعانة قاعة التابوت الملكي على ما فوقها من النقل العظيم دبر المهندس المعماري المصري القديم في اعلى عمارة هذا الهرم الجسم عدة فراغت في ذات العمارة لمذكورة جعلها عدة قيعان اخرى واطية صغيرة وفيها قاعة تابوت ثانية كانت على وجه الضبط تفر بين تحت القاعة الكبيرة غير انها ليست من اصل البناء بل هي في ذات صخر الجبل مفحورة ووضع هذه العمارة الهائلة بالنسبة لوضع الشمس هو على طريقة مضبوطة كاملة بحيث ترى جهاتها الاربع مقابلة بغاية الضبط والدقة للجهات الاربع الاصلية

الدرس الثام ١٤٠ في التاريخ العام

واما الهرمان الآخران فهما كذلك على هذا الوجه من الضبط موضوعان غير ان بناءهما ليس فيه فراغ كبناء الهرم الاول وهما في ذات الصخر من الجبل مصطنعان والهرم الثاني هو دون الاول في الارتفاع لكونه على الارض وسواء على مكان من الجبل هو اعلى من الثاني وبناء هذا الهرم الثاني هو كذلك دون بناء الهرم الاول من حيث كمال الصنعة والاتقان وكان القصد بانشاءه ان يدفن فيه جثة الملك سفير من ملوك مصر فاما سفيرنا ذكره في غير هذا المكان ولم يبق من جميع الاهرام ما بقي عليه طبقة نظيفة بالجرج الحث من الخارج غير هذا الهرم الثاني لا غير

واما الهرم الثالث فلا يبلغ من الارتفاع الى ثلث الهرم الاول غير انه اكثر منه نقشا وزواقا وقد عثر فيه من الخشب على تابوت الملك ميسيرينوس وهو الذي كان قد اُشاه وشيد عمارته وبناءه والقاعة التي وجد فيها تابوته وجدت كلها مطبقة الجدران من الظاهر بالجرج الصوان وحيث كان الجبل الذي يؤخذ منه نوع الجرج الذي هو من هذا القبيل لا يوجد الا بأعلى صعيد وادي النيل على القرب من جهة اسوان لزم انهم كانوا يجلبونه على السفن من ذلك المكان وقد كان على هذا الهرم في سالف الزمان كذلك طبقة من الظاهر بالجرج الصوان المجلوب من جهة اسوان غير انه يظهر عليه انه اقرب عهدا من بناء ذات الهرم المذكور وانه اُضيف اليه فيما بعد من انشاء الملكة نيتوكريس التي هي من ملوك العائلة السادسة كما هو فيما تقدم مسطور

مطلب — شرح القول على التمثال العظيم المعروف باسم أبي الهول

قال المؤرخ المروى عنه اعلاه مامعناه واما التمثال العظيم (المعروف على لسان العامة باسم أبي الهول) الذي يشاهد في اسفل الاهرام الكبيرة المذكورة وكأنه كان ذيلا ونبهة لهذه العمارات الشهيرة فهو في الاصل من انشاء الملك سفيرين المذكور وان كان لم يتم سائر عمارته في مدة ولايته وقد مر مساحته نحو ٩٠ قدما وطولا على نحو ٧٤ قدما ارتفاعا ومساحة رأسه من عند اسفل الذقن الى اعلى الجبهة ٢٦ قدما وهو منحوت في ذات صخر الجبل الذي هو قائم عليه ومقسم الى ست مناطق افقية بقدر الطبقات الطبيعية الكائنة في ذلك الجبل الذي هو مصطنع فيه وقد اتخذ له في فم أحد الشقوق الفاصلة بين تلك الطبقات الجبلية وابواب الهول العظيم هذا هو صورة معبود قديما المصريين المسمى باسم (هارماسو) وهو عبارة عن الشمس في وقت الغروب وقد كان من عثمائهم الدينية انه بالاصالة آله الجنائز وفيما بين مقدم يديه محراب صغير مهد لعبادة الآله المذكور كان قد اعدا انشاءه بالثاني الملك طوطميس انشأه قال العالم السياح الفرنسي ساوي المشهور باسم امبير في كتاب رحلة مامعناه ان هذا التمثال العظيم مع ما وقع عليه من التشويه الجسمي لأحد مجامع قلب الناظر اليه ويؤثر عليه تأثير الامر الجيب وكان له لعمري طيف خيال غريب ظهر ظهورا بالاعين الناظرين من أرواح الاقوام السالفين وكان ذلك الخيال المتصور من الجرج وروح يكاد يسمع ويبصر وكأن اذنه الكبيرة

الدرس الثامن ١٤١ في التاريخ العام

انتهى لما بقي اليها من اخبار الماضين وفي كيفية مواجهة نظره لبصر الناظر اليه دقة ظاهرة وحقيقة باهرة تسحر قلب كل من التي نظره عليه وانه لبشاهد لعمرى على وجهه هذه الصورة العجيبة التي نصفها صنم ونصفها جبل مهابة غريبة ونوع من البشاشة بل ربما كان يرى عليها أيضا نوع من اللطافة والهاشاشة (هـ)

مطلب ذكر عوائد المصريين فيما يتعلق بدفن موتاهم وما كانوا يتخذونه لذلك من المغائر والقبور وما كانوا يعتنون به من كثرة الزوايا والتصوير

قال المؤرخ المروى عنه اعلاه ماعناه قال ديودور الصقلي مائنه وقد كان المصريون يسمون مساكنهم في الحياة الدنيا بما معناه الجحش أو الماشي أو المأوى لداعي انهم يأوون اليها مدة قصيرة من الزمن ويسمون قبورهم بالدور الابدية لداعي انها هي دار الخلود ولذلك كانوا لا يعتنون بزوايا منازلهم الدنياوية بخلاف مقابرهم حيث كانوا يبذلون كل مجهودهم وميسرتهم في ان تكون في اعلى درجة من الابهة والفخار ولا يملكون شيئا مما يبلغه الى ابعج الزينة وابهى الآثار قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المكرر الذكروا البيان اعلاه ماعناه وحيث كان لا يمكن لنا هنا ان نحصى عدد ما بقي لاسلاف اهل مصر ولان نستقصى وصف كل ما اثر عنهم من اثار ذلك العصر من المغائر الكثيرة والمقابر الغير المحصورة التي توجد في كل محطة من طول شواطئ وادى النيل مشحونة بما لا يحصى من أنواع النقش والزينة الغريبة التي اشهرها واعظمها واجدها بالذكرواهاها المغائر الموجودة بضواحي مدينة منف أو منفيس (اعنى بجهة الجيزة وصقاره) ومغائر ناحية بتي حسن بالاقاليم الوسطى فلا اقل من ان نقف من جملة ذلك على القبور الملكية الشهيرة الكائنة بجهة مدينة طيبة العظيمة حيث وقف عليهم او وصفها كل من ساحب ديار مصر في هذا العصر من اهل العلم والخبرة بالآثار القديمة وهذه القبور هي عبارة عن عمارات عظيمة وابنية جسيمة مشيدة في اسراب تحت الارض يمتد لها الناظر اليها طربا وبقي منها عجيبا كما يستغرب مما يوجد على القرب منها على وجه الارض من العمارات والآثار المجاورة لها قال العالم السيامي الفرنسي المشهور باسم رويوني كتاب رحلته مائنه « واشهر هذه القبور وراكبرها وأحراها بالذكروا جدرها هو قبر الملك رمسيس الخامس وذلك انه يشتمل على عدة قيعان يوجد فيما بينها مجازات يسير فيها السائر في بطن الجبل حتى يصل الى قاعة التابوت الملكي الكبرى وكلها يوجد عليها سلسلة طويلة من النقوش المنحوتة والزوايا الجميلة وهي صورة مناظر خرافية وقمائل فلكية تصور فيها سير الشمس وكيفية الثواب والعقاب التي تلقاها الروح البشرية في دار الحياة الآخرة وعلى الخصوص قاعة التابوت الكبرى التي وصفها شامبوليون مع غاية التفصيل والتبيين في رسائله التي حررها من ديار مصر فيما يتعلق بالآثار المصرية القديمة حيث تكرر فيها تصوير كيفية سير الشمس وعلى جوانب

الدرس الثام ١٤٢ في التاريخ العام

جدارها ما لا يحصى من الكتابات بالقلم المصري القديم المعروف باسم الهيروغليفية وليست جميع القبور الستة عشر الموجودة بالوادي المسمى باسم بيان الملوك كلها تامة الزوايا والزينة عني سائر جهاتها مع سعتها بل بعضها كان قد تم فيه هذا العمل وهو قبور الملوك الذين كانت أقامتهم على كرسى المملكة أطول وبعضها كان لم يتم فيه ذلك العمل وذلك أنه كان من عوائدهم أنه متى جلس الملك على كرسى السلطنة حصل الشروع على الفور في إجراء العمل لإنشاء القبر اللازم له ومتى توفي دفن فيه على الحال الذي يكون عليه يورقة وفاته سواء كانت هذه العملية قد تمت أو نهضت على حسب اختلاف قدر مدة ولايته طال أو قصرت ومتى دفن في قبره الجسد أغلق باباه إلى الأبد ومن جملة أعم القبور الملوكية المذكورة وأعجبها وأعظمها وأعجبها قبر الملك سيتيوس الأول وقبر الملك رمسيس الثالث وذلك أن قبر الملك سيتيوس الأول قد تصور فيه أنواع الانسال البشرية على حسب ما كان يعرف بالبلد مصر في سالف العصر وعلى قبر الملك رمسيس الثالث كما يوجد مثل ذلك على جميع قبور الأوصار الإقليمية صورة أمتعة منزلية وأدوات تتعلق بكيفية المعاش الخاصة مع صوداشرية للسنة لزراعية المصرية مصورة على ستة هيئات مختلفة للنيل وأرض مصر مثلا كل منها في صورة ذات مصورة بالشئ المجهول لها عندهم من قبيل الرمز والاشارة وعلى سبيل العلامة والامارة وقد تصور في كل هيئة من الهيئات الست المذكورة صورة سائر الخواص الزراعية التي تختص بكل موسم من المواسم السنوية المصورة في تلك النقوش الصنعائية وذلك أن من المعلوم كور مياه النيل هي التي يتحدد بها في الديار المصرية أوقات المواسم الزراعية (١)

مطلب - ذكر ما كان لقدماء المصريين في سالف العصور من الهياكل والقصور
قال المؤرخ المذكر المذكور أعلاه ما عناه انه بوقت غزو ودمار المصريين لبلاد مصر كانت فرقة الحراس الفرانسياسي السكينة تحت رئاسة القائد المسمى باسم ديزيه قد أرسلت لاتباعه مراد بل ومن معه من جماعة المالك الأقصى جهة الصعيد ومع كون جماعة الحراس الفرانسياسية المذكورة كانت في حالة العدم ونفاذ الميرة وكادوا أن يهلكوا من شدة الحرارة فبحرارة ان بدت لا تفيهم على - ير غفلة طوابع اطلاق طيبة نسوا من أول وهلة ما كان قد اعتبراهم من المشقة والتعب وكل ما كان قد أصابهم من ألم الجوع والنصب مع قرب العدم منهم وإملاق قلوبهم حمية ومجاسا وصاروا جميعا يصفقون بكوفهم استغرابا دفعة واحدة ويضحون استجابة عن حركة متحدة وذلك ان مدينة طيبة هذه التي كانت في سالف الاعصار عند المصريين لا تلهم المسمى باسم (آمون) هي المدينة المقدسة (بمعنى الحرم المأمون) هي وان كانت قد انكب عليها من نكبات الدهر وأنصب اليها من صدمات كل عصر مصائب شديدة مدة عدة قرون من الزمن عديدة وانضم فيها العمل الخراب الحاصل عليها من تعاقب الإحقاق نوايب الفساد الحاصل في تلك الاعصار

الدرس الثام ١٤٣ في التاريخ العام

من غارات الاقوام المتوحشين على تلك البلاد فلم تزل تظهر لنظر الناظر اليها في أعظم منظر واجم
مخبر وتبدول بصرا المتفرج عليها في أعجب مجموع من الابنية والعمارات التي باشرت ما يد الصنائع
والفنون على عمر القرون مما يكاد أن يكون مباشرة جميع العائلات الملوكية الكثيرة التي
تامت على ديار مصر من عصر الملك أوزور تازان الاول الى عصر آخر ملوك دولة البطالسة الكبيرة
الذي هو والد الملكة فليوبطرة الشهيرة ولوأردنا ان نستقصى على وجه شامل وصف ما بقي من
من آثار عارات مدينة طيبة المذكورة للزم لنا وضع محمل كامل ولذلك اقتصرنا القصد ايراد
ما فيه الكفاية الامام عما كانت عليه هذه المدينة الشهيرة من بلاغة السعة والزينة الكثيرة
على ان نقول ان مساحة سور اطلال ألجهة المعروفة الآن بالكرك من مكان هذه المدينة القديمة
يبلغ ١١٠٩ أقدام بقطع النظر عن مكان صفوف التماثيل المعروفة باسم أبي الهول الساكنة
امام الباب البراني وعن الهية بكل الآخر الذي أنشأه الملك رمسيس الثاني على ذات سمت الهيكل
الاول في اوارعائه الحداث بحيث يبلغ مجموع مساحة حائل الجميع لما يقرب من مبلغ ٢٠٠٠
قدما تقريبا ويؤدي الى دخول في جمل العمارات المشمولة في دائر هذه المسافة الرحبية القاعة ذات
الاعدة الجهمية التي هي من انشاء الملك سيئوس الاول ولان في العبارة بوضفها على الوجه الاكمل
قال المؤرخ فرانسيس لونورمان وهذا نص عبارة العالم السباح الفرانساوي المسمى باسم أمير
في كتاب رحلته بديار مصر السالف الذكر والبيان حيث قال فيه ما نصه في هذا الشأن
«إذا أردت ان تصور هذه القاعة الغريبة فتخيل غابة من الابراج وتصور امامك مائة وأربعين
عمودا في مثل غظ العمود الكبير المنصوب في الميدان المسمى باسم (الابلاس ونيدوم) بمدينة
باريس يبلغ أكثرها ارتفاعا الى ٧٠ قدما (وذلك هو مبلغ ارتفاع مسئنا الفرانساوية هذه
تقريبا) ومساحة فطرها هذه الاعدة الفرعونية ١١ قدما وكلها مغمورة بانواع النقش
البارظريف والكتابة بالقلم المصري القديم المعروف بالهيوريجليف ومحيط رؤس هذه
الاعدة ٦٥ قدما ومجموع مساحة هذه القاعة الملوكية ٣١٠ أقدام طولها على اكثر من
١٥٠ قدما عرضا وكانت في الاصل كلها مسقوفة ولم يزل يشاهدها كوة من الكوات التي
كانت متخذة في الدخال النور اليها (اه) وقال العالم السياح الالماني المشهور باسم
ليسيوس في كتاب رحلته بديار مصر ما هو هنا ايضا جديرا بالذكر ونص عبارته كما هو بعدمسطر
«ان مما لا يدخل في حيز الامكان أن يعبر الانسان بالقلم أو اللسان عما يجده في قلبه من التأثير
الجميب والانداس الغريب اذا دخل أول مرة في هذه الغابة من العمدان وخطر أول خطرة
بين تلك الصفوف المتعددة من تماثيل الالهة المصرية العظيمة وصور الذوات الفرعونية
الفخمة التي هي مغمورة بها تارة عليها كلها وطورا على جزء منها وعلى جميع جدرانها قوش
مغمورة مزوقة بانواع الصباغات الملونة بعضها بارز وبعضها مغرغ ولم يتم عملها الا في مدة عهد

الدرس الثامن ١٤٤ في التاريخ العام

خلفاء الملك سيتوس وعلى الخصوص في مدة ولاية ولده رمسيس هـ (٨هـ)

وفيما بين عمارات الكرنك والجهة الممتدة بالأقصر بحيث تصل إحدى العمارتين بالآخرى سلسلة من العمدان والكبوش المصنوعة من حجر الصوان موضوعة بغاية الضبط والاتقان على وجه من التدبير بحيث يتكوّن فيما بينها طرق وجسور وهي عبارة عن هياكل وقصور من انشاء الفراعنة المتعاقبين على مملكة مصر في عدة اجيال مضت على تعاقب الدهور وأقدمها عهدا وأعظمها الهيكل الكبير الذي هو من انشاء الملك آمينوفيس الثالث وفي جهة الشمال منه مجاز من الاعمدة يوصل الى هيكل آخر من بناء الملك رمسيس الثاني ومساحة مسطح مكانه ٢٥٠٠ متر وقد كان الملك المذكور شاد في مقدم الساحة الكائنة أمام هذا الهيكل مستتين عظيمتين احدهما نقلت الى بلاد الفرانسيس وهي الموجودة الآن بالميدان المسمى (باسم لابلان دولا كونكرد) أي ميدان الاتفاق بمدينة باريس

وبالجهة فان آثار مدينة طيبة الصعيدية هذه هي أعظم الاطلال وأجسم الآثار التي بقيت من عمارات الديار المصرية على مر الاعصار وقد كان يجب علينا أن نطيل الكلام عليها ولا يمكن استقصاها الاشارة اليها على وجه الاختصار ولا ينبغي أن يتوهم انه لا يوجد غيرها على شواطئ وادي النيل مما هو من هذا القبيل بل يوجد في عدة أماكن من الديار المصرية بجزيرة اسوان وامبو وادفو واسناو ارمنت وندره عدة هياكل قديمة ومعابد عتيقة عظيمة بعضها باقية بتمامه على حالته الاصلية لغاية الآن وبعضها اعتراه الفساد عبر الزمان غير أن أكثرها كان قد تجدد بناؤه في مدة دولة البطالسة الخالفين على الاساطير الذي كان قد حصل عليه انشاؤه في اعصار الفراعنة السالفين وقد استكشف المكرم مارييت بك ناظرا بمال البحث عن الآثار القديمة الفرعونية بالديار المصرية في المدينة المسماة باسم آيدوس (المدفونة) بنواحي الصعيد هيكل كاملا لم يحرقه اطلاقا كانه بناء جديد من عهد الملك سيتوس الاول وهو أعظم وأجمل ما يوجد بالديار المصرية من المعابد الفرعونية من حيث اتقان الصناعة الفنية ومساحة مسطح مكانه ٨٦ قدما طولا

وأما مدينة مصر القديمة المسماة باسم منف أو منف (مائة رهينه) فلم يبق من عماراتها الجسيمة شيء قائم على حالته الاصلية وهيئة الاولية والذي أمكن بقاءه من آثارها ما هو مدفون تحت الارض وغاية ما يتسراظها من هياكل هذه المدينة العظيمة هيكل واحد استكشفه المكرم مارييت بك المذكور أنفا وهو الهيكل المسمى باسم (لوسيرا) يوم أي معبد آله قدماء المصريين المسمى باسم سيرايس (وقد عثر في داخل سورده على مدافن سلسلة جميع الاثوار التي كانوا يعبدونها ويسمون بها باسم (آيس) من عهد العائلة الملوكية المصرية التاسعة عشرة الى عهد ادخال الديار المصرية تحت ولاية السلطنة الرومانية وقبل أن ننهي الكلام على هذا الباب لا بأس لنا بأن ننبه

الدرس الثام ١٤٥ في التاريخ العام

هنا بطريق الاختصار على ما يوجد من عديد العمائر والآثار الباقية من عهد الاغصان
الفرعونية متسلسلة على شواطئ النيل ببلاد النوبة من عند شلال اسوان لغاية الشلال
الثاني ببلاد السودان ولا سيما الهيكل العجيب الكائن هناك تحت الارض بالاحمية
المسماة باسم **ابسنبول** (بكسر الهمزة في أوله) حيث يوجد كثير من النقوش التاريخية
والتصاوير الدينية على جدران جدرانته وعلى واجهته باب الغريب المركب على اربعة اعمدة من
النصور الهائلة (اعني من نوع النصور الجسمية المعروفة باسم ابى الهول) منحوتة في ذات الصخر
من الجبل مصورا فيها دات فرعون رمسيس الثاني على هيئة الجالس مع كون ارتفاع
كل صورة منها يبلغ نحو اربعة اذرع (انتهى الى هنا معربا من مختصر تاريخ الامم المشرقيين
والهند للأورخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان)

تتمة

تشتمل على بعض ايضا حات جديدة وزادات مفيدة فيما يتعلق بتاريخ مصر

في سالف العصر

وذلك في عدة مسائل (معربة باختصار من التاريخ القديم الكبير للأورخ فرانسيس لونورمان
الشهير)

المسألة الاولى

مطلب - بسط الكلام على أصل ما أخذ تاريخ المصريين القدام قال المؤرخ فرانسيس
لونورمان المذكور اعلاه في تاريخه القديم الكبير مامعناه طامما كان أهل العلم بالبلاد
الاوروبية اذا ارادوا ان يكتبوا تاريخ الديار المصرية يضطرون للاقتصار على اعتماد
ما كان قديما اليونان قدا ودعوه في سالف الزمان بمصنفاتهم - التاريخية من القصص
والروايات الحكوية وذلك لانهم كانوا لم يطلعوا اخذ منهم بعد في سالف العهد على استمرار
القلم المصري القديم ولا كان أحد التفت لما كان يقتضى له من التعلم والتعليم ولما كان
ما اقتضاه سلف المؤرخين من الشهادات التاريخية فيما يتعلق بتاريخ الديار الفرعونية
متناقضا كل التناقض بعضه لبعض كانوا يظنون لزوم ترجيح ما ابداه من المعلومات
التاريخية كل من المؤرخ هيرودوت الايكارناسى وديودور الصقلى وابنه على سائر ما عداه
فهذا هو ما كان جاريا عليه العمل بين اهل العلم في سالف الزمان واما الآن فقد تغيرت احوال
العلم في هذا الشأن بالكلية لداعي ما اقترحه في هذا العصر من الاستكشاف الخلد للذكر العالم
الفرانساوى النبيه والفاضل الاوروبى الوجيه حنفا فرانسيس شامبوليون المذكور فيما

سلف اعلاه حيث تيسر لنا إيجاد من الوقوف على حقيقة حروف الهجاء المصرية وتعريف اصول اللغة القبطية امكان قراءة ما يوجد مسطورا على الآثار الفرعونية من الاساطير المعروفة بالكتابة الهيروغليفية وقد كانت قراءتها معدودة عند اهل العلم والعرفان في جملته المسائل التي لا يمكن حلها الى آخر الزمان وها هو قد تيسر لنا الآن ان نأخذ تاريخ هذه الديار العتيقة عن ذات مآثرها اهلها بأنفسهم من الكتابات مسطرومة بقلمهم القديم على ذات ورقهم البردي وما اترعهم من الآثار والعمارات ومن حين استولى يد التاريخ على تلك السمات الاصلية والتحريرات الرسمية بمعنى الدولة الدالة على حقيقة احوال شواطئ وادي النيل في سالف الجبل كادت ان تضمحل بالكتابة اعتمادية هذين المأثورين اليونانيين اللذين كان يعتمد عليهم مدون غيرهما في المدايز الاوربية وتلاشت تقريرا سندتهم في المواد التاريخية اما هيروودوت الاسكندراني فقد كان رجلا سياسيا عجيب الضبط غريب التقييم والربط يقص ما ساءه به بعين رأيه من الحوادث الواقعية بطريقة هي للقلوب ساحرة وفطنة نادرة اما فيما يتعلق بوصف اخلاق المصريين وعوائدهم فترى كتابه كثر انقيسا الى ما لا نهاية له حيث ادوعه ما كان قد عاينه بنفسه فعبّر عنه باضبط معبرة وسطره باصح مسطرة وفي كل يوم تأتي العمارات المصرية القديمة بفوائد جديدة تؤكدها ما استفيد منه من الشهادات العديدة واما فيما يتعلق بذات الوقائع التاريخية فحيث كان لا يعرف لغة المصريين وكان لا يمكنه ان يأخذ الحوادث الحقيقية من منابعها الاصلية كان بالضرورة يعتمد على ما يرويه له قس الهياكل التي كان يزورها ويستند لما يحكيه له ارباب المجالس التي كان يتسمر له حضورها ولذلك لم يتيسر له كما اعترف بذلك بنفسه ان يحرر للديار المصرية مختصر تاريخ تام ولأنه أتى بزيادة خبره منتظم للدول الفرعونية على وجه عام بل كان كتابه كما هو نص عبارته عبارة عن مجموع نوادر تاريخية ومحاضر علمية تتعلق ببعض احوال الملوك المصرية فقط على ان تلك النوادر التاريخية لم تكن متوالية الترتيبات الزمنية ولا متوالية المواقف الحقيقية ومن اطلع على كتابه انضج له بالطريقة الجلية ان هذا السباح اليوناني الكيس انما سؤد بطون اوراقه بتقييمات كان قد أخذها مدينة منفيس عن كان فيمن طائفة القسوس وانه خلط خلط عشواء وخبط خبط عياء في مادة المدد الزمنية ونسب بعض الوقائع لغير اعصارها الحقيقية وأما يدور الضقلي فقد كان كذلك سنداقويا ومعتمدا مستقيما سويا فيما يتعلق بعبادة الاخلاق والعوائد المصرية حيث كان بنفسه قد عاينها فعبّر عنها وبينها واما فيما يتعلق بالتاريخ الحقيقي فقد كان مجرد جامع لا قول غيره روى في كتابه عدة روايات مختلفة وضمنه جملة حكايات مختلفة من العلم وبعض مواد مادرة عن ايداشتي في نهاية من سوء الهضم وكتابته في الواقع ونفس الامر لا قيمة له مطلقا فيما يتعلق بتواريخه عن مصر ولا يكاد يؤخذ منه فيما يتعلق ببيان احوال ذلك العصر غير قدريس برجامن بعض نوادر تاريخية هي في الحقيقة من الاصل محض مصرية يوجد منها في كتاب هيروودوت السالف الذكر القدر الكبير

الدرس الثامن ١٤٧ في التهج العلام

ولا يوجد في كتب على الفراعنة المصريين السالفين من بقي له من بعد التمكن من قراءة حروف القلم المصري القديم المعروف باسم الهيروغليف المقام الشريف والقدر الثمين المنيف جدا غير مؤرخ واحد فقط وهو مانيون القسيس المصري المعروف بل لم يزل في كل يوم تغلرفيته وتجاوز درجته كما حصلت مقابلته بما استفيد من السندات الاصلية والقيودات الالهامة التي لم تزل تستكشف على العمارات المصرية وطالما كان اهل العلم يحقرونه وينازعون في صدقه وينسكرونه وكانوا يرون ان ما ذكره في كتاب تاريخه من مديد سلسله العائلات الملوكية المصرية وعديديوت الملك والدول الفرعونية انما هو من قبيل الخرافات لامن قبيل الحقائق التاريخية وأما الآن فقد تحقق باقوى البرهان ان ما بقي لنا على مر الدهر لغاية هذا العصر من كتاب هذا المؤرخ المصري العظيم هو اقل ما أخذ بهد وافضل منه يوجب انشاء تاريخ ديار مصر القديم

وقصة مانيون هذا هي انه كان رجلا قسيسا مصرية وشيخا دنيا من اهل مدينة سبنت اوسبنتيس (وهي سمود) بالاقاليم البحرية كان قد كتب تاريخ وطنه من عين معدته باسم الملك بطليموس فيلادلف بناء على ما كان محفوظا في الهيكل المصرية من السجلات الرسمية والدفاتر السلطانية والدينية ولكن انعدم تأليفه هذا النفيس ككتيب من الكتب التي كان قد كتبها السلف ولم يصل اليها من غير بعض قطع اسيرة وعبارات متفرقة غير كبيرة مع جدول يشتمل على ذكر جميع الملوك المصريين والعراة المتقدمين كان القسيس مانيون المذكور قد وضع في ذيل كتابه المشهور فخلقه عنه لنا من سعدنا في ضمن تأليفاته التاريخية بعض احبار عهدي ديدن النصرانية وقد توزعت في الجدول المسطور جميع الملوك والسلاطين والفراعنة السالفين الذين تعاقبوا على ولاية الامر بديار مصر في سالف العصر لغاية عهد الاسكندر الاكبر الى عدة قيوت ملك اودول سلطانية جرت عادة المؤرخين بالتعبير عنها بالعائلات الملوكية أو الدول المصرية وقد نص القسيس مانيون في أكثر هذه العائلات السلطانية على اسم كل ملك ومدة ولايته وسائر مدة اقامته على كرسي السلطة الفرعونية واقتصر في قليل منها على ذكر بعض فوائده مختصرة وايراد بعض أخبار مقتصرة تتعلق ببيان أصل بيت الملك وعدد من تقلد منه بقلادة الولاية المصرية مع رقم قدر المدة التي أقامتها كل عائلة سلطانية قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المكرر المذكور والبيان ولا سبيل لنا هنا لان نورد هذا الجدول بتمامه وكما له حيث كان أكثر ما ورد به من اسماء الملوك والسلاطين قد اعتراه التغيير والتبديل وداخله الفساد والتحويل من يد النساخ اليونانيين لداعي جهلهم بلغة المصريين ولا يمكن لنا اصلاح ما اعتراه من الاختلال والمغايرة اللهم الا بدقة النظر فيما يستنبط من العمارات المصرية القديمة بطريق المباشرة ولا نكتار بأنما لا بأس به ان نورد منه هنا الأقل من الفوائد الاصلية في ضمن هذا الجدول المختصر الذي هو بحد مسطر

جدول

يتضمن زبدة ماروي عن مانيتون المصري من قائمة العائلات الملكية المصرية

ترتيب العائلات بمحرور ايجد	منشأ واقاعدة كل عائلة	اسماء حادثه	مدة قامة كل عائلة	تاريخ ق م
ا	تيفيس	خرابة المدفونه	٢٥٢ سنه	٥٠٠٤
ب	منف اومنفيس	مائه رهيمنه	٣٠٢	٤٧٥١
ج	منف اومنفيس	مائه رهيمنه	٢١٤	٤٤٤٩
د	منف اومنفيس	مائه رهيمنه	٢٨٤	٤٢٣٥
هـ	منف اومنفيس	مائه رهيمنه	٢٤٨	٣٩٥١
و	ايليفتين	جزيرة اسوان	٢٠٣	٣٧٠٣
ز	منف اومنفيس	مائه رهيمنه	١٧٠	٣٥٠٠
ح	منف اومنفيس	مائه رهيمنه	١١٢	٣٥٠٠
ط	هيراقليد بوليس	اهناس المدينه	١٠٩	٣٣٥٨
ي	طيمية	مدينة آبو	١٨٥	٣٢٤٩
اي	طيمية	مدينة آبو	٢١٣	٣٠٦٤
بي	طيمية	مدينة آبو	٤٥٣	٢٨٥١
بي	اكسوييس	سخا	١٨٤	٢٣٩٨
دي	الملوك الرعاة	سان	٥١١	٢٢١٤
هي	طيمية	مدينة آبو	٢٤١	١٧٠٣
وي	طيمية	مدينة آبو	١٧٤	١٤٦٢
زي	طيمية	مدينة آبو	١٧٨	١٢٨٨
طي	طيمية	مدينة آبو	١٣٠	١١١٠
ك	تانيس	سان	١٧٠	٠٩٨٠
ك	بوابستيس	تل بسطه	٠٨٩	٠٨١٠
ك	تانيس	سان	٠٠٦	٠٧٢١
ك	سيمييس	صالحجر	٠٥٠	٠٧١٥
هـ	دولة الحبشة	صالحجر	١٣٨	٠٦٦٥
و	سيمييس	صالحجر	١٢١	٠٥٢٧
و	دولة الفرس	صالحجر	٠٠٧	٠٤٠٦
ك	سيمييس	صالحجر	٠٢١	٠٣٩٩
ط	منديس	شعون الرومان	٠٣٨	٠٣٧٨
س	سيمييس	سيمييس	٠٠٨	٠٣٤٠
ال	دولة الفرس	سيمييس	٠٠٨	٠٣٤٠

الدرس الثام ١٤٩ في التاريخ العام

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في تاريخه الكبير المنقول عنه أعلاه مامعناه هذا حاصل جمع مانص عليه المؤرخ المصري في قائمة ملوك وطنه من الارقام ومخلص ماسطره فيمن الممدود الاحكام وكل من اطلع عليه فلا بد وان يتعجب ولا يسهه الا ان يستغرب من جسامه مدة الزمن الناتجة من حاصل جمع مدد اقامة العائلات الملوكية المصرية على كرسى السلطنة الفرعونية وذلك انه بمقابلة مبلغ حاصل هذا الجمع المسطر أعلاه مع مبلغ عمر الدنيا حسبما أوضحناه تحقيقه فيما أسلفناه يرى ان ما ذكره في قائمته قسيس سبنييت يوصلنا الى أقصى الزمان التي هي عند سائر الامم الاقدمين معدودة من الاعصار الخرافية وهي عند المصريين معدودة من الازمان التاريخية الحقيقية ولما تحيرت افهام بعض العلماء المتأخرين في توجيه هذه المشككة العلمية مع كونهم لم يسعهم ان ينشككوا فيما يقتضى ان يكون عند المؤرخ ما يتنون المصري من المصدق والاعتقادية اضطررنا في توجيه ذلك بالقول بأن ديار مصر في عدة عهود من تاريخها في سالف العصر قد كانت منقسمة الى عدة دول متفرقة وجملة تلك متفرقة وان ما يتنون المصري انما ذكر منهم عدة عائلات ملوكية على وجه كونها متعاقبة مع انها كانت متعاصرة وذهب آخرون منهم العالم الفرنسي المسمى باسم بوسان الى خلاف هذا المذهب السالف البيان فقالوا بل انما ذكر ما يتنون من ان حادثه تأسيس الدولة الملوكية بالديار المصرية قد كانت في سنة ٥٠٠٤ قبل تاريخ ميلاد المسيح عليه السلام حسبما سطر أعلاه انه يقتضى أن تكون الحادثة المذكورة قد حصلت فقط في سنة ٣٦٢٣ ق م (قلت وهذا قريب مما ذكرناه في ضمن الباب الاول وأوضحناه)

قال المؤرخ مارييت بك المذكور فيما أسلفناه مالمخلص معناه فان قيل ياليت شعري ما أصدق القواين المذكورين ويا هل ترى ما أصح المذهبين المسطورين قلنا انه كلما تدقق النظر في هذه المشككة التاريخية تحققى انه لا زال يصعب حل هذه المعضلة العلمية وان أعظم الموانع للوقوف على حقيقة ترتيب الازمان في تاريخ الديار المصرية هو ان ذات المصريين لم يكن لهم تاريخ زمني منتظم ولا توقيت تاريخي مستقيم بل كانوا يجهمون توقيت الحوادث التاريخية بحادثة نائمة متحدة ولغاية الآن لم يتيسر لاحد ان يثبت انهم كانوا يؤرخون حوادثهم الواقعية بشئ آخر غير سنوات ولاية ملكهم المتولى عليهم وقد كانت تلك السنوات ليس لها مبدأ ثابت اذ كانوا تارة يعدونها من ابتداء السنة التي مات فيها الملك السلف وتارة يحسبونها من أول اليوم الذي عمل فيه الاحتفال لتقليد الملك الخلف فلو بلغت ما بلغت درجة الضبط والتدقيق في الحساب الجاري لعدة تلك السنين بمعرفة أهل العلم والتحقيق من المتأخرين فلا بد لهم من الوقوع في الغلط اذا أرادوا الحصول على تعيين

الدرس التام ١٥٠ في التاريخ العام

أوقات معينة وتواريخ ثابتة للحوادث المصرية اذ كان ذلك معدوما عند ذات المصريين ومع ذلك فالذي يقتضيه الوجه في هذه المسئلة العلمية هو ان يقال ان الديار المصرية قد كان فيها من غير شك ولا منكرة عدد دول أو عائلات ملوكية متعاصرة غير ان المؤرخ ما ينتون المصري لا بدوانه في عمل التنقيح الذي أجراه في تحري تاريخ وطنه كان قد صرف النظر منها عما كان يظهر له انه الدولة الباغية ولم يدرج في جدولها غير ما كان يظهر له انه هو الدولة الشرعية والعائلة الملوكية الحقيقية واللازم أن يكون عدد العائلات الملوكية المصرية بالغالبية السنتين لالا حدى والثلاثين كما جرت عليه بناء على ما ذكره ما ينتون المذكر عادة المؤرخين

ولم يتيسر لاحد من العلماء الذين تـ فـلـوا باختصار الارقام المسطورة في جدول ما ينتون المذكر كورأعلاه ان يأتي يبرهان مطلقا من العمارات المصرية القديمة على ما دعاه من أن دولتين ذكرتا في جدول المؤرخ المصري على انها متعاقبتان قد كانتا متعاصرتين بخلاف أرباب المذهب الثاني القائلين بأن جميع حوت الملك الذين عدهم في جدولهم القسيس السبئتي كانوا قد جلسوا على كرسي المملكة الفرعونية بعضهم إثر بعض فان ما التفته كثير من العلماء بأحوال المصريين واستنبطه جمهور كثير من العلماء المتأخرين من الادلة المأخوذة من الآثار المصرية القديمة شاهدة لما ذهبوا اليه ومعصدة لما عولوا عليه هو قدر كثير وعدد كبير جدا (اهـ ماربيت بك)

وفي الحقيقة ونفس الامر لا يوجد في جملة الامم المتقدمة في سالف العصر أمة يتيسر تحري تاريخها على سندات هي في الحقيقة أصلية ومعتمدات أهلية اى مأخوذة عن ذات أربابها الاصليين وأصحابها الاهليين أكثر من ديار مصر حيث يوجد عمارات مصرية عديدة وآثار فرعونية مفيدة لا فقط في الديار المصرية بل في بلاد النوبة والسودان لغاية الديار الشامية فضلا عن القدر الكثير الذي حصل عليه لغاية الآن العثور من الامتعة المزيالية العثمانية التي لم تزل تلتقط منذ خمسين سنة من تلك العمارات المصرية والآثار الكفرية حتى اتلأت منها جميع الانقيضات الموجودة في جميع المدن الكبيرة والقواعد الشهيرة من جميع بلاد الدنيا ولا سيما الانقيضات الحديوية الكائنة على شاطئ النيل الايمن ببولاق مصر القاهرة حيث صارت الآن في جملة تلك الانقيضات مما يعدنى أعلى الدرجات لداعى ما شحنتها به بلدنا الفاضل ماربيت بك من نتائج جميل التحريات وجميل التنقيصات ثم ان الآثار التاريخية المصرية على ضربين أحدها ما يتعلق منها بمعموم تاريخ ديار مصر والثانى ما يتعلق بخصوص تاريخ عائلة ملوكية معينة بحيث يدل اما على أصل وجودها أو على تحقيق مدة كينونها الزمنية من سالف العصر

ولنتكلم هنا أولاً بوجه الاختصار على الآثار الأصلية التي تدل على بعض فوائد عمومية فيما يتعلق بمجموع التواريخ المصرية القديمة فنقول

الأول قرطاس من الورق البردي يوجد محفوظاً بأثنية خزانة مدينة توران (بيلادياطالية) وكان قد باعه البرهانفصل عموم دولة فرانسة بمصر المدعو باسم (درويني) ولو كان هذا القرطاس باقياً على حاله تمامه الأولية لكان أنفس أثر يوجد له العلم الآثار القديمة المصرية وذلك أنه يشتمل على قائمة أسماء جميع الذوات الاعتبارية بوجه كونهم حكوا ديار مصر في سالف العصر سواء كان ذلك في الأزمان الخرافية أو التاريخية الحقيقية من منذ أقصى الأعصار الأولية لغاية مدة لا يمكن لنا الوقوف عليها لداعي ان ذيل القرطاس المذكور مفقود وهو محرق في عهد الملك رمسيس الثاني (من العائلة الملوكية التاسعة عشرة) أعني في أحد أبعج الأعصار وأبجى مدد الابهة والفاخر من تاريخ الديار المصرية فهو متصف بجميع الشروط اللازمة لكونه بعد من جملة السندات الرسمية والمعتمديات الدولية وفيه لعلم التاريخ اعانة قوية وفائدة كبيرة حيث ترى فيسفة في اثر كل اسم من أسماء الملوك المذكورة عليه رقم مدة ولايته وبعد كل عائلة من العائلات الملوكية مجموع السنوات التي اقامها على ولايته مصالح الديار المصرية غير أنه من سوء الحخت وعدم السعد لم يوجد هذا الكنز من العلم الذي لا يقوم الاقطعة منفردة واجزاء متمزقة تبلغ ١٦٤ قطعة أكثرها لم يكن تعقيبه ولم يتيسر توقيقه وترتيبه

الثاني آخر آخر نفوس وجددهم يكل الكرنك ونقل الى الاثنية خزانة السلطنة الكاثبة بمدينة باريس وهو عبارة عن قاعة صغيرة وجددهم وراعى جوانب جدرانها تمثال الملك طوطميس الثالث (من العائلة الثامنة عشرة) على هيئة المتنسك امام صور واحد وستين ملكاً من اسلافه ولذلك سميت قاعة الاسلاف غير ان الملوك المندرجين في هذا الاثر العظيم ليسوا مرتبين على وجه متسلسل منتظم ولا نوال مستقيم بل جماعة منتخبين من خيار اجداده السالفين اختارهم الملك طوطميس الثالث المذكور اقصد ان يتعبد لهم ويتعبد لهم ويتنسك امامهم ويعبدهم ومن اطاع على تمثال هؤلاء الملوك المصريين والفراعنة السالفين ظهر له من اول وهلة أنهم انما هم نخبة غير متعاقبة من دفاتر ملوك مصر الاولين ونقابة غير مرتبة من سجلات الفراعنة الشهيرين حيث ترى المصور الذي صورهم وادرجهم في هذا الاثر وحررهم لاسباب لم تقف عليها قد انتخب بعض ملوك مخصوصين فتارة يجمع بين ملوك عائلة ملوكية ويأتى بجمعهم وتارة يترك اجبا من الدهر مستطيطة ولا يأتى بملوكهم وما ينبغي عليه التنبية عنوان المصور الذي نيط لنظره زواق قاعة الاسلاف المذكورة بتلك الآثار المأثورة انما توجه نظره في تصويره للحصول على هذا الغرض الى مجرد التزيين والزينة فقط فلم يحرض على ترتيب من أتى به فيها من الملوك على حسب ترتيب ازمانهم بالضبط والدقة ومما يؤسف عليه أيضاً

الدرس التام ١٠٢ في التاريخ العام

في هذا الاثر الوجيه هو ان بعض تماثيل الملوك المصورة فيه قد اهتموا التشويه فلم يوجد فيه اسم اثنى عشر ملكا وبذلك فقد منه ما كان يفتضى ان يكون له من درجة الالهية من حيث الفوائد التاريخية ومع ذلك فقد استفيد منها اكثر من سائر اعدادها من قوائم اسماء الملوك ضبط أسماء ملوك العائلة الثالثة عشرة المصرية

الثالث الاثر المعروف باسم جدول آيدوس المستخرج من اطلال المدينة الشهيرة المسماة بهذا الاسم وهو المحفوظ الآن بالانتيقخانة الانجليزية الكاثنة بمدينة لوندريه وهو عبارة عن تصور هيئة تعبدية وحالة تعبدية مركبة من تماثيل عدة ملوك منتخبين وجملة فراغة غير مرتبين لبواعث هي لنا غير معلومة وأسباب غير مفهومة نظير ما سبق ذكره فيما تصور بقاعة الاسلاف السابقة الذكر غير ان الملك المنسك امام اسلافه في هذه الهيئة التعبدية هو الملك رمسيس الثاني المذكور آنفا وقد كانت في الاصل أسماء الملوك المصورين فيها تحسن ثم انمحي بعضها فلم يبق غير ثلاثين من التماثيل المذكورة بعضها تام التصوير وبعضها مشوه الصورة وقد كان جدول الملوك الذي عثر عليه بآثار مدينة آيدوس به هذه المثابة يكاد ان يكون خاليا عن القيمة التاريخية بالكلية حتى ظفر منه ما ربيت بك من عهد قريب في هيكل آخر من المدينة المذكورة بنسخة أخرى هي اعم واكمل واعم واشمل لاكثر الصور والاسماء المفقودة من الاولى مؤرخة من عهد الملك سيبتوس الاول الذي هو والدرميس الثاني وسلفه على كرسي المملكة المصرية وقد استفيد من جدول آيدوس هذا الجديد ببيان أسماء ملوك العائلات المالكية المصرية ألست الاولى على وجهه من الضبط والكمال يكاد يضاهاى تقريبا ما ذكر من ذلك بجدول المؤرخ مانيتون السالف الذكر وبذلك تحق ما ذكره في هذا الخصوص مؤرخ مصر اتم التحقيق وتطبق عليه كل التطبيق

الرابع الاثر المعروف باسم أثر سقارة الذى عثر عليه ايضا ما ربيت بك وهو المحفوظ الآن بالانتيقخانة الخديوية السكائية ببولاق مصر القاهرة المعزبة وبه تأكد ايضا ما وجد بجدول ملوك آيدوس الجديد فيما يتعلق بأسماء ملوك العائلات المالكية المصرية السابقة العهود وليس مصدر تحرير جدول سقارة هذا كغيره من الآثار السابقة الذكر عن ملك من ملوك ذلك العصر بل وجد في داخل قبر رجل قسيس كان موجودا في عصر الملك رمسيس الثاني يقال له (توتارى) من احاد اهل مصر وقد كان من عقائد المصريين في سالف الدهر ان من الفضائل التي تختص بها في الدار الآخرة روح الرجل الصالح اى الذى استحق بصالح اعماله في الدار الدنيوية التمتع بالحياة الابدية ان يقبل في ضمن مجلس الملوك المتوفين فلذلك ترى في الاثر المذكور القسيس توتارى هذه الصورة على هيئة الداخل في الحضرة العالية المركبة من تماثيل ثمانية وخمسين ملكا لا شك في انهم كانوا مدينة منفيس بحسن الذكر

الذكر هم الملوك الأكثر اعتبارا والفراغة الذين كانوا عندهم بالعدل والتقوى هم الأكثر اشتهارا وانتخابهم أشبه نبي بما جرى في انتخاب الملوك المصورين بجدول آيدوس مع بعض فرق مفيد يقتضى التنبيه عليه وهو ان بعض الملوك المصورين موجود في احدى الجدولين المذكورين مع انه في الجدول الآخر مفقود وان ملكين لاشك عند أهل التاريخ في انهما كانا متعاصرين فجدد أحدهما وازد في جدول سقارة والثاني في جدول آيدوس ولذلك لم تنفق كلمة المؤرخين بوجه الإطلاق على من يقتضى أن يكون هو الملك الحقيقي والسلطان الشرعى من الملوك المتنازعين في عهد العائلة المالوكية التاسعة عشرة المصرية لتكون قائمة ببيان أسمائهم الموجودة في تلك الآثار الكفرية كانت تختلف باختلاف المدن وعلى حسب الاماكن التي كانت تعترف لهم بالولاية الشرعية أو لا تعترف من سائر نواحي الوطن هذا ما يتعلق بالآثار العمومية وأما الآثار الخاصة بعنى التي تختص بتاريخ عائلة ملوكية أو مدولة سلطانية بالخصوص فهي كثيرة جدا فلا يتيسر لنا هنا ان نصفها ولا ان نحصيها هذا بل اقتصرت على ان اثيرنا اليها في سياق كتابنا هذا في كل موضع لزم فيه الاستدلال بها وهي كذلك على ضربين أحدهما كتابات على قرطاسات من الورق البردى وذلك عبارة عن قصائد شعرية تتعلق بأشهر بعض وقائع مصرية لبعض الملوك المتقدمين والفراغة السالفين ومؤلفات أدبية أو مراسلات كتابية أو دفاتر ومجلات حسابية تتضمن حساب بعض الدواوين العمومية والمصالح المبرية والثاني الكتابات المسطورة على العمارات الأثرية وهذه أيضا على ضربين أصليين أحدهما مناسطرة على الآثار العمومية والثاني ما يوجد على العمارات الأحادية الخصوصية والآثار الشخصية فاما مناسطرة على الآثار العمومية أعني الكتابات الرسمية المحفورة على أعمدة منفردة أو على جدران المباني وكل والمعابد المنزهة حيث توجد عليها منحوتة بنقوشات كبيرة بارزة ملونة بأنواع الصباغات الكثيرة فهي تشتمل خصوصاً على اقتصاص بعض الحوادث الكبيرة والغزوات الشهيرة التي وقعت لبعض الفراعنة المصريين والملوك السالفين ومن قصص هذه الوقائع العسكرية ما هو مطول جدا كأنه قصائد شعرية يروى فيه حكاية سفار وعدة أسفار من تلك الوقائع الحربية مع توضيح ادق احوالها الواقعية بغاية التفصيل والبيان وذلك بقلم من التأليف والتبيان هو أشبه بأسلوب التأليف التوراتية وأما ما يوجد على العمارات الأحادية الخصوصية والآثار الشخصية فهو يشتمل على بيان احوال معيشتهم الداخلية وأشغالهم واهتمامهم بالاهلية وهيئة جمعيتهم البشرية المصرية بعرفنا كيفية ترتيباتهم الباطنية وحقيقة تأسيساتهم المدنية ووقوفنا خصوصاً على أقوى الاساسات القوية وانفس الاصول النغمة السوية التي يمكن ان ينهني عليها مادة ترتيب ازمانهم

التاريخية اذ كثير ما عثر على شواهد قبور من مقابرهم وأثار مكنوبة من مآثرهم تحدها مسطرا عليها تاريخ اليوم والشهر والسنة التي توفي فيها صاحب الاثر فلان من مدة ولاية فلان سلطان ذلك الزمان وانه عاش مدة كذا وكذا عاما وشهر او يوما هكذا من قبيل هذا التفصيل والبيان

المسألة الثانية

مطلب - ذكر بعض ملوك آخرين من ملوك الدولة القديمة غير الفراعنة المذكورين قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في تاريخه القديم المطول المذكور ما ملخصه بعدمسطور قد ذكرنا فيما تقدم ان اول من اسس الحكومة الملوكية بالديار المصرية كان اصل مولده بمدينة ثينيس وهي المسماة في اللغة المصرية القديمة باسم تينى (بأدلة التاء المشناة الفوقية على ياء مشناة تحتية يليها نون موحدة فوقية بعدها ياء مشناة تحتية) وهي التي سميت فيما بعد باسم آبيدوس بالاقليم الوسطى قال المؤرخ هيرودوت اليوناني ما نصه : وقد كان المدعو باسم مينيس هو اول ملوك قبض زمام الامر ببلاد مصر وكان حسمار واه القسوس والذى بنى مدينة مصر المسماة باسم منف او منفيس وقد كان النيل لغاية عهد الملك المذكور يجري في سفح الجبال الرملية التي هي من جهة الصحارى الليبية ولما عتني هذا الملك بسد مجرى النهر من الجهة الجنوبية وانشا هناك جسرا على نحو مائة شوط (والشوط عبارة عن مقياس قدره ٨١ مترا) فوق مدينة منفيس جف مجرى النهر القديم وحده له مجرى آخر جديد في خليج مصطنع فيما بين الجبلين ليتوسط مجرى النهر فيما بين جانبين متساويين واختمت تلك المدينة في عين الموضع الذي انخر فيه مجرى النهر حيث صار ارضا جافة بوقاية ذلك الجسر وشيد في المدينة المذكورة أيضا هيكل كبير ومعبدا فآخر عظيمًا لاله المسمى عند اليونان باسم بر كان وعند المصريين باسم افثا (اه) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان قلنا وقد اتفقت كلمة جميع المؤرخين السلف المعتمد عليهم في المدارس الاوربية وسائر المؤلفين الذين تكلموا على تاريخ الديار المصرية على ان الملك مينيس هذا هو اول مؤسس للحكومة الملوكية بالديار المصرية واكدشهادتهم بذلك ما ثبت على الآثار المصرية القديمة والعمارات الفرعونية العتيقة من ذكره دائما على انه هو اول مؤسس لدولة الفراعنة بمصر في سابعه العصر ولا زال يوجد لغاية الآن الجسر الذي كان قد أنشأه هذا الملك في سالف الزمان وهو المعروف في عصرنا هذا باسم جسر قشيشة في الاقاليم الوسطانية وعليه عمدة توزيع مياه الري وقد تكون من خلفاء الملك مينيس مؤسس مدينة منفيس المذكور الذين جاؤا من بعده على الاثر ملوك العائلة الملوكية الاولى ونص ما يتون المصري على انها اقامت على كرسي ملك الفراعنة بديار مصر مدة ٢٥٣ سنة من الدهر ولم يصل اليها أثر مطلقا ولا عبارة هي لعهد هؤلاء الملوك معاصرة غير ان منهم الملك المسمى

الدرس الثام ١٥٥ في التاريخ العام

باسم تيدتا (بثنتين مثنيتين فوقيتين) مالة اولاهما على ياه مثناة تحتية بنم ما بعدها ألف مقصورة) وهو الوارد في جدول مانيتون المصري باسم آطوطيس أو آتوتيس (بالطاء المهملة أو بالطاء المشددة) وهو الذي خلف الملك مينيس بطريق المباشرة وبما يذكر عنه انه بنى قصر في مدينة منفيس وألف بعض كتب في علم الجراحة وخامس ملوك العائلة المالكية الاولى هذه يسمى باسم هيزر يبتى وهو الوارد في جدول مانيتون المصري باسم اوزافيدوس وقد ذكر في عدة مواضع من صورة دعاء الجنائز المأثور عن سلف المصريين على انه مؤلف بعض كتب دينية وذكر فيما بقي من اجزاء تاريخ مانيتون المصري المذكور انه بمدة ولاية سابع ملوك هذه العائلة المالكية المصرية المسمى باسم سيمهاميدس يبتى وقع بديار مصر طاعون شديد وموتان عديد والذي يؤخذ من مقابلة جدول الملوك المأثور عن القسيس مانيتون المصري المذكور مع ما حصل عليه العثور في الآثار المصرية القديمة من جدول آيدوس وجدول سفارة ان وحدانية الحكومة المصرية لم تستقر من أول وهلة بدون منازعة ولا خيمانية بل حصل مدة حقبة طويلة من أول عصر ولاية العائلة المالكية الاولى عدة منازعات بين جملة ملوك متخاصمين كان مستقر دولة بعضهم من غير شك ولا تلبس بمدينة منفيس وبعضهم بمدينة آيدوس

ومن ملوك العائلة الثمانية الملك كيكيو (وهو الوارد في جدول مانيتون المصري باسم كيكيو) وبحسب الظن القوي يكون هذا الملك هو الذي انشأ هرم سفارة ليخذه قبره وبنى على هذا القول يكون هذا الهرم هو أقدم العمارات المصرية بل أقدم عمارة في الدنيا إتمامها بعد آثار برج بابل ويقال ان هذا الملك هو أول من أحدث عبادة الحيوانات بديار مصر في سالف العصر ولا سيما عبادة العجل المسمى أبليس الذي كان يعبد على انه مجسم الاله المسمى باسم افتا في مدينة منفيس وثالث ملوك العائلة المذكورة أيضا الملك المسمى باسم باني تير (وهو المدعو في جدول مانيتون المصري باسم بينوتريس) وبما يعزى اليه انه شرع قانونا يجوز للنساء ان يتكئ على كرسي ملكة مصر وفي الحقيقة قد عهد عدة مرات في سياق تاريخ الديار المصرية هذا الاسم ويحكى عن سابع ملوك هذه العائلة المسمى باسم نيفير كير (وهو المدعو في جدول مانيتون باسم نيفير كيريس) حكايات عامة بحجية واحاديث وهمية وبما يقال أيضا ان فرعون سينز وخريس ثامن ملوك هذه العائلة الثانية قد كان عونا حقيقيا بمعنى طويل القامة جدًا

ولقد تبصر الحصول على بعض آثار نقشية يصح التجارى على القول بأنها من أعمال اواخر ملوك هذه العائلة المالكية الثانية منها قبر رجل من ذوى المناصب العالية والمراتب السنية

يسمى باسم توتنوتيب استكشفه بعناية الحفر الجارية بعناية الحفرة كومة الخسديوية بهذه الحقبة المصرية حضرة مارييت بك ناظر الانتبةقحانة المصرية في مقابرسقارة التي كان يدفن فيها موقى مدينة منفيس العظيمة في تلك الاحقاب القديمة ومنها ثلاثة تماثيل قائمة من نوع الاجنار الجهرية تصور فيها رجل آخر من ارباب الوظائف بذلك العصر يدعى باسم سيديله مع اثنين من ابناؤه وتلك التماثيل الثلاثة محفوظة بآنتيةقحانة قهرلورة (بمدينة باريس) تفخز بها هذه الخزانة على ماسواها غاية الفخر

ومن ملوك العائلة المالوكية الثالثة وهو ثانيهم الملك المسمى باسم تزيبهموزرتزه (وهو الوارد في جدول مانيتون المصري باسم ثوزورتروس) وما يذكر عنه انه كان له اشتغال بالخصوص بعلم الطب وفتح قطع الاجنار والكتابة عليهم ومن هذه العائلة المالوكية كان قد خرج من الديار الفرعونية أول الملوك الفاتحين للملك البرانية قال المؤرخ مانيتون المصري ان أول ملوك هذه العائلة المالوكية المدعو باسم سيميكير تيفيركه (وفي جدول المؤرخ المذكور باسم نيجوروفيس) كان قد ادخل تحت طاعة الدولة المصرية جزءا من بلاد الصحارى الليبية (بلاد برقة) حيث غزاهم فظفر بهم وانصر عليهم لداعي فرغ شديد من كسوف الشمس كان قد حصل لهم وقد عثر ايضا على منحور جعل الطور ببعض نقوش بارزة وجدت فيها صورة الملك استيفرو (وهو الوارد في جدول مانيتون المصري باسم سيفوريس) سلف آخر ملوك هذه العائلة المالوكية المصرية على هيئة الظافر بالقبائل العربية الرحالة النزالة المدعوين بالآنيين بجهة بلاد العرب الجنوبية (كما سلفنا ذكره آنفا)

ومايو جدي الانتبةقحانة السلطانية بمدينة باريس نسخة كتاب باليد على قرطاس من ورق البردى مؤرخة من مدة ولاية الملك آسات تكيرا (المسمى في جدول مانيتون المصري باسم نخبريس) وهو سلف آخر ملوك العائلة المالوكية الخامسة من تأليف شيخ من اهل بيت الملك يقال له افناوتيب يشتمل على حكم ومواعظ للارثاد الى حسن السلوك في الدنيا نظير كتب قونفسوس ببلاد الصين وأصل مبنى مكارم الاخلاق المقررة في هذا الكتاب على طاعة الوالدين مع تعميم مدلول هذا اللفظ لما يشمل طاعة ولى الامر الحاكم حيث كان المصريون يعتقدونه مقلدا بولاية ابوية حقيقية وما ذكر في الكتاب المذكور مائنه ان الولد الذى يصحى لقول أبيه يطول عمره لهذا السبب وطاعة الولد للوالده هي اللذة حيث يحبه ابوه ويثنى عليه كل حيدب على الارض والخارج على ولى الامر معتزرى العلم فى الجهل ويرى الفضائل فى الرذائل ويحارى فى كل يوم على ارتكاب كل نوع من الغش وبذلك يعيش عيش الاموات وما يرى الحكيم انه الموت هو بالنسبة اليه الحياة فانه

الدرس الثام ١٥٧ في التاريخ العام

انما يسير في طريقه مغموراً في كثير من الاعنات وثواب من يعمل بهذه القواعد في دار الدنيا هو طول الحياة والقبول عند الملك والولد البار والديه سعيداً بطاعته حيث يغمر العمر الطويل ويبلغ القبول (اه) ثم ذكر مؤلف هذا الكتاب نفسه على سبيل التمثيل فقال (و بذلك صرت أنا من اطول اهل الارض عمراً وعمرت من السنوات مائة وعشراً وأنا في القبول عند السلطان والرضى عني من مشايخ الزمان لداعي اني أدبت ما يجب على الملوك في موضع قبوله اه) ويوجد في الانتيقحانة المد كورة أيضاً نسخة كتاب آخر باليد من هذا القليل لم يبق منها من الصحائف غير شيء قليل تشمل على ما هو أشبه شيء بأعمال سليمان بن داود عليه السلام منها قوله (مع السعد كل مكان طيب والذنب الصغير يحقر الرجل الكبير والقول الطيب أضوأ من الزمرد الذي تلتقطه يد الرقيق من بين الحصى والعالم شعبان بما يعلم مكان قلبه طيب وشفاهه مقبولة الى غير ذلك من الحكم والامثال

وأول ملوك العائلة السادسة يقال له آتي (وفي جدول مانيتون المصري آتوبس) قال المؤرخ المذكور ان هذا الملك بعد ان أقام على كرسى المملكة ثلاثين سنة قتله جماعة من عسكر حرسه والذي يظهر من طريق النظر في الآثار المصرية القديمة هو ان مدة من ولايته كانت قد استغرقت بالفتن اذ كان قد قام عليه خصمان يمكن أن يكونا من ابناء ملوك العائلة الملوكية السالفة يقال لاحدهما تيتا والثاني اوزور كبره ولكن جاء من بعده ولده المسمى باسم بليمبي ميريره (وفي جدول مانيتون المصري باسم فيوس) خلفه على كرسى المملكة الفرعونية وكان من أقوى ملوك مصر شوكة وأعظمهم مخاراً وصوله جمع تحت طاعته جميع القطر اذ وجد له آثار عمارات في سائر نواحي مصر من عند اسوان لغاية مدينة تانيس وكان يبيى الأول هذا كالمملك خوفو ملكاجريا وفرعوناجهاديا حارب قبيلة تسمى باسم الواوة من القبائل السودانية وحمل الثغور المصرية من الجهة الجنوبية عن قبيلة أخرى بدوية مجاورة الحال من قبائل ذلك الزمان قال المؤرخ فرانسيس لونورمان ولعلها ما تعرف الآن باسم الغزب البشارية وقع كذلك من الجهة الشمالية صولة قبيلة عربية كانت قد صالت على العمال المصريين المشتغلين باستخراج معادن النحاس بناحية جبل الطور وكان للملك المذكور أيضاً اشتغال بنافع الاعمال اذ يظهر من دليل النظر في بعض آثار عماراته انه هو الذي فتح الدرب الذي تسافر فيه القوافل في الصحارى الكائنة من عند قناحية الصعيد الى ميناء القصير على البحر الاحمر ورتب فيه المنازل وحفر فيه الابار لتشرب منها القوافل وهو غير ملك آخر يدعى ايضا باسم بليمبي نيقير كبيره اوبيي الثاني (وهو الوارد في جدول مانيتون المصري باسم فيوبس بياافارسية قبل السين المهمة في آخره) وهذا هو الذي أقام على سرير المملكة الفرعونية مدة حقبة من الزمن قرينة ولا يكاد يعرف شيئاً

من اخباره ولم تنف على كثير من آثاره غير ان مدة ولايته هذه الطويلة كان قد ظهر فيها فترا هلمية واختلالات داخلية موهلة لم يعهد لها نظير بعد في الديار المصرية وجاء بعده خلفه المدعو باسم منتاساف (في جدول مانيقوس المصري باسم منتوسوفيس) فلم يقيم على كرسي المملكة العرعونية غير سنة واحدة ثم قتل وخلفته اخته المسماة باسم نينا كيره وعند اليونان باسم نيتوكر بس وهي التي اجرت عمارة الترميم في ثالث اهرام الجيزة لتتخذ قبرا لها على ما يقال بدون ان تستولى على قاعة ممطرة فرعون من كيره ومن اخبار المملكة المذكورة ايضا انها كما يحكى عنها كانت قد اسرت في نفسها الاتفة ام لقتل اخيها ولم تزل مهصرة على الاخذ بشاره من قاتليه حتى جمعتهم لولية ذات يوم في سرداب تحت الارض ثم اسالت عليهم في السرماء النيل فقاتوا كلهم غرقا في كبدتها ولم تتأخر ان قتلت نفسها ايدها لتخلص من تباعة اوليائهم وقد كانت آخر ملوك عائلتها

المسألة الثالثة

مطابق ذكر بعض توضيحات تتعلق بملوك الهيكسوس أى ملوك القوم البغاة المعروفين في تاريخ الديار المصرية بدولة العمالة أو الملوك الرعاة مسألة تاريخية ماذا كان الملوك الرعاة المذكورون في تاريخ الديار المصرية - يوجد لهؤلاء القوم بعض ذكر في كتب التواريخ الاسلامية بعنوان دولة العمالة أو العمال في قبة من ملك ديار مصر في سالف العصر وذكر لهم فيها عدة ملوك خمسة أو اربعة باسماء اعلام يظهر على اكثرها انها عربية لاسماء اعجماء وبمضاهاتها بما ذكر في كتب التواريخ الاوروربية يظهر ان ما كان قد تحصل عليه مؤرخو الاسلام في هذا المقام وفي سائر ما يتعلق باخبار دول الفراعنة السالفين وجميع الامم المتقدمة انما هو شئ واحد جدا خال عن الضبط والتحقيق وانه لا يمكن بين القولين في الاكثر جمع ولا توفيق في ذلك ما ذكر في تاريخ ابى العدا مثلا في المقام المذكور مع كونه هو الحق المشهور ونص عبارته

« اما الفراعنة فهم ملوك القبط بالديار المصرية قال أبو سعيد المغربي ونقله من كتاب صاعد في طبقات الامم ان اهل مصر كانوا اخلاط من الامم ما بين قبطي ويوناني وعيلقي الان جمهورتهم قبط قالوا اكثر ما ملك مصر الغرباء قال وكانوا صابئة يعبدون الاصنام وصار في مصر بعد الطوفان علماء يضربون من العلوم خاصة بالطلسميات والنبيجات والكيميا وكانت مدينة منف هي كرسي المملكة وهي على اثني عشر ميلا من القسطنطين قال ابن سينا وعبد واسنده الى الشريف الادريسي ان اول من ملك مصر بعد الطوفان **بيصر** بن حام بن نوح ونزل من مدينة منف هو وثلاثون من ولده وأهلته ثم ملكها بعده ابنه **مصر** بن بيصر وسميت البلاد به لا بعد ادا عمره وطول مسدة ملكه ثم ملك بعده ابنه **قفط** بن مصر ثم ملك بعده

الدرس الخامس ١٥٩ في التاريخ العام

أخوه **اتريب بن مضر** وأتريب المذكور هو الذي بنى مدينة عيينة شهيرة وبها الآثار العظيمة إلى الآن ثم ملك بعده **صا** وبه سميت مدينة صا وهي مدينة خراب على النيل من أسفله ثم ملك بعده **نذراس** ثم ملك بعده **ماليق** بن نذراس ثم ملك بعده ابنه **حرايا** بن ماليق ثم ملك بعده **كلكلي** بن حرايا وكان ذا حكمة وهو أول من جد الزئبق وسبك الزجاج ثم ملك بعده **حربيا** بن ماليق وكان شديد الكفر ثم ملك بعده **طوليس** وهو فرعون أبراهيم عليه السلام وهو الذي وهب سارة هاجر وكان مسكن طوليس بالقرم ثم ملك بعده **جودياق** ثم ملك بعدها **زلفا** بنت مامون وكانت عاجزة عن ضبط الملك وسمعت عمالة الشام بضعتها فغزوها وملكها كوامر وصارت الدولة للعمالقة وكان الذي أخذ الملك منها **الوليد** بن دؤمغ العملاقي وكان يعبد البقرة فقتله أسد في بعض متصيداته وقيل هو أول من تسمى بفرعون وصار ذلك لقب الكل من ملك مصر بعده ثم ملك بعده ابنه **الريان** بن الوليد وهو فرعون يوسف ونزل مدينة عيينة فمسن ثم ملك بعده ابنه **دارم** ابن الريان وفي زمانه توفي يوسف الصديق عليه السلام وتجهردارم المذكور واشتد كفره وركب في النيل فبعث الله تعالى عليه رجلا عاصفة أغرقته بالقرب من حياوان ثم ملك بعده **كلشم** أو **كاشم** (بالسين المهملة أو بالشين المعجمة) ابن معدان العمليقي أيضا وقصدان يهدم الهرمين فقال له حكما مصران خراج مصر لا يبق يهدمه أو أيضا فاتمه اقبران لنبيين عظيمين وهما شيث بن آدم وهرمس فامسك عن هدمهما ثم ملك بعده **الوليد** بن مصعب وهو فرعون موسى عليه السلام وقد اختلف فيه فقيل انه من العمالقة وهو الاظهر وقيل أنه هو فرعون يوسف وأما الله تعالى عمره إلى أيام موسى عليه السلام قال ابن سعيد وذكر القرطبي في تاريخ مصر أن الوليد المذكور كان من القبط وكان في أول أمره صاحب شرطة لكاسم العمالقي وكانت الاقباط قد كثرت فملكوا الوليد المذكور بعد كاسم وانقرضت من حينئذ دولة العمالقة من مصر قال والوليد المذكور هو الذي ادعى الربوبية قال وصنف الناس في سيرته وخلدوا ذكرها وكانت أرض مصر على أيامه في نهاية من العمارة ف عظمت دولته وكثرت عساكره وفي مناجاة موسى عليه السلام يارب لم اطلت عمر عدوك فرعون يعني الوليد المذكور مع ادعائه ما فرددت به من الربوبية وحمد نعمتك فقال الله تعالى امهلة لان فيه خصلتين من خلال الايمان الجود والحيا وكان هاما من وزير فرعون المذكور وهو الذي حفر فرعون خبايا السردوسى ولما اخذ هاما من في حفره سأله أهل كل قرية أن يجر به اليهم ويعطوه على ذلك ما لا فسكان يأتي به إلى القرية نحو المشرق ثم يردوه إلى القرية من نحو المغرب وكذلك في الجنوب والشمال واجتمع هاما من ذلك نحو مائة ألف دينار فأتى بها إلى فرعون واخبره بالقضية فقال فرعون ويحك أنه ينبغي للسيد ان يعطف على عبده ولا يطمع فيما بأيديهم وردد على كل قرية

الدرس الثامن ١٦٠ في التاريخ العام

ما أخذ منهم وأخبر فرعون المذكور المنجمون بظهور موسى عليه السلام ووزال ملكه على يده فاخذ في قتل الاطفال حتى قتل تسعين الف طفل وسلم الله تعالى نبيه موسى عليه السلام منه بان التقطته زوج فرعون أسيرة وجهته منه وترغم اليهودان التي التقطت موسى هي بنت فرعون والاصح انها زوجته جسمان نطق به القران العظيم ولما كان منه ومن موسى ما تقدم ذكره من اظهار الآيات لفرعون وهي العصا ويده البيضاء والجراد والقمل والضفادع وصيرورة الماء دما وغير ذلك سلم فرعون بنى اسرائيل الى موسى عليه السلام فلما أخذهم موسى وسار بهم ندم فرعون على ذلك وركب بعساكرة وتبعهم فلقههم عند بحر القلزم واوحى الله تعالى الى موسى فضرب البحر بعصاه فصارت فيه اثنا عشر شطرا يقال لكل شبط طريق فتنبه فرعون فغرق هو وجنوده وكان هلاك فرعون المذكور باضي ثمانين سنة من عمر موسى عليه السلام وكان هو قد تملك من قبل ولادة موسى ولذلك أمر بقتل الاطفال في أيام ولادة موسى عليه السلام فدة ملك فرعون المذكور تزيد على ثمانين سنة قطعها ولما هلك فرعون المذكور ملك القبط بعده **دلوكة** المشهورة بالعجز وهي من بنات ملوك القبط وكان السحرة قد انتهى اليها وطال عمرها حتى عرفت بالعجز وصنعت على ارض مصر من اول ارضها في حداسوان الى آخرها سور امتص لاقال ابوالفسدان الى هنا انتهت كلام ابن سعيد المغربي ولم يذكر من تولى بعد دلوكة ثم اتى وجدت في اوراق قد نقلت من تاريخ ابن حنون الطبري وهو تاريخ ذكر فيه تاريخ ملوك مصر في قديم الزمان قال فيه ثم ملك مصر بعد دلوكة صبي من ابناء اكابر القبط كان يقال له (دركون) بن بكتوس ثم ملك بعده (نودس) ثم ملك بعده اخوه (لقاش) ثم ملك بعده اخوه (مزين) ثم ملك بعده (استمادس) ثم ملك بعده (بلطوس) بن ميكائيل ثم ملك بعده (مالوس) ثم ملك بعده (مناكيل) ثم ملك بعده (بوله) وهو الذي غزا رجبهم بن سليمان بن داود عليهم ما السلام وقد كتب في كتب اليهودان الذي غزا بنى اسرائيل على ايام رجبهم كان اسمه (شيساق) وهو الاصح ثم لم يشتهر بعد شيساق المذكور غير فرعون الاعرج وهو الذي غزا بمختصر رصليه وكان بين رجبهم بن سليمان عليه السلام وبين مختصر فوق اربعمائة سنة وكان شيساق على ايام رجبهم فشميساق قبل فرعون الاعرج باكثر من اربعمائة سنة قال ابوالفدا ولم يقع في اسماء الفرعنة الذين كانوا في هذه المدة اعني فيما بين شيساق وفرعون الاعرج ولما قتل بمختصر فرعون المذكور وغزا مصر واداهلها بقيت مصر اربعين سنة خرابا ومن كتاب ابن سعيد المغربي قال وصارت مصر والشام من حين غزاها بمختصر تحت ولايته حتى مات بمختصر وتوالت الولاة من جهة بني بمختصر على مصر والشام حتى انقرضت دولة بني بمختصر فتوالت ولاية الفرس على مصر فكان منهم (كشروس) الفارسي باني قهر الشمع ثم تولى بعده (طخارست) الطويل قال وفي أيامه كان بقراط الحكيم وتوالت بعده

الدرس الثامن ١٦١ في التاريخ العام

نواب الفرس الى ظهور الاسكندر وعلبته على الفرس، (التمث عبارة الى الفدا) وانما سطرناها هنا بتمامها مع ما سبق نقله عن المؤرخ فرانسيس لونورمان لاقصد تعليم تاريخ مصر في سالف الزمان على مقتضاها بل على سبيل التوضيح والمثال لغاية ما تحصل عليه أشهر مؤرخي الاسلام رحمهم الله تعالى وحرروه من التاريخ القديم بناء على ما علم على وجه عام أما من الكتب المقدسة أو نقلها عن مؤرخي الرومانيين واليونان في سالف الايام وليظهر ما في ذلك من القصور بالنسبة لما هو عن المحققين من العلماء الاوروپاويين المتأخرين مسطور

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيمان اعلاه في تاريخه الكبير ما معناه ان تاريخ القوم البغاة المعروفين في تاريخ مصر القديم بالملوك الرعاة وان كان قد مكث مدة طويلة عامض الحال غير مستند لسندات اصلية من عصر هؤلاء الملوك هاهنا الا ان قد أخذ في الاتضاع والبيمان بما استكشفه ببلديناما ريت بك من الاستكشافات الجديدة فتحقق كما ذكرناه انهم كانوا اخلاطاً من قبائل رحالة تزلع من أهل بلاد العرب والشام وان جهرتهم كما نخص عليه المؤرخ مانيتون المصري فيما بقي لنا من بقايا تاريخه ايضا كانوا من الكنعانيين وان القبيلة الرئيسة التي كانت تقود حركة الجميع وتديرها هي السميمة في اساطير العمارات الفرعونية القديمة باسم الخيماسيين وفي التوراة باسم الهييتيين الذين وجدهم ابراهيم عليه السلام بارض كنعان متوطنين وذكر المؤرخ مانيتون المذكور في تاريخه المسطور ايضا ان هؤلاء الجوع من الاقوام الشتي كان يطلق عليهم اسم الهيكسوس بمعنى الملوك الرعاة تخفيرا لهم وهي كلمة مركبة من جزئين احدهما الفظ (هيك) ومعناها باللسان المصري المقدس القديم الملك والثاني (سوس) ومعناها باللسان المصري العامي الراعي وقد وجد كل من اللفظين المذكورين مثبتا على حدته في الكتابات الهيروغليفية اولها على صورة (هاك) للدلالة على رؤساء القبائل السامية والثاني على صورة (ساسو) معبراً عن القبائل البدوية من العرب ولكن لم يعثر في جميع الآثار المصرية المعروفة لغاية الآن التعبير عن القوم البغاة المسمين في تاريخ مانيتون المصري باسم الهيكسوس الابكامية (ميناء) ومعناها ايضا الرعاة

وقد دلت جميع الآثار المصرية القديمة على صدق ما ذكره عنهم لديار مصر من التحريب الشنيع في اول الامر قال المؤرخ مانيتون المذكور وقد كان أول من قلده بالملك منهم على مصر يسمى باسم سييتوس وفي رواية أخرى باسم (سلاطيس) وكان مقر دولته بمدينة منف أو منفيس وكان قد ضرب الجزية على الاقاليم القبلية والبحرية من الديار المصرية ووضع من عساكره حرسا في ألبق الاماكن للحفاطة على البلاد وتحصن خصوصا من جهة الشرق خوفا من المصريين حيث كانوا أقوى شوكة منه (قال المؤرخ فرانسيس لونورمان

وفي الواقع ونفس الامر قد كان هذا العصر كما سنبذكره بعده هو الذي كانت قد استفتحته فيه الدولة الاولى ببلاد كلد أو العراق ثم تراءى الى فرعون سلاطيس المذکور باقليم تانيس مدينة البقي منها بتحصين اعراضه يقال لها أوريس فانتقل اليها وكاذ كرفي رواية قديمة عن القسس المصريين كان قد اعد عمارتها واحاطها بكثير من القلاع والحصون ووضع فيها عسكر ابلغ مائتين وأربعين ألف رجل كلهم شاكى السلاح لاجل تمام المحافظة على الديار المصرية من تلك الجهة الشرقية وكان مصيفه في تلك المدينة يوزع على عساكره القمح والجماكي ويعتني بتدريهم على استعمال الاسلحة الحربية خوفا من الاعداء الاجنبية (انتهت عبارة المؤرخ مانيتون المصري) ثم ذكر بعض تفاصيل تتعلق بن تملك مصر بعد فرعون سلاطيس المذکور من الملوك الرعاة وقد بقي ذكر اسمائهم محفوظا على وجه اضبط منه فيما نقله عنه المؤرخ اليوناني المعروف باسم يولوس الافريقاني حيث ذكر ان مدة ولايتهم على ملكة مصر قد كانت ٢٨١ سنة وقال ان الذي خلف فرعون سلاطيس المذکور هو المسمى باسم **آنون** وفي رواية أخرى **بانون** ثم ملك بعده **باخنان** وفي رواية أخرى **أباخناس** ثم استعان ثم **ارخيليس** ثم **ابوفيس** وذكر المؤرخ اليوناني المذکور فيما نقله عنه المؤرخ مانيتون المصري أيضا أنه كان يوجد في مدة عهد الملوك الرعاة المذکورين عائلة ملوك بلدين كانوا لهم بنواحي الصعيد معاصرين وهي العائلة المابعة عشرة وقد وجد لاول ملوكهم وهو المدعو في جدول ملوك مصر المنقول عن المؤرخ مانيتون باسم **سيتوس** ذكر باسم **سينايهتي نوبي** وذلك في عمود أثري مأثور عن فرعون رمسيس الثاني (من العائلة الملوكية التاسعة عشرة) وجد بمدينة تانيس التي هي عين مدينة أوريس مذکوراً بأنه كان قد اعد عمارات المدينة المذكورة واشاد فيها معبد للضم المسمى باسم **سيتاو** **سوتيج** الذي هو معبود قبيلة الخيتاس وذلك قبل ولاية الملك رمسيس الثاني المذکور عدة ٤٠ سنة وكذلك اسم الملك المدعو في جدول مانيتون باسم **آنون** وجد مذکوراً في قطعة من ورق البردي المحفوظ في انيققانة مدينة تورين (ببلاد ايطالية) باسم **انوب** (بالهاء الموحدة التحتية بدل النون الفوقية) يليه اسم ملك آخر على صورة **اب** يقتضى أن يكون يتماه **اياخناس** وجد أيضاً اخر ملوكهم مذکوراً على عدة عمارات مصرية قديمة باسم **آبيي** وهو المحرف في اللغة اليونانية باسم **ابويس** قال المؤرخ **قرانسيس لونورمان** و**فرعون آبيي** هذا هو الذي حكم ديار مصر مدة احدى وستين سنة من

الدهر وفي مدة عهده كان قد حضر الى مصر يوسف بن يعقوب ونقل له بوظيفة أول وزير وقد فهم من اقتصاص هذه الحادثة في سفر الخليفة من التوراة ان دولة فرعون هذا كانت كلها مصرية (انتهى ملخص ما ذكره المؤرخ فرانسيس لونورمان فيما يتعلق بتحقيق هذا الشأن بالدليل والبرهان) فانظروا مع ما اسلفناه في عبارة أبي الفداء المنقولة اعلاه حيث سرد عدة اسماء على أنها اسماء من ملك مصر واحد بعد واحد في سالف الزمان حتى انتهى الى ذكر الاله وهم المذكورون هنا بعنوان الملوك الرعاة فذكرهم باسم الوليد بن دموغ ثم الريان بن الوليد ثم دارم بن الريان ثم كاسم بن معدان ثم الوليد بن مصعب الى آخر ما ذكر في ما على كل اسم من التوضيح والبيان نقلا عن ابن سعيد المغربي والقرطبي وغيرهما ممن كتب في هذا المقام من مؤرخي الاسلام النافلين هم أيضا كما يظهر عن مؤرخي اليونان والروم في سالف الايام قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور أيضا في تاريخه القديم الكبير وأما ملوك مصر الباديون الذين كانوا يخاضعون للصعيد لدولة الملوك الرعاة معاصرين فلانعرف منهم - غير اسم الملكين الآخرين وهما الملك المدعو باسم تياخان والملك المدعو باسم كاميس وهو أبو الملك المدعو باسم اهميس وفي جددول مانيبتون المصري باسم آموريس الذي تمت له الغلبة على الملوك الرعاة فقمع شوكتهم وازال دولتهم واخرجهم من الديار المصرية واعاد الى مدينة منف درجتها الفخرية واثاد فيها الهياكل والمعابد الالهية كما دلت على ذلك كله العمارات الاثرية العصرية وهو ابن الملكة اسماء باسم آهو تيب زوجة فرعون كاميس السالف الذكر التي عثر لها مارييت بك على طاقم المصاغات البهيبة المحفوظة بالانتمى خزانة المصرية (انتهى ملخص ما ذكره المؤرخ فرانسيس لونورمان الكبير)



مسائل

تتضمن على وجه الاختصار ما تقدم في الباب الثاني من الفوائد والافكار

افكار تقديميه وفوائد عمومية

١ كيف جرت عادة المؤرخين الاورويانيين في ترتيب التاريخ القديم وما هي الطريقة التي يفتق لثان غشى عليها معاشر المصريين في التعليم

مقدمة

٢ ما المراد بما يعبر عنه بلفظ مصر في كل عصر وما اسمائها وحدها جسيما ورد لها

في عبارات المؤرخين الاورويين من الذكر

٣ ما النيل وما صفة هذا الوادي الجميل

٤ ما احوال نهر النيل من الزيادة الدورية وما اسبابها الحقيقية

٥ ما مصاب النيل القديمة الاصلية

٦ ما مناظر الديار المصرية بحسب اختلاف الفصول السنوية

تنبيه

٧ ما منظر الديار المصرية الآن حسبما استجد فيها هذا العصر من التمدن والعمران

٨ ماذا قيل في التواريخ القديمة بشأن دولة ميرويه وهل اصل منشأ عمارة الديار المصرية

من الجهة الجنوبية أو الشمالية

٩ كيف ينقسم تاريخ ديار مصر القديم حسبما ذكره المؤرخون الاورويون من التقسيم

الفصل الاول

١٠ ما اصل الامة المصرية وما منشأ عمارة ديار مصر في سالف المدة العصرية

١١ كيف كانت هيئة ولاية ديار مصر في سالف العصر

١٢ من كان أول من احدث الولاية الملوكية بالديار المصرية في سالف الحقبة العصرية

وما منشأ العائلة الملوكية الاولى

١٣ ما منشأ العائلة الملوكية الثانية وما حال ديار مصر العمارة في تلك الحقبة العصرية

حسبما يظهر من العمارات الاثرية

١٤ ما منشأ العائلة الملوكية الثالثة ومن كان أول ملوك مصر الفاتحين للبلاد الاجنبية

وما دليل هذه الحادثة التاريخية وكيف كانت حالة مصر المدنية في تلك الحقبة الزمنية

الدرس التام ١٦٥ في التاريخ العام

١٥ مامنشأ العائلة الرابعة ومن الذي انشأ الهرام الجيزة وماذا كان القصد بانشائها وماذا قيل في مددة وكيفية بنائها وما درجة العظمة والثروة الداخلية التي كانت تدل عليها دولة ملوك مصر في ذلك العصر

١٦ كيف كانت هيئة الجمعية البشرية المصرية في تلك الحقبة العصرية وما دليل تلك الفوائد التاريخية

١٧ كيف كانت حالة الديار المصرية في اواخر عهد الدولة القديمة الملوكية وما قصة الفتن الاهلية والحن الداخلية التي اعترت ديار مصر في ذلك العصر

١٨ ما بيان المخطاط درجة تمدن المصري في ذلك العهد العصري

الفصل الثاني

١٩ ما قصة بقعة تمدن الديار المصرية بظهور ملوك الدولة المتوسطة وما مدة تأسيس مدينة طيبة الصعيد في تلك الاعصار القديمة وماذا كان قد آل اليه حال تمدن مصر في ذلك العصر

٢٠ مامنشأ العائلة الثانية عشرة الملوكية وماذا كانت اسماء ملوكها وما مدة اقامتهم على كرسى السلطنة المصرية وما حالة تمدن ديار مصر في ذلك العصر

٢١ ما بركة موريس وماذا كان الباعث على انشاء هذا الاثر النفيس

٢٢ ما حالة العمارات ال اثرية التي عثر عليها هذه الحقبة العصرية

٢٣ ما قصة الفتن الداخلية التي اعترت حالة نظام الديار المصرية في تلك الحقبة العصرية وما اسماء ملوك العائلة الثالثة عشرة الملوكية بالطريقة العمومية وما دليل تلك الدعوى التاريخية

٢٤ ما كيفية غارة الملوك الرعاة وما تاريخها من المدة الميلادية القبلية وماذا كان مقر مملكتهم من الديار المصرية وما اسم فرعون يوسف الصديق - مما ثبت عند المؤرخين الاور وبابو بين من البحث والتحقيق

٢٥ ما كيفية انقاذ الديار المصرية من يدهؤلاء الملوك الاغراب وعلى يد من كان انقاذها من ملوك الدولة القبطية الاصلية

الفصل الثالث

٢٦ ما تاريخ العائلة الثامنة عشرة الملوكية من المدة الميلادية القبلية وما اسماء ملوكها على وجه العموم وما حالة عظمة دولة الفرادة في تلك الحقبة العصرية

٢٧ ما هي الحوادث التاريخية المخصوصية التي تتعلق بمدة ولاية فرعون طوطميس الثالث وخلقاؤه على الديار المصرية

- ٢٨ ماقصة ما اعترى الديار المصرية من الفتن الدينية والمحن الاهلية في تلك الحقبة
العصرية
- ٢٩ هل كان للإمة العبرانية بعض مدخلة في حادثة تلك الفتن الدينية وما دلائل هذا
الدعوى التاريخية
- ٣٠ مآثر ميج العائلة التاسعة عشرة الملوكية من المدة الميلادية القبلية وما اظهر
ملوكهم وما حدود السلطنة المصرية وما حقيقة شهرة فرعون شيزوستريس
في تلك الحقبة العصرية وما دلائل تلك الدعوى التاريخية
- ٣١ ماقصة ما ثبت من الظلم والجور عن فرعون رمسيس الثاني ملك مصر
- ٣٢ ما حاله الديار المصرية بمدة ولاية فرعون مسيرانقه وماذا كان السبب في تلك الحالة
الاختلاله
- ٣٣ مآثر ميج مدة رمسيس الثالث ملك مصر وما اعترى الديار المصرية من الانحطاط في
ذلك العصر
- ٣٤ ما مبدأ ضبط السكر ونزولجية المصريين وما اصل ما اخذ هذه الحقيقة التاريخية
- ٣٥ مآثر ميج انحطاط المملكة المصرية
- ٣٦ مآثر ميج العائلات الملوكية المصرية الناشئة بالاقليم البحريه خصم الدولة
القسيسية المصعيدية
- ٣٧ ماقصة منازعة الملوك الاثيوبيين والاسوريين على بلاد المصريين
- ٣٨ ماقصة الدولة المصرية الاثني عشرية والعائلة الملوكية الصالحية
- ٣٩ ماقصة ولاية الملك اسماتيكوس على جميع الديار المصرية
- ٤٠ ماقصة حروب الدولة المصرية التي حصلت ببلاد سورية في تلك الحقبة العصرية
- ٤١ ما كيفية توسيع دائرة التجارة بمصر في ذلك العصر
- ٤٢ مآثر ميج فرعون ابريس
- ٤٣ مآثر ميج فرعون اماريس
- ٤٤ كيف كان زوال الدولة الفرعونية وسقوط استقلال الديار المصرية

الفصل الرابع

- ٤٥ كيف كان تركيب الهيئة الاجتماعية الاهلية وترتيب الجمعية البشرية في سالف
الحقبة العصرية بالديار المصرية
- ٤٦ كيف كان منصب الملك بديار مصر في سالف العصر

- ٤٧ كيف كانت حالة الصنایع والفنون التي كان يتخذها المصريون السالفون
- ٤٩ كيف كانت طباع الامة المصرية في سالف الحقبة العصرية
- ٥٠ ما عوائد الامة المصرية في معيشتهم الميزلية وكيفية حياتهم الداخليه
- ٥١ ما كيفية دفن موتاهم في القبور وما اسباب صناعة التصبير
- ٥٢ ما حقيقة القلم المصري القديم وما معنى لفظ الهيور يجليف وما قصة ما حصل على قراءته من الوقوف والتعريف
- ٥٣ كيف كانت ديانة المصريين وعقائدهم سكان وادي النيل السالفين
- ٥٤ ما الآلهة الملية والاوثان الالهية الاصلية التي كانت تعبد في سالف الاعصار بالديار المصرية
- ٥٥ ما اسباب عبادة الحيوانات المحترمة والذباب التي كانت عند اسلاف أهل مصر معظمة
- ٥٦ ما صفة الاهرام وماذا تحقق بشأنها من صحيح الكلام
- ٥٧ ما شرح القول على ما يعرف عند العامة بأبي الهول
- ٥٨ ما عوائد المصريين في سالف العصور فيما يتعلق بدفن موتاهم من المغائر والقبور وكثرة الزواق والنصوير
- ٥٩ ما تاريخ ما كان لقدماء المصريين في سالف العصور من الهياكل والقصور

تتمة

المسألة الاولى

- ٦٠ ما توضيح الكلام على اصل ما أخذ تاريخ المصريين وما هي الآثار الاصلية التي انبني عليها تاريخهم عند المؤرخين العصرين

المسألة الثانية

- ٦١ ما اذا كرر عن بعض ملوك آخرين من ملوك الدولة القديمة غير الفراعنة المذكورين

المسألة الثالثة

- ٦٢ ما توضيح الكلام على ما يعرف عند أهل التاريخ بالملوك الرعاة الذين ملكوا مصر في سالف الايام وما غرض غاية ما ذكر في ضمن التواريخ القديمة بشأن فراعنة مصر عند مؤرخي الاسلام وما حقيقة ذلك بالنسبة لما تحقق من تاريخ الفراعنة في هذه الايام

الباب الثالث

في تاريخ اليهود والعبرانيين وذ كر الشام وأرض كنعان وفلسطين

أعني تاريخ بني إسرائيل وبيان كيفية تكوّنهم وذ كر أوليائهم وأنبيائهم ومقدمائهم وحكامهم وملوكهم ودولتهم في سالف الأيام من عهد بعثة إبراهيم عليه السلام غاية سلطنة دولة الفرس على ملكتهم

واصل ما أخذ هذا الباب الأصلية

اولا من أسفار التوراة الاول المسمى بمجموعها باسم البنتا كوك

ثانيا من تاريخ القائد يوسف اويوسفوس مؤرخ اليهود المسمى بالاثار اليهودية القديمة

ثالثا من مؤلفات المؤرخين الاورباو بين المتأخرين وسياحات علماء الافرنج المعاصرين

افكار تقديمية وفوائد عمومية

قال المؤرخ الفرنساوي المدعو باسم جيلمان في كتابه المسمى باسم تاريخ المشرق القديم السالف الذ كر البيان فيما سلفنا في ضمن مقدمتنا اعلاه ما تعريبه ادناه

اعلم انه كان يوجد في سالف الاعصار امة صغيرة اذا نظرنا لنجد ما حصل منها من الحوادث السياسية يظهر لنا نظري تاريخها انها كانت دون من جاورها من الامم بمسافة كبيرة غير انها قد كان لها على أحوال النوع البشري تأثير شديد وهي امة اليهود وذلك ان لها الافتخار بكونها قد كانت هي مستودع اقدم الاثار المأثورة في العالم من قديم الاعصار وانها الحارسة لا قدم المواعيد التي وعد بها الله سبحانه وتعالى للنوع الانسان في سالف الزمان ولقد حفظتها وثبتت عليها في جميع الاطوار سواء كان في اهبج اعصارها وفي اصعب صروف الدهر التي مرت عليها من أخبارها (انتهى معر بام كتاب تاريخ المشرق القديم للمؤرخ جيلمان)

وتاريخ اليهود هو المسمى في اصطلاح اهل التاريخ الاورباو بين بالتاريخ المقدس ويعبر عنه في اصطلاح المؤرخين المسلمين بالتاريخ الاثري نسبة الى الاثر بمعنى المأثور وعن الكتب المنزلة في مقابلة التاريخ البشري بمعنى المأخوذ عن اهل التاريخ من البشر وتاريخ اليهود عبارة عن اخبار الاولياء المتقدمين وقصص الانبياء السالفين من الامة العبرانية وذ كر

ما عتراه من التقلبات الزمنية . من عهد الخليقة الانسانية الى عهد ظهور المسيح عليه السلام وينقسم عند الامم المصريين الى قسمين عظيمين احدهما العهد القديم وهو عبارة عن التوراة والثاني العهد الجديد وهو عبارة عن نسخ الاناجيل والرسائل التي كتبها الخواريون اى تلاميذ عيسى عليه السلام

وحيث اسلفنا الكلام في الباب الاول على تاريخ الاعصار الاولى من عهد خاتمة الانسان الى ما بعد الطوفان وابتدأ في الباب الثاني من تواريخ الامم الاقدمين بتاريخ المصريين لغاية زوال دولة الفراعنة باستيلاء دولة الفرس عليهم في سالف الازمنة وبسطنا القول في ذلك بقدر الامكان على الوجه الاتم لكونه هو التاريخ الاهم بالنسبة اليها معاشر القوم الملبدين ساغ لنا الا ان يحسب الترتيب الطبيعي ان ننتقل من تاريخ وادى النيل الكريم الى تاريخ بعض اهل الجيرة من الامم الشهيرة في الرمن القديم وهم العبرانيون لكونهم كانوا هم اقرب الامم المجاورين لنا وأكرمهم علينا ولاهمية معرفة تاريخهم بالنسبة لسائر الامم المتوغلين في القدم لداعي انهم كانوا هم اهل الشرائع الدينية واصل سائر الفنون والحرف والصنائع المدنية وعلمهم نزلت الكتب القدسية والرسالات الالهية ومنهم كان الاولياء الكرام السالفون والانبياء العظام المتقدمون ولداعي ارتباط تاريخهم بتاريخ الفراعنة في سالف الازمنة فلذلك لزمنا ان تقدم بعد تاريخ المصريين تاريخ القوم العبرانيين على سائر الامم الاقدمين ونضع الثاني في ميدان الازمان السالفة من بعد الطوفان لنتتبع احوال القوم اليهود وكيفية تكون ملتهم ودولتهم وما استولوا عليه في اقطار الدنيا القديمة من الاوطان في سالف الايام من عهد بعثة ابراهيم عليه السلام لغاية عهد تطرق الفساد اليهم وسلطنة دولة الفرس عليهم أعنى من بعد الطوفان لغاية سنة ٥٠٠ وكسور من الاعوام قبل المسيح عليه السلام

قال المؤرخ جيلمان السالف الذكر أعلاه مامعناه وقد افرد غريب تاريخ العبرانيين بالتأليف واطال فيه ممر البيان والتعريف واتى فيه بسائر التفصيلات حسب ما ورد في التوراة غير اننا نحن حيث كان الغرض لنا هنا انما هو التاريخ العام اعنى الكلام على مجموع الحوادث الكبيرة والاحوال الشهيرة التي حصلت من سائر الامم الكبار في سائر الاعصار بسائر الاقطار على وجه عام وهو القصد الذي يجب علينا فيه الانحصار لزمنا هنا الانحصار على أن نورد بغاية الاجاز والاخصار زبدة ما ورد من القصص والاخبار فيما يتعلق بتاريخ القوم العبرانيين قبل أن يصيروا لهيئة أمة مستقلة ويتكروا في صورة ملة ولا نتعرض من تواريخهم الالهية وقصصهم المالية الا ليراد مختصر وجيز جدا من تواريخهم السياسية يعنى احوالهم الدنيوية وكيفية سيرهم من حيث سياسة الامم والدول لا لقصصهم

الدينية واخبارهم النبوية اللهم الامامست اليه الحاجة من ذلك وكان له اشد الارتباط بتلك المسالك وقوله غيرنا يشير به الى ما نشره المؤرخ ويكتور دوروى في ضمن جملة كتب التواريخ التى ألفها هو واصحابه في هذا العصر الحاضر من كتابه المسمى باسم التاريخ المقدس حسبما ورد في التوراة واجود الكتب المؤلفة في هذا الموضوع عند الاور وباوين المتأخرين واهل التاريخ المعاصرين هو ما كتبه المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان غير مرة في كتابنا هذا وهو الجزء المختصر من تاريخه القديم الكبير المسمى باسم تاريخ القوم اليهود غير ان هذا المختصر وان كان يقتضى أن يكون له عليه المعول هو كتاب كذلك مطول بالنسبة لما يلزم لنا ههنا من الاختصار والانعصار في دائرة التاريخ العام بسائر الاعصار ولذلك استصوبنا أن نأتى لكم هنا أيها الاخوان في هذا الباب الثالث من تاريخ العبرانيين بتعريب ما كتبه في ضمن كتابه المسمى بتاريخ المشرق القديم المؤرخ جيلمان بدلا عما التزمناه في الباب السالف من النقل عن المؤرخ فرانسيس لونورمان وقبل الشروع في ذلك التزمنا أن نقدم لكم بعض فوائد تعريفية ومعلومات جغرافية تتعلق بقسم آسية على العموم وبلاد آسية الغربية بالخصوص مع بعض كلام على ما كان يدعى في سالف الزمان بأرض كنعان وفلسطين والشام وبيان ما المراد بهذه الالفاظ الآن وفي سالف الزمان لقصد تعريف المكار قبل السكان وذلك في مقدمة وعدة فصول وهكذا نصنع في اقتصاص تاريخ العبرانيين كما صنعنا في تاريخ المصريين فنقول

مقدمة

في بعض فوائد تعريفية ومعلومات جغرافية تتعلق بآسية العمومية وبلاد آسية الغربية

مطلب — تعريف ما المراد من لفظ آسية وبيان اقسامها الاصلية

اعلموا أيها الاخوان ان لفظه آسية أو آسية هكذا (بمذاهمة في أوله وبالالف المقصورة أو بالهاء في آخره) هي لفظه الجمعية وافقت في صورة ما اذا كان آخرها منتهيا بالهاء صيغة اسم الفاعل المؤنث في اللغة العربية ومعناها كما نعلم يطلق في جملة مدلولاتها اللغوية في كتب العرب المتقدمين على آسية بنت مراحم التي هي كما يقال عند علماء المسلمين زوجة فرعون كما في القاموس هي ايضا في اصطلاح الجغرافيين الاور وباوين اسم لاحد اقسام الدنيا الجنس الكبيرة وهي أعظمها واقدمها تمدنا وعرانا و اجسمها اذ كانت آسية بهذا المعنى الاخير كما سلفنا ذكره هي أول مهد للنوع البشرى وأول مهد لآلوي

الالهى وأول ميدان للتاريخ المقدس أو الأثرى وموقعها على شرقى قسمى أوروبا وافر بقية
ولذلك يعبر عنها ببلاد الشرق أو بلاد الشرقية وهذا القسم ينقسم بحسب أوضاعه
الطبيعية الى تسعة أقطار اصلية وهى ماأتى بيانه بعد بطريقة اجمالية

ففى جهة الشمال منه روسية آسيا أو بلاد سيبريا
وفى غريبه تركية آسيا أو بلاد الدولة العثمانية بأسميه وهى بلاد الشام والقدس والعراق
والموصل وما والاها من بلاد الارمن والروم المملوكه لدولة بنى عثمان فى هذا الزمان
ثم بلاد العرب وبلاد تركية آسيا المذكورة مع بلاد العرب اعنى الحجاز واليمن وحضرموت
وباقى الجزيرة العربية هو ما يعبر عنه ببلاد آسيا الغربية

وفى جهة الجنوب منه بلاد فارس المعبر عنها عند العرب ببلاد العجم (وهى ايران وفابل وهره
وبلوخستان) ثم بلاد الهند فى اوارها نهر الكنج وامامه
وفى جهة الشرق منه السلطنة الصينية وبلاد يابونية

وفى وسطه بلاد تركستان وتترستان وقد يعبر عنها ببلاد اسية الوسطى أو الوسطانية
فهذه هى اقسام بلاد اسية العمومية ولاياتها الاصلية حسبما ذكره علماء الجغرافية
ثم ان المراد من لفظه اسية عند الاطلاق هو جميع هذه البلاد فى مقابلة بلاد أوروبا وافر بقية
وهى ما يعبر عنه بالقارة القديمة فى مقابلة قسم امريكة وهى القارة الجديدة وخامس الاقسام
هو بلاد الاوقيانوسية اى جزائر البحر المحيط الاعظم وهذه هى جملة الاقسام الخمس الاصلية
التي اليها جميع بلاد العالم انقسم كما هو فى موضعه من كتب العلماء الجغرافيين المتأخرين
يفهم ويعلم فان تقيدت اسية بالصغرى كان المراد منها هو البحرى جزيرة السكائنة فى اقصى
جهة الغرب من قارة اسية المذكورة فيما بين ارمينية والشام من جهة الشرق والبحر الاسود
من جهة الشمال وبحر جزائر الروم المسمى ببحر الارخبيل من جهة الغرب والبحر المتوسط
الابيض من جهة الجنوب وهى البلاد المعبر عنها الآن بآيالة الاناضول وماجاورها من بلاد
الترك العثمانية ببلاد اسية الغربية تميزها عن باقى الارض القارة المذكورة حيث
يعبر عنها باسمية الصغرى وحينئذ فلفظ اسية الصغرى هو عبارة عن مجموع ما يعرف
الآن فى اسان دولة بنى عثمان بآيالة الاناضول وسيرة أو الروم وترايزان وبلاد القرم
وسفلحة وادنة ومرعش وهى ست باشويات كما هو فى موضعه معلوم

وبلاد اسية الغربية هى اقرب بلاد قسم اسية الى الديار المصرية وهى مصابقة لها
اعنى متصلة بديار مصر من جهة الشرق الحد فى الحد بواسطة برزخ السويس الذى
حصل فيه فى هذا العصر عملية الحفر للتخليج المالح بقصد التوصيل بين البحر يراعى ببحر الروم
أو ببحر سفيد أو البحر المتوسط الابيض وبحر القلزم أو البحر الاحمر وآخر تقوم الديار المصرية

من تلك الجهة الشرقية هو قلعة العريش ويلها من بلاد الشام بلاد القدس وفلسطين المسماة في سالف الزمان بأرض كنعان وأولها غزة وعسقلان الى آخر ما سنوضحه في المطلب الآتي بعد من التفصيل والبيان

مطلب — الكلام على جغرافية الشام وأرض كنعان وفلسطين وتعريف ما المراد بهذه الألفاظ عند الامم المتقدمين والمتأخرين

اما لفظة الشام (بالهمز أو بالتخفيف) فهي كلمة حصل في اصل اشتقاقها وسبب التسمية بها اختلاف كبير قال في القاموس مانصه **والشام** بلاد عن مشاة القبلة وسميت لذلك أولان قوما من بني كنعان تشاءوا اليها أي تياسروا أو سمي بسام بن نوح فانه بالشين بالسر يانية أولان أرضها شامات بيض وجر وسود وعلى هذا لا همز وقد تذكر الى آخر ما ذكر فيه وتسطر وقوله سمي بسام بن نوح عليه السلام قد انكر ذلك كثير من محقق أئمة اهل التارخ من علماء الاسلام كما في تاج العروس شرح القاموس وبناء عليه فلفظة شام (بالشين المعجمة) هي عين سام (بالمهمله) ونص عبارة أبي الفدا في هذا المقام حيث توضح عبارة القاموس المنقولة أعلاه وانما سمي شام لان قوما من بني كنعان تشاءوا اليه أي تياسروا والانه عن يسار الكعبة وقيل سمي شام بسام بن نوح واسمه بالسر يانية والعبرانية شام وقيل سمي شام البقع فيه بيض وجر وسود تشبها بالاشامات وهي تجمع ايضا على شام كما تجمع الهامة على هام (انتهى)

وعلى كل حال فان الشام ويسمى ايضا باسم سورية أو سورستان هو اسم عام يطلق عند المتأخرين على ما يعم بلاد الشام القديمة الاصلية المسماة ايضا في التوراة ببلاد حث أو بلاد آرام وهي البلاد الكائنة فيما بين نهر الفرات من جهة الشرق والبحر المتوسط الابيض من جهة الغرب وبلاد آسية الصغرى من جهة الشمال وبلاد العرب من جهة الجنوب بما فيها بالادييهود أو فلسطين وبلاد الفينيقية أو بلاد الصوريين وقد يعبر عن هذين القطرين الأخيرين بسواحل الشام ومنظر هذه البلاد على وجه عام كما هو تعريب عبارة المعلم فورتنبير الجغرافي الفرنسي في كتاب جغرافيته الكبرى يشتمل على مناظر متباينة تبين أظاهرا حيث ترى في جهة الشرق منه سهولا جديدة ووادى ليست بخصبة وفي جهة الغرب سلسلة الجبال المبهجة المعروفة بجبال لبنان وسلسلة الجبال الموازية لها المسماة باسم (انتيليبان) بمعنى التي هي امام جبال لبنان وتعرف بالجبال الشرقية في مقابلة جبال لبنان الغربية الاصلية وكتاها ممتدة بآودية جميلة وفي وسط تلك البلاد الى جهة الجنوب منها ترى اراضى خصبة كأرض دمشق وحران وفلسطين بجوار اراضى اخرى من أجذب ما يكون وفي جهة الجنوب من بلاد الشام توجد أرض يهودا وفلسطين وفي جهة

الغرب منها بلاد فيقية أو بلاد الصور بين قال الماعلم قورنمير الجغرافى المنقول عنه أعلاه ما معناه وعلى سواحل الشام يرى المتوجه من الشمال الى الجنوب مدينة اسكندرون على البوغاز المسمى باسمه اقربا من المكنان ادى كان فيه المدينة القديمة المسماة باسم اسوس ثم اللاذقية وهى مدينة لا وورسية القديمة ثم طرابلس وهى مدينة ظريفة وحاضر ظليفة يقال لها طرابلس الشام أو طرابلس الشرق تميزها عن طرابلس الغرب الكائنة بقسم افرقية ثم بيروت وقد كانت تسمى في سالف الزمان باسم بيروت وهى من نفور بلاد الشام الاكثر تردد للاوروباء وبن عليها ثم صيدا وهى صيدون القديمة وقد كانت من أهمج مدن بلاد الفتيقيين في سالف الزمان ثم صور وهى الآن مدينة صغيرة وان كانت في الاعصار القديمة مدينة شهيرة ثم عكا المسماة قديما باسم البطليوسية وفيها قلعة شهيرة بما حصل عليها على عدة مرات من شديد الخصار ثم بانيا (وهى المسماة عند السلف باسم يوبه) ثم غزة المسماة ايضا باسم رنة (بالراء المبهلة بدل الغين المعجمة) وفى داخل بلاد الشام مدينة حاب وقد كانت أعظم مدن الممالك العثمانية باسم ثم صغرت بكثرة ما عتراه من الرلال الارضية ودينه نصيبين أو نزيب التى انتصرت فيها الجوش المصرية تحت قيادة المرحوم ابراهيم باشا على العساكر السلطانية فى سنة ١٨٣٩ الميلادية فى جند فئات حرب الشام العصرية وعلى طول نهر الادرنة المعروف بنهر العاصى اربع مدن وهى انطاكية وقد كانت فى الاعصار السالفة من أعظم حواضر بلاد آسية ثم انامية ثم حازا المسماة قديما باسم حث ثم حص وفى وسط بلاد الشام نو جد مدينة دمشق المعتبرة كرسى ولاية سورية وهى مدينة كبيرة اهلها رباب صنائع وحرف كثيرة كائنة فى وادئها يقال له غوطة دمشق أو روضة دمشق الشام وبعدها المشارقة من الجنان الارضية ببلاد آسية يسبقه نهر بردى قال فى القاموس «ويردى بجهزى نهر دمشق الاعظم» (اه) رضى به (بثلاث فتحات على البناء الموحدة والراء والال المهملتين) وهو يتوزع الى جلة خلجان عديدة ثم ينصب فى بحيرة عتيبة المعروفة ببحيرة المرج وعلى الجانب الشرقى من سلسلة جبال لبنان مدينة زحلة وقد كانت مدينة عظيمة ثم آخر بها الدروز فى سنة ١٨٦٠ الميلادية وعلى الجانب الغربى من تلك الجبال ايضا مدينة دير القمر التى قتل الدروز سكانها من النصارى فى السنة المذكورة ثم مدينة قانونين وهى مقر اسقف الطائفة المارونية وعلى القرب منها توجد غابة من نوع الشجر المعروف بارز لبنان وفيها عدة اشجار من عهد سليمان عليه السلام وعلى الجنوب الغربى من دمشق الشام آثار مدينة جبراش المسماة عند الامم المتقدمين باسم جبرازة وفى جهة الشمال آثار مدينة بعلبك المسماة فى سالف الزمان باسم هليوبوليس

الدرس الثامن ١٧٥ في التاريخ العام

أو بعل هامون وهي في الوادي الجميل الكائن بين سلسلتي جبال لبنان المسمى باسم البقاع وفي الشمال الشرقى آثار مدينة تدمر المسماة قديماً باسم بلير وفي الجنوب الشرقى بلاد حوران وأكثر أهلها من الدرزي وفيه آثار عمارات قديمة كثيرة

وأعظم المدن السكانية في جنوب بلاد الشام مدينة أورشليم أوبيت المقدس المسماة عند المشرقين بالقدس الشريف أومدينة سليمان وبحرى من تحتها مسيل صغير يقال له قدرون ينصب على الشرق منها يسير في البحيرة المعلقة أو الممتدة (أي بحيرة لوط) وهي مدينة غير جميلة المنظر محاطة من جميع جهاتها بجبال كثيرة الصخور غارية عن الشجر لكنهم الأشهر بمدينة في الدنيا بتمامها من حيث الخبز وسائر عاقبها من سالف الذكروا لا أثر يجمع إليها كثير من الأمم النصرانية ليزروا فيها كنيسة أقبر المقدس (أي أقبر المسيح عليه السلام) المعروفة بالقمامة الكائنة على جبل الصليب في المكان الذي يقال إن عيسى صلب عليه ودفن في مغارة فيه وللمسلمين هذه المدينة أيضاً محاربة من أعظم انعمارات الختمة عندهم وهي مسجد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حيث أسسه على المكان الذي كان فيه محراب سليمان عليه السلام في سالف الأزمان وعلى جنوب أورشليم قرية بيت لحم حيث ولد يسوع المسيح وأسست على مكان ولادته سنة هيلانة أم قيصر قسطنطين كنيسة عظيمة ثم مدينة الحلب وهي المسماة في سالف القرون باسم حبرون وعلى الشمال منها مدينة نابلس المسماة قديماً باسم سيزام ثم بعد ذلك اسم نابلس ثم تعربت باسم نابلس وقرية الناصرة المسماة قديماً باسم نازاريت المشهورة بكنى المسيح وأم فيها وبها سميت النصارى (انتهت عبارة قورتبغير باختصار)

وقد فهم منها أن لفظة الشام عبارة عن جميع هذه البلاد المسرودة أعلاه وقد يعبر عن مجموع ذلك ببر الشام وحدوده هي كما أسلفناه وقد كان بر الشام عند الأمم المتقدمة ينقسم إلى قسمين سورية وفلسطين ثم أطلق اسم سورية على الاثنين معاً منذ اصطفاها إلى سلطنة القيصرية الرومانية قبل التاريخ المسيحي ببعض سنين وأطلق عليه اسم الشام منذ افتتاحها بالعرب المسلمين في أثناء سنة ٦٣٢ من تاريخ المسيح عليه السلام ومن ثم يفهم أن أرض كنعان أو بلاد كنعانيين هي ما يسمى الآن ببلاد القدس الشريف وهو أقرب الأقسام لبر مصر من بر الشام وقد سميت على تعاقب الأيام بالأرض المقدسة أو الأرض الموعودة أي الموعود بأعطائها من الله سبحانه وتعالى إلى بني إسرائيل ليتوطنوا فيها ثم بأرض يهودا وفلسطين وحدودها من جهة الشمال بلاد الشام بالمعنى الإخص ومن جهة الشرق والجنوب بلاد العرب والجزء المجاور لها من بلاد العرب هو ما يعرف ببيتة بني إسرائيل (من تاه بمعنى ضل في الأرض) يعني الجبال التي أمامها بعد خروجهم

من ديار مصر كما سيأتى لذلك بعد اتم ذكر ومن جهة الغرب بحر سفيد او بحر الروم وفي الجزء الشمالى منها جبال لبنان المذكورة في شعر اجد بن الحسين المتنبى بقوله
وجبال لبنان وكيف يقطعها * وهى الشتاء وصيفهن شتاء

وهى عبارة عن سلسلتين عظيمتين احدهما جبال لبنان الاصلية والثانية الجبال الموازية لها وهى المسماة عند الافرنج باسم انطيليان بمعنى التى امام جبال لبنان وتعرف بالشرقية وأعلى رؤسها يعرف على لسان اهل البلاد بجل الشخ ومن جبال لبنان المذكورة تنفرع الى جهة الشرق جبال هرمون وجلعاد والى جهة الغرب جبل جلبوة وجبل غرزيم المشهور فى تاريخ العبرانيين ببناء هيسكل للسامريين فى مقابلة هيسكل اورشليم وهو جبل نابلس وفى الوادى المتكون من الجبال المذكورة يوجد كل من بحيرة طبرية أو فلسطين التى يخترقها من الشمال الى الجنوب نهر الاردن (بتشديد النون فى آخره) ثم بحيرة لوط أو البحيرة الميتة أو المنيحة المشهورة بقصة قوم لوط وينصب فيها من جهة الغرب مسيل قدرون السالف الذكـر ومن جهة الشمال نهر الاردن ولا يوجد فى فلسطين من الانهار غير نهر الاردن المذكور وهو الذى يقال له ايضا نهر السريعة ومنبعه من جبل الشخ السالف الذكـر حسبما هو مشهور

وقد كانت ارض فلسطين فى ايام يوشع عليه السلام تنقسم الى اثني عشر قسما من الاقسام يعرف كل قسم منها باسم واحد من ذرية يعقوب أو اسرائيل ويعبر عنه بالسبط بمعنى القبيلة أو القبيل منها على الشاطئ الايمن من الاردن سبط أشار ونفتالى وزبولون ومدن الاصلية يبتاليه وايراشار ثم نصف سبط منشة الغربى وسبط افرائيم ومدنيتها الاصلية سيشام وسبط دان وشمعون ويهوذا أو يهوذا (بالدال المهملة او بالذال المعجمة فى آخره) ومدنيتها الاصلية ييقيم وسبط بنيامين ومدن الاصلية اورشليم وبار بكر وعلى الشاطئ الايسر نصف سبط منشة الشرقى وسبط كاذاو كاد (بالدال المهملة أو بالذال المعجمة كذلك) وسبط روبان أو روبيل

مطلب — تعريف ما المراد من لفظ العبرانيين واليهود أو بنى اسرائيل أو الاسرائيليين — أما اسرائيل فهو فى الاصل اسم يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وكان لاسرائيل المذكور اثنا عشر ابنا وهم روبان اوروبيل ثم شمعون ثم لاوى ثم يهوذا ثم يساخر ثم زبولون ثم يوسف ثم بنيامين ثم دان ثم نفتالى ثم كاذ ثم اشار واما منشة (بالشين المعجمة أو بالسين المهملة) وافرائيم فهما ابنا يوسف عليه السلام وهؤلاء اثنا عشر ابنا الذين هم ابناء يعقوب منهم كانت اسباط بنى اسرائيل بمعنى قبائلهم وجميع بنى اسرائيل هم اولادهم وذرايرهم وهذا هو السبب فى تسميتهم بنى اسرائيل أو الاسرائيليين ويعبر

عنهم ايضا بالعبرانيين (نسبة الى عابر بن شالح بن قينان بن ارغشذين سام بن نوح عليه السلام) واما تسميتهم باليهود فقد قال أبو الفدا (في الفصل الخامس في ذكر الامم من تاريخه) عند الكلام على أمة اليهود مانصه : وامة اليهود اعم من بنى اسرائيل لان كثير من اجناس العرب والروم والفرس وغيرهم صاروا يهودا ولم يكونوا من بنى اسرائيل وانما بنو اسرائيل هم الاصل في هذه الملة وغيرهم دخيل فيها فلذلك يقال لكل اسرائيلى يودى ولا يقال لكل يودى اسرائيلى (هـ) ثم قال بعد ذلك مانصه : واما اسم اليهود فقد قال الشهرستاني في الملل والهلل هاد الرجل أى رجع وتاب وانما لزعمهم هذا القول لقول موسى عليه السلام انا هذنا اليك أى رجعتا ونصرعتا قال البيروني في الآثار الباقية ليس ذلك بشئ وانما سمي هؤلاء باليهود نسبة الى يهوذا أحد الاسباط فان الملك استقر في ذريته وابدلت الدال المعجمة دالا مهجلة كما يوجد مثل ذلك في كلام العرب وكتابهم التوراة الى آخر ما ذكر (هـ) ما ردنا نقله هنا من تاريخ ابى الفدا ومنه يعلم السبب الصحيح في تسميتهم باليهود بناء على هذا القول الاخير وهو القول المعتمد الرجح اذا كان قد تقرر ما توضع اعلاه من هذه الفوائد التعريفية والمعلومات الجغرافية في أذهانكم أيها الاخوان ساعنا الان ان نشرع في المقصود اعنى تتبع تاريخ العبرانيين أو اليهود فنقول على الوجه الذى اسلفناه

الفصل الاول

في اصل أوية الامة العبرانية وكيفية تكون الملة اليهودية والاسرائيلية

مطلب — ذكر اصل منشأ الاسرائيليين وقصص بعض اوليائهم وأنبياهم السالفين — قال المؤرخ جيلمان المذكور اعلاه في هذا المقام ما تعريبه ادناه قال الاسقف بوسوه في تاريخه العام مامعناه وكان الناس في الاعصار الخالية والازمان الماضية بتعاقب الدهور والتباعد عن اصل الامور قد فسدت اخلاقهم واختلت افكارهم فاحرفوا عن الطريق المستقيم الذى كان قد أسس له اسلافهم من الزمن القديم وغلب على الافهام البشرية حجاب الطبيعة البهيمية فلم تقدر على الترقى لادراك الامور العقلية واجمع الناس في سائر الاقطار بتلك الاحقاب الزمنية على ان لا يعبدوا غير الاشياء التى هى لهم مريئة وانتشرت عبادة الاصنام والاوثان في جميع اقطار الارض المعمورة بذلك الزمان فاراد الله العظيم سبحانه وتعالى ان يمنع هذا الضرر الجسم ويقطع مادة هذا الحال السقيم ولذلك اصطفى عبده ابراهيم عليه الصلاة والسلام واعده لآن يكون اصل عائلته كرمة تبقى فيها عبادته الصحيحة الاصلية وجعله منشأ ذرية صالحة مستقيمة تحفظ بهما عقيدته الاولى سواء كان ذلك فيما يتعلق بتباريح اولية الخليقة الدنيوية وفيما

يتعلق بالحكمة الالهية التي تعلقت ارادته الازلية بأن يدبر بها سائر الاشياء البشرية»
(هـ)

مطلب — ذكر قصة ابراهيم ولوط عليه السلام وما جرى على ايديهم - مامن
الحوادث التاريخية في سالف الايام — قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه اعلاه مامعناه
وقد كان ابراهيم الذي هو صفوة المولى الاعلى جل جلاله هو ابراهيم بن تارح (وهو المدعو أيضا
باسم آزر) وكان أصل مولده وموطنه وأول منشاءه ومسكنه بمدينة **أور** (بضم الهمزة في اوله
يليه واو فراءه) - حلة في آخره قال المعلم بوليت الفرائسي في كتابه المشهور بماعناه
معجم البلدان ومشاهير أبناء الزمان هي مولد ابراهيم وأبيه تارح ولعله المعروف باسم أورفة
الآن) (هـ) وهي بلاد كدلة (أو العراق) وكان ابراهيم من بني سام بن نوح عليه السلام
اعني من تلك الذرية الصالحة الكريمة والعائلة البشرية العظيمة التي كان هذا الاب الثاني
للنوع الانساني قد دحلها بالبركة من المولى الازلي الواحداني وكان الله سبحانه وتعالى
قد أوحى اليه بقوله له «قم يا ابراهيم واخرج من بلدك وهجر اقا ربك ودار والدك واذهب
الى البلد الذي ادلك عليه واتوجه بك اليه واتى لمخرج منك أمة كبيرة وجعل لاسمك
ذكرى شهيرة وسابعت واحدا من بنيك رحمة لجميع العالمين وبركته على سائر الامم الاتيين
قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه اعلاه مامعناه فقام ابراهيم مسترشدا بقوة عقيدته
في الله ومصدقا لما أمر به مولاه وهجر الارض التي ولد عليها وتوجه الى البلد التي هداها الله
سبحانه وتعالى اليها الى أن قال عقب ذلك المؤرخ المذكور ما هو بعده مسطور وبعد ان ساح
ابراهيم زمنا طويلا في البوادي والقفار يقود ما كان له من الخدم ورعاة المواشي العديدة
وكانت اعظم اموال الاولياء السالفين في تلك الاعصار دخل بارشاد الله سبحانه ارض كنعان
وكان معه لوط ابن اخيه وكان من أمره وما جرى له من حوادث دهره انه اضطر لحادثه
فحط حصيلت في تلك البلاد لان سافر مرة الى وادي مصر الخصب اقصد أن يجلب منه قححا
لاهلك وذويه وسافر مرة أخرى الى بلاد الميزوبوتاميه (بلاد الجزيرة والموصل) فدفع بخدمه
صولة جنود ملك تلك البلاد عن لوط ابن اخيه وكانوا قد امروه وكان ابراهيم عليه السلام
قد شهد واقعة تخريب قرى قوم لوط وهي سدوم وعمورة وصبغة وادما وصويم وبالعين
المهمة) عقابا لهم على ما كانوا قد ارتكبوه من الذنوب والآثام وسدوم وقراها الخمس
المذكورة هي التي يرى في مكاتم الآن بحر لوط أو البحيرة الميتة أو المنتمنة قال المؤرخ المذكور
اعلاه مامعناه وبعد ان عمر ابراهيم عرا طويلا قضاء في تثبيت قوم موثنيه وعاش
عيشا جليلا فناء في تكبير جميع اهله وذويه على الاعتقاد في الله الواحد الاحد توفاه
مولاه فترك ميراثه لاسحق احمده ولديه اللذين كان قد توفي عنهم ما فاتني اسحق اثر ابيه

في كل ما كان يتخذونه وبأتمه من التعيش بصناعة رعاية المواشي والتنقل والارتحال بها الى حيث تجد مرعاها مع المواظبة على هداية الناس للايمان بالله الخالق لجميع الاكوان

مطلب — ذكر يعقوب وبنيه وقصة يوسف وما جرى لبنى اسرائيل بصر في سالف العصر — قال الماورخ المذكور اعلاه مامعناه — وجاء من بعد ما حاق يعقوب وهو المدعو ايضا باسرائيل (ومعناه بالسريانية مقاتل الله سبحانه وتعالى لقبه به ملك نزل عليه في صورة بشر فقاتله الى الفجر كافي التوراة) وكان من أمره انه اقتدى بأبيه ورجده وكان له اثنا عشر ابنا من ولده صاروا اصول القبائل الاثنتي عشرة المعبر عنهم بالاسباط التي بقي بنو اسرائيل اليها منقسمين بدون اختلاط من بعده وكان يوسف من اصغر بني يوسف اخوته وحقدوا عليه حيث لحقهم الغيرة منه لانه كونه كان يؤثره عليهم بالمحبة الابوية فاخذوه وباعوه على انه رفيق للتجار كانوا مسافرين الى الدار المصرية ولكن كانت عناية المولى جل جلاله قد لحقته فاحاطت به السعادة في سائر احواله فالتحق بخدمة أحد كبار باب الدولة الفرعونية بملك الاعصار (وهو المدعو باسم بوتيفار) فظهر في جميع افعاله حكمة عجيبية وفضيلة غريبة جذبت اليه التفات فرعون مصر في ذلك العصر حتى رقاها الى مرتبة اول وزير له واثمنه على خزائنه واتفق انه قد اعترى اخوته ببلاد الشام سنة قحط جفاوا الى مصر ليستروا لهم قحافا فكشف حاله عليهم بعد عدة اختبارات القاها اليهم واحضر أباه عنده بديار مصر وكان ابوه لم يزل يبكيه حيث كان يظن انهم قد قتلوه فحات منذ حين من الدهر ثم احضر جميع عائلته من ارض كنعان بالديار الشامية واقطعهم وادي غسان (وهو المعروف الآن بالوادي وهو الكائن على حدود مديرية الشرقية) قال مؤلف الاصل اعنى في تلك القطعة التي كانت مدينة تانيس (وهي المعروفة الآن بسنة أوسان) هي قصبتهما ويندر ولايتها من الديار المصرية في تلك الحقبة العصرية فتموطنوا بها واقاموا فيها قال مؤلف الاصل المنقول عنه اعلاه بعد ذلك مامعناه وقد مكث العبرانيون أو بنو اسرائيل في ذلك الوادي الخصب من وادي النيل مدة ٤٣٠ سنة من الدهر يعيشون بصناعة القوم الاغراب بين اظهرا هل مصر القبطيين محافظين على بساطة اخلاقهم وعوائدهم وملازمين انقاوة ديارتهم وعقائدهم وفي أسرع مدة من الزمن ازداد عددهم واشتد عضدهم ومددهم الى درجة بليغة جدا حتى صاروا أمة ذات عصبية كبيرة وملة قوية كثيرة يبلغ عدد الرجال الذين يملكهم حمل السلاح والقتال منهم الى ستمائة الف رجل (٦٠٠٠٠) ولذلك خشيت من صولتهم القراعنة على دولتهم على انهم كانوا في سائر مدة اقامتهم بين اظهرا لهم لم يزلوا يحقدون عليهم ويفترون منهم ويضمرّون لهم العداوة والبغضاء لذا عي شدة تبان ما بين اخلاق القومين وعوائدهم وتباعدا ما بين ديانات الطرفين وعقائدهم حيث كان المصريون قوما حضريين

يعبدون أو ثمانية دين والاسرائيليون لئاسا بدوين ورعاة مواش رحالين نزالين وهم لاله واحد يعبدون فلم يلبث ان داخل قلوب المصريين للقوم الاسرائيليين أقصى العداوة والشقاق واسروا لهم اقسى الغيرة والنفاق لداعي ما توضع من اختلاف العقائد والاختلاف

مطلب — ذكر موسى وهارون وما جرى على ايديهما من خروج بني اسرائيل من ديار مصر في سالف العصر — قال المؤرخ السالف الذكر وقد كان صعد على كرسي المملكة ديار مصر في ذلك العصر كما هو عين نص التوراة «ملك لم يكن يعرف يوسف» عليه السلام قال بعض العلماء الاعلام في تفسير هذه العبارة وليس قولهم هذا مبني على غير أساس ان هذا الملك قد كان أحد ملوك المصريين والمراعاة الاصليين الذين انقذوا ديار مصر من ايدي القوم البغاة المعروفين بالملوك الرعاة أو الهيكسوسيين وذلك ان هؤلاء الملوك البلديين بعد ان اخرجوا هؤلاء القوم الطغاة من ديارهم كان كل مطمح انظارهم وجل مطمع افكارهم متوجها للضرورة إعادة ما كان لديار مصر في سالف العصر من اتحاد مادة السياسة والدين في جميع دولتهم فلم يكن لهم الا أن ينظروا بعين العداوة والبغضاء للاسرائيليين وازداد شوكتهم حيث كانوا الداعي كيفية معيشتهم الخلوية ووحدة دانية عقائدهم الدينية بهزل عن سائر المصريين وعلى كل حال مما هؤلاء العلماء وغيرهم من اختلاف المذاهب والاقوال في هذا المجال من الحوادث التاريخية المحققة والوقائع الزمنية المصدقة ان الفراعنة المصريين حملوا القوم العبرانيين بديار مصر في ذلك العصر مالا يطاق من الظلم والجور والاصر واستخدموهم في بناء مدينتي رمسيس وبيتون واقامة سائر هذه العمارات الكثيرة والاعمال الكبيرة التي كانت ديار مصر قدامت لآلئ بها في عهده هؤلاء الملوك البلديين كما سبق لذلك في مواضعه من هذا الكتاب أوضح الذكر ولم يكن فرعون مصر الحاكم في ذلك العصر بان حمل القوم العبرانيين جميع هذه الاثقال القاسية والاشغال الشاقة القاسية حتى كان من بغيه وطفيلانه ان أمر بقتل كل من ولد لبني اسرائيل من الاطفال المذكور فاختفت امرأة من سبط لاوى ولدها مدة ثلاثة شهور ثم القته راقدا في مهدا اتخذته من أعواد شجر الحنأ او الخيزران فوق المسكان الذي كانت بنت فرعون قد جرت عاداتها أن تتردد عليه للاستحمام فيه من نهر النيل وجاءت بنت فرعون الى ذلك المسكان حسب عادتها للغسل فسمعت صوت الطفل فزأنت به وحنّت اليه والثقة منه من البحر وسمته باسم موسى ومعناه المنجي من الماء سمى به هذا الاسم لهذا الداعي ثم تبنته وأخذته الى قصر أبيها فشا وترى في قصر الفراعنة وتعلم جميع العلوم التي كان يعرفها اقدس المصريين في تلك الازمنة ومع ذلك فلم ينس أصله ولم يزل يذكر محبته وفصله فانفق له ذات يوم ان رأى قبطيا يضرب اسرائيليا فوكر القبطي قتلته واضطرا أن فر من ديار مصر لداعي قتلته خوفا من دولة فرعون على نفسه

والاقتصاص منه بنظير فعله . وسافر الى أرض مدين ببلاد العرب فكث أربعين سنة عند شيخ
من بكر أهل البلاد المذكورة يدعى باسم يتر وادجتر (بالباء المثناة التحتية أو بالميم الفارسية في
أوله يلها تاء مثناة فوقية فراء مهملة فواو في آخره . ويعرف في كتب المسلمين باسم شعيب عليه
السلام) واقام برعى مواشيه حيث انكحه إحدى ابنتيه المسماة باسم صفوره . وفي تلك البلاد
قد نال ظهوره ذات يوم على البعد في الصحراء شعلة نار من شجر العوسج وهو ضرب من الشوك
ينبت بالبادية كما في كتب اللغة العربية . فذهب اليها فسمع من قبل اله آبائه صوتا يتضمن الامر
له بالعودة الى ديار مصر لينفذ قومه ما هم فيه بتلك البلاد من الاسر . قال المؤرخ المنقول عنه
اعلاه مامعناه . قال الاسقف بوسوه وهو أفصح ترجمان للكتاب المقدس بعنى التوراة . ووهناك
أيضا كان الله سبحانه وتعالى قد أطلع هذا الرجل العظيم من معرفة ذاته الكريم على
ما لم يكن قد أطلع عليه احدا حيا من البشر في ذلك العصر . فقام موسى واخوه هارون وعاد
الى ديار مصر ودعا فرعون ذلك العصر أن يترك سبيل بنى اسرائيل ليقرؤوا قربانهم في الصحراء
فامتنع فرعون من ذلك الامر ولم يأذن لهم . الا من بعد ان رأى قومه المصر بين قد ابتلاه من
المولى سبحانه . وتعالى بالجوائح والجراثيم السبع قال أبو الفدا (وهى القمل والضفادع وصيرة
الماء دما الى آخر ما ذكر) وفزع في آخر الحال خصوصا لما شاهد من موتات الاطفال
المولودين جديدا القوم المصرين . فاذن للعبرانيين بالسفر ثم ندب على تحملهم من ربة دولته
وخروجهم عن طاعته . فاقفى اثرهم وتبعهم وهو يقر دجيه وشاعديا من جنوده حتى وصل
الى بحر القلزم وهو البحر الاسود فأرأى مياهه قد افترقت واراضه قد جفت ونشفت تحت أقدام
الاسرائيليين فرأى عليهم الفرق ناجين . ولما توسط فرعون وجنوده البحر كانت قد عادت
المياه لجراها المعتاد وانطبقت عليهم أمواجه فاغرقتهم أجعين . وخرج موسى وقومه سالمين
فذهب بهم وهو يدبر سيرهم ويدبر امرهم في صحارى بلاد العرب الى حيث بتدابعدهم عن
فساد مدن ديار مصر يسهل عليهم أن يعودوا الى عبادته آباءهم السابقين ومكثوا مدة
أربعين سنة في تلك الصحارى يتبنون ويدافعون صولة قبائل العرب الذين كانوا لهم
مجاورين . ويتبعون مع ذلك في بعض الاحيان فيما كان متحكما بديار مصر من عتيق
اللاهوام الدينية والعبادة الوثنية غير انهم كانوا لهم الزواحمطين بالنساية الالهية

مطلب — الكلام على شريعة موسى عليه السلام . قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه
مامعناه — وعلى هذا الوجه كان بنو اسرائيل قد اتفقوا من ظلم الفراعنة المصرين
ونجوا من القوم انظالمين . ولما كان من اللزوم أيضا أن يبق ملأ الله سبحانه وتعالى عن سائر
الملل بالكلية وتوثيق ربطهم بعقائد أسلافهم الاصلية بطريقة قطعية كان كما هو نص
عبارة الاسقف بوسوه السالف المذكور البيان . وقد آن وان يكون العبادة الحقيقية

انتي كانت قد انمخت من مذكرة الناس في تلك الحقبة العصرية بالكلية لا يمكن حفظها وبقرارها الابواسطة تقبيدها بالكتابة (هـ) ولذلك حين وصل موسى ببني اسرائيل الى جبل الطور بلغ قومه شريعته والوامر الالهية العشرة التي زلت عليه وهي عبارة عن عشرة خطابات أو مواد أصلية تشتمل على الاركان الاساسية التي تقبني عليها أصول الدين ومكارم الاخلاق واساس الجمعية البشرية في الامة العبرية وهي هذه

أولا - اني انا الله ربكم فلا تتخذوا لكم الهاغري ولا تصنعوا لكم تماثيل مفصلة ولا صورة مطلقا لتعبدوها والتخدموها من دوني

ثانيا - لا تحلفوا باسم الله ربكم باطلا

ثالثا - تعملون مدة ستة أيام وتستريحون في السابع

رابعا - اكرموا والديكم يضل عمركم

خامسا - لا تقتلوا أحدا

سادسا - لا تزنا أبدا

سابعا - لا تسرقوا

ثامنا - لا تشهدوا بالباطل على جاركم

تاسعا - لا تشتموا امرأتكم جاركم

عاشرا - ولا تشتموا واداره وخادمته ولا ثوره وحماره ولا شيئا مما لو كاله مطلقا

قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه اعلاه مامعناه ولاجل طبع معنى التوحيد الالهى على الوجه الاقوى في العقول والافهام اكثر موسى عليه السلام من الاوامر والنواهي والحدود والاحكام وعاقب كل من خالفها بغاية التشديد والاحكام ووضع لبني اسرائيل قوانين الجمعية المدنية بمعنى شروط الهيئة الاجتماعية البشرية اى المعاملات الدنيوية في حالة اجتماع الامة بعضهم مع بعض على اساسات قوية هي اعلى من قوانين سائر الامم الاخرين وحيث كان هذا الرجل العظيم قد اهتمدى هكذا للحقيقة فيما يتعلق بالاخلاق والاديان وقام لها بالاعلان مع غاية الوضوح والبيان لزم ان يكون اقرب من غيره للحقيقة الحقيقية ايضا فيما يتعلق بركان عقد الشركة الانسانية والجمعية البشرية وفي الواقع ونفس الامر قد كانت جميع الترتيبات المدنية التي وضعها الامة العبرانية مبنية على اصول من العدل والانصاف والرافة بالناس مع الاحسان اليهم والتصدق عليهم لا توجد في شرائع غيرهم من الامم السالفين من هذا القبيل ان بني اسرائيل بدلا عما كان متحكما عندها كثر الامم السابقين من قانون تمييز الطبقات الالهية والمراتب البشرية كانوا كلهم متساوين على وجه الاطلاق عنده الله وامام الشريرة اليهودية وكان موعبي عليه السلام قد اوثق عروقه هذه المساواة الانسانية

في الاحوال الشخصية والاموال الكسبية بما وضعه من قانون السنة السبعية والمدة الخمسينية أما الاولى فهي عبارة عن مدة كل سبع سنوات اذا اقامها العبد في خدمة مولاه هتق عليه وأما الثانية فهي عبارة عن مدة كل خمسين سنة يرجع فيها الملك المنصرف فيه مال الكه الاصلى ويرد اليه وقد نتج عن هذين القانونين بمدة ما كانا جارين ان اليهود لم يحدث فيهم أبدا هذه الطبقة السيادية المتردية برداء الكبر والفساد في سائر البلادين العباد ولاتلك الطبقة السفلية التي كان يحملها الفقر والجوع على ابقاع الفتن الشديدة والحن العنيدة في نظام الجمعيات الجهورية القديمة وكانت رؤسائهم وملوكهم يخرجون من أبناء امتهم وينتخبون من عين ملتهم وكانت قسسمهم او كهنتهم المعبر عنه بالليويين (نسبة الى ليوى احد الاسباط) متوزعين في جميع الامة الاسرائيلية لايما يكون شيا من الاملاك الارضية غير ثمان واربعين قرية ليسكو وهافلم يكونوا متبشرين في هيمنة طائفة قسيسية ولا كانوا متكفين بكيفية خرفة دينية نعم كانت هذه الوظيفة فيما بينهم وراثية غير انه قد كان الولد لا يرث عن ابيه فيها يقيين غير الفقر وبذل النفس في خدمة الدين ومع كون الرق قد كان اساس كل جمعية بشرية عند سالف الامم قد كان لليهود اقل عبيدا من الخدم وقد كانت قوانين سائر الامم لا تنظر للفقر والمعدم وتحتقر او تفضح الغريب بخلاف شرع اليهود وحيث كان يخرج للفقر والمساكين و يصلح حال البعيد والقريب ويمنع الربا ويأمر بالصدقة ويفرض الاحسان و يأذن بالدخول في المحراب وحضور الضحايا والقرايين حتى لا اغراب وبالجملة والتفصيل فقد كانت شريعة بني اسرائيل ترفع شأن كل ما كانت شرائع سائر الامم السالفين في ذلك الجبيل قد خذلتها واسفلته واحتقرته ووضعته فكان ان قرب بين اظهريهم لا يعتبر عدوا كما كان الحال كذلك عند غيرهم وكان العبد لديهم لم يرز به ينظر الانسان اليه ينظر وتجلس المرأة مجلس الشرف في كل محضر بجوار رئيس العائلة على وجه بحيث تكرم كرامه وتحترم كعين احترامه الى غير ذلك من الاحكام الجليلة والشرائع الجميلة

ثم ان موسى عليه السلام مكث مدة الاربعين سنة التي اقامها بالصحراء وهو يهاهد في اكثر الاحيان ما كان يحصل من الثوران والعصيان عليه من العبرانيين حيث كانوا لم يزالوا يأسفون على ما كانوا يجدونه بدار مصر من النعم الكثيرة والخصوبة الغزيرة ولكنه كان بعون الله الواحد القهار يمنع كل مانع ويدفع كل دافع ويغلب كل خصم حتى وصل بالقوم الى تخوم الارض الموعودة وأراد أن يقدم عليها فلحقته الوفاة فنام الى رحمة الله وهو ينظر اليها على الجبل المسمى في سالف الزمان باسم نيبو (بامالة النون الموحدة في اوله على ياء مثناة تحتية بياهم باء موحدة فواو في آخره) وهو المعروف الآن في تلك الاقطار من جبال فلسطين

بجبل العطار) وقد حفظه في التوراة صورة القصيدة العالی الذي انشأه حين حضرته الوفاة
لقد تعجب عید المولى الاعلى جل جلاله وتعالی اسماءه وفعاله وترجمته ~~هه~~ كذا بالعربية
« باسماء اسمی ویاارضی فانی ارید ان اجد الباهو (وهو اسم الله سبحانه وتعالى
بالعبرانية) ان افعال الله كاملة ونعمه شاملة ولكن الناس قد كفروا به
فاخذ يعقوب من نصيبه وكما يأخذ النسر افراخه تحت جناحيه ويعلمها كيف تنفض
قد أخذكم المولى سبحانه وتعالى ايها القوم الخائفون تحت أجنحته ومد عليكم ظلال
عنايته وهذاكم والآن حين غمركم باحساناته وشملكم بمباهاته فهو لا القوم
عنه غافلون ومنه يتبعاءدون ليعبدوا الهة لم يكن آباؤهم يعرفونها وانهم لسيء عاقبون
ولكن الله يرأف بعباده اذا رأى ان ابطالهم قد هلكوا في جهاده ويقول
حينئذ اذین الهتكم واین أمانتکم افهمتم الآن انه لا اله غيری واننی انا الذي أمیت واحی
وامرض واشفی وانی انا الحی الابدی » (هـ)

وكانت وفاة موسى عليه السلام (في سنة ١٥٨٥ ق م) وقبل وفاته كان وهو بالصحرَاء
بعد قد نصب أخاه هارون بوظيفة الكاهن الاكبر والخبير الاعظم ولفظ الكاهن بالعربية
هو تعزيب الكوهن بالعبرانية أي رئيس خدمة الدين ووضع الاوامر العشرة التي انزلت
عليه بجبل الطور في تابوت أو صندوق يعرف بصندوق الشهادة واغلاقه عليهم او كتب اسفار
التوراة الخمسة الاولى المسماة باسم البنتا كوك السالف الذكر وهي سفر الخليفة وسفر
خروج بني اسرائيل من مصر وسفر الليوين وسفر العدد وسفر تجديد العهد (انتهى
معربا من تاريخ المشرق القديم المؤرخ جيلمان السالف الذكر والبيان) قال الماعلم بوليبيت
صاحب معجم البلدان ومشاهير أبناء الزمان المروى عنه أنفاسا معناه ولفظ البنتا كوك
هذا عبارة عن الاسفار الخمسة الاولى من العهد القديم (يعني التوراة) وهي تشمل على
التاريخ المقدس أو الاثرى من مبدأ خلقية الدنيا لغاية دخول بني اسرائيل في الارض
الموعودة وعلى قانون من الشرائع والاحكام الموسوية ومجموع اوامرونها هي دينية (هـ)

الفصل الثاني

في تاريخ بني اسرائيل بارض كنعان وكيفية تكون دولتهم بتلك البلدان (من سنة ١٥٨٥
الى سنة ١٠٩٦ ق م)

مطلب — ذكر يوشع عليه السلام واقتناحه لارض كنعان اذ فلسطين من بر الشام
(رجع للفصل من تاريخ المشرق القديم للمؤرخ جيلمان)

قال المؤرخ المذكور كوراعلاه مامعناه ولما غار بنو اسرائيل على أرض كنعان في ذلك الزمان كان بهامعدة قبائل من بني كنعان بن حام بن نوح عليه السلام تحت طاعة عدة رئيسا اطلق عليهم في التوراة قلد الملوكة وكانوا على حال فظيع من الفسق وفساد الاخلاق وملوكهم في نهاية من العداوة والشقاق (منهم الهيتيون واليبسيون) وهم اهل مدينة ييس التي بنيت في مكانها اورشليم وكانت تدعى قبل ذلك بمدينة سالم وهي مدينة القدس الشريف (والعموريون والجرجيسيون والهيرون والفيريون والكنعانيون الاصليون) فلما دنا منهم الخطرانعام بغارة ذؤلاء الاقوام اجتمع بعضهم ببعض ونعصب اقوامهم شوكة على دفع صائلتهم ومنع غائلتهم وكان موسى عليه السلام قبل وفاته قد استخلف يوشع من بعده فقام بتدبير بني اسرائيل احسن قيام ورفاه بعدد ولم يفزع يوشع من عصبية هؤلاء الملوكة بل استمر على ما قصدده موسى من فتح بلاد الشام وسلك في قيادة بني اسرائيل احسن سلوك وعبر بهم نهر الاردن واسمولى بطريق العنوة والقهر على مدينة ياريكو (اورشحا) وقتل ساثرأهلها ثم انتقل الى غيرها من مدن ذلك القطر ومن قاتله منهم فعل به كما فعل بهاماعدا مدينة (جبيون) حيث كانت قد دخلت تحت طاعته وسلمت نفسها اليه ونعاهدت معه فاجتمع عليهم جماعة من الملوكة المذكورين وحاصروها عقابالها وجاء يوشع فحماها منهم (وقد ذكر بالكتب المقدسة انه في حصار المدينة المذكورة كانت حادثة توقيف الشمس أي يوشع عليه السلام حتى تم له الامر عليهم كما ذكر في هذه القصة المشهورة وهي المشار اليها بالتلميح في قول ابي تمام) شعر

فردت عنا الشمس والليل راغم * بشمس لهم من جانب الخدر تطاع
قوائله ما درى أحلام نائم * المت بناءم كان في الركب يوشع

ثم انعقدت عليه عصبية أخرى من ملوك جهتي الشمال والغرب كان رأس عصبتهم رشعذار بدوهم الملك المدعو باسم (بايين) ملك المدينة المسماة باسم (حازور) من تلك البلدان ولكن يوشع عليه السلام كان قد نظفهم وشتت جرعههم وغلب جميع الملوكة الذين كانوا يقسمون بلاد الكنعانيين وكانوا خمسة وثلاثين ولم يبق منهم بحالة الاستئلال غير بعض قبائل قلائل تحصنوا في الجبال زعلى سواحل البحر وكثروا يناوشون بني اسرائيل وهم لهم بشجاعتهم مجاهدون وعلى مقاومتهم يتجلدون في تلك العهود لغاية عهد داود من ذلك العصر ولما تمكن بنو اسرائيل من الارض الموعودة اقتسموها بين الاسباط وانتخبوا من كل سبط أوقبيمة ثلاثة رجال لقسمتها فوراها واطلوعا عليها وقاسوها ورزوها عليهم فتوطن منهم سبطان ونصف سبط فيما وراء نهر الاردن وبقي ساثرهم على الجانب الآخر ما عدا سبط ايوى حيث لم يقسم له حصة من الارض سبط بل ترتب له حصة ثمة الارض كلها وتخصه .

لهم ثمان وأربعون قرية متفرقة فيما بين أراضي سائر القبائل ليأخذوها ما سكن لهم ويتبؤوها ثم التفت يوشع لترتيب أمر الدولة الاهلية وحسن ادارة الامور الداخلية فانشأ المحاكم ونصب القضاة والحكام وأوضح لكل قاض منهم ما يختص بوظيفته من الخطط والاحكام ثم مات رحمه الله وله من العمر مائة وعشرة اعوام

مطلب — الكلام على حقيقة حكومة العبرانيين ببلاد الشام وبيان ما المراد من قدمائهم ومشايخهم وولادة أمورهم المعبر عنهم بالقضاة أو الحكام — قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه مامعناه وبقيت قبائل بني اسرائيل في ذلك الزمان متفرقين على سائر ارض كنعان لارابطة لهم عامة ولجامعة لهم تامة غير جامعة الدين ولم يكن لدوائهم الجديدة ببلاد الشام اساس هي مبنية عليه غير عبادة الياهو وشريعة موسى عليه السلام وكان الحبر الاعظم في بني اسرائيل هو عبارة عن خليفة المولى الخليل وهو الرئيس الحقيقي للالة العبرانية وولى الامر الاصلى للامة الاسرائيلية وكان لقدمائهم وأمواشيخهم مجالس يعقدونها ومحاضير يحضرونها في كل سبط لقصد النظر والتشاور في مصالح كل قبيلة ولم يكن لهم عليها ولاية سياسية وكانت ولاية شايخ بني اسرائيل في ذلك الزمان عبارة عن ولاية عرفية تركب من كل من يحب موسى بن عمران (بنتزله) أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام) ولم يكن لبني اسرائيل ولاية أمر عومية تجمعهم ولا رياسة عليّة تدبرهم ولذلك لم يتيسر لهم تمام افتتاح تلك البلاد بل صاروا من الضعف وعدم الاستعداد لداعي تفرق كلمتهم وعدم اتحاد عصبيتهم الى عدم المقدرة والاستعداد لدفع غارات الامم المجاورة لهم ومن ثم حصل لهم ما يذكروا في تواريخهم على عدة دفعات من حوادث الاسترقاق والاستعباد الذي كان ينقذهم منه رجال أولوشجاعة وابطال ذووقوة منهم فكانوا يقدونهم للقتال وبعد تمام الظفر بالاعداء يطلقون عليهم لقب القضاة أو الحكام وهم عبارة عن ولاية أمورهم يدبرونهم وحكام بنوهم وبأمر ونهم من غير أن يكون لهم لقب الملوكة غير انه لم يكن لهم قوة وفوذ متمعنة ولا ولاية أمر مستمرة بيّنة قال القائد يوسيفوس مؤرخ اليهود في تاريخه مانصه «ووقد كان بنو اسرائيل يطلقون لفظ القاضي أو الحاكم من القوم العبرانيين على أشهر رجل تميز بالشجاعة وأكبر بطل اشتهر بفضيلة الجهاد والمنعة ثم متى انقضى الخطر والحرب وعادت لما كانت عليه السلم رجع القاضي لحالة الاتحاد الاهليين ورعما بقي على وظيفة القاضي بلى القضاء والحكم بين الاسرائيليين» (هـ)

مطلب — ذكر قضاة بني اسرائيل وحكامهم — وكيفية تدبيرهم في تلك المدة وأدارة احكامهم — وقد كان عددهم هؤلاء القضاة والحكام الذين اتقوا الامرائيليين في اكثر الاحايين من يدهؤلاء القوم الظالمين أربعة عشر نفرا كان أشهرهم وأبعدهم صيتا

وأكبرهم هو واحد هم المسمى باسم (عثنبال) (بفتح العين المهملة وسكون التاء المثلثة) ثم (اهوذ) (بفتح الهمزة في أوله وذال مججمة في آخره) ثم المرأة المشهورة باسم (ديبوره) (بالمالة الدال المهملة على ياء مثناة تحتية في أوله) ثم (كذعون) (بفتح الكاف يليها ذال مججمة ساكنة فعين مهملة فواو فتون موحدة) ثم (بفتح) (وضبطه بضم الياء المثناة من تحتها في أوله وفاء موحدة ساكنة مع ضم التاء المثناة من فوقها يليها هاء مهملة في آخره) ثم (شمشون) (بالتشديد في أوله ووسطه) ثم (عالي) (المشهور بالكاهن) ثم (شمويل) (بفتح الشين المججمة في أوله)

ويبان ذلك ان بني اسرائيل بعد وفاة يوشع عليه السلام كان قد أغار عليهم وظفر بهم في بلاد الشام كوشان ملك الجزيرة (وهي بلاد الموصل) واستعبدوهم مدة ثمانية أعوام فخاء عثنبال وانقذهم من هذا الرق وقام بتدبيرهم مدة أربعين سنة (من سنة ١٥٥٠ الى سنة ١٥١٠ ق م) ثم ضيق عليهم واستعبدوهم عغلون (بفتح العين المهملة وسكون الغين المججمة وضم اللام يليها واو فتون موحدة في آخره) ملك المماليك (من ولد لوط عليه السلام) فبعثوا اليه بالجزية اهوذ وكان رجلا شجاعا وبطلا جريئ القلب دفاعا فبعد ان سلم ماله من المال الخزينة الملك عاد اليه وحده وضمه الى جانب قتلته وانقذ بني اسرائيل من يده وبعد ذلك بقبائل غلب الفلسطينيين على كل من سبط دان ويهوذا وشمعون من أسباط بني اسرائيل واستعبدوهم ايضا مدة من الزمان حتى قام فيهم رجل اسمه (شمكار) (بفتح الشين المججمة) فقتل ستمائة نفس ينصل محرائه منهم ودفعهم عنهم وحيث كان بنو اسرائيل قد تمكثوا مفرق في السكوة من غير رئيس عام يقبض زمام امورهم وينض بتدبيرهم كان يسهل على الاقوام المجاورين لهم الغلبة عليهم والظفر بهم فاستعبدوهم مرة أخرى الملك (يابين) ملك (حازور) من بلاد الشام وكان قد قام فيهم في الحقبة المذكورة امرأة تسمى باسم (ديبوره) كانت تقضي بينهم تحت ظل نخلة فوق جبل افرائيم فنهضت مع القائد (باراق) احد فصاة بني اسرائيل وسارت على رأس جيش عظيم منهم لقتال انقائد المسمى باسم (سيساره) الذي هو رئيس جنود يابين المذكور فخذل القائد سيساره وغلب وفر امام جيش العبرانيين وهرب وقتلته امرأة أخرى منهم يقال لها (ياهيل) في اثناء الفرار واشهرت ديبوره المذكورة تلك النصر الشهيرة بقصيدة شعر لها من احسن الاشعار واحسن الافكار حركت بها في بني اسرائيل راكد الغريزة الالهية وهيجت منهم رافدا السريرة المليئة بغير ان تلك الهممة البطولية لم تستمر بل كانت كمشاب صيف مر وجاء أهل مدين فاستعبدوهم واذاقوهم أشد الضنك والاسر مدة سبع سنين اخر حتى قام فيهم رجل منهم يسمى باسم (جذعون) وجمع منهم جيشا يبلغ ٣٦٠٠٠ مقاتل واستعد لان يدفعهم عن غائلة صولتهم

ويقولون لهم قال في التوراة ولكن الله سبحانه وتعالى لم يرد أن قومه ينسبون خلاصهم في هذه المرة إلى محض حولهم وقوتهم فنقص عدد الجنود حتى صار إلى ثلاثمائة رجل فقط وقام فيهم جندعون هـ ذافوزع عليهم طبولاً وقد وراهم فخار فيها قناديل موقدة وتخلل بهم معسكر الاعداء من أهل مدين وهم يصيحون من نوع الشعار في الحرب بقولهم «سيف الله جندعون» ففرع المدينيون اضرب الطبول ونور القناديل وذبح بعضهم بعضاً وفر سائرهم هاربين ثم توفي جندعون المذكور بعد أن أقام أربعين سنة وهو درع بني إسرائيل قائم لهمم بأحسن التدبير وكان يسرع له أن يلقب بالملك ولكنه اكتفى بلقب القاضي لا غير وترك من صلبه من عدة نساء له واحد اوسبعين من الانباء المذكور ثم قام فيهم من بعده احداهم المدعو باسم (ابيمالك) (ب) - مزة في أوله وباء موحدة من تحتها ثم بقاء مئنة من تحتها ايضا وميم والف وحاء معجمة في آخره) فيجعل نفسه ملكاً شيشام (وهي نابلس) وذبح جميع أخوته الا واحدا منهم فقام عليه بنو اسرائيل لئلا يظلموه وقتلوه وانتهر العمونيون (وهم قوم من بني لوط عليه السلام) الفرصة من الشقاق الحاصل بين الاسرائيليين فاغاروا عليهم واستعبدوهم مرة أخرى حتى قام فيهم رجل يقال له (يفتاح) من بلاد جلعاد فاجلاهم عنهم وخلصهم منهم واخرب عشرين مدينة مرماهم وكان من أمر هذا الرجل البطل انه نزل لله سبحانه وتعالى ان عاد من جهاده ظافر ان يقرب له أول من الاقربة حيا بعد اياه من سفره واتفق له ان كانت ابنته من صلبه هي أول من لا في نظره فذبحها ووافاء بهجده وامثلت تلك الفتاة لفساد شيا بها وعمرها طاعة لامر

ومع ذلك فكان العبرانيون قد وقعوا ايضا في حبالة امراء الفلاسطينيين مرة ثانية وكان الخصاص لهم في هذه المرة هو سمعون وكان رجلاً ذا قوة عجيبة وجراءة غريبة ظهر عليه منها الاثر من الصغر حيث قبض وهو ابن ثمانى عشر على أسد حديث السن فزقه قطعاً وذكر عنه في التوراة حديث طويل فيما يتعلق بما حصل منه مع الفلاسطينيين من الوقائع والغزوات وانهم لم يقيسوا لهم القبض عليه الا بحيلة علمته عليه امرأة منهم يقال لها دابله ولما استولوا عليه أخذوه معهم الى كنيسة لهم يعبدون فيها اصنامهم فعرضوه لسخرية الناس به في يوم عيدهم يشهرون فيه معبودهم فقام سمعون حرك منها ودين كانا معكاتها سقطت الكنيسة عليه فمات هو وثلاثة آلاف رجل منهم ولم يزل امر بني اسرائيل في اختلال واستمر حالهم أسوأ حال وانتشرت فيهم عبادة الاوثان بدلا عن عبادة الله الواحد الديان قال في التوراة وصار كل واحد من بني اسرائيل يعبد ما يهواه وكان قد قام فيهم على الكاهن وقبض على زمام الولاية المدنية والدينية معا فلم يحصل من ذلك فائدة ولا عاد عليهم عائدة وكان لهذا الحبر الاعظم ولدان كان عميل ميلا مفرط اليهما ويتغافل عن

قبائحهما فازدادت بهما المصائب الوطنية واشتدت منهن الواثبات المنة العبرانية حيث
 دنسا المكان المقدس وصرفا أموال الصدقات الخيرية المبدولة للضرورة الالهية في غير
 مصارفها الشرعية ولذلك تكلمت فيها العامة ولغظت في حقهما جميع الامة وكانت
 امرأة من بني اسرائيل من أهل المدينة المسماة باسم (رماته) في ذلك الاوان (قال صاحب
 معجم البلدان ومشاهير أبناء الزمان السالف الذكر والبيان) «هي وطن النبي شعويل
 ولعلها المعروفة بالرملة الآن» قدمكث مدة طويلة وهي عاقرة فنزرت ولدها وهو شعويل
 المذكور لخدمة الكاهن الاكبر في المحراب وكان هذا الطفل على الدوام والاستمرار لا يفتر
 عن الانذار اليه بانه سينكب ويفقد ولديه لقبادة سلوكهما وتعميمه عليهما فلم ينفع
 انذاره ومع ذلك فلم يمتأخر أن تحقق بالغيب اخباره حيث اغار الفلسطينيون على بني
 اسرائيل اغارة جسيمة وظفروا بهم وغلبوهم في واقعة حربية عظيمة على الهرب من المدينة
 التي كانت تسمى باسم (شيلوح) (بالشين المججمة في أوله يليها ياء مثناة تحتية فلام فواو خفاء مهمل
 في آخره) (قال صاحب معجم البلدان السالف الذكر والبيان اعلاه ما معناه) «وهي أوله
 مدينة كانت قاعدة لمملكة بني اسرائيل بارض فلسطين بعد حضورهم من ديار مصر
 ودخولهم بالارض الموعودة أي ارض الكنعانيين في ذلك العصر» وقتلوا منهم ثلاثة آلاف
 رجل كان اسنا على الكاهن من جملتهم واستولى الفلسطينيون على تابوت العهد واصندوق
 الشهادة السالف الذكر ولما بلغ عالي الكاهن ذلك الخبر سقط على ظهره فانهكسرت
 رأسه ومات كما ذكر بالتوراة

وبعد ذلك بزمن قليل تقلد شعويل بوظيفة قاضي بني اسرائيل فكان أول ما تشبث به همته
 وتعلقت به عنانيته هو إعادة الديانة الالهية الى تمام حاله بفارتها الاصلية فريساثر البلدان
 وانتقل الى مدن بني اسرائيل من مكان الى مكان وصار يعظهم ويوقظهم ويخطبهم وينذرهم
 بان يجروا من بينهم كل الله غير الله فصالح حال الامة وارتاحت عنها تلك الغمة وعادت
 لما كان فيها من حب الوطن والشجاعة المليية واغاروا على الفلسطينيين فخاربوهم
 وقهروهم وظفروا بهم وغلبوهم واجبروهم على أن يردوا صندوق الشهادة اليهم وكان
 وجوده عندهم سببا لمصائب كثيرة حلت بهم وانتزح شعويل الفرصة من عود السلم فيما بينهم
 فأتم اصلاح حال الدين وتوثيق بني اسرائيل من توحيد الله سبحانه وتعالى على قدم اليقين
 وحدث في كثير من مدائنهم مدارس نبوية ومحاسن وعظيمة لقصد تكمين العقائد
 الدينية وتحسين الاخلاق والعوائد الوطنية بواسطة اغاني كانوا يشدونها وكتب كانوا
 يكتبونها قال الاسقف يوسف في تاريخه ما نصه «وقد كان الله سبحانه وتعالى ينزل على
 أنبياء بني اسرائيل رسالاته ويوحى اليهم مواضعه على وجه مخصوص ويظهر لآيين

الامة صديق وحميه اليهم يعجيب معجزاته ويثبت قول انبيائه بغير آياته ولا يمكن كان اكثر بعثه للرسول والانبياء خصوصاً في ذلك العصر الذي كان قد كثرت فيه الفساد وكاد ان تغلب فيه عبادة الاوثان على شريعة الله سبحانه وتعالى فكانت الانبياء في ذلك العصر تكثروا في كل مكان من الزجر والتخويف من هيبه المولى جل جلاله وما كانوا قد عرفوه وشهدوا به من الحقيقة الدينية سواء كان ذلك بطريق الكتابة او الخطابة وبقيت كتبهم التي كانوا قد كتبوها بين ايدي سائر الناس محفوظة بغاية العناية تشهد لهم شهادة مؤبدة عند أهل الاعصر الآتية (هـ)

وكان شمويل قد اراد ان يحدث حادثة كبيرة في ترتيب دولة بني اسرائيل لقصده زيادة تثبيت دولتهم وتوثيق عروبة جماعتهم فشرع في جعل امامتهم العظمى وولاية أمرهم العليا ورأية في عائلته وباقية مستمرة في ذريته . ليكن فيه لم يتيسر فيهم من حب العدل والانصاف ما كان قد توفر فيه فقامت عليهم الامه العبرانية وحصلت فتنة داخلية وصاروا يأخذون الرشاعلى الاحكام فقامت عليهم الامه العبرانية وحصلت فتنة داخلية وكان قد انضم لذلك ايضا التهديد من طرف الاعداء الاجنبية فلحق جميع الناس من ذلك القلق واراد بنو اسرائيل ان يقيموا عليهم ملكا ينظروا في أمورهم ويقوم بتدبيرهم فقالوا لشمويل اعطنا ملكا يقضي بيننا ويدبر لنا كما سائر الامم امرنا فامتنع من ذلك أولا مستندلا بالاصل القديم المقتضى ان بني اسرائيل لا ملك لهم غير الله سبحانه وتعالى ثم لما أبوا الاجابة دعائهم والحوافى رجائهم اضطروا لاجابتهم وتوجه نظره الى شاب جميل الصورة ذى قوة متين من سبط بنيامين وهو (شاول) (بالشين المججمة في أوله يليه الف فواو مضمومة فلام في آخره وهو المعروف ايضا باسم طالوت) (كما في تاريخ أبي الفدا) فجاء به وقدسه ملكا عليهم بان افرغ على جبهته زجاجة من الزيت وجمع الامه العبرانية بمدينة (مصفاط) وتلا عليهم خطبة لاهم فيها على ما ارتبكيه من المعاصي والكفر بالله سبحانه وتعالى حيث عدلوا ههنا اتخذوه ولي أمرهم دون غيره ثم قال لهم دونكم ملككم فاختاروا شاول وأطالوت المذكور وأقاموه ملكا عليهم وهو أول من تلقب بالملك منهم في (سنة ١٠٩٢ ق م)

الفصل الثالث

في تاريخ مملكة بني اسرائيل الاولى لغاية تفرق دولتين متعاصرتين وملكيتين متميزتين

مطلب - ذكر ملك شاول وأطالوت (من سنة ١٠٩٢ الى سنة ٩٥٢) قال المؤرخ جيلمان السالف الذكر واليهان أعلاه مانع ريه أدناه ولم يكن ملك شاول

على الامة العبرانية ولايته على الامة الاسرائيلية غير ولاية جهادية وملكة عسكرية لا غير حيث بقي رئيس هذه المملكة الجديدة مدة مديدة تحت طاعة صاحب الولاية الدينية وهو شمويل واستمر شمويل على التصرف في ولاية امر بني اسرائيل السياسية وكتب شمويل بنفسه صورة ترتيب اساسي للمملكة الجديد ونشر وطسيرا للدولة سيمامي جديد ووضعه في الهيكل فضمن انه طبقا لفهوم قانون بني اسرائيل القديم لا يقتضي لهم الجهاد الا في سبيل الله سبحانه وتعالى وان يوضع صندوق شهادتهم في وسط معسكرهم بحيث ينظرونه ليقا ان اولادونه وان لا يكون ما حكمهم الا عبارة عن قائد عسكري يحمل السلاح لا يذب عن الامة ويحمي حتى الملة وان لا يكون له ارباب دولة ولا مقر مملكة ثابت كساثر الملوك بل ينقل من مكان الى مكان في اسباط بني اسرائيل حيث يأمره الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه شمويل عليه السلام الى آخر ما ذكره من الشروط والاجكام فقام شاول واطالوت المذكور في قيادة بني اسرائيل الى القتال باحسن تدبير وحقق آمال الامة فيه وصدق اعتمادهم عليه بما فاز به من عدة نصرات على اعدائهم وذلك ان ملك العمونيين المسمى باسم (نابال) كان قد غزاهم ووضع الحصار على مدينة (بيس) يجبال جلعا د فجمع شاول من بني اسرائيل ثلاثة آلاف رجل وسار امامهم للجهاد فقاتل العمونيين وظفر بهم وانتهر عليهم نصر انا ماً وغلبهم فاجتمعت الامة العبرانية مرة ثانية بمدينة (ججخاله) وسلموا عليه بملك بني اسرائيل من جديد وهناً وبهذا النصر السديد لكنه لم يستمر على الامتثال لوامر النبي شمويل واراد ان يخرج عن ولايته فقلد نفسه بالولاية الدينية مع المرتبة الملوكية ونصدي لما لا يعنيه مما يختص بوظائف الطائفة القيسية وكان الفلسطينيين قد عادوا ويجنود عديدة للغارة على أرض بني اسرائيل بالثاني فتولى شاول وكب تقر رب القر بان لله في الهيكل وكان من حق النبي شمويل أن يلبه فانذره بان ملكه سيرزول جزاء له على تعديه وان الله سبحانه وتعالى سيعطيه الى رجل آخر اصطفاه لذلك وارتضاء وكان ولد شاول المدهوب اسم (يونا تاس) قد اشتمر بالشجاعة والاقدام وقرر اعلاوية القوم الاسرائيليين على سائر الامم الاخصام في واقعة جديدة وقعت لهم مع اعدائهم الفلسطينيين حيث نجح امرهم على ان اقتحم وسط معسكرهم مع سائس ركابه وحده ففرق شملهم ومزق جمعهم وجاء أبوه فقتبهم ليم الظفر بهم والغلبة عليهم وحكم بالاعنة على كل من تناول طعاما قبل ان تتم هزيمتهم وكان يونا تاس لم يبلغه هذا الخبر فأكل ما تيسر من العسل البري وباغ اياه ذلك فحكم عليه بالقتل فعارض في هذا الحكم بنوا اسرائيل وصاحوا قائلين: «ان من خلص اليوم بني اسرائيل من القوم لا يفتني أن يقتل وان الله هم بالله العظيم أن لا تسقط شعرة من رأسه حيث جاءه في سبيل الله الكريم» وكان جميع هذا النصر والظفر باعداء بني اسرائيل قد اوجب لشاول كثير من الفخر وحسن

الذكر وبقي عايمهم الانتقام من العمالة حيث كانوا قد عطلوا في سالف الامر سير العبرانيين عند حضورهم من مصر للتوطن بارض كنعان فتوجه شاول اليهم وشن الغارة عليهم بجيوش عظيمة من الاسرائيليين وهزمهم شهزيمة واسرهم اكلهم المسمى باسم (اجاج) (بفتح الهمزة في أوله) وقتل العمالة عن آخرهم غير انه خالف امر النبي سمويل اذا كان قد أمره باستئصالهم وقطع دابرهم فعفا عن الملك اجاج المذكور ومن ثم تمت المقاطعة بين شاول وسمويل وتحكمت العداوة والبغضاء بين الرئيسين المذكورين فانذره النبي سمويل بانه حيث رفض أمر الله فقد رفضه الله وغضب عليه واراد الملك من يده وهجره سمويل وذهب الى قرية بيت لحم وقدم داود له كما على بني اسرائيل وكان داردا المذكور عن قبل قد أظهر برهانه شجاعته واشهر عنوان جراته بالذب عن مرأسيه من السباع والثور حيث كان راعيا يرعى غنم أبيه ولذلك كان قد اصاب شاول داءا كئيبا شديدا كان اذا افاق منه عر يد وكان لا يسكن الا اذا جاء داود فضر به على عوده المشهور حتى أحبه الملك وحناء عليه ويقس من ضرورته اتباعه فعمره بكثير من المومنين وراقا رتبة سائس ركابه وهو لا يدري انه قد تنوج في السر بالملك بل اعنه لم يثبت أمر شجاعة داود وكل الثبوت الابنادة صرخ احد ابطال الفلسطينيين المشهور باسم (جالوت) وقد كان هذا البطل لا يخاف من رجل على منازلته او يقدم بطل على الدونه فضا عن مقاتلته فجاء داود وناله وواقفه في حومة الميدان وفاتله وليس معه سلاح غير مقلاع فخذف عليه بجحر فسقط ماتي على الارض فبادر اليه وبرك عليه فقطع رأسه وما شاهد الفلسطينيون صرع اشهر فرسائهم واباطهم وأكبر فتيانهم ورجلهم لم يستقر لهم قرار وبادروا بالفرار وتبعهم بنو اسرائيل الى حدمدينة (اكرون) (بفتح الهمزة والكاف في أوله) يلهم اراءهم ملة مضمومة فوافون موحدة في آخره من بلاد الفلسطينيين وغنموهم مواشيهم ودوابهم شيئا كثيرا وما بلغ شاول هذا الخبر شرف داود بصاهرتة وزوجه بابنته واجبه ولده يوناناس محبة شديدة وصادقة مصادقة أكيدة وودده الم يقض بعد لشدة شجاعته ثم داخل قلب شاول الحسد لداود منذ سمع بني اسرائيل يشيرون فضله وما حصل على يده من النصر ويقولون اذا كان شاول قد قتل من الفلسطينيين الفا فقد قتل داود منهم عشرة آلاف ومن ذلك الوقت كان الملك قد أسره أشد البغض والمقت بل هم بأن يطعنه برمحده وهو في مجلسه يضرب به بعوده ولم ينبج دارده من كيد الالاف بالفرار وتكرمه هذا الفعل عدة مرار ولم يزل داود مع فلان يستعطفه ويتصبر على جفاه ويعمل لذلك من انه مدحف والتكريم كل جهده حتى نأت شاول عن قتله ولم يتأخر الفلسطينيون ان عادوا بالهكرة على الاسرائيليين وقد كان شاول كما هو نص التوراة «لم يزل متلبسا بالشر» فأنى امرأة كانت تنخر بالغيبيات بالمكن

المسمى في تلك العصور باسم (مندور) وأمرها أن تزيه خيال النبي شوبل وكان قد توفي منذ عامين فظهر له في المنام شوبل عليه السلام وزجره على معاصيه واندرد بأندهو وبنيه يصيرون في غدا في القبر في اواقع ونفس الامر انني أن انسلطيفيين كانوا مشنوا النارة على بني اسرائيل من فوق جبل جلجلة من القبر فقتل برناتاس وجرح شاول وطعن نفسه بسيفه خشية أن يقتل بيدا عده فمات وبكداود اشد البكا ورثاه بأجل الرثا وعبر في قصيد عال له عاب اعتراف من شدة الفأسف لولادة وناتاس (في سنة ١٠٥٦ ق م)

طلب - الكلام على ملك داود عليه السلام (من سنة ١٠٥٦ إلى سنة ١٠١٦ ق م) قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه ما تعرضه أدناه وامامت شاول وولده برناتاس قام رجال سبط يهودا وولاد داود ما كانوا أصحاب سائر اسباط بني اسرائيل الا يشوبشت بن شاول (وضبطه بألف مكور في أوله يليها ياء مثناة تحتية شسين مجمعة ما كنه فباء واحدة فواو فشين مجمعة أخرى ساكنة بعد هاء تاء مثناة تحتية في آرد) فقسمت بينهما وبين داود حرب استمرت سبع سنين حتى انتهت بقتل ايشوبشت المذكور (في سنة ١٠٤٩ ق م) وبعد ذلك بستة شهور حضر مشايخ بني اسرائيل عند داود بدية حبرون وأطاعوه وأقروه ملكا على سائر اسباط بني اسرائيل وكان له حينئذ من العمر سبع وثلاثون سنة من الدهر

وقد كانت أيام ملك داود عليه السلام هي في تاريخ اليهود تاريخ الأيام إذ كانت مملكة بني اسرائيل في مدة عهد داود قد اتسعت في أمرها الداخلية وكانت اعلوبة سبط يهودا قد تقررت على سائر الاسباط الاسرائيلية وكانت وجاهة دولة انهم وفي تلك الاوقات قد امتدت على سائر الامم المجاورين لها في الجهات الخارجية من شواطئ البحر الابيض المتوسط الى حد نهر الفرات ولم يبق عايرهم المتكويين هيئة الامة الاسرائيلية وترتيب واحدة الملة العبرانية الالهية بالطريقة القطعية الا أن بقطعة وادابر بقايا الامم السكعانية الذين كانوا لم يزالوا يوجدون في أرض فلسطين وبسطة أصلهم عن آخرهم بالسككية والجزئية وبذلك كان قد امتد أمد حكمه داود عليه السلام فما زال القوم المدميين باسم (البيسين) وهم اشجع الاقوام السكعانيين الموجودين بتلك البلاد وقالاهم وأخذ منهم فاعلمهم المسمما باسم (ويس) او (سالم) وهي التي نشأت في مكاهم مدينة او رشاييم او بيت المقدس فيما بعد وجعلها مقر مملكته وقاعدة دولته من ذلك العهد

وكان الاقوام المعروفون في تلك الايام بالفاستيفيين مجتمعين على سواحل البحر الابيض المتوسط (بحر سفيد) متحالفين بعضهم مع بعض ومتبئين في صورة حكومة جمهورية ذات شوكة قوية يصلون على ممر الاوقات واللحظات على القوم اليهودي يأخذون منهم الجزية في

بذلك العهد. فلم يسع داود أن يستطيع لهذا العار وأراد أن يعتق قومه وإنشاء وطنه من هذا الاسر والصغار فقاتل هؤلاء الاقوام الشداد وجاهد هم اشد الجهاد واخذ منهم سائر البلاد المسماة في ذلك الوقت باسم (جيت) من تلك البلاد وقتل كذلك المايين عن آخرهم واتم قطع دابرهم ومن نجا من الموت منهم وضع عليه الجزية وكان من جملة هؤلاء الاقوام قومان متوطنان في جهة الجنوب من بلاد الشام فيما بين الارض المسكونة بالفلسطينيين والمايين وهما القوم المعروفون بالعمالقة والايديوميون فقاتلهم داود وغلبهم وانتصر عليهم وقهرهم وكذلك فعل بالقوم المعروفين بالعمرانيين المتوطنين في جهة الشرق ببلاد عمان ولداعى جميع هذا النصر المتواتر وحصول هذا النجاح المتكاثر كانت قد انعقدت عليه عصبية كبيرة دخل فيها جميع الامم الذين كانوا متوطنين بتلك الاوقات فيما بين نهري الاردن والفرات فلم يفرع داود من عصبيتهم ولم يجزع من كثرة جماعتهم بل سار بنفسه اليهم وأقدم يقرده جيوشه عليهم وناجزهم بالقتال وبارزهم بالترال فغلب جميع أعدائه واستولى على ما كان يوجد لهم في ذلك العصر من الممالك الصغيرة بدمشق وسربته وحسن من بلاد الشام واستولى على القوم الابدوميين حيث قتلهم فأتلف حالهم وشدت شملهم بوادي الملح واليخ وبواسطة ما حصل له من جميع هذا النصر والخمج كان ملك داود عليه السلام قد امتد في ذلك العصر الى شواطئ نهر الفرات وكان قد أخذ من فرع القوم الابدوميين الذي فرضت آسيون جابر وابنة الكائناتين من بلاد العرب على نهاية بوناز ايلام وأحدث طرق تواصلات تجارية فيما بين ممالك الكهوج وبحر القلزم والبحر الاحمر وأقصى بلاد آسية وافريقية ثم قال المؤرخ المنقول عنه أعلاه بعد ذلك ما ملخص معناه ان داود عليه السلام لداعى بان كان قد وقع منه في اثناء هذه الاعمال الجيلة والفتوحات الجليلة من قصة احد قواد عساكره المسمى باسم (اوريا) وزوجته المسماة باسم (بيتسبا) المشهورة جسمها في الكتب المقدسة مذكورة وان كان من ذلك قد تاب وحسن منه المآب كان قد ابتلاه الله في آخر عمره بفتن أهلية وجازاه في دنياه ببعض محن منزلية تكفير تلك الخطية وذلك أنه قد كان فجع بأول ولده رزق له من زوجته المذكورة اذ كان قد مات ولم يتمتع له بحياة وبعد ان ولد له منها ولد آخر وهو سليمان عليه السلام كانت جميع عائلته قد دخلها الفتن والفساد بارتكاب بعض بنيه للذنوب والاثام فتعدى ابنه البكرى المدعو باسم (امنون) على أخته المسماة باسم (تمار) فقتله أخوه الآخر المدعو باسم (ابشارم) وخرج ابشارم عن طاعة أبيه ودخل تحت لواء عصيانه عشرة من اسباط بني اسرائيل حتى اضطرد داود عليه الصلاة والسلام لان خرج راجلا من مدينة أورشليم وخرج عليه أجداد قارب شاول

السمي باسم (سيمى) وضبطه (بسين) مهملته معاملة على ياء مثناة تحتية يليها ميم فياء مثناة تحتية بعدها ياء كذلك أخرى في آخره) وأساء هذا الرجل في أثناء هذه الهجرة المستعجلة وقذفه بالاحجار وأوسقه بالشتم واللعن والشنار ثم لحق داود من بقي على طاعته واجهة عواياه فعدا على رأس جيش يبلغ عشرين ألف مقاتل منهم وبارز عسكر الخوارج بوادى افرائيم فقاتلهم وقتل ايشلوم بن داود بيد (يوب) قائد عسكر أياه وفي آخر سنة من ملكه خرج عليه أيضا ولده السمي باسم (عادونياش) وكان داود عليه السلام قد عهد بالملك لاسليماء ولده وقده بيدده وأقره ملكا باعتراف الامة وتحلى عن عادونياش اصحابه المتعصبون له فدخل تحت طاعة أياه وعفاه عنه ولم يعمر داود النبي الملك عليه السلام بعد هذه المضايقات الموهلة مدة طويلة بل أدر كتمه الوفاة فانت عليه الصلاة والسلام بعد ان أوصى ابنه سليمان بوصايا من أحكم الكلام وسلم يديه صورة معبد عهد بينائه اليه وأمره بإنشاء هيكل مشيد لعبادة الاله الحقيقي بأن يعبد وكانت وفاته في (سنة ١٠١٦ ق م) ولم يكن داود عليه السلام قد وضع اساس الصولة السياسية لدولة اليهود فقط بل كان قد أوثق عروته ترتيب ممالكهم واحكم قواعد دولتهم قال المؤرخ المدعو باسم (هيران) مانصه «ولم يكن شاول الاعبارة عن قائد عسكري فذا وأمر الباهو والصادرة اليه بواسطة النبي شمول وليس له ارباب دولة معينة ولا دار ملكة ثابتة ولم يكن بنو اسرائيل في عهده الا قوما فلاحين وانا ساعلى زراعة الارض ورعاية المواشى منهم كمين لا ثروة لهم ولا مال ولا رفاهية عندهم ولا حسن حال ثم صاروا شيا فاشيا قوما اهل حرب وجهاد حتى جاء عهد داود عليه السلام فأصلح حال الملة بالكلية وغير هيئته ولاية الامم العمومية وجعل مدينة اورشليم دار مملكتهم وقاعدة ديارتهم وأجرى أحكام عبادة الباهو بعناية الدقة والتشديد وجعله هودين الملة الاسرائيلية ومذهب الامة العبرانية دون غيره من الاديان ونزعه عن شوائب عبادة الاصنام والوثان وأوسع دائرة المملكة اليهودية سعة كبيرة بما اجراه الله على يده من الفتوحات الكثيرة غير انه في أثناء مملكته كان قد دب بالتدريج في تركيب اعضاده دولته ديبب بصورة الحكومة المطلقة التصرف ونوع ما يعبر عنه في العرف بحكومة أهل القصر التي ظهرت نتائجها السياسية بما حصل في أواخر أيام داود عليه السلام من الفتن الاهلية والحروب الداخلية الناشئة عن خروج اولاده عن طاعته السلطانية (اه) قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه اعلاه مامعناه وفي الحقيقة ونفس الامر قد كانت النتائج لاصلية الناشئة عن مدة ملك داود الشهير بالذكر هي ان مدينة اورشليم صارت قاعدة المملكة السياسية ومركز الولاية الدينية ودار اقامة ملك بني اسرائيل وذلك ان داود كل قد شيد له قصر فيها ووضع تابوت العهد على الجبل المسمى في ذلك العصر بجبل (موريا) منها وكان لغاية ذلك

الوقت بوضع في وسط معسكر بني اسرائيل متى أقاموا واورحلوا وينتقل معهم حيث انتقلوا وكان ولده سليمان عليه السلام هو الذي توفى للبناء على ما قد كان اسسه له والده من الاعمال الفخام وشيد لاله بني اسرائيل معبد ايايقي يستحقه من اعلى المقام ولم يكن داود عليه السلام يعرف في عدد الرجال العظام الذين نظموا احوال الامم السياسية بأقن النظام والابطال الكرام الذين فازوا من فتوح الممالك بالسعد وبلوغ المرام بل كان كذلك نبيا لمساك حيث كان قد نظر في المستقبل واخبر انبأ بالمغيبات واشهر في ضمن تأليفه بعلم عال ثم يف ليس له مثال ماستصير اليه فيا بعد من العظمة والجلال مدينة القدس الجديدة التي ستشيد بعد على مكان مدينة اورشليم هذه التي كان هو قد بنىها وكان اول من اختطها وأنشأها

مطلب - ذكر ملك سليمان عليه السلام (من سنة ١٠١٦ الى سنة ٩٧٦ ق م) قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه اعلاه ماتعريه اذناه ولما توفى داود عليه السلام لم يجلس سليمان بالسهولة على سرير المملكة الاسرائيلية بل كان قد قام عليه بالثاني اخوه عادونياش فقتله سليمان ليصفوا سرير الملك من الشوائب التكريهية ثم التفت لتثبيت اقدامه عليه بعد مقتله سليمان ومعايدات في الجهات الخارجية مع ملوك الممالك الاجنبية فتعاهد مع فرعون مصر وملك بلاد صور والمالدين كانا وحوذين في ذلك العصر واراد ان يبدأ مدة حكمه بما ترضيه لاجرية فرحل الى المدينة جبودن وذب فيها الف ذبيحة قربانا لله سبحانه وتعالى من اجوداته راين وكان سليمان احكم المملوك وافخر السلاطين استولى بطريق السلم على جميع البلاد التي كان البروقد انتصحت طاعته تمتد في ذلك العصر من عتدنرا فرات الغاية واصل بحرسه بيد تخوم وادي مصر وكان ملكا قليل الجهاد فكل مسالما اسرائيل الذين كانوا امنكته جاورين وقد عبرت انثورة عما كان حاصل في عهده بني اسرائيل من الراحة التامة والدعة العامة بهذا التعبير الجميل قائلا ان كل احد من عند ان لغية يرسبا (يعني من شمال المملكة الى جنوبها) كان يعيش تحت ظل كرمه وتنت في الرخاء بالسور (هـ) وانتم سليمان الفرصة من حالة هذه السلم وزعم على ان ينهدما كان قد اوصاه ابو بهد من الغرض المهم وهو انشاء هيكل فخيم لعبادة الله الواحد الاحد مدينة اورشليم وكانت طاعته مع مملكة الفنيقيين والصورين اى بلوت صور من بلاد الشام بتلك الايام قد برست له وسائل هذا العمل العظيم ككل (بحرام) (بكمس الخاء المهملة في اوله) لك صور يبعث له من بلاده العمال والاشباب اللازمة لبناء المعبد المار كور واقام سليمان سبع سنين ونصف سنة يبنى في هذا الهيكل المشهور حتى اتي فيه بسائر انواع الفاهية والفخر التي كانت تنيسر ببلاد المشرق في تلك العصر وفي السنة الثامنة كان قد اتمه واكمل عمارته وختمه وعقد موكبا حافلا وموسما

شاملا حضره جم غفير وقوم كثير من بني اسرائيل لقصد ايقافه على عبادة المولى الجليل ووضع تابوت العهد اوصندرق الشهادة منه في المكان الاقدس وهو مكان لا يصل اليه أحد اشارة الى استعالة الاحاطة بجلال الله سبحانه وتعالى وأولم هذا الموسم في ذلك اليوم الى الامة بتمامها باثني عشرين ألف ثور من البقر ومائة وعشرين ألفا من الغنم قال المؤرخ يوسف وحرم سليمان التضحية لله سبحانه وتعالى في غير الهيكل المقدس اشارة الى اظهار وحدانيته بدليل وجدة معبده، (هـ) .

ثم قال المؤرخ جيلمان المذكور ما هو بعدم سطور وبعد ان شيد سليمان لله معبدا واعبد لوحيدة مسجدا جدد لنفسه قصرا وانشأ حول مدينة اورشليم سورا وسع عدة مدائن قديمة واختط مدائن اخرى جديدة عظيمة منها مدينة اشار وبجدلة وتدمر الشهيرة وقد كانت مجمع القوافل التجارية التي كانت في تلك الايام تتردد بين بابل انوراق ودمشق الشام وكان سليمان عليه السلام قد بلغ من الشوكة الى أكثر مما بلغه أبوه فبمجرد ذكر اسمه وشهرته وسيرجائه وعديته كان قد ادخل تحت طاعته من كان قد بقي على بعض استقلال من الاقوام الكنعانيين كالهيوين والهيثيين والعوريين وهم الذين كانوا يستعملهم في بناء العمارات الكثيرة التي كان قد انشأها في سائر بلاد مملكته بخلاف رعاياه العبرانيين حيث كان قد اختصهم بالجهد والاستعمال على ولاية البلاد وكان قد ترتب المملكت في أيامه ترتيبا جديدا ونظمها تنظيم اسديا فقسمه الى اثني عشرة عمالة جعل على كل عمالة منها عاملا من طرفه يحمي له خراجها قال في التوراة انصه و كان قد لزهم بيع كل ما لزم لسفرتة وسائر اهل داره وحاشيته من روائب المؤنة كل عام منهم شهران من السنة (هـ) وكان قد نظم الجنود ظاملا جديدا وبلغت طئفة العساكر الخيلة في أيامه وحدها الى اكثر من ستين الفا وكانت شدة هذه الدرجة من القوة العسكرية تورث باضرورة في قلوب الامم المجاورين المهابة والاحترام وتحدث عندهم الخوف والاعظام ولذلك كانت تفد عليه الملوك من سائر الاقطار ليلقوا اليه مقابل يد الطاعة والصغار وسعت له من اقمى بلاد العرب (بلقيس) ملكة سامع جم غفير من قومه بالحققال كبير لنظره هذا الملك الشهير في جميع بلاد المشرق بالحكمة والنسدير وكانت التجارة في تلك الايام تدبغت الى مقدار جسيم بحيث تزداد بها ثروة الامة على الدوام وكانت اساطيل سليمان عليه السلام تنضم الى اساطيل الملك حرام ملك بلاد صور وتساقر الى فرضتى اوفير وطرسيين من سواحل بلاد العرب المجاورة لخليج فارس والسواحل بلاد سامية أو الاندلس فتأني بالذهب والفضة وس الثقل وغير ذلك مما هو من هذا القبيل وبالجملة والتفصيل فان هذا الملك الكبير كما هو بنص عبارة التوراة مذكوره كانت الفضة في زمانه بدبغتة اورشليم من

حيث كثرة الوجود كالأحجار وكان نوع الشجر المعروف الآن (بارز لبنان) كالجوز الذي ينبت في القنات ، (هـ) ثم قال المؤرخ المنقول عنه أعلاه بعد ذلك ما يخصه أدناه ولكن سايحان عليه السلام كان في وسط هذه السعادة الباهرة والسلطنة الزاهرة قد علق عدة نساء اجنبيات من الاقوام الكنعانيات من ماب وعمون وايدومة وصيدا وبلاد الهيثيين وتزوج جملة زوجات وتسرى بعدة حواري وسريات من غير قومه العبرانيين وأباح في ملكه عبادة الاصنام على خلاف نص التوراة وشريعة موسى عليه السلام اذ قيل فيها خطابا لبني اسرائيل في حق جميع هؤلاء الامم المذكورين « لا تنكحوا نساء هذه البلاد ولا تقبضوا البنات كنكم أز واجام من رجالهم حيث يفسدون قلوبكم فتعبدوا ألهتهم » (هـ) فغضب لذلك بعض بني اسرائيل أشد الغضب وأوجب ذلك إغفار صددوهم عليه فتمتخوه وخوفوه فلم يصح لتصحيحهم ولم يكثرث باخافتهم حتى رأى سوء عاقبة هذا الامر قبل أن ينزل القهر حيث ذهب الرجل المسمى باسم عازر من القوم الايدوميين وآثار فرعون مصر على الامرائيليين وخرج عن الطاعة آخر يدعى باسم (رصين) واستبد بالامر في دمشق الشام وقوم عليه الاسباط (بريم) بن نويات من سبط افرائيم فجهز بذلك تفر يق بني اسرائيل الى فرقتين وتقسيم مملكتهم الى مملكتين وآذن لها بالخراب وذات البين وقد كان يرهم هذا رجلانيتها وانساها حذا فوجيها فالتجذب اليه نظر سليمان، والتفت اليه بعنايته حتى أناط اليه منصبه في جملة أهل دولته ثم انبأ داود النبي عبدias من أنبياء بني اسرائيل بان هذا الرجل سيتولى ملك عشرة أسباط من مملكته فاراد سليمان أن يقتله فهرب الى ديار مصر وأقام بها الى أن توفي سليمان بعد ذلك بتليل (في سنة ٩٧٦ ق م) وكان قد ملك مدة أربعين سنة على بني اسرائيل

قال بعض أهل التواريخ « وكانت حكمة سليمان عليه السلام قد فاقت حكمة جميع المشركين وسائر المصريين وكان أعقل جميع العالمين قال المؤرخ فرانيسس لونيومان في هذا المكان من مختصر تاريخ القوم اليهود السالف الذكر والبيان (أى قبل ان يقع منه ما وقع من الخطا كاللاخني) وكانت شهرته قد انتشرت عند سائر الامم المجاورين وكان قد صنف ثلاثة آلاف مثل أو حكمة وأنشأ خمسة آلاف قصيدة لتعجيد الله سبحانه وتعالى وتكلم في علم التواريخ الطبيعية على سائر الاشجار من ارض لبنان لغاية النبات المعروف في لغة العرب باسم الزوفا والشمسية الذي ينبت بجوار الحيطان وتكلم على سائر أنواع الحيوان التي توجد على ظهر الارض وسائر الطيور والهوام والاسماك التي تعيش في البحر » (انتهى كلام بعض المؤرخين) قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه أعلاه وقد ضاعت كتبه هذه كلها ولم يبق منها غير التأليف المعروف بعنوان أمثال سليمان وهو عبارة عن مجموع حكم ومواعظ والتصنيف المعروف باسم (الاكابر ياست) أو كتاب حكمة سليمان وهو كتاب

نظرفيه بعين الحقيقة الى جميع الاحوال الدنيوية والذات البشرية وقدرها بقدر قيمتها الاصلية واستنتج فيه من ذلك هذه النتيجة الجلية وهي ان كل شيء باطل وكل نعيم زائل واليه ينسب ايضا ما يعرف في التوراة بما معناه نشيد النشيد أو قصيد القصيد وهو عبارة عن تسبيح وتمجيد وثناء على الله جل جلاله بما هو أهله من الشكر والتحميد

مطلب ذكر اعتزال الاسباط العشرة عن سائر ملّة اليهود وخروجهم عن دولة آل داود قال المؤرخ المذكور ما تعريبه بعد بمسطور وقد كانت مدة ملك داود وسلاسله هي أعلى درجة بلغت في الامّة العبرانية من الفخار والشوكة السياسية غير أن ذات تلك السعادة العلمية وما كان هذا ان الماء كان قد أحدثاه في أحوال أهل دولتهم من العوائد السلطانية والعظمى الملكية وسعة الخلفات التجارية مع الدول الأجنبية والممالك الخارجية المجاورة لهم ما لزم بالضرورة أن يرتد باسواء المضرة على أحوال المملكة الداخلية وبعودها بالفسدة على الاخلاق والعوائد الاعلية والمقائد المالية ولذلك كانت قد ضعفت مادة الدين التي هي الجامعة الوحيدة والرابطة الغريفة بين الاسرائيليين بما داخل عقائدهم في عهد سليمان من عبادة الاوثان وكانت ملكتهم ولو بلغت ما بلغت من الشوكة الدولية والهيبة السياسية في عهد هذين الملكين الاخيرين قد عجزت عن تأسيس وحدة الامّة العبرانية وضعفت عن تقرير اعلاوية سبط يهوذا على سائر الاسباط الاسرائيلية وكانت قد ظهرت علامات الفتن الاهلية وبدأت اشارات النحس الداخلية في أواخر ملك سليمان بذلك الزمان وكان قد قام فيهم النبي عبدياس فأندرس سليمان مع غاية التوضيح والبيان بتمرقق ملكه واخبره مع نهاية التشرىج والتبليان بتمرقق ملكه وكان ما جرى اليه الحال من صرف المصاريف الجسيمة في العمارات العظيمة والاعمال الفخيمة بمدة هذا العهد الاخير قد تم تجهيز بني اسرائيل لتفرق أهل الشمال عن أهل الجنوب منهم وأوجب بالفعل تفرق جماعتهم الى جماعتين وتمرقق شمل دولتهم الى دولتين وهذا هو ما عبر عنه في عرف المؤرخين باعتزال الاسباط العشرة المعبر عنهم بملككة بني اسرائيل في مقابلة ملككة يهوذا وبنيامين (قال أبو الفدا في هذا الموضوع من تاريخه) وافترقت حينئذ ملككة بني اسرائيل واستقر لولد داود الملك على السبطين فقط اعني سبطي يهوذا وبنيامين وصار للاسباط العشرة ملوك تعرف بملوك الاسباط واستمر الحال على ذلك نحو ٢٦١ سنة وكانت ولد سليمان في بني اسرائيل بم نزلة الخلفاء الاسلام لانهم أهل الولاية (بمعنى الحقيقة) وكانت ملوك الاسباط مثل ملوك الاطراف والخوارج وارتحلت الاسباط الى جهات فلسطين وغيرها بالشام واستقر ولد داود ببيت المقدس (اه) (رجع لنقل من التاريخ القديم للمؤرخ جيه لمان)

قال المؤرخ جيه لمان المذكور أعلاه ما معناه وتفصيل ذلك انه بمجرد ان توفي سليمان عليه السلام

كان قد قام بعده على القورانه (رخيم) وذهب الى مدينة سيشام أو نابلس اذ كان قد اجتمع
 فيم سائر بني اسرائيل ليقبلوه ملكا عليهم وكان رئيسهم يرعى المذكور آفاقه ابوامنه أن يحط
 عنهم بعض ما كان أبوه سليمان قد كلفهم به من كثرة الضرائب عليهم فامتنع من ذلك واغلظ
 لهم الجواب فقال بنو اسرائيل بعضهم لبعض كما هو نص التوراة من الناولا كل داود يا بني
 اسرائيل قوه والى خيامكم وتداركوا انتم يا بني داود الا ان نفقة يكممهم وقام جمع بني
 اسرائيل ودواخيهم ومنازلهم رجبين سليمان وزير داود واسم (عادرام) لما هذا
 القيام فرجوه بالاخبار حتى مات وقهر كسر الجاهل وثنى الملك على نفسه منهم فمرهرا الى
 اورشليم وخرج عن طاعته عشرة أسباط من الاسرائيليين وهم ما عدا سبط يهوذا وبنيامين
 حيث بقياء على طاعته وتركب منهم واحد دهاتوا مملكتهم وباع الاسباط العشرة
 المذكورة بالملك عليهم يرعى الآنف الذكر وهكذا انقسمت مملكة اليهوذا بالشام الى
 مملكتين وتفرقت دولتهم الى دولتين ونفى الامر (وصار المراد بالعبير بلفظ مملكة بني
 اسرائيل هو فقط جماعة هؤلاء القبائل العشر) وقد كانت أوسع أرضا ومكانا وأكثر عمراناً
 وسكاناً من مملكة يهوذا وان كانت هذه المملكة الاخرى أكثر منها أثر وقوة ويسارا وأكبر
 حرمة واعتبارا لذا انى انه بقي فيها الاستيلاء على تابوت العهد وأوصد دوق الشهادة ووضع
 يدها على البيت المقدس وكان جميع العبرانيين يحجون اليه في كل عام ويتسككون ويحبل
 اعتقاد حرمة تشبهون ويتمسكون ويقربون قرايينهم في معبد الياهو الاقدس فخشى
 يرعى ملك بني اسرائيل أن يرغب الحاج من رعيته في المقام بما كره يهوذا لباعث الدين ولذلك
 احدث حرمين آخرين بمدينتي يثيق و دان من بلاد العبرانيين في ذلك الزمان ووضع لهم فيهما
 الاوثان ورتب لهما كهنة مخصوصين واحبارا قسيسين من غير اللويين وأمر رعاياه
 أن يحجوا اليهما ويقربوا قرايينهم فيهما خلافا لشرعية موسى عليه السلام فساعد ذلك الخلاف
 على احداث عبادة الاصنام في بني اسرائيل وتفرقت فيهم عداومة المخالطات بين ملوكهم ومملكة
 السوربين (أى أهل الشام) وأما مملكة يهوذا فقد كانت أصغر تنسكا وأكثر اعتقادا تمسكا
 بشرعية موسى عليه السلام ومع ذلك فكانت قد داخلتهم أيضا شائبة عبادة الاصنام واحتاج
 الحال غير مرة لقصد تنزيههم عنها وابعادهم منها لان بعث فيهم رسل في ذلك العصر يخوفون
 الرعايا بالملوك سوء عاقبة هذا السلوك ويعدونهم في الدار الاخرة اذا أطاعوا الامر أحسن
 حال في الاستقبال وانه سيبعث فيهم مسيح يهدى العالم بتمامه الى الدين الصحيح الذى جاءه

به شرعية موسى عليه السلام
 وبما ترتب على تفرق مملكة العبرانيين الى مملكتين وجرايمه تفرق شمل دولتهم الى دولتين
 ان اضحلت قوتهم وضعفت شوكتهم الى درجة بليغة جدا ان كانت حدود مملكتهم في عهد

الدرس الثامن ٢١١ في التاريخ العام

داود تمتد لغاية الفرات ثم انحصرت منذ تفرق جاعتهم في مجرى بلاد فلسطين وصاروا بالاعداء الاجانب من كل جانب محاطين والتفتوا الى محاربة بعضهم بعضا وحصل فيما بينهم حروب داخلية شديدة زادت ضعف قوتهم وقامت فيهم فتنة أهلية عنيدة أذهبت بقية شوكتهم وجهزتهم لاستيلاء البابليين عليهم واسترقاقهم لهم وهو المعبر عنه بالأسر الأكبر عندهم وكذلك اضطجعت بهم الطولى وزالت دولتهم الاولى غير أن هذا الزوال كان بطيئا حيث مكثت مملكة بني اسرائيل مدة ٢٥٥ سنة فقط وهى بحالة الاختلال الويل وسقطت مملكة يهوذا بعد مدة ٣٨٩ سنة وهى كذلك على اسوأ حال من هذا القبيل

الفصل الرابع

في تاريخ دولة العبرانيين بعد تفرقها الى دولتين وذكر ملوكهم بعد انقسامها الى مملكتين مقيزتين

مطلب — ذكر ملوك مملكة بني اسرائيل ويهوذا من بعد تفرقهما وبينان أحوالهما بعد تفرقهما (من سنة ٩٧٦ الى سنة ٧٢١ ق م)

قال المؤرخ جيلمان السالف الذكر والبيان أعلاه مامعناه وقد قام ير بعم على مملكة بني اسرائيل عشرين سنة لا فخر له ولا حسن ذكر غير أنه قد كان أول من ادخل فيهم وبال مثال تداخل الاغراب في منازل عاتهم الاهلية واول داع للملوك الاجانب لقصد توسطهم في أمورهم الداخلية حيث دعا فرعون مصر المشهور باسم (شيشاق) في ذلك العصر للمداخلة على ملك يهوذا ثم ملك عليهما من بعده ولده المدعو باسم (نوذب) (بالذال المججمة في وسطه) (في سنة ٩٥٥ ق م)

ولم يكن رحيم بن سليمان في مملكة يهوذا بالنسبة لدين آباءه باحسن من ير بعم سلوكا حيث اقام كذلك الا صنما للعبادة ببلاده فوق سائر الجبال المرتفعة ونحت جميع الادواح بمعنى الاشجار الملتفة وفي السنة الخامسة من ملكه كان قد حضر فرعون مصر السالف الذكر الى البيت المقدس واستولى عليه واخر به واتهب كل ما يوجد في خزائنه من المتاع الانفس واغتصب خزائن الملك وأخذ الدروع التي كان سليمان عليه السلام قد اصطنعها من الذهب وعاد الى بلاده بالشأن بغنائم كثيرة جدا

وتلك على مملكة السبطين بعد رحيم بن سليمان (في سنة ٩٥٩ ق م) ابنه المسمى باسم (افيا) (بفتح الهمزة وكسر الفاء الموحدة وتشديد الياء المثناة من تحتها يليه الف في آخره) فسار كسيرة ابيه في مملكته ومشى على قاعدته وحارب ير بعم ملك باقى الاسباط فهزمه ثم تولى بعده ابنه المدعو باسم (آما) (من سنة ٩٥٦ الى سنة ٨٩٥ ق م) فنظف

الدرس الثامن ٢٠٢ في التاريخ العام

بيت المقدس مما كان آباؤه قد وضعوه فيه من الاصنام وحارب الملك المسمى باسم (زارة) ملك الحبشة أو الایتیوبية فانتصر عليه وغلبه ثم تعاهد مع الملك (ريناداد) ملك سورية على الملك (يعشو) ملك الاسباط فاغار ريناداد المذكور على مملكة بني اسرائيل ولم يتعد على مملكة يهودا وتوفي آسابعان حاكم مملكة يهودا مدة احدى وأربعين سنة

وكان قد تولى مملكة الاسباط في مدة هؤلاء الملوك الثلاثة ستة ملوك كلهم اشتهروا بالكفر وقبح السلوك منهم (نوب) المذكور آنفا وهو ابن يرعم فاقام في المذبح المسمى الاسرائيلية أكثر من سنتين (اعني من سنة ٩٥٥ الى سنة ٩٥٣ ق م) ثم قتله (يعشو) وجلس على تخت الملك بدلا عنه (من سنة ٩٥٣ الى سنة ٩٣١ ق م) وكان الملك يعشو هذا الاجل تثبيت اقدامه في الحكم قبل قتله جميع ذرية يرعم فجاء أحد قوادس كره الخيالة المسمى باسم (زمرى) (بفتح الزاى المججمة يليها ميم فراء مهملة فياء مثناة تحتية ساكنة في آخره) وقام على ولده الذي تقلد بالملك من بعده المدعو باسم (ايلا) فقتله هو وسائر ذريته واستولى على كرسى مملكته ولم يتمتع هذا الملك أيضا إلا أياما قلائل بشرة عظيم جخته حيث قامت الجنود فولت على المملكة بدلا عنه أحد قوادسهم المدعو باسم (عمرى) (بفتح العين المهملة يليها ميم فراء مهملة فياء مثناة تحتية ساكنة في آخره) وجاء عمرى فحصر زمرى في مدينة (طرشة) التي كانت قاعدة مملكة بني اسرائيل في عهد ذلك الجليل ولما رأى زمرى انه هالك يدا اعدائه بالضرورة اشعل النار في قصره فحرق نفسه وسائر اهل داره وهكذا صار عمرى ملك بني اسرائيل في مكان زمرى فاقام على كرسى المملكة المذكورة احدى عشرة سنة (من سنة ٩٣٠ الى سنة ٩١٩ ق م) منها ست سنوات بمدينة طرشة المذكورة ثم اشترى جبل سميرية بمبلغ مائة تالان (وهو مقدار وزن معبر من الذهب أو الفضة يختلف بحسب اختلاف البلدان في سالف الزمان) وحدث فيه المدينة المشهورة باسم (سميرية) وخلفه فيها ابنه المسمى باسم (احوب) (بتسهيل الواو أو بالهمز عليها في وسطه) (من سنة ٩١٩ الى سنة ٨٩٦ ق م) فكان شرامن أبيه واقبح من سائر سالفه حيث تروج بانية الملك المسمى باسم (ايبل) (ملك صور المسماة باسم (هازايل) وحدث في قاعدة مملكته هذه عبادة صنم الصور بين المدعو باسم (بل) وبني له فيها معبد المناظرة بيت المقدس الذي هو معبد الله عز وجل

وكان في اثناء تلك المدة قد تولى مملكة يهودا (يهوشافاط) بن آسا وضبطه بفتح الياء المثناة من تحتها وضخم الهاء وسكون الواو وفتح الشين المججمة بعدها الف ثم فاء فالف أخرى بعدها طاء مهملة في آخره) فاقام عايم (من سنة ٩١٥ الى سنة ٨٩١ ق م)

وكان يهوشافاط من أدين ملوك العبرانيين واحسن ولادة أمورا اسرائيليين ابتدى مدة ولايته باصلاح أمر الدين في سائر أهل مملكته وفي أيامه كان النبويون أى احبار اليهود من بنى ليوى بن يعقوب عليه السلام يسافرون من مدينة الى اخرى ويعظون الناس لقصده أن يعبدوا فيه -م العقيدة الدينية الاولى وانتصر يهوشافاط على العموريين والمابين ومنع مملكته من صائلة العرب والفلسطينيين وأعاد لمملكة يهودا ما كانت قد فقدته من البهجة القديمة والصولة العظيمة وعقد محالفة أكيدة وحجة شديدة مع احوئب بن عمري ملك بنى اسرائيل حيث تزوج ابنة الملك المذكور المسماة باسم (عئليا هو) المروقة له من (هازييل) بنت ملك الصوريين بولده المدعو باسم (يهورام) واجتمع مع ملك بنى اسرائيل على تجهيز اسطول عظيم في فرضة آسيون جابر على بحر القلزم لقصدا الانتفاع كالفنيقيين بالتجارة على البحر الاحمر وسواحل غرب افر بركة غير ان هذا المشروع لم ينجح ولعل الفنيقيين هم الذين عطلوه وابطلوه فلم ينجح خشية مزاحمتهم على مواد تجارتهم وفي أيامه كان قد وقع في مملكة بنى اسرائيل حادثة قحط شديدة أخت كثير من الامة العبرانية مدة ثلاث سنوات متوالية ورأى الملك احوئب ان السبب في وقوع هذه الداهية اغماها والنبى ايليا فابعدته الى الصحراء طرده فعاد اليه مرة أخرى لابطال حجة قسس الصنم المسمى باسم (بعل) السالف الذكر وثانية لانذار هذا الملك وزوجته المذكورة اعلاه بما سيوقعه الله سبحانه وتعالى بهما من العقاب في نظير قتلهم الرجل فقير اسمه (نابوت) واستيلائهما على بستان كرم كان له في الواقع ونفس الامر لم يتأخر احوئب السالف الذكر ان أصيب بسهم توجه اليه بالصدقة فقتله في حرب قامت بينه وبين ملك سورية وقام بمملكة بنى اسرائيل من بعده ولده المدعو باسم (اخزيو) (بالفتح وحة) في اوله يليها طاء مه -ملة سا كنة فزاي مججمة مكسورة فباء مئةاة تحتية فواوسا كنة في آخره) (في سنة ٨٩٢ ق م) فلم يملك على سرير المملكة غير نحو سنتين وكان شر من أبيه وامه المذكورين حيث عبد الصنم المدعو باسم (بعل) المذكور واعتراه مرض فبعث يستشير الصنم المسمى باسم (بلزبوت) المعبود بمدينة (اكرن) قال في التوراة مانصه «وكاند لم يكن اله ابني اسرائيل ثم مات وخلفه على مملكة بنى اسرائيل اخوه المسمى باسم (يهورام) (بفتح الياء المثناة التحتية في اوله) (في سنة ٨٩٥ ق م) وكان قد تولى مملكة يهودا الملك المسمى ايضا باسم (يهورام) بن يهوشافاط (في سنة ٨٩١ ق م) وضبطه بفتح الياء المثناة التحتية وضم الهاء وسكون الواو يليها اراء مه -مله فالف فيم في آخره) فقتل سائر اخوته واصدقاء أبيه وأهل دولته وفسدت اخلاقه بدسيسة زوجته (عئليا هو) المذكورة أعلاه فاقبدي بملوك دولة بنى اسرائيل في عبادة الاصنام وهزم القوم الايدوميين وكانوا قد خرجوا عليه -م لكنه لم يملكه ان يدخلهم تحت طاعته بالثاني وهزمه الفلسطينيون

الدرس الثام ٢٠٤ في التاريخ العام

والعرب واخذوا من يده مدينة اورشليم واتهموها وهتكوا حرمتها واستلبوها ثم مات بعد ان اقام على سرير المملكة سبع سنوات (في سنة ٨٨٤) وخلفه عليها ابنه المسمى باسم (اخزياهو) (وضبطه بفتح الهمزة والحاء المهملة وسكون الزاي المجهمة ثم ياء مثناة من تحتها بلميم الف فهاء فواو في آخره) فلم يمكث غير سنة واحدة وقتل في ضمن مقتلة بني اخوب حسبما سيأتي ذكره بعد

وقد علم ملكة بني اسرائيل من بعده اخوه يهورام بن اخوب فقام عليه وخرج عن طاعته كان يدفع له الجزية من ملوك الامم المجاورين لمملكته ويتحاده مع يهوذا فاطم ملك يهوذا واعانة ملك ايدو تمت له الغلبة على ملك المابين واسمه (ميسا) ورجع يدفع له الجزية بالشاني وفي ايامه كانت حادثة القحط الذي اكلت فيه امرأة ولدها وجاع حزبييل ملك صور به فخصره في مدينة سمرية التي هي قاعدة مملكته ثم حصل الجنوده فزع فتركوا الحصار واتخذ يهورام المذكور مع اخزياهو ملك يهوذا على حصار مدينة راموت جلعا لا يسترداها من يد ملك الشام فاصاب يهورام جراح في اثناء هذا الحصار فعاد الى بلاده ليعالج جراحه وفي اثناء ذلك كان قد قام رجل اسمه (ياهو) وتقدس ملكا على بني اسرائيل في وسط المعسكر واقربه سائر المعسكر وخرج يياهو على يهورام فقتله باسم اصابه في قهاه وهو مدبر (في سنة ٨٨٣ ق م) وكذلك قتل اخزياهو ملك يهوذا وذهب الى قصر الملكة هازايل بمدينة اسرائيل فرأى امرأته تهرجة وهي باجل الزينة متبرجة تنظر من شباك فغضب بها بسهم اصاب مقلها فقتلها واسقطها من شباك القصر وامر بها فاندست تحت سنانك الخميل واذا هي هازايل حماة يهورام السالفة الذكر ولما ارادوا دفن المجددوا من جثتها غير بقية رجلها ويديها مع جثمتها وأكلت سائرها الكلاب وبذلك تحقق نبي الانبي ايليا واستنص بالقتل سائر اولاد اخوب وجميع أصحابه وأهل دولته مع قسس الصنم المعروف باسم (بعل) وكل من بقي من ذريته وهدم هيكل الصنم المذكور ومع ذلك فلم يمتد (ياهو) المدكور الى سبيل المولى جل جلاله بل استمر على عبادة الجول المتخذة من الذهب التي كانت بمدينة بيتل ودان وكان غيره هاب عند الملوك الاغراب اذ كان قد حارب حزبييل ملك الشام فهزمه ومنزق جيوشه واخرب سائر بلاد جلعا وادوا بآزان من بلاده ثم مات وخلفه على سرير ملكة بني اسرائيل ولده المدعو باسم (يهو يا حاز) في (سنة ٨٥٥ ق م)

وفي تلك المدة كانت ملكة يهوذا قد استغرقت في سفك الدماء بطغيان المرأة المشهورة باسم (عليها هو) التي هي أرملة الملك يهورام السالفة الذكر وذلك انه بوفاة ولدها المدعو باسم (اخزياهو) المذكور انفا كانت هذه المرأة الطاغية والملكة الباغية قد تنبعت جميع بني داود فانتهم ولم يسلم منهم غير طفل واحد يدعى باسم (بواش) بن اخزيو (وضبطه بضم الياء المثناة

الدرس الثام ٢٠٥ في التاريخ العام

التحية يليها واولها همزة مفتوحة فالف فشن مجمة في آخره) وكانت قد اخفته عنها
مرضعته وهي عمته المسماة باسم (يوشابيت) زوجة الحبر الاعظم المسمى باسم (جودية)
(تشديد الياء المثناة التحية في وسطه) وخبأته في داخل هيكل بيت المقدس منذت سنوات
وكانت عثليها هو المذ كورة قداسات على ملكة يهودا تلك المدة واقامت في مدينة اورشليم
عبادة الاصنام بدلا عن عبادة الله الحقيقي بالعبادة والتعظيم وفي السنة السابعة جمع
الحبر الاعظم في داخل الهيكل المعظم طائفة الليويين وقواد الجنود العبرانيين
واخبرهم بان قد بقي طفل صغير من ولد داود الذين هم اهل الولاية الحقيقية وهو يواش بن
احزبو واخذ عليهم العهد بمبايعته والذب عنه ولما بلغ عثليا هو هذا الخبر اسرعت بالتوجه
اليه لتقتله وتضحي عليه فارسل الحبر الاعظم من ياد بقتلها فماتت ولم تبلغ املها
وانداس جثمتا تحت سنبك الخيل كما وقع اها زانيل التي هي أمها وهرعت الامة الاسرائيلية
الى داخل معبد الصنم المدعو باسم (بعزل) فهدهوا محرابة وعلموا بان لا في قتل وصورته
وقتلوا كاهنه المسمى باسم (ماتان) في ذات المحراب المعدلعبادته (في سنة ٨٧٧ ق م)
وحكم يواش ملك يهودا من غير منازع ولا منغص بارشاد الحبر الاعظم المذ كور آفا
مادام بقيد الحياة فلما طوته الوفاة طغى يواش وبني وتجاوز الحد في القدر حتى قتل ولد الحبر
الاعظم المسمى باسم ركر في ذات دهليز الهيكل المحرم فصاح المقتول وهو يجود بنفسه قائلا
مامعناه «ان الله ينظر الى» وسيدقم لي «نال المؤرخ المردى عنه اعلاله في الواقع
ونفس الامر كان خزيب ملك سورية قد ارع على بيت المقدس واسمولى عليه وذلك كبرا
من الدماء فيه و بعد ذلك بقليل صار يواش محتقرا في عين سائر بني اسرائيل فقتله اثنان
من ارباب دولته (في سنة ٧٣٧ ق م) وكان قد اقام على سرير المملكة الاسرائيلية
مدة أربعين سنة وملك بعده ابنه المدعو باسم (امصياهو) (بفتح الهمزة والميم وسكون
الصاد المهملة يليها مثناة من تحتها فالف فهاء فوا في آخره) وانتصر نصره عظيمة على القوم
الايدوميين وبوادي الملح ثم حارب صاحب ملكة بني اسرائيل المدعو كذلك باسم يواش فهزمه
وازاله عن ملكه وعزله واستولى على مدينة بيت المقدس وضمها الى ملكته ثم استرد امصياهو
سرير ملكه اليه بالثاني لكنه لم يلبث فيه الا قليلا حيث قامت عليه فتنة الجأنة للهروب
الى المدينة المسماة باسم (لاكي) وبها قتل (في سنة ٨٠٨ ق م)

وتقلد ملك يهودا ونده المسمى باسم (عزياهو) (بضم العين المهملة وتشديد الزاي
المجمة يليها مثناة من تحتها فالف فهاء فوا في آخره) واسم ترقلة المذ واحاطها باحكم
التحصين وهزم العمونيين والفلسطينيين ومن ثم داخله الكبر فتعدى على ما هو من حق
صاحب الرياسة الدينية وأراد أن يباشر بنفسه ايقاد المظيم على محراب العطر في القدس

الشريف، فلحقه البرص وضعف أمره في آخر عمره وحبس عن سائر الناس على فخامة قدره بمقتضى شريعة موسى عليه السلام في مكان منعزل عن سائر الأنام قضى فيه باقى حياته وهو في أنكد عيش من الأيام وفي عصره كان النبي اشعيا وكان أكثر تبشيره بقرب ميلاد المسيح عليه السلام وتغلب عليه ولده المدعو باسم (يوش) بياع مشنأه من تحتها مضومة وواو ساكنه وثناء مثله مفتوحة يا همام في آخره) ونقل بمملكة يهودا من بعده (في سنة ٧٥٦ ق م) فكانت أيامه ببعض مكان من السعد ثم اعترى ما دة السلم الاختلال في آخر عهده بغارات الملك راصين ملك دمشق الشام وازداد على بلاد يهودا منه أشد الأهوال مدة خلفه المدعو باسم (آحاز) (بهمزة مدودة فاعمهملة فالف فزاي مجمعة في آخره) (من سنة ٧٤١ الى سنة ٧٢٦ ق م) وكان آحاز هذا قد انهمك على جميع أنواع الاوهام التي توجد عند الامم الاجانب فيما يتعلق بعبادة الاصنام حتى صار يذبح لها القرابين البشرية ويوقدها أنواع العنقاير العظرية في الاماكن العلية وينذر ابنه لخدمتها بامراه في وسط النار وترتب على اهمال دين الملة الاسرائيلية أشد المصائب حيث انضم راصين ملك دمشق المذكور أعلاه الى ملك بني اسرائيل المسمى (فاحح) واجتمع على حصار القدس حتى اضطر آحاز على ان يطلب الامداد من ملك العراق المسمى باسم (تجلات فلصر) فلم يتأخر ان قام بجيشه وحضر الى دمشق واستولى عليها وقتل راصين وبذلك نجا آحاز ملك يهودا من هذه الداهية غير انه وقع في أدهى منها حيث لم يمكنه أن يصرف غائلة خليفه هذاعن بلاد الايبه نذ نفائس أموال الحرم المقدس اليه وجعل نفسه تابعه وعلوة عليه امكن خلفه ولده المسمى باسم (حزيا) وكان رجلا صالحا وبطلا مظفرا ناجحا فاعاد الى مملكة يهودا بحجتها القديمة مدة من الزمن غير عظيمة (من سنة ٧٢٧ الى سنة ٦٩٧ ق م)

وفي مدة تعاقب الملوك المذكورين على سرير المملكة بمدينة القدس كانت مملكة بني اسرائيل بمدينة سمريه قد سقطت في حالة تمام الانحطاط والنحس فكان (يهو يا حاز) قد خلف عليها أباه (ياهو) ومكث على سرير الملك مدة سبع عشرة سنة فيها (من سنة ٨٥٥ الى سنة ٨٣٧ ق م) وفي جميع تلك المدة كانت مملكة بني اسرائيل مستغرقة في بحر التخريب والفساد بغارة (خزيل) ملك الشام وابنه (بينداد) ثم جاء بعد (يهو يا حاز) ابنه (يواش) (من سنة ٨٣٩ الى سنة ٨٢٣ ق م) فكان أسعد من أبيه حيث حارب (بينداد) ملك الشام المذكور وظفر به ثلاث مرات واسترد ما كان قد اغتصبه على أبيه من البلاد والجهات وحارب كذلك (امصياهو) ملك يهودا وظفر به وانتصر عليه وحصره بمدينة القدس ودخلها من خرق اخترقه في سورها واستولى على سائر الذهب والفضة وأواني

الحرم المقدس واخذها معه الى سمرية ثم توفي وترك كرسى مملكة بني اسرائيل الى ولده المدعو باسم (يربعم) الثاني (من سنة ٨٢٣ الى سنة ٧٧١ ق م) فاعاد الى المملكة المذكورة حدودها التي كانت لها في سالف الزمان من عند مدينة حص وسفح جبال لبنان الى بحر البحر وهو بحيرة لوط عليه السلام واسترد مدينتي حص ودمشق الى حوزة يده بالشأى غير ان هذه الفتوحات البهية كانت آخر نجاح تحصل عليه ملوك سمرية فان من خلف يربعم الثاني هذا من ملوك بني اسرائيل كانوا قد اذوقوا مملكتهم في أشد الوال والعداب وجهزوا دولتهم للوقوع في أجدال الدمار والخراب قال في التوراة ما لم يحصله وقد كان رجال مملكة بني اسرائيل من مدة مديدة وأيام عديدة قد وقعوا في بحر ظلمات انتباهك حرمان الله الذي أنقذهم من ديار مصر وصاروا يخدعون عبادة الاصنام التي كانت متحكمة عند الامم الاجانب في ذلك العصر ويعلمون بعوائد الامم المجرمين والاقوام الجبارين الذين اخذهم الله سبحانه وتعالى بذنوبهم وزرعوا الاشجار الحبيثة على جميع الاراضي المرتفعة ووصعوا الاوثان على سائر الاشجار ذات الاغصان وصاروا يوقدون انواع الطيب على محاربيها ويعبدون كواكب السماء ويعبدون الصنم المدعو باسم (بعل) ويقدفون آبناءهم ويناتهم في النيران ويعتقدون اخبار السحرة والكهان وانهم كانوا بالجملة والتفصيل على جميع انواع القبائل التي توجب غضب المولى جل جلاله وكان سائر الامم الجاهلية منهمكين عليها في ذلك العصر من هذا القبيل ولم ينفع فيهم ارسال الرسل المبعوثين اليهم حيث لم يصغ لتصحيحهم أحدهم من بني اسرائيل وظهرت علامات انحطاط دولتهم خصوصاً من بعده وفاة (يربعم) الثاني حيث تقلد بولايته من بعده ولده المدعو باسم (زكريا) فلم يكثر على سريره مملكتهم غير ستة شهور (في سنة ٧٧١ ق م) ثم قتله المدعو باسم (شالوم) وأقام على سريره ملكهم في مكانه مدة شهر واحد ثم أتاه من مدينة طرشة الى سمرية الرجل المدعو باسم (مناعم) فاغار عليه وقتله وصعد على سرير الملك بدله (في سنة ٧٧٠ ق م) وكان ملك العراق المدعو باسم (فول) قد جاءهم وبغارته عليهم فجأهم فلم يخلص مناعم المذكور مما كاد أن يصيبه من الخراب التام الابان بذل له مبلغ ألف تالان (من انواع السكة التي كانوا يتعاملون بها في ذلك الزمان) وجاء من بعده ولده المدعو باسم (بقعيو) وضبطه بياض موحدة في أوله ففاف مئة الف فحاه مهملة فيأ مئة الف من تحتها واولا عليها هزة في آخره) فلم يكثر على سريره مملكة بني اسرائيل غير زمن قليل نحو سنتين ثم خرج عليه أحد قواد عسكره المدعو باسم (فابع) (بقاض موحدة في أوله بلها ألف ففاف مئة الف فحاه مهملة في آخره) واستولى عليه في سمرية وقتله وتغلب على سريره الملك بدلا عنه (في سنة ٧٥٢ ق م) وفي أيامه كان قد عاد الى بلاد الاسرائيليين تجلات فاهم ملك الاسوريين وتغلب على بلاد جلعاد وجليلة وجميع الجهات المملوكة لسيط نفقالي

من تلك البلاد واخر بها ونقل سكانها من العبرانيين الى بلاد العراق فتم بذلك سقوط فاقع من اعلى مملكة وصال عليه المدعو باسم (هوشاع) وكان من أنبياء بني اسرائيل وهو آخر ملوك سمريه فقطعه واقام على سرير الملك في سفيير وهو يدفع الجزية الى سمنصر ملك العراق وأراد أن يخرج عن هذا العار فاستعان بفرعون مصر المتولى في ذلك العصر على تلك الديار ولما بلغ سمنصر هذا الخبر عاد الى بلاد بني اسرائيل بالهكر فوضع هوشاع في سلاسل من الحديد واخذ بهجالة الاسر واستولى على سمريه ونقل سكانها الى بلاد العراق بمدينة هالة والخابور من بلاد الميسدين الكائنة على القرب من النهر المسمى في ذلك الزمان باسم (غوران) (في سنة ٧٢١ ق م)

وهاجر أناس من اهل بابل وغوطة واواه وحص وسيفاروايم وقوطنو ايمدينة سمريه بعد خلوها من العبرانيين وطلوا بعد ذلك قلبل من سمنصر ان يبعث اليهم حبراً من احنبار اليهود المأسورين ليعلمهم اوردن هذه البلاد ثم تغلبت على عقولهم وأوهاهم الاصلية ورواياتهم المليية فلم يمسكوا بصافي دين اليهودية بل خالطوا دينهم بعض عقائد اجنبية من اديان الصابئين وكان ذلك هو اصل منشأ طائفة المعتزلة الذين المرسوين المعروفين بالسمرة أو السامريين وهم نسل هؤلاء الاقوام النازلين الى بلاد اسرائيليين باختلاطهم مع من بقى في تلك البلاد من القوم اليهود الاصليين

الفصل الخامس

في تاريخ مملكة يهودا من بعد انقراض مملكة الاسرائيلين لغاية خراب بيت المقدس على يد مجتصر ملك السورين

مطلب — ذكر ملوك دولة يهودا بعد انفرادهم بالملك (أعني في المدة من سنة ٧٢١ لغاية سنة ٥٨٢ ق م)

قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه أعلاه ما ملخص معناه وفي مدة انحطاط دولة بني اسرائيل وانقراضها بالكلية في مدينة سمريه كانت دولة يهودا بالقدس قد علا أمرها وارتفع قدرها بمدة تلك (حزباً) عليها (من سنة ٧٢٦ الى سنة ٦٩٧ ق م) وضيطة به كسر الحاء المهملة وسكون الراء المججمة يابها في مئة مئة فباء مئة تحتية بعدها الف في آخره) وكان من الاتقياء البكر والاولياء النظام فاذلك ابتدئ مدة حكمه بجهاد الاوثان فكسر الاصنام وقطع الاشجار الخبيثة وعزق الشعبان المتخذ من النحاس الذي كان يعبدونه بنو اسرائيل

اسرائيل في تلك الاعصار وفي ايامه عاد الى الامه الاسرائيلية الى قوتها الاصلية بواسطة عودها الى عقائدها الاهلية وتمسكها بديانتهم الملية ومن ثم نجح حزقيا في جميع مشروعاته وظهر باعدائه من الاقوام الصغيرين الذين كانوا ملوكهم كتمه محاورين في سائر غزواته فهزم الفلسطينيين واخرب جميع بلادهم الى حد غزة وكان مع ذلك يدفع الجزية الى ملك الاسوريين مثل ابيه فلما امتنع من ادائها اليه في السنة الرابعة عشرة من مدة حكمه اغار عليه الملك المسمى باسم (سنحاريب) ملك العراق واستولى على حصون مملكة يهودا واضطر حزقيا للخلاص منه بان يذله جميع اموال الحرم المقدس ثم اراد ان يستعين بفرعون مصر عليه فعاذ ملك العراق المذكور بالحرب اليه وكان النبي اشعيا قد انبأ بان بنى اسرائيل يكون شر سنحاريب من غير قتال ولا تخريب فصدق الله جل جلاله قول نبيه وارسل جبريل على جيش الاسوريين وكانوا للقدس محاصرين وذلك ان سنحاريب بعد ان غزا ديار مصر فلم ينجح في غزوته كانت قد وجهه سائر قوته لمحاربة العبرانيين وحصرهم في بيت المقدس وضيق عليهم غاية التضيق فارسل الله سبحانه وتعالى على جنوده رسوله فاهلك منهم ١٨٥٠٠٠ رجل وفر سنحاريب من هذا الامر الهائل وجرع من ذلك الهول الهائل فرفع عنهم الحصار وبادر الى بلاده بالفرار (في سنة ٧١٣ ق م) وتولى بعده حزقيا ولده المسمى باسم (منشا) (بنح الميم والنون الموحدة وتشديد الشين الموحدة بعدها الف في آخره) فاقام على سري مملكة يهودا مدة مديدة وسنوات عديدة اعني خمسا وخمسين سنة (من سنة ٦٩٧ الى سنة ٦٤٢ ق م) وكان من افسق ملوك اليهود فلم يقتد بسيرة ابيه ولم يهتد لطريق التوحيد بل اظهر غاية الكفر والعصيان واشتهر بالفسق والطغيان واعاد بدعة الاماكن المرتفعة واقام المحارب للهنم المعروف باسم (بعل) وغرس الغابات العظيمة من الاشجار الذمية وعبد كواكب السماء وكان ابوه قد احترم الانبياء فانتهك هو حرمتهم ومثل بهم وسفك دماهم وقتلهم واسال اموالهم والدم في بيت المقدس المعظم ولذلك كان قدجاه ملك العراق المدعو باسم (اسارادون) فحسم مادة طغيانه وقطع شدة كفره وعصيانه واغار على مملكته واخذها سيرا الى مقر دولته ثم عفا عنه واعادها الى كرسى ولايته حتى تقلد مملكة بلاد الاسورية ملك آخر فارادان يقطع دابر صورة الاستبداد الظاهرية التي كانت قد آلت اليها مملكة يهودا في تلك الحقبة العصرية ويزيلها بالكلية فارسل صهره المدعو باسم (هولو فورت) قائدا لجنود كثيرة ووضع الحصار على مدينة (بتوليا) من بلاد العبرانيين وكانت قد كادت هذه المدينة ان تسلم مقاليدها اليه واذا باصره ارملة تدعى باسم (نوديت) تزينت باجمل الزينة وخرجت عليه واجتمعت به في خيمته وكان قد اتخذ وائمة عظيمة وشر بالخمر حتى سكر في ليلته وغلبه النعاس فنام نوما ثقيل فقطعت

رأسه وجأت به الى المدينة ليلساقتيلا وأصبح جندا لاعداء فلم يجدوا قائدهم وفقدوا رئيسهم فتنفرق شملهم وتنزق جمعهم كاهم وفروا هارين وبواسطة مكيدة هذه المرأة الشهيرة نجحت المدينة المذكورة وبقيت مملكة يهودا بحالة السلم لغاية مدة انتهائهم ملك مشا حتى خلفه ابنه المدعو باسم (أمون) (بدا الهزرة في أوله) من (سنة ٦٤٣ الى سنة ٦٤٠ ق م) فلم يتبع أباه الا في فسقة وعدم تقواه وقتل في السنة الثانية من مدة حكمه وخلفه ابنه المدعو باسم (يوشيا) (بضم الياء المتناة من تحتها ياءا وواسا كنة ثمشين معجمة مكسورة فياه مئناة تحتية مشددة بعدها ألف في آخره) من سنة ٦٤٠ الى سنة ٦٠٩ ق م) وكان يوشيا هذا من المهتمين لطريق المولى جل جلاله وذلك أن الخبر الاعظم كان في ايامه قد عثر في بعض اماكن الحرم على الواح شريعة موسى فأطلعهم عليها فنزق ثيابه جزا وقطعها قطع اسفا وقرعا أكون الامة كانت في ذلك العصر لم تعمل بشئ مطلقا من احكامها وهرع الى الحرم الشريف معجوا باجمعهم احبار اليهود واوليائهم وسائر آحاد الملة الاسرائيلية بكاهنهم وصغارهم ورجالهم ونسائهم وعقد منهم مجلسا كاملا وموكبا شاملا وقرأ عليهم كتاب الشريعة الموسوية لفصدا عادت لهم بالعمل باصول الديانة الاصلية وجددهم بني اسرائيل القديم مع المولى الكريم وحلف واستخلف سائر بني اسرائيل على ان لا يجيدوا عن هذا الطريق المستقيم ثم حرق الاصنام وقتل العيافين عن آخرهم واستأصلهم عن ديارهم وانتبهت للناس كل العلية ونظف دين الاسرائيليين من جميع الدناسات التي كانت قد دخلت منه من اديان الامم الاجنبيين قال في التوراة وذلك وعلى وجه بحيث لم يلبث بني اسرائيل من قبله ملك توجه كمثلهم بجماع قلبه وروحه وسائر قوته في طريق المولى الجليل (هـ)

ومع ذلك كله فقد كان حال دولة بني اسرائيل الصغيرة بين كل من الدولتين الكبيرتين (وهما دولة مصر ودولة العراق الشهيرتين) ذوات الفتوحات العديدة قد آل لان صار في كل يوم يزاد ضيقا ولذلك تحالف يوشيا هذا مع الملك نبحارس فرعون مصر وتوجه كل منهما لمحاربة لقتال ملك العراق فوقع بين ملك يهودا وبينه بمدينة مجدلا (في سنة ٦٠٩ ق م) تلاقا انهزم فيه يوشيا وقتل ورجع خدمه بجثته الى مدينة اورشليم وتقلد بالملك من بعده بدلا عنه وولده المسمى باسم (يهوياحاز) فجأ يهاجوس السالف الذكر واخذته اسير الى مصر فمكت بها حتى مات وكان ملك العراق قد اقام في مكانه على سر بر مملكة يهودا (يهوياقيم) (بفتح الياء المتناة تحتية في اوله وضم الهاء بعدها وواسا كنة متبوعة بقاف مئناة ياءا مئناة تحتية في آخره) وفي ايامه كان النبي ارميا (بفتح الهمزة في اوله بعدها راء مهملة فيم فياه مئناة تحتية قالف في آخره) فنشر مراثيه المشهورة للقدس الشريف حيث اخبر فيها بل تأليف عال منيف بما يصيب

بيت المقدس في المستقبل من المصائب الشديدة والنوائب العديدة وبكى تلك المصائب
 بغاية الأسف والتأفّف فلم يقابل يهوياقيم هذه الاخبار النبوية والانذار الاكهيّة الابان
 اجرى على النبي المذكور العذاب الاليم ومسع ذلك فقد تخفق بناؤه وتصدق خبره فكان
 فرعون مصر ونجّاه ووس قد استولى على جميع البلاد الكائنة على غربى الفرات ووصل الى
 مدينة قريشة وهى مدينة من بلاد الجزيرة كانت موضوعة على شاطئ الفرات ولها تحكم
 على العبور عليه وهى مدخل بلاد الجزيرة المذكورة (وتسمى الان باسم قير بيزيا) وكان
 بختنصر قد اثر كره ابوه معه فى سريره ملكة بابل وعهد اليه بالملك من بعده فسار بقود جنوده
 عليه وحاربه وغلبه وبقيت ملكة يهود الاتحاد من يدفع عنها فاسلمت امرها اليه ودخلت تحت
 طاعته وجاء بختنصر الى القدس واستولى عليه واستلب سائر خزائن دار الملك وجميع الاواني
 المقدسة التى كانت بداخل الهيكل واخذ معه الى بابل ذات يهوياقيم اسيرامع عشرة الاف رجل
 اسرى من بنى اسرائيل وكان ذلك هو اول الاستعباد الكبير ومبدأ الرق الشهير الذى مكث
 فيه بنو اسرائيل سبعين سنة وكان بختنصر قد اطلقه من الاسر فعاد الى بلاده بالنانى واراد ان
 يستعين بالمصريين على البابليين فعاد الاسوريون الى ملكة يهودا بالنانى وحاربوه فقتلوه وانتص
 على سرير الملك يد لا عنه ولده المسمى باسم (بختنيم) (بياء منناه فتحية مفتوحة وخاء معجمة مفتوحة
 ايضا يلهافون موحدة ساكنة ثم ياء منناه فتحية مضعومة بعدها واو فى آخره) فلم يبق غير ثلاثة
 شهور وخلفه عنه المسمى باسم (صدقيا) واستعان ايضا بفرعون مصر فخرج عن طاعة بختنصر
 فحضر بختنصر بنفسه اليه واستولى على القدس بالعموة والقهر واستلمه واخره وخر به وهذه
 هى الغزوة الثالثة للاسوريين ببلاد فلسطين فى (سنة ٥٨٧ ق م) وفر صدقياها را الى البادية
 فلحقته فرقة من جنود البابليين وقبضوا عليه فى سهل نابلس واحضره لبحثنصر فامر بذيبح
 ابنائه وسمل عينيّه واخذهم اسيرامقيدا فى سلاسل من الحديد الى بابل العراق وهو آخر ملوك
 ملكة بنى اسرائيل الاولى بالاتفاق وساق اليها قائد عسكري العراقيين المدعو باسم (نبوزراذون)
 سائر الاهل الى العبرانيين ولم يبق يلاذ بنى اسرائيل غير نفر قليل من فقراء الفلاحين لقصد
 زراعة الاراضى فقط فولى عليهم بختنصر من طرفه عاملا يسمى باسم (جودولياس) من
 اعيان بنى اسرائيل فلم يمكث فى دست ولايته غير سبعة شهور وثار عليه رجل يدعى باسم
 اسماعيل من نسل ملوك ملكة يهودا فقتله وابطل عمله ومن خاف جبر بختنصر من اليهود
 فرهار بالى ديار مصر فاستنصر ايضا الى تلك الديار ووقع بها الخراب والدمار وشمل جبره
 من كان فيها من اليهود فاخذهم اسرى الى بلاده وبذلك زالت ايضا ملكة يهودا واندرجت
 فى خبر كان بعد ان مكث مدة ٣٨٩ سنة عن الزمان من عهد ملك رحبعم من سليمان

الفصل السادس

في تاريخ ارض فلسطين من بعد تخريب بيت المقدس على يد بختنصر وهي مدة الاسر الاكبر

مطلب — ذكر النبي دانيال وما كان عليه بنو اسرائيل بعد مدة الاسر الاكبر من الاحوال (من سنة ٥٨٨ الى سنة ٥٣٦ ق م) قال المؤرخ جيلمان السالف الذكر والبيانات اعلام ما تعريبه ادناه ولما تغلب على بلاد فلسطين بختنصر (وذلك التغلب هو المعبر عنه في كتب اليهود بالاسر الاكبر) تشتت الملة اليهودية في سائر الاقاليم التابعة للسلطنة الاسورية اى العراقية وصارت لا وطن لها ولا هيكل ولا معبد لها ولا محراب حيث آل بيت المقدس يجبر بختنصر الى غاية الخراب ومع ذلك فلم تزل تلك الامة المأسورة لها في الدنيا صورة وجود مذكورة وذلك ان بختنصر كان قد عاملها باصول المروءة الانسانية فتركها تعمل بعوائدها الاهلية ورخص للعبرانيين ان يشتروا املاكاً كارضية وان يكون لهم منهم قضاة خصوصية بل ترفى جماعة من اليهود في دولته الى بعض المناصب العلية منهم النبي دانيال وهو من نسل داود عليه السلام وكان قد فاق في العلوم والحكمة على سائر احبار المجوس والكهنة الموجودين في المملكة حتى صار عند ملك بابل في اعلى منزلة التكريم والاحترام واعتمد عليه الاعمال التام وكان من دلائل حكمته العجيبة ومعجزاته الغريبة وهو حديث السن قصة براءة امرأة من بني اسرائيل تسمى بامم (سوسان) وهى امرأة يهوياقيم وكانت قد صحبت زوجها في الاسر بمدينة بابل فنجأها رجلان عبرانيان وهى في الحمام واراد ان يعلماها الفاحشة فابت ذلك فاتهم ماها بالزنا فظهر الله برآئهم اعلى يد النبي دانيال عليه السلام وبعد ذلك بقليل كان بختنصر قد رأى في المنام رؤيا مفزعة وهى كأن صغار أسه من ذهب وصدره وذراعه من فضة وبطنه وفخذه من نحاس وساقاه من حديد وقدماه من طفل وقد طرقة حجر فانه فصل من الجبل فاقلاه الى الارض وطلب بختنصر من يأول له هذه الرؤيا المزعجة من كهنة مملكتهم فلم يجد من يفسر له الغير النبي دانيال فاحضره عنده فاولها وقال ان ذلك انما هو مثال سرعة زوال الدول العظيمة القائمة ببلاد آسية اذهى وان كانت بهجة الرأس لكنها واهية الاساس فاعجب الملك هذا التأمول وغمر بالانعام نبى بنى اسرائيل وجعله فوق جميع ارباب المناصب العلية من اهل دولته في سائر مملكته

ثم شرع النبي دانيال بعد ذلك في ان يأتي من الاخبار بالغيب بالنحس الانذار فمن ذلك ما ذكر في توارىخ اليهود من ان ملك بابل المسمى بامم (بلتازار) من بتي بختنصر كان ذات يوم على حسب عادته قد دعا ككف على تعاطى جميع انواع الفواحش وجلس يشرب الخمر في الاواني المقدسة التي كان قد انتهمها بجهنم بختنصر من هيكل بيت المقدس واذا بيد من نارسطرت

على الحائض وفاعرية وكلمات بجمهورية المعنى بجمهورية فزع لها الملك وخرج فندكر النبي دانيال واحضره وطلب منه ان يعرفه معنى هذه الكلمات الثلاث وهي (ماني تيسيل فارس) فقال له ان معناها الحكم بزوال الدولة الكلدانية البابلية وفي الواقع ونفس الامر كان في ذات تلك اليلة قد حضر ملك فارس المشهور باسم (كيرش اقيروس) ودخل مدينة بابل من مجرى نهر الفرات واستولى عليها ومن ذلك الوقت صارت ملكة العراق اودولة الاسوريين ومن جملتها بلاد فلسطين التي هي بلاد العبرانيين تحت يد دولة القوم الفارسيين (في سنة ٥٣٦ ق م) انتهى الى هنا معر باع بعض تصرف واختصار من كتاب التاريخ القديم للمؤرخ جيلمان واكثر ضبط الاسماء الاعلام من تاريخ ابى الفدا عليه بحائب ارجحة والرضوان

تتمة

تتضمن بعض ايضا حات مفيدة وزيادات سديدة فيما يتعلق بتاريخ العبرانيين (معرفة من مختصر تاريخ القوم اليهود للمؤرخ قرنيس لونورمان) وهي تشمل على أربع مسائل

المسألة الاولى

مطلب — ذكر الطريق التي سلكها موسى عند خروجه ببني اسرائيل من مصر الى بلاد الشام وما قيل في مقدار عددهم وذكر امن والسري الذين انزلها الله عليهم وغير ذلك من الفوائد المتعلقة بتاريخهم — قال المؤرخ فرانيس لونورمان في مختصر تاريخ القوم اليهود السالف الذكر والبيان وانما عدل موسى عليه السلام في سفر خروجه ببني اسرائيل من ديار مصر الى الشام بانسير نحو بحر القلزم ورأس جبل الطور لغرض صحيح تام كان قد تفكره وتدبر سديد كان من قبل قد دبره والافقد كان اقصر طريق واقرب به للسفر من ديار مصر الى أرض كنعان ان يتوجه بهم الى جهة الشمال ويسير معهم على سواحل البحر الابيض المتوسط ويبلغهم الى غزة مارا بالقلعة المسماة في ذلك العصر من ديار مصر باسم (دينوكور وره) (وهي قلعة العريش) والباعث له على عدوله عن هذه الطريق الاخيرة هو انها كانت على سائر خط مرورها وجميع محطات عبورها محصنة بقلاع مشيدة وحصون هائلة سديدة من اعمال الفراعنة السابقين وفيها باطات مستعدة عديدة من الجنود المصريين قد كانت لربما تعطل سير العبرانيين وكانت جنود فرعون الذين كانوا هم معتبعين يسير عليهم ان يلحقوهم في هذه الطريق حيث كان المصريون متعديين على السير فيها في غزواتهم لبلاد آسية الغربية ولوسلك بنو اسرائيل هذه الطريق لكانوا من غير شك ملقوهم ومزقوا شملهم ومحقة قوتهم على انه فضلا عن ذلك قد كان من أعظم سوء التدبير ان

يستعجل موسى بتعريض قومه من بعد خروجه من ديار مصر على الفور مباشرة للحرب بهم مع
 الاقوام الحربيين من الكنعانيين والحال ان القوم العبرانيين كانوا قد انحطت همهم
 وضعفت عزائمهم لطول مكثهم في ربة الاسر بديار مصر ولم يكن لهم عادة باستعمال
 الاسلحة ولا بالاجابة للنهوض بما فيه المصلحة ولو كان قد اتهم معهم القتال لكان ما أسرع
 ما يهرع لاعانة الاقوام الكنعانيين جنود فرعون المصريون اذ كان الاقوام الكنعانيون
 تحت طاعته وكانوا داخلين في ذلك العصر بدائرة سلطنته وفضلا عن ذلك أيضا كان القوم
 العبرانيون قبل ان يتملكوا الارض الموعودة ويتكاثروا في صورة أمة مستقلة وديانة
 ناصرة ولا يهتمون مستبدة محتاجين حاجة مطلقة لان يروا نوع تجربة لقصصا مخائهم ويعبروا
 بتدربة لاصلاح شأنهم ويكثروا مادة في الصحرا بجملة الاعتزال عن الاقوام الجاهلية والاعم
 عبادة الاصنام الذين ظالموا مكشوا بين اظهريهم فلم ابعادهم خصوصاً عن فساد المدن مددة من
 الزمن حتى يستعدوا لما أعد لهم الله من الكرامة وعلو الشأن ولم يكن ثم سبيل آخر لاصلاح
 حالهم وانجاح استقباليهم وارجاعهم للتصديق بعقيدة آباؤهم اذ كان قد اعترأها الفساد
 بطول المكث في الاستبعاد ولقد كان هذا المشروع في الجملة عظيم الموانع جسم القواطع
 فلم يكن ثم وسيلة للحصول عليه غير العناية الاطوية المستمرة فلذلك كان الله سبحانه وتعالى
 هو المعين لهم بذاته والمتولى لامرهم بقوته وقد كان عددهم حسب ما ذكر في التوراة ستمائة
 الف من الرجال غير النساء والاطفال فساروا تحت قيادة موسى عليه السلام وكان سيرهم
 بالضرورة سيراً بطيئاً فلم يصلوا الى سواحل البحر الا بعد ثلاثة ايام في طريق يصعب الان
 تعيينها وتعيين المنازل التي نزلا عليها منها على وجه الضبط والاحكام ولم تكن قافلهم مركبة
 من مجرد العبرانيين دون غيرهم بل ذكر في التوراة انه كان قد صحبهم جموع كثيرة من
 الاقوام الاهليين الاصليين ومقادير كبيرة من المواشي والاعنام وعلى هذه الهيئة الاجتماعية
 ساروا في صحراء لا يكاد يجد فيها الخبوع العرب ماء ولا مراعى من الارض الاشياء قليلة لا توجد
 على مسافات متباعدة بعضها عن بعض ولذلك كان الله سبحانه وتعالى من اول ايام سفرهم
 قد ادلى لهم معجزة لموسى عليه السلام المياه المرة ثم لما وصلوا الى كورة راقيديم المجاورة لجبل
 حريب كان الله قد ارسل لهم مقادير كثيرة من السلوى وهو الطير المعروف بالسماني فاكوا منه
 حتى شبعوا وضرب موسى بعصاه الصخر بالوادي المعروف الآن بوادي المقطب فانفجر ماء شربوا
 منه حتى ارتووا واجرى الله على يديه موسى ايضا هذه المعجزة ثانياً مرة لانقاذ قومه من موت
 كادي لحقهم وهلاك كادي عقمهم وفي هذه المرة ايضا كان قد اخذ في انزال عليهم المن الذي مكثوا
 يتقوتون منه مدة الاربعين سنة التي اقاموها في البادية جزاء لهم على كفرهم قال في التوراة
 وقد هو كان المن ينزل عليهم في كل صباح في معسكرهم فيلتقط منه كل واحد منهم على وجه السرعة

ما يلزم له في يومه حسب اذا كان متى حمت عليه اشعة الشمس اذا بنى واذا بنى الى غمد فسد الا في صبيحة امس يوم السبت حيث كانوا يلتقطون منه قوت يومين بدون ان يعتريه الفساد حتى يتيسر لهم العمل بالراحة المعدة فيه لعبادة المولى جل جلاله (هـ)

ولما وصل بنو اسرائيل الى وادي رافيديم اغار عليهم العماليق وهم قوم من اقدم قبائل العرب الجاهليين ومن اقوامهم شوكة فنصرهم الله عليهم حيث زحفوا عليهم وقتلهم والتفوا معهم ونازلهم ثم تحت قيادة يوشع عليه السلام الذي سيفتح بهم الارض الموعودة لهم وهي بلاد الشام ومكث بنو اسرائيل في البيداء ثلاثة شهور منذ خروجه من ديار مصر حتى وصلوا الى سفح جبل سيناء اوجبل الطور وهناك أنزل الله على موسى شريعته وأرسل اليه رسالته وأخبره بذلك بواسطة صوت الرعد وضوء البرق وماخيم من السحب والدخان على الجبل المذكور فاعلن أولالامة العبرانية بما يجب على المكلف من الواجبات الاصلية لله سبحانه وتعالى وما يجب عليه لجارته ولنفسه وذلك هو ما يعرف عند اليهود بالاوامر العشرة السالفة الذكر وضم لذلك أحكاما أخرى تفصيلية تكونت من مجموعها الشريعة الموسوية ووعده بنو اسرائيل بالعمل بهذه الشريعة الالهية ثم عاد موسى عليه السلام الى جبل الطور واختفى عن الابصار حيث أحاط به السحاب وبقي فيها أربعين يوما بليا لها يتلقى الوحي لبيان ما يفرض اجزاه من كيفية العبادة الظاهرية وامتحان الامة العبرانية بهذه المحنة الاولى وكان بنو اسرائيل لم يزالوا بعد اقواما جلافا متوحشين وأناس جفاة متلونين فلم يصبروا على هذه المحنة السهلة أعنى الايمان بالاوامر الالهية العلية التي سيكون عليها مدار كينونتهم الملية وأساس ترتيباتهم الدولية وما كان منهم الا انهم بدعة غياب موسى عليه السلام عنهم في هذه المدة القصيرة افتتنوا فتنة كبيرة ونسوا عظمة الله سبحانه وتعالى الذي انقذهم من ربة الاسر بديار مصر وخافوا ما عاهدوا الله عليه من العمل بشريعته وتعام الانقياد اليه وقالوا لهارون اتخذ لنا آلهة تسبقنا الى حيث نذهب ففعل لهم مجحلام من ذهب على مثال الجمل المدعو باسم (ايسس) المعبود في ديانة المصريين ولما شاهدوا العبرانيون صاحبوا فائزين وباني اسرائيل هذه آلهتهم التي أخرجتهم من مصر ورفع هارون لهذا الصنم الحقير محررا با وقرب له القرابين وعاد موسى اليهم فغضب عليهم ثم اتهم الى الله سبحانه وتعالى أن يغفر لهم ويتوب عليهم وغلب عليه الغضب فضرب الارض بالواح الاجار التي كتب الله فيها بيده شريعته فانكسرت وألقى الصنم في النار وبعث بنى لىوى في بنى اسرائيل ليزج من بقى على الاصرار على الكفر من هؤلاء القوم الكفار ثم تحت اجحار آخر وكتب فيها الاوامر العشرة بامر الله الواحد القهار (هـ)

المسألة الثانية

مطلب — شرح قبة العهد والمظلة وأول تأسيس هيسكل أو عبد الله تعالى في بني إسرائيل على هيئة منتقلة (معربا كذلك من مختصر تاريخ القوم اليهودي للثور فرانسيس لوفورمان السالف الذكر والبيان) قال الماورخ المذكور وبعدها أعلن موسى عليه السلام لبني إسرائيل بشر ببعثته في جبل الطور ثم عفي أن يضع لهم كيفية عبادة الله سبحانه الظاهرية وأصول مناسكهم المرتبة إذ كان من الزم اللزوم المبادة بهذا الأمر المهم لأجل تثبيتهم على عقيدة التوحيد حيث كانوا وما يجبون الاحتفالات الظاهرية ويميلون أشد الميل لداعي تعلقهم بالموكب المراتية للرجوع إلى الوقوع في عبادة الأصنام فأخبر أولا أخاه هارون ومشايخ قبائل بني إسرائيل بما أوحي الله إليه من هذا القميل ثم نشره في سائر الأمة وأطلعهم على صورة هيكل منتقل يجب اتخاذها من الآن فصاعدا لاشتهار عبادة الله في جميع الملة ونصب هارون وبنيه الأربعة بوظيفة خدمة لهذه العبادة المرتفعة وخص جميع بني ليوى بأعبائهم على أداء مقتضى وظيفة مكافأة لهم على ما حصل منهم من بذل الجهد في توثيق ما يجب لله سبحانه من حق التوحيد وطلب موسى عليه السلام من مكارم بني إسرائيل أن يبذلوا من أموالهم ما يلزم لعمل ما جرت العادة عندهم بأن يعبر عنه بامعناو قبة العهد والمظلة وهي عبارة عن خيمة اتخذوها هيكلًا منتقلة إلى حيث انتقلوا ومعبداً متحلا معهم إلى أين ارتحلوا ليعبدوا فيه المولى جل وعلا فبادروا بأحضار مقدار كثير من المواد والمعادن النفيسة والجواهر الثمينة وأقاموه وزخرفوه بها ورفعوا فيه المحاريب وجمعوا فيه الأواني المقدسة واشتغل بالعمل فيه عمال كثير ون تحت إدارة رجلين من أرباب الفن والانتان منهم يدعى أحدهما باسم (بيساليل) من سبط يهودا والثاني (أويالاب) من سبط دان وأسرعوا في إنشائه حتى تم عمل بنائه وأمكن تركيبه وإيقافه لله سبحانه في السنة الثانية من عهد خروجهم من ديار مصر وكانت تلك الخيمة شبيهة بالخيام ذات الروق والرفاية التي كان يتخذها ليمتاز بها مشايخ عرب البادية في ذلك العصر غير أنها كانت من داخلها مطبقة بخشبية من كبة من ألواح من الخشب مكسوة بطنافس ملونة تزداد بهامتان وهى على شكل مربع مستطيل أطول أضلاعه متجه من المشرق إلى المغرب يشتمل في باطنه على المكان المقدس أى بيت الله الأصلي وهو المعبر عنه بالحراب الحقيقي يحيط به من جميع جهاته ساحة متسعة غير مسقوفة يوجد على جانب منها ما يعرف بعامعناه (محراب الأضاحى أو القرابين) متخذاً من الخشب المطبق بصفائح من نحاس كانوا يذبحون عليه الذبايح قرباناً لله سبحانه وتعالى وحوض منسج متخذ من المعدن المذكور كان أحبار اليمود يغسلون أيديهم وأرجلهم فيه قبل

قبل ان يقر نوا من محراب الاضاحى او القرايين وقبل ان يدخلوا المحراب الاصل الى والمحراب الاصل الى المذكور منقسم من داخله الى مكانين منفردين بسياج من القماش المخيش الفاخر احدهما (البيت المقدس) والثاني (البيت الاقدس) اما الاول فلم يكن فيه من قبيل الامتعة القدسية غير ثلاثة اشياء وهى اولاً ما يدعى عندهم بعامناه (لوحة فطيرة العرض) وهى من خشب مكسو بالذهب كان يوضع عليها فى كل يوم سبت اثنتا عشرة فطيرة من غير خميرة يقدمها الاثنا عشر سبطاً من بني اسرائيل لله سبحانه وتعالى على سبيل التقرب والتجليل ثانياً (شمعدان الذهب ذوالسبعة افروع) الشهير ثالثاً (المحراب المنقل الصغير) وهو مصطنع من خشب مكسو بصفاً من ذهب كانوا يوقدون فيه انواع الطيب وقد بقيت صورة كل من المحراب الصغير والشمعدان المذكور منقوشة فى جبهة النقوش البارزة المصورة على باب النصر المعروف فى مدينة رومية للكبرى بباب نصر القيصر طبعوس اشارة الى أن هذين المتاعين كان القيصر المذكور قد أخذهما فى جبهة الاسلاب التى كان قد استلمها من مدينة القدس بعد استيلاء الرومانيين عليها ووجد أيضاً على بعض عمارات مصرية من اعمال الفراعنة السالفين صورة لوحة قربان من الخبز لاهتهم المعبودين والظاهر ان لوحة فطيرة الاسرائيليين كانت قد علمت على مثالها وصنعت على منوالها واما البيت الاقدس فلم يكن مشتملاً على شئ غير ما يسمى بعامناه السفينة المقدسة وتابوت العهد او صندوق الشهادة وهو الموضوع فيه صحف التوراة المكتوب فيها الاوامر العشرة المنزلة على موسى عليه السلام وذلك اشارة الى ما تقدم من العهد بين الله سبحانه وتعالى وقومه (يعنى بني اسرائيل) وهو عبارة عن صندوق متخذ من خشب لا يعتبر به الفساد مكسو بصفاً من الذهب وقد ورد له ذكر فى التوراة بوصف غير تام ولا متضمن والظاهر ان بني اسرائيل كانوا قد اتخذوا تابوت عهدهم هذا على مثال ما حصل عليه العمور فى الهيكل المصرية القديمة ودلت عليه نقوشهم البارزة الفخيمة مما أطلق عليه لفظ النواويس (جمع نواويس) وهو عبارة عن مصلى صغير منتقل ومعيد مختصر من قفل متخذ من خشب يشتمل على بيت الصنم يوجد فى كل هيكل من هياكلهم العظيمة وكانت نواويس المصر بين هذه مغلقة الابواب على الدوام والاستقرار وفيها صورة الصنم الذى أعاد لعبادته الهيكل بحيث لا يراه أحد من البشر وكأنه كان فى اعماق قاعهم محل سكنته وموضع وطنه واما البيت الاقدس من تابوت عهد العبرانيين المذكور هنا فقد كان كذلك ليس لاحد من بني اسرائيل أن يدخله غير موسى عليه السلام والخبير العظيم (المعبر عنه عند اليهود بالخاتم) ولا يباح لهم الدخول فيه الا فى بعض ايام معينة من السنة ولم يكن فى داخله صورة ولا تمثال من هذا القبيل مطلقاً ليكون شريعة موسى كانت تحرم تصوير الله سبحانه وتعالى بأى صورة محسوسة ولا هيئة مادية ايا كنت اجتمعا بالخطر الوقوع فى عبادة الاصنام وغاية ما هنالك ان موسى عليه السلام كان قد وضع فيه صحف الاوامر العشرة التى كان قد

انزلها الله عليه على سبيل كونه اى الالة المربية والعلامة الحسية للعهد الذى انعقد بين بني اسرائيل والحضرة الالهية العلية (هـ)

المسئلة الثالثة

مطلب — الكلام على الجرائع أو الجوائح العشر أو الآيات العشر التى ذكر فى تاريخ بني اسرائيل ان الله سبحانه وتعالى اصاب بها فرعون وقومه من اهل مصر مجزئ موسى عليه السلام (معرباً أيضاً من مختصر تاريخ القوم اليهود للفرخ فرانسيس لوفورمان قال المؤرخ المذكور راعلام فى هذا المقام ما تعربيه أدناه ومع ان موسى وهارون انما طلبا من فرعون مصر ان يرسل معهم ابني اسرائيل الى البعيداء ليقيموا الى الله سبحانه وتعالى القربان فى الصحراء فقط كان فرعون المذكور قد امتنع من اجابتهما مع الاحتمار لهما وبدلا عن أن يسمح بادن حرية لبني اسرائيل كان قد زادهم من الاعمال الشاقة التخميل باثقل حمل ثقيل ولذلك كان الله سبحانه وتعالى قد اصاب تلك البلاد على يد موسى عليه السلام بعدة جوائح أو مصائب الهية اشتهرت بامعناه جرائع مصر العشر أو الآيات العشر وورد لها فى التوراد على هذا الترتيب المسطر بعد اوضح الذكر وهى

(الاول) ان ماء النيل قد تغير وتلون بلون الدم الاحمر وصار كره الرائحة حتى صار بالهكة يضطر واضطر اهل مصر لان حفروا آباراً ليأخذوا منها الماء للشرب

(الثانى) ان الضفدع قد كثرت بنواحي مصر حتى ترتب على كثرة لاهاليها ما لا يطاق من الضر (الثالث) ان الناموس قد كثرت حتى عم بالعباد الناس والدواب

(الرابع) انه انتشر فى جميع الديار والغيطان أنواع هوام أخرى من هبات وردان المعروفة بالصرصر غير ما ذكرنا فالتفت المزارع واضرت بمحصولات الفنون والصناعات

(الخامس) انه حصل موتان نفق بهما كثير المواشى والحيوان بملك البلدان

(السادس) انه كان يعلو ابدان الناس والدواب بشور ودما مل شديدة الالتهاب

(السابع) انه قد تواتر على الارياض نزول برد كثيف مصحوب بالبرق والرعد

(الثامن) انه قد انتشر بجميع نواحي مصر جراد كثير اتلف جميع المزارع التى كانت قد سلمت من البرد

(التاسع) انه قد كان خيم على سائر جهات الجو بديار مصر ظلام كثيف نشأ كما يظهر عن رياح عاصفة حملت معها غبارا من الرمل

(العاشر) انه قد حصل على حين فجأة من اهل مصر وباء قتل سائر الاطفال المولودين حديثا فى ذلك العصر

قال المؤرخ فرانسيس لوفورمان السالف الذكر واليهان مامعناه وهذه الجوائح العشر واردة

اعلاه هي التي قد نعتري اقليم وادى مصر في كل مدة من الدهر وهي معهودة لهم من سالف العصر وحينئذ فقد هاهن الآيات الالهية والمجزات النبوية انما هو من حيث كثافتها الخارقة للعادة المعهوده واجتماعها في مسافة من الزمن غير مدبده ولما رأى ذلك فرعون مصر ندب على ما فعل واشتد به الخوف فالتمس من موسى وهارون أن يطلبه من الله بوقف تلك المصائب ففعلوا وأجاب الله دعوتهم ما واصل الخطر عاد الى ما كان عليه من القساوة والشر حتى هلك سائر الاطفال في جميع نواحي ملكته ولحق الموت ذات ولده فانحلت عرى عزيمته واخلى سبيل بنى اسرائيل (هـ)

المسئلة الرابعة

مطلب — ذكر نبذة مختصرة فيما يتعلق بحالة بنى اسرائيل العلمية وما اثر عنهم من العلوم العقلية والنقلية - من العلوم ان هذه الامة قد كانت هي بيت النبوة ومعدن الرسالة من عهد آدم وجهور الانبياء والرسول منهم ولذالك لم يشتهروا بالعلمية بعلوم الشرائع وسير الانبياء فكان احبارهم اعلم الناس باخبار الانبياء وعندهم أخذ ذلك علماء الصحابة من المسلمين كعبد الله بن عباس وكعب الاحبار وعبد الله بن منبه ولم يشتهر علماء اليهود بالعلوم العقلية ولكن ربما كان في أيام دولتهم من عتي ببعض علوم فلسفية وقليل ما هم ومع ذلك فقد علم ان لهم حسابا دقيقا في تاريخهم وعملاتهم لكن لم يعلم هل كان ذلك من نتائج عقول علمائهم أو كان قدرته لهم بعض العلماء من الامم الاجانب ثم لما تفرقوا في البلاد بعد ذهاب دولتهم وتفرق جماعتهم وداخلوا الامم الاغراب تحركت هم قليل منهم لطلب العلوم النظرية واكتساب الفضائل العقلية فقال بعض افراد منهم بعض شئ من فنون الحكمة والقوانين العلوم التاريخية منهم يوسف ابوسيفوس مؤرخ اليهود وهو المنقول عنه غير مرة فيما اسفلهنا مما هو عنه في التاريخ ما ثور قال المعلم بوليت الفرنسي صاحب كتاب معجم البلدان ومشاهير ابناؤه الزمان ما ملخصه ادناه وهو رجل من قوادس اكر اليهود ولود في سنة ٢٧ ميلاد المسيح عليه السلام بمدينة اورشليم من فرقة اليهود المعروفة باسم الفاريزيين كان قد اشتهر بخصوصه باكتسابه من توارخ قومه الاسرائيليين وذلك انه كان قد تقلد من لدن قومه العبرانيين بولاية اقليم جليلية من بلاد فلسطين حين قاموا على الرومانيين (في سنة ٦٧ م) ويعبدان تجلد للحصاري في مدينة (يوطابات) مدة مديدة كان قد اذعن للرومانيين بالطاعة فأخذوا القيصر طيطوس الى مدينة رومية الكبرى وهناك اشتغل بتأليف كتاب تاريخه المشهور باسم الآثار اليهودية وقد كان كتبه أولا باللغة السورية ثم باليونانية وهو عبارة عن تاريخ اليهود لغاية استيلاء الرومانيين على القدس وله مؤلفات أخرى في فن التاريخ نقلت كلها الى اللغة اللاطينية ثم الى الفرنسية وتوجد متداولة في ايدي الناس بالبلاد الافرنجية (انتهى باختصار)

تذييل

يشتمل على جدول زمني يتضمن مقابلة ملوك كل من مملكة يهودا وبني اسرائيل المتعاصرين وبيان تاريخ مبدء ملك كل منهم لزيادة الايضاح والتعيين (معربا كذلك من مختصر تاريخ القوم اليهود للثورخ فرانسيس لونورمان)

مملكة بني اسرائيل

مملكة يهودا

اسماء الملوك تاريخ مبدء املهم ق م	اسماء الملوك تاريخ مبدء املهم ق م
٩٧٨ رحبعم بن سليمان	٩٧٨ رحبعم بن سليمان
٩٦١ اخيا بن رحبعم	٩٦١ اخيا بن رحبعم
٩٥٨ اسابن اخيا	٩٥٨ اسابن اخيا
٩٥٧ فوذ بن يربعم	
٩٥٥ يعشو بن اخيا	
٩٣٢ ايلان بن يعشو	
٩٣٠ زمرى	
٩٣٠ عمرى	
٩١٩ اخوب بن عمرى	
٨٩٩ حز يو بن اخوب	٧١٦ يهوشافاط بن آسا
٨٩٨ يهورام بن اخوب	
٨٨٦ ياهو بن عثي	٨٩١ يهورام بن يهوشافاط
٨٥٨ يواحاز بن ياهو	٨٨٧ حز ياهو بن يهورام
٨٤٢ يواش بن يواحاز	٨٨٩ عثيا ياهو بنت اخوب
٨٢٧ ير بعن الثاني ابن يواش	٨٨٩ يواش بن حز ياهو
٧٧٣ فترة بدون ملك من ٧٧٣ الى	٨٣٩ اماصيا هو - بن يواش
٧٧٣ ذكر يابن ير بعن الثاني	٨١٠ عز ياهو بن اماصيا
٧٧٢ شالوم بن يابن	
٧٧٢ مناعم الاول ابن جادى	
٧٦١ بقحيو بن مناعم	٧٥٨ بوثم بن عز ياهو
٧٥٩ باقح بن ريباليا	٧٤٢ حز بن بوثم
٧٤٢ مناعم الثاني بن بقحيو	٧٢٧ حز قيا بن حز
٧٣٣ باقح مرة ثانية	٦٨٥ منشا بن حز قيا
٧٣٠ هوشاع بن ايلان	٦٤٢ آمون ابن منشا
٧٢١ زوال مملكة بني اسرائيل	٦٤٠ يوشيا بن آمون
	٦١٠ يهوياحاز بن يوشيا
	٦١٠ يهوياقيم بن يوشيا
	٥٩٨ يهوياكين بن يوشيا

مسائل

تتضمن على وجه الاختصار ما تقدم في هذا الباب الثالث من الفوائد والافكار

افكار تقديميه وفوائد عموميه

- ١ - ما مرتبة الامة اليهودية بالنسبة لمن جاورها من الامم السالقين من حيث الحوادث السياسية وما مرتبتها من حيث الدين
- ٢ - ما الفرق بين التاريخ الاثرى والبشرى وما معنى كل منهما وما المراد بتاريخ العبرانيين وكيف ينقسم وما العهد القديم وما العهد الجديد
- ٣ - ما الذي يقتضيه الترتيب الطبيعي من تعقيب تاريخ وادي النيل بتاريخ العبرانيين وما اهمية معرفة تاريخهم بالنسبة الينامعاشر المصريين
- ٤ - ما الذي يقتضى ذكره من الكلام على تواريخ العبرانيين من حيث التاريخ العام

مقدمة

- ٥ - ما المراد من لفظ آسية وما اقسامها الاصلية وما المراد بآسية الصغرى والكبرى وآسية الغربية
- ٦ - ما المراد بالشام وارض كنعان وفلسطين عند الامم المتقدمين والمتأخرين وما منظرها وما فيها من الجمال والانهار والبحيرات والامن والكبار
- ٧ - ما المراد بالعبرانيين واليهود وبني اسرائيل والاسرائيليين وما النسبة بين هذه الالفاظ وما أصل اسم اليهود

الفصل الاول

- ٨ - ما اصل منشأ الامة العبرانية في الزمن القديم وما قصة ابينا ابراهيم ولوط عليه الصلاة والتسليم
- ٩ - ما قصة يعقوب وبنيه وقصة يوسف وما جرى لبني اسرائيل بمصر في سالف العصر
- ١٠ - ما قصة موسى وهارون وما جرى على ايديهم ما من خروج بني اسرائيل من مصر في ذلك العصر
- ١١ - ما حقيقة شريعة موسى بالنسبة لشرائع الامم المتقدمين في ذلك العصر وما هي الاوامر العشر
- ١٢ - ما المراد من قانون السمة السبعية والمدة الخمسينية وماذا ترتب على اجراء هذين القانونين من تحسين احوال الامة العبرانية وماذا كانت حالة اليوم بين بين اظهرو

:الاسرائيليين في تلك الاحقاب الزمنية

- ١٣ - كيف كانت حالة موسى مع بني اسرائيل في وادي التيمه وابن مات وماذا اثر عنه في التوراة من القصيد الذي انشاه حين حضرته الوفاة
- ١٤ - ماهي الترتيبات التي وضعها موسى عليه السلام لبني اسرائيل قبل الوفاة

الفصل الثاني

- ١٥ - بماذا ايد كريشع عليه السلام وكيف فتح بيني اسرائيل الشام وكيف اقتسموها بعد ان توطنوها
- ١٦ - كيف كانت حقيقة حكومة العبرانيين بالشام في أول أمرهم وما المراد بقدماء بني اسرائيل أو مشايخهم وقضاةم أو حكامهم
- ١٧ - كم كان عدد قضاة بني اسرائيل ومن كان اشهرهم وابعدهم صيتاوا كبرهم
- ١٨ - بماذا اشتهر عثميا ل واهوذ والمرأة المشهورة باسم ديبوره وجذعون وابيماخ وفتح وشمشون الجبار وعلى الكاهن وشموبل وما أصل تملك شاول او طالوت على بني اسرائيل

الفصل الثالث

- ١٩ - ما كيفية تملك شاول او طالوت على بني اسرائيل وكيف كان سلوكه من جيل ورجيل
- ٢٠ - كيف كان منشأ داود وما قصته مع شاول او طالوت ومع جالوت
- ٢١ - كيف تملك داود على بني اسرائيل من بعد وفاة شاول او طالوت وكيف كانت مدة ملكه عليهم وكيفية سلوكه فيهم
- ٢٢ - ما كيفية حكمة القوم المعروفين بالفلسطيين وابن كانت منازلهم من ارض فلسطين وماذا فعل داود بهم وبغيرهم من اعداء بني اسرائيل الذين كانوا لهم مجاوزين
- ٢٣ - كيف كانت حدود ملك داود عليه السلام وماذا احدث للمادة تجارة بني اسرائيل من المساعدة والتسهيل
- ٢٤ - ماذا ترتب على قصة داود مع احدى قوادعه كره المدعو باسم (اوريا) وزوجته المسماة باسم (بثسبا) المشهورة من الحوادث التي هي في التواريخ مذكورة
- ٢٥ - ما قصة خروج اشلوم بن سليمان على ابيه وما قصة خر وح ولده الآخر المدعو باسم عادونياش أيضا عليه
- ٢٦ - ما تاريخ وفاة داود عليه السلام وماذا انشأ عن ملكه في احوال بني اسرائيل من النتائج والمترتبات بعد ان مات
- ٢٧ - هل كان داود ملكا فقط كما قد يقال أم كيف كان الحال

٢٨ - كيف كان نمك سليمان على بني اسرائيل من بعد ابيه داود وكيف كان حاله مع الملوك المجاورين له وبماذا ابتدى مدة حكمه وما حدود مملكته وكيف كانت حالة بني اسرائيل في ايام دولته

٢٩ - من الذي انشأ بيت المقدس وعلى أي رسم كان انشاؤه وبأي وسيلة وكيفيه كان تشييده وبنائه

٣٠ - ماهي المباني والعمارات التي بناها سليمان عليه السلام غير بيت المقدس السالف عليه الكلام

٣١ - كيف كانت درجة ملك سليمان عليه السلام من الهيبة والاعظام وماذا ترتب على امتداد صيته وهيبته من دخول الممالك المجاورة له تحت طاعته

٣٢ - ما قصة بلقيس مع سليمان عليه السلام

٣٣ - كيف كانت حالة المعاملات التجارية بين بني اسرائيل والممالك الاجنبية في عهد سليمان عليه السلام

٣٤ - ماذا قيل في حق سليمان مما يخالف شريعة موسى عليه السلام كما هو في التواريخ من ذكر وماذا ترتب على ذلك في بني اسرائيل من الفتن وابغار الصدور

٣٥ - ماذا كان يرغم بن نوبات وما قصته مع سليمان عليه السلام

٣٦ - ماذا قيل بشأن حكم سليمان في سالف الاوقات وماذا يؤثر عنه من الكتب والمؤلفات

٣٧ - ما قصة اعتزال الاسباط العشرة عن سائر اليهود وكيف كان خروجهم عن دولة آل داود

٣٨ - ما تفصيل قصة تفرق دولة بني اسرائيل الى دولتين وتفرق مملكتهم الى مملكتين

٣٩ - ما المراد بقول المؤرخين من هنا فتمازلا مملكة بني اسرائيل في مقابلة مملكة يهودا وبنيامين

٤٠ - ماذا ترتب على تفرق مملكة العبرانيين بالشام من المصائب والالام

الفصل الرابع

٤١ - من الذي تولى مملكة بني اسرائيل وبعده تفرقه مملكتهم الى مملكتين وماذا كانت حالة كل واحد منهما من طريقة السلوك - يربعم بن نوبات - رحبعم بن سليمان

آفيا - اسا - نوب - يعشو - زمري - عموي

٤٢ - ما اصل مدينة سمريه في سالف الجليل وجعلها قاعدة مملكة بني اسرائيل

٤٣ - ماذا قيل في حق احوب ملك بني اسرائيل من الذكر الرذيل

٤٤ - ماذا قيل في حق يهوذا فاط ملك يهودا من الذكر الجميل

٤٥ - بماذا يذكر اخزون بن احوب ملك بني اسرائيل من الذكر الويل

الدرس الثام ٢٢٤ في التاريخ العام

- ٤٦ - بماذا يذكر يهورام بن يهوذا و كيف كان تأثير زوجته عليا هو عليه
- ٤٧ - بماذا ذكر اخزيا هو ملك يهوذا و يهورام ملك بني اسرائيل وماذا فعل ياهو وبماذا تذكر المرأة الطاغية المسماة باسم عليا هو
- ٤٨ - كيف تقلد ملكة يهودا يواش وكيف نجح من مقتلة بنى داود وعاش وكيف كان سلوكه الى ان مات
- ٤٩ - كيف كان سلوك امصيا هو بن يواش - وعزيا هو - ويوثم - وآحاز - وخزقيا
- ٥٠ - كيف كان حال ملكة بني اسرائيل في عدة سلوكها ملكة يهودا المذكورين اعلاه يهوياحاز - يواش بن يهوياحاز - بربعم الثاني - ذكر يابن بربعم الثاني - شالوم مناعم - يقيم - فاقع - هوشاع
- ٥١ - ما اصل منشأ الفرفة المعتزلة من اليهود المسماة بالسمرية والسامريين

الفصل الخامس

- ٥٢ - ماذا كانت حالة ملكة يهودا من العظمة وعلو الشأن اذ كانت ملكة بني اسرائيل قد اخذت في الانحطاط والهوان
- ٥٣ - بماذا يذكر خزقيا ملك يهودا من الذكركر الجميل وماذا يذكر في ايامه من حادثه معجزة النبي اشعيما من انبياء بني اسرائيل
- ٥٤ - بماذا اشتهر منشأ من الكفر والعصيان وعبادة الاوثان ومن الذي حسم مادة الاستقلال الظاهرية التي كانت قد آلت اليها حالة الدولة العبرانية في تلك الحقبة الزمنية وما قصة المرأة المشهور باسم (فوديت) الاسرائيلية
- ٥٥ - بماذا يذكر ارامون وبوشيا والى مآلت حال ملكة بني اسرائيل في عهد هذا الملك الاخير من الضيق والتأخير يهوياحاز - يهوياقيم - والنبي ارميا
- ٥٦ - ماذا فعل بخت نصر بالقدس - يحنبو - صدقيا - جودلياس - اسماعيل

الفصل السادس

- ٥٧ - ما قصة النبي دانيال وماذا كان عليه بنو اسرائيل بعد الاسر الاكبر من الاحوال

تنبيه

المسألة الاولى

- ٥٨ - ما الطريق التي سلكها موسى ببني اسرائيل في سفره من مصر الى الشام وماذا قيل في عددهم ومالهم والسوى الذين ابرزهما الله عليهم وغير ذلك مما يتعلق بهم
- المسألة

المسألة الثانية

٥٩ - ما المراد بقبة العهد والمظلة وما أول هيكل تأسس في بني اسرائيل على هيئة منتقلة وما صفة ذلك الهيكل حسب ما جرى عليه من عهد موسى العمل

المسألة الثالثة

٦٠ - ماهي الجرائح والالابات السبع التي ابتلى الله بها ديار مصر في سالف الايام وما حكمة كونها معجزة لموسى عليه السلام

المسألة الرابعة

٦١ - كيف كانت حالة بني اسرائيل العقلية وماذا أشرعهم من العلوم العقلية والنقلية

تذييل

٦٢ - جدول تعاصر ملوك مملكة كتي يهودا وبني اسرائيل من القوم العبرانيين وبيان تاريخ جلوس كل واحد منهم على سرير الملك ببلاد فلسطين



الباب الرابع

في تاريخ الاسوريين والبابليين واهل بلاد العراق وكردستان السالفين

اعنى تاريخ دولة النماردة ببلاد العراق وهى بلاد كادة وتينوى والسريانيين وهم النبط او النبطيون وبلاد الجزيرة المسماة عند اليونان فى سالف الرومان باسم الميز وبوتامية اى بلاد ما بين النهرين (دجلة والفرات) وهى احد العراقين (العربى والعجمى) من تلك الجهات واصل مأخذ هذا الباب من عدة موارد

(اولا) من كتب التواريخ القديمة المدرسية اى التى كان جاريا عليها التعليم بالمدارس الاوروية وهى القطع الباقية من تاريخ المؤرخ السكنداني اليونانى المشهور باسم (ديرون) فى ضمن الجزء الثالث من مجموع القطع التاريخية اليونانية المطبوعة بمعرفة الطباعة الفرنسية الشهير باسم (ديدو) وتاريخ المؤرخ هيردوت اليونانى وديودور الصقلى وغيرهما (ثانيا) من تحقيقات علماء الاورنج المتأخرين والسياحين الاورويين والعصرين فيما يتعلق بالبحث عن الآثار السريانية القديمة وكيفية قراءة القلم السريانى المسمى ايضا بالخط السنانى اى الذى هو على شكل سنان الرمح او المسامير وهم رجال المشاهير باسم (نوته) و(دوسولسى) و(اوير) و(مينوت) من الفرانسييس و(السيار) و(راولنسون) و(نوريس) من الانجليز وغيرهم

افكار تقديمه وقوائده عموميه

قد ذكرنا فى ضمن المسألة السابعة من نعمة الباب الاول المتعلق بتاريخ الاعصار الاوليه والازمان الاصلية نقلا عن مختصر التاريخ القديم للوزير الفرنساوى المعروف باسم ويكتور دوروى الشهير ما يفيد ان اقدم الدول التى تأسست بعد الصوفان فى سالف الارمان قد كان بوادى النيل ووادى دجلة والفرات اعنى دولة الفراعنة بالديار المصرية ودولة النماردة ببلاد العراق وبابل وبلاد الاسورية وحيث اسلفنا الكلام فى الباب الثانى والثالث على تاريخ قدماء المصريين والعبرانيين الذين كانوا لهم من الامم المجاورين من اوائل امرهم بعد الطوفان فنالنا لى الغاية استيلاء دولة الفرس عليهم فى القرن الرابع قبل ميلاد المسيح عليه السلام بقدر اننا لنضع مرة ثالثة فى ميدان تلك الازمان لنتبع كذلك تاريخ البابليين والاسوريين المعبر عنهم فى كتب المؤرخين المسلمين بالسريانيين او دولة النماردة ببلاد العراق

والجزيرة والكلدانيين ومن انحاز اليهم في تلك الاقطار من اوائل تلك الاعصار فنادوا
لغاية تغلب دولة الفرس عليهم (في سنة ٥٣٣ ق م)

وقبل الشروع في تاريخ البابليين والاسوريين يلزمنا حاسما جرت به عادة المؤرخين كما
فعلنا فيما يتعلق بوصف وادى النيل وما يليه من بلاد الشام وفلسطين ان نذكر بعض معلومات
جغرافية وفوائد تعريفية فيما يتعلق بما يعبر عنه في اصطلاح العلماء الجغرافيين بحوض
دجلة والفرات او بلاد ما بين النهرين وذلك كما اسلفناه في الابواب السابقة لتتدبر تعريف المكان
قبل السكان راجعين بالنقل في هذا الباب عن مختصر تاريخ البلاد المشرقية والهند للثوريح
فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان وقد بيناه ايضا على مقدمة وعدة
فصول فتقول

مقدمة

في بعض معلومات جغرافية وفوائد تعريفية تتعلق بالاقطار الفراتية

مطلب — وصف حوض دجلة والفرات وما شتمل عليه من الممالك والولايات
قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في مختصر تاريخ البلاد المشرقية والهند ما نرى به بعد
ان سلسلة الصحارى العظيمة الخارقة من المغرب الى المشرق للنصف الشرقي من الكرة
الارضية تمتد من عند البحر المحيط الغربى المسمى بالاقيانوس الاطلسى طبق لغاية الجزء
المعروف باسم (هوانجى) او البحر الاصفر الذى هو جزء من البحر الصينى وتقطع اول مرة
عند الحدود الفاصلة بين افريقية وآسية بوادى النيل ثم تستمر الى جهة الشرق حتى تنقطع
مرة ثانية عند مركز اتساعها عرضا بواحة ثانية هي اوسع من الواحة النيلية اى الدار المصرية
غربا الى است باقل منها من حيث الخصوبة الارضية وذلك المكان هو فى الحقيقة حيث
تبدل طبيعة ارض الصحارى وتحول من هيئة سهل منخفض الى صورة هضبة مستوية
مرتفعة جدا ونهر دجلة والفرات هما اللذان تتكون منهما تلك الواحة حيث كانا يجامها
حولها محيطان وهذه الواحة الكبيرة هي التي كانت تسمى عند بنى سام السالفين باسم النهرين
وعند اليونان باسم (الميزوبوتاميا) ومعناه ايضا ما بين النهرين بمعنى الجزيرة ويطلق عليها عند
العرب اسم الجزيرة على وجه الاطلاق وهي خلاف جزيرة العرب كما هو معلوم عند أهل
اللغة والادب وهي التي تسمى ايضا في قديم الاثر الواردة في التوراة باسم بلاد (سنعار
اوشغار) (باسين والعين المهملتين او بالشين والعين المعجمتين) ومتبع كل من هذين
النهرين في مكانين متفاربين احدهما من الآخر يجانبان الجبال المسماة فى سالف الزمان باسم

جبال (نيقاتيس) ونسعى الآن باسم جبال (كشين) ببلاد رمنية وهم الولايجريان في انجاهين هما بالكلية متخالفان ثم شيئا فشيئا يتقاربان حتى يصير امتوازيين وبعد ذلك في مجرى واحد يجتمعان ومن ذلك المكان يسمى مجموعهما باسم (شط العرب) الآن وهما في الخليج الفارسي معا يصبان

وتنقسم الجزيرة الفراتية المذكورة لداعي اختلاف تركيب طبيعتها الارضية العلوية واختلاف منظر رساقيةها الزراعية ودرجة خصوبتها التي هي كخصوبة ارض مصر مشهورة الى قسمين متباينين (احدهما) الجزيرة الشهابية وكانت تشمل اولا على الولاية المعروفة عند السلف ببلاد (اونروينة) وهي البلاد التي كانت قاعدتها المدينة المشهورة باسم (ايدس) وانطاكية (المسماة باسم (اورفة) الآن (وثانيا) على الولاية التي كانت تسمى في سالف الاحقاب العصرية ببلاد الاسورية (نسبة الى اسور بن سام بن نوح عليه السلام وقد يعرب بلفظ سريان وتنسب اليه اللغة السريانية) وفي مكانها ما يدعى الآن ببلاد كردستان وقد كانت قاعدة تلك البلاد الاصلية مدينة (نينوى) وهي مدينة قوم النبي يونس عليه السلام) ومن مدائنها الكبيرة واما كنه الشهيرة اربل ولارس وارتمت وغيرها ومجموع بلاد اسروينة والاسورية كلمة عبارة عن سهل كبير تتركب ارضه من مادة جيرية لاتصلح للزراعة الا في الاماكن التي يوجد بها منابع مائية او مجرى ماء غزير وباقي ارضه المتسعة هي من قبيل الصحارى الاصلية لم تزل من سالف الاعصار غير مزرعة بخلاف القسم الثماني وهو الجزيرة الجنوبية التي هي عبارة عما يشتمل على بلاد بابل او بلاد البابلية الاصلية وهي البلاد المنحصرة فيما بين دجلة والفرات من عند جنوب بلاد الميزوبوتامية او الجزيرة الحقيقية الى حد ملتقى النهرين المذكورين وعلى ما يدعى ببلاد كلدة وهي البلاد التي نلى ملتقى النهرين الى حد الخليج الفارسي وقد يعرب ببلاد البابلية عن سائر بلاد الجزيرة الجنوبية اعني عن بلاد بابل وكلدة معا وهما المعبر عنهما ايضا الآن ببلاد العراق العزبي في مقابلته العراق العجمي والفرات الذي هو من ضمن بلاد فارس المسماة الآن ببلاد ايران ومجموع بلاد بابل وكلدة المذكورين هو ارضاء عمارة عن سهل كبير غير انه اسفل من السهل الاول يسير وتتركب ارضه من الطينة الحادة المجلوبة من الجهات العلوية مع مياه النهرين المذكورين حيث كانا من عند ابتداء هذا التمام الثاني متقاربين ليس بينهما من البعد غير مسافة من حلة واحدة وبظهر العين الرائي منظر تلك البلدان من ذلك المكان في هيئة مرج متسع عظيم لاحتياج غير الري حتى ينزوع ويأتي من المحصول بمقدار جسيم وتبلغ الحرارة في فصل الصيف الى درجة شديدة جدا حتى على ذات المشاركة بذلك الاقليم واما الشتاء فهو فيه معتدل الهواء في غابة اللذة والهناء ويقضي ماء دجلة والفرات في اوقات دورية من السنة فيسري الاراضي

المختفضة غير انه لايجلب اليها طين ما يرسب عليها كالنيل ومع ذلك فلو تدرت طريقة الري الطبيعية هذه بطريقة هندسية صناعية كما كان ذلك حاصل في سالف الحقب العصرية لصارت بلاد كلدان الآن هي البستان الجميل في سائر الاقطار الاسمية فقد كان الارز والشعير في سالف الزمان يأتيا من محصول عن الواحد بالمائتين واما الآن فلدا على اهمال اعمال الترع والجسور لا يأتى المحصول الا بنحو العشر من محصول سالف الاعصار وليس في تلك البلاد اشجار غير النخيل وقد يكون منها غابات عظيمة قد تكون متسعة جسيمة جدا (انتهى معبر بامن مختصر تاريخ بلاد المشرق والهند للأورخ فرانسيس لوفورمان)

مطلب - تعريف ما المراد من بلاد الآسورية في سالف الحقب العصرية قد فهم بما توضح اعلاه ان ما يعبر عنه ببلاد الآسورية في سالف الحقب العصرية هو البلاد المحدودة من جهة الشمال ببلاد ارمينية ومن جهة الشرق ببلاد فارس وبلاد الميديّة ومن جهة الجنوب بالخليج الفارسي ومن جهة الغرب ببلاد الشام وجزيرة العرب وان تلك البلدان يخترقها طولاً نهران عظيمان وهما (أولاً) الفرات وقد كان موضوعاً على هذا النهر في سالف الزمان من مشاهير المدن والبلدان كل من مدينة (بثساك) (وهي المعروفة الآن بالدير) وقرية (كونا كسه) ومدينة بابل الشهيرة في تلك الزمان (وانانيا) نهر الدجلة وقد كان عليه مدينة نينوى وكانت أيضاً من أشهر البلدان في سالف الزمان ووصف النهرين واحد كما سلف بذلك التوضيح والبيان وقد كانت تنقسم بلاد الآسورية هذه الى ثلاثة اقسام اصلية (أحدها) بلاد الآسورية الحقيقية ويقال لها بلاد نينوى او البلاد النينوية ومدنه الاصلية نينوى واربل (الثاني) بلاد الميزو بوتامية بمعنى الجزيرة او شام ما بين النهرين ومدنه الاصلية مدينة (ايديس) وهي انطاكية المسماة الآن ادرقة وهي المسماة أيضاً بالرها ومدينة (نار) وهي المشهورة في النوراة لداعي اقامة ابراهيم عليه السلام فيها باسم (هارا) ولم نزل نعرف بهذا الاسم لغاية الآن (الثالث) بلاد بابل والبلاد البابلية ومدنه الاصلية بابل وكونا كسه وقد يطلق على مجموع هذين القسمين الاخيرين اسم بلاد كلدان او الكلدانيين هـ. ذاماً كان يفهم من اطلاق لفظ بلاد الآسورية واقسامها الاصلية عند الامم المتقدمين

مطلب - ذكر الولايات المشمولة في حوض دجلة والفرات ووصف تلك البلدان على حسب ما هي عليه الآن (معرباً من جغرافية المعلم قورتنبير الكبرى الساعة المذكورة) والبيان - اعلوا ايها الاخوان ان البلدان والاقطار التي كان يعبر عنها باسم الجزيرة والآسورية والبابلية وكدان في سالف الاعصار هي عبارة الآن عن سائر الولايات والايالات بمعنى الاعمال (جمع عمل بمعنى ولاية) أي البلاد المنصوب عليها

الدرس الثامن ٢٣١ في التارخ العام

عامل اوائل من طرف دولة كبرى وهى دولة بنى عثمان الآن بالنسبة لجميع تلك البلدان التى هى من جملة بلاد آسية الغربية المعدودة من جملة ما يعبر عنه فى هذا الزمان باسم تركية آسية او الولايات العثمانية ببلاد آسية الغربية كما سبق لذلك فى مقدمة الباب الثالث من بعض توضيحيات بيان وذلك عبارة عن بلاد ارمينية العثمانية (فى مقابلة ارمينية الروسية اى البلاد السكائنة تحت سلطنة قيصر الروسية من ارمينستان) مع بلاد الاكراد وكرديتان ثم بلاد الجزيرة وبلاد العراق العربى المعبر عنه ايضا ببلاد السواد من تلك البلدان وصفتهام مع ما فيها من مشاهير المدن والبلدان على حسب ما هى عليه الآن كما وصفها العالم الجغرافى الفرنساوى المشهور باسم كورتنيير فى كتاب جغرافيته الكبرى هو كما أتى بعد التفصيل والبيان اما ارمينستان العثمانية وكرديتان فهما على شرقى بلاد آسية الصغرى بمقدان وكلاهما متكون من اراض مرتفعة جدا هبى اكثر من سائر الامالك العثمانية ببلاد آسية الغربية ردا فى جهة الجنوب منها اعنى فى البلاد التى تعرف فى سالف الاحقاب العصرية باسم بلاد الاسورية قديما و بسهولة حارة و اراض مستوية مخصبة سارة و يوجد بارمينستان الآن من مشاهير المدن والبلدان المدنية المعروفة على لسان الاتراك بمدينة (ارظروم) (محرقة عن ارض الروم بقاب الضاد ظاه) وهى حاضرة كثيرة ذات تجارة كثيرة يبلغ عدد اهلها نحو ٨٠٠٠٠ نفس ويصطحبها اجود الاسلحة التركية البيضاء ومدينة (كارس) وهو قلعة حصينة معروفة بقاومة علمية حصار شهيرة حصلت عليها من الجنود الروسية فى سنة ١٨٥٥ الميلادية ومدينة (وان) السكائنة على الشاطئ الشرقى من بحيرة وان وهى موضوعة على القرب من مكان المدينة التى كانت تسمى باسم (سيمار او سمرت) فى سالف الزمان ثم مدينة (ديار بكير) المسماة ايضا باسم (آمد) وهى مدينة كائنة على نهر الدجلة يبلغ عدد سكانها ٤٠٠٠٠ نفس وبها معامل شهيرة باتقان صناعة القشة الحرير وجلود السخمينان

ومن مدن بلاد الاكراد وكرديتان الشهيرة المدينة المعروفة بالموصل وهى مدينة كبيرة موضوعة ايضا على نهر الدجلة قرب بيسان المكان الذى كانت فيه مدينة نبثوى فى قديم الزمان واول من استكشف انار هذه المدينة العتيقة بالقربة المعروفة هناك باسم قورازاباد فى سنة ١٨٤٣ من الميلاد رجل فرنساوى يسمى باسم (بوت) كان منصوبا لوظيفة قنصل دولة فرانسة بتلك البلاد ثم استكشف جماعة آخرون سائر اطلال هذه المدينة الشهيرة على عدة اماكن كثيرة خصوصا بالقربة المعروفة باسم (كبرونخك) وعلى الجنوب الشرقى من المدينة المذكورة توجد مدينة اربل وهى من سالف الزمان بهذا الاسم مشهورة ولا سيما بما وقع فيها فى قديم الاغصار للاسكندر على دارا من الظفر والانتصار

واما بلاد الجزيرة وتسمى (ايضا باسم الميز وبو تامة بمعنى ما بين النهرين) لكونها مختصرة في الواقع ونفس الامر فيما بين دجلة والفرات فليست عبارة عن سائر البلاد التي تكون منها الجزيرة الكائنة بين النهرين المذكورين ولا تمتد الى حد ملتقاهما بل يطلق لفظ العراق العربي على الجزء الاسفل من تلك البلاد المختصرة بينهما ثم تمتد بعد ملتقاهما على طول مجموعهما المسمى باسم شط العرب لغاية الخليج الفارسي ومجموع هذين القطرين (اعني الجزيرة والعراق العربي) متكون على وجه العموم من اراض خصبة للغاية العليا وانما يوجد فيها بنواحي الفرات بعض سهول جذبة معرضة لدرجة من الحرارة شديدة للنهاية القصوى

ومن مشاهير المدن الموجودة ببلاد الجزيرة الآن المدينة المسماة بالرها او ارفه وهي التي كانت تعرف باسم (ايديس) في سالف الزمان ويقال ان الذي اختطها هو النمرود ومدينة (هاران) المذكورة في التوراة بهذا الاسم على انها كانت محل اقامة ابراهيم عليه السلام ولم تزل تدعى بهذا الاسم لغاية الآن ومدينة نه يميز السماء (نيز بيبس) في قديم الزمان

واما بلاد العراق العربي المسماة ايضا بالسواد فاشهر مدنها بغداد الكائنة على نهر الدجلة وقد كانت في الاعصار الوسطى هي اجمع قاعدة لدولة الخلفاء العباسيين ثم انحطت مرتبتها العظيمة وزالت بهجتها القديمة ومع ذلك فلم يزل بها لغاية الآن نحو مائة الف نفس من السكان وبها اسواق جميلة المنظر جميلة الشأن وعلى القرب منها اناردينتي (سيلوقية واقطر بفون) الشهيرتين في سالف الازمان وعلى جنوبي بغداد المذكورة مدينة الحلة الكائنة على شاطئ الفرات وهي على القرب من اطلال مدينة بابل المشهورة وعلى البعد منها بقليل الى جهة الشمال الغربي على شاطئ النهر المذكور مدينة (اناه) وهي موضوعة في واحة جميلة كأنها بستان من انعم الجنان وفي الجنوب الشرقي منها على مجموع النهرين المسمى بشط العرب مدينة البصرة المشهورة وهي حاضرة كبيرة ذات تجارة كثيرة يبلغ تعداد اهليها نحو ستين الف نفس من السكان (اتسمى معربا من جغرافية قورتنبير الكبرى)

مطلب — تحقيق ما ورد في كتب المؤرخين من ذكر النبط والنبطيين — ذكر المعلم يولميت صاحب كتاب معجم مشاهير البلدان وانباء ابناء الزمان مامعناه في هذا الشأن ان النبط والنبطيين (بفتح النون والباء الموحدين يليهما طاء مهملة في آخره) هم اقوام من العرب الرحالين كانوا تارة يقيمون بالشمال الغربي من جزيرة العرب وتارة

وتارة ينتهجون القوافل السيارة في البوادي والصحراوات الكثيفة فيما بين بلاد الشام ونهر الفرات الى انهم اذ كرههم وقال الجوهرى في الصحاح والغير وبادى في القاموس وعبارتهم متقاربة مانصه والنبط والنبيط قوم ينزلون بالبطائح بين العراقين والجمع انباط (كقباط) يقال رجل نبطى ونباطى ونباط مثل عني ويمان وحكي يعقوب نباطى أيضا بضم النون وقد استنبط الرجل وفي كلام ايوب بن الفرية اهل عمان عرب استنبطوا واهل البحر ينبط استعربوا (هـ من الصحاح) وزاد في عبارة القاموس قوله ونباطى مثلثة الى ان قال وتنبط تشبه بهم وتنبط اليهم (هـ) والذي يفهم من كلام المسعودى في مروج الذهب ان النبط والنبيط او النبطيين ليسوا من العرب بل هم من الاسوريين او السريانيين يعنى من ذرارى قدماء اهل نينوى و بابل وسكان بلاد العراق السالفين الذين نحن بصدر تاريخهم في هذا الباب على خلاف في ذلك وغاية ما يظهور من سائر ما هنالك هو ان لفظ الانباط في كلام العرب عبارة عن بعض سكان بلاد العراق السالفين كما ان لفظ الاقباط عبارة عن قدماء اهل مصر في سالف العصر وقد كانوا مثلهم انا سا اهل زراعة متقنة على اصول محكمة مستحسنة فان من الحقائق المشتهرة والمعلومات المقررة

ما انتشر من قديم الزمنة من قولهم الفلاحة النبطية في مقابلة الفلاحة القبطية

مطب — ذكر بعض ملحوظات تتعلق بالمقابلة بين وادى النيل ووادى دجلة والفرات في كل جيل (معربا من كتاب تاريخ بلاد المشرق القديم للأورخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان) قال المؤرخ المذكور في تاريخه الكبير ما نعر به بعد مسطور وقد فهم مما سلفناه في هذه المقدمة من الفوائد الجغرافية المسطرة اعلاه ما يوجد من وجوه المشابهة في الاصول الطبيعية لحوض دجلة والفرات مع الديار المصرية ولا سيما بين القسم المسمى منه باسم كلدية وهى الجهة الجنوبية وبيان ذلك ان كلاهما ارض متكونة من المواد الجبلية مع مياه النهر من الاماكن المرتفعة الى الاماكن المنخفضة وان كلا من الحوضين المذكورين ذو خصوبة لا نظير لها في اقطار الدنيا بتمامها الى درجة بحيث يخرج منه من غير مشقة ولا عمل ثمرات كثيرة الحاصل اللازمة للاقوات فيما بين البوادي والصحراوات وكل من القطرين مستعد بطبيعته لان يكون مكانا لمشأ واثل الجمعيات البشرية ومبدأ المبدء الطرق المدنية ولذلك كانت السهول المروية بالنهرين العظيمين الموجودين ببلاد آسية الغربية هى الامكنة التى تداولتها سائر الامم المتقدمة من اقواما بعد آخر بن وتراجت على مملكة بلاد آسية جميع الملل من عهد النمرود فى سالف العهود لغاية الخلفاء المسلمين وكانت الديار المصرية والجزيرة الفراتية هما سبقا قطرين

في هذه الدار الدنيوية حلت بهما العمارة البشرية واعتنق مكانين من اقطار الكرة الارضية نزلت فيهما الجمعية الانسانية وهما في درجة الاقدمية تقرر بيسا على السوية وان كان لبابل على منف مزيد الاولية فقد كان كل من هاتين المدينتين من سالف الاعصار الغابرة ضربتين متنازعتين وكانت دولتاها خصمين متزاحمين تغلب احدهما على الاخرى وتغلب على سلطنة بلاد اسيمة الغربية طور واطورا ومن المعلوم ان كلا من نهري النيل والفرات متواصلان بطرق سهلة المرور ودروب غير وعرة العبور يسهل فيها سفر القوافل السيارة الكثيرة ويتيسر بها سير الجيوش الجارية الكبيرة ولذلك كان في كل عصر من الاعصار متى تولى دولة مصر رجل ذو شهامة او ملك ذو عزم وصرامة تعلقت همته بالاستخوذ على بلاد الجزيرة كأن هذا القانون لا بد منه وناموسا لا يحيد عنه يقضى بعدم امكان وجود هاتين الدولتين المتخاصمتين والمملكتين المتشابهتين في الاصول الطبيعية والموارد المالية اللهم الا في يد واحدة وتحت سلطنة متحدة ومن ثم نرى ان فرعون مصر طوطميس الثالث وسيتوس الاول بمدينة طيبة الصعيد ويوسف صلاح الدين بالقاهرة ومحمد علي بالاسكندرية لم يكن لهم اشتغال بال على الدوام والاستمرار في سائر الاعصار الا بتوجيه جيوشهم نحو الفرات والاجتهاد في فتح تلك الاقطار وكذلك الحال في تلك البلاد متى تمكنت دولة ذات قوة وصول على شواطئ هذا النهر الاخير ببغداد كما كان الحال كذلك ببابل وبنوى في سالف الدهور توجهت اطماعها للتملك على ديار مصر وادخلها في حوزتها ببرقة الاسر وليس تاريخ بلاد اسيمة في سالف الايام كما كان كذلك بمدة الاسلام الاعبار عما يكاد ان يكون مجرد حركة تداول العداوة والشحناء السياسية المستمرة فيما بين دولتي مصر والجزيرة الفراتية متقطعة تلك الحركة فقط في بعض الاحيان بما كان بطرا عليهم في بعض الازمان من الحوادث الوقفية بتداخل بعض الدول الجهادية من الممالك الغربية الاوروبية في حومة ميدان تلك الوقايع الدهرية كما في عصر فتوح الاسكندرية وكبر وعصر الحروب الصليبية (انتهى من كتاب تاريخ بلاد الشرق القديم للأورخ فراسنيس لونيورمان) وما قيل ايضا في المقابلة بين الفرات والنيل من الشعر الجميل والقول المنسجم الجزيل قول بعض المصريين واهل الادب المتأخرين وكان قد ابتلى بهجر الاوطان واقام ببلاد العراق مدة من الزمان فقال وتلطف في المقال

بالله قل للتيل عنى اننى * لم اشف من ماء الفرات غليلا

وسل الفؤاد فانه لى شاهد * ان كان طر فى بالبكاء بخيلا

ياقلب كم خلفت ثم بثينة * واظن صبرك ان يكون ججيلا

وحيث فرغنا مما اردنا ايراده هنا في هذا المقدمة من الفوائد الجغرافية المقدمة فيما يتعلق

بتعرف حوض دجلة والفرات ساغ لنسا ان نشرق في ايرادما تحقق عند علماء الانرج المتأخرين من اخبار تلك الاقطار في قديم الاعصار وذلك في عدة فصول فنقول

الفصل الاول

في تاريخ الجزيرة الفراتية في اعصار الاولوية

مطلب — ذكر اول سكان بلاد كلد من الامم الاقدمين في سالف الازمان بعد الطوفان — قال المؤرخ فرانسيس لونو رمان في تاريخ بلاد المشرق القديم في السالف الذكر والبيان اعلاه ماتعريبه ادناه ذكر بنص التوراة ان اول مكان حصل فيه اجتماع الجمعيات البشرية في سالف الاحقاب البهرية بعد الطوفان هو حوض دجلة والفرات ونص عبارة سفر الخليفة من الكتاب المقدس المذكور هو كذا معربا كما هو بعد مسطور ، ولما جاء الامم من جهة المشرق وجدوا لهم رستاقا قبيلا سدش معارفه وتوطنوه ، (اه) وصرحت التوراة ايضا بانهم في تلك البقعة قد كانوا اختطوا اول مدينة كبيرة حصل انشاؤها على الكرة الارضية في سالف الزمان بعد الطوفان وفي الاقطار المذكورة قد كان وقوع حادثة تبليبل اللسن واللغات وتفرق الامم الى سائر الاماكن والجهات من الارض المعمورة وقد اسلفنا ذكر هذه القصة فيما تقدم من هذا الكتاب وذكرنا انها توجد في الروايات المتواترة ببلاد البابلية كما توجد في التواريخ العيرانية وبعد تفرق الامم المتكونة من نسل نوح عليه السلام في سالف الاقطار كانوا قد اجتمعوا واولا في السهول المتسعة المسماة في تلك الاعصار باسم شنعار وكان قديمي منهم في تلك السهول شريعة كبيرة متكونة من امم شتى واقوام متنوعة النسب والاصول هذا ما يظهر من حكاية التوراة كما يشهد به ايضا ما التقطه بغاية العناية ورواه عن اهل البلاد البابلية في ايام الدولة السيلوقية وحكاها في تاريخه من الروايات المتواترة المؤرخ بيريوز وهو جبر كلداني كان قد ترجم تواريخ بلاده من اللسان السرياني الى اليوناني ونص عبارته هكذا ، وقد كان اولا ببلدة بابل او بابليون جماعة عديدة من الناس ينتسبون الى امم شتى كانوا هم الذين نزلوا ببلاد كلد وعروها واقاموا بها وتوطنوها (اه) الى هنا معربا من كتاب تاريخ بلاد المشرق القديم للمؤرخ فرانسيس لونو رمان (ر جمع للنقل من مختصر تاريخ بلاد المشرق والهند للمؤرخ الآتف الذكر والبيان)

وبقدر ما تبسّر لنا الصعود في غابر الاعصار بدليل ما يمكن لنا العثور عليه من العمارات والآثار نجد ان اسلاف سكان تلك الاقطار كانوا متفرقين الى فرقتين اصليتين وامتين

الدرس الثام ٢٣٦ في التاريخ العام

مستقلتين تدعى أحدهما باسم (السومير) وكانت متوطنة منها بالتواحي الجنوبية والثانية باسم (الآكاد) وكانت ساكنة بالتواحي الشمالية أما الآكاد فقد كانوا من ولد كوش بن حام ابن نوح عليه السلام وأما السومير فقد كانوا من فرع النسل الانساني المعبر عنه في اصطلاح الاوروبايين بالتورا في الذي هو اصل التتار والفلنديين والترك ومن هذا الفرع أيضا قدماء سكان بلاد السوسية (وهي بلاد ايران المعروفة الآن باسم خوزستان) وكذلك اسلاف بلاد الميديه (من تلك البلدان) (وهي المعروفة الآن باسم العراق المجمل) واذر بيجان (وقد وقع هذا اللفظ الاخير فيما تقدم بالمقدمة من تعداد الانواب السالفة تفسيرا للفظ الاسورية من قبيل السهوسقي القلم والصواب هناك لفظ كرديستان بدلا عن اذر بيجان ولذلك يهنا عليه هنا من قبيل تدارك الغلط والنسيان حسب الامكان) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في مختصر تاريخ بلاد المشرق والهند اسالف الذكرو البليان وقد كان المركز الاصل للذي انتشرت منه جميع الامم التورانية الى سائر اقطار الكرة الارضية في سالف الاحقاب العصرية هوشري في بحيرة آرال (وهي بحيرة خوارزم) وقد كان لهؤلاء الامم في الاعصار المتوغل في القدم نوع من التمدن والتقدم خاص بهم يتميز بما كانوا عليه من العبادة الغليظة للآكواب السماوية والميل الشديد لاعتلاق بالامور المادية وعدم الترقية العقلية بالاكسية مع بعض تقدمات عظيمة في بعض أمور المعاش المادية حين كان غيرهم من الامم في حالة من التمدن غشيمة وقد كان لدرجة تمدنهم الغربية وحالة تقدمهم المناقصة هذرجة فوقان عظيمة جدا على قطعة جسيمة من بلاد آسييا في تلك الحقبة الزمنية القديمة ومع كون القوم الآكاديين والسوميريين المذكورين كانوا اكثر الاقوام عددا واكبرهم قوة ومددا ببلاد كلدة والبابلية وكان منهم في تلك البلاد اساس الطوائف الالهية الاصلية فلم يكونوا اهلها وحدهم بل كانوا يختلط بهم في كل مكان من مساكنهم اخلاط من امم آخرين بدون ان يكون لهم قطر معين مختص بهم فكان يساكنهم في تلك البلاد اقوام كثيرون من ابناء سام ابن نوح عليه السلام بعضهم اقوام رحالون وقبائل بدويون وبعضهم اناس حضريون بالمدن متوطنون ومن الامم المذكورين كان الاقوام المعروفة بالاسوريين او بالسر يانيين وهم ولد اسور و اشور (بالسين المهملة والشين المجمة) وهو ابن سام وكان قد خرج معظمهم من بلاد شنعار وتوطنوا بتلك الاقطار في عهد قريب بعد ذلك من تلك الاعصار ومنهم ايضا بنو عابر وتارح ابوابراهيم عليه السلام وهم العبرانيون وقد كانوا متوطنين فيما حوالى مدينة (اور) باسفل حوض الفرات ولم ينتقلوا من تلك الجهات الى بلاد (هاران) التي قد كان فيها اول بعثة ابراهيم الابنوق ميلاد هذا النبي العظيم

مطلب — ذكر اول من انشا التمدن والعمارات على شواطئ نهري دجلة والفرات لاشك في ان اول من انشا هذه العمارة الكبيرة والحضارة الشهيرة التي كانت ببلاد بابل وكلاهما مجموع قرآنهم هؤلاء الامم السنتي المذكورين وان وصل تكون التمدن والعمارات التي تحصلت بشواطئ دجلة والفرات وصار لها فيما بعد على تمدن سائر بلاد آسية الداخلية اعظم التأثيرات انما هو نتيجة امتزاج التأسيسات الحاصلة من كل واحدة من جميع هؤلاء الملل المختلفة حين اجتمعوا على ارض متحدة ولاشك في ان كلا من ولد كوش وتوران المذكورين قد كان لهم في ذلك الزمان اعظم حظ في ذلك التمدن والعمران غير انه يصعب علينا ان نعرف اى الحزبين من الاكاديين والسومريين المذكورين كان هو الاسبق في هذا الميدان وباهل ترى من كان منهم هو الاقدم في طريق هذا الحادث المشترك الاعظم حيث اننا انما نسير لننا انما هو وهو بحالة السكمال على الوجه الاتم وغاية ما يمكن ان يقال في حل هذا المشكل هو ان لنا من المقتضيات ما يحمل على القول بان ما حدث على شواطئ دجلة والفرات في سالف تلك الاوقات من مذهب الدين والتقدم في علم الفلك والنجوم والممارسة في الصنائع والفنون انما كان اصل مودره من الاقوام الكوشيين ودليل ذلك ما ذكر في الروايات المتواترة بين البابليين من انهم يقولون ان اول مهد لعقائهم الدينية قد كان على ساحل الخليج الفارسي ويعتقدون ان معبودهم المسمى باسم (اونيس) بضم الهـ مزه في اوله مع امالة النون الموحدة على ياء مشاة تحتمية ساكنة ياء ياسين مهملة في آخره) هو سيمك كان قد خرج من البحر ليعلم الناس قوانين الخدمة الدينية

قال المؤرخ المذكور اعلاه ماتعريبه ادناه واما التورانيون فانهم هم الذين جلبوا الى مدينة بابل او بابلون وبلاد الاسورية طريقة الكتابة العبرية وكيفية الخط العجيبة المسماة بالقلم السناني بمعنى الذي هو على شكل سنان الرمح والمسمار يكون كل حرف منهما مركبا من عدة اشكال كل واحد منها على صورة سن الرمح او المسمار (وهو القلم السر ياتي القديم الذي كان يكتب به اسلاف سكان بلاد العراق في قديم الاعصار)

مطلب — ذكر غرود وما يحكى عنه في التوراة من الروايات — اعلم انه لا يمتدئ التاريخ الحقيقي في حوض دجلة والفرات كما ان الحال كذلك في الدبار المصرية الا من حين تكونت ببلاد كلدة والبلاد البابلية دولة واحدة ومملكة متحدة اجتمع تحت لواها سائر القبائل المتفرقة وقد كانت هذه الدولة في الحقيقة ونفس الامر اول دولة منظمة واسبق مملكة مستقيمة حدثت في اقطار الدنيا في سالف الاعصار الغابرة من بعد الطوفان وكانت درجة الاعلوية فيها الولد كوش بن حام على سائر الامم والاقوام التي كانت تتركب منها ولذلك يعبر عنها اهل التاريخ بالسلطنة الكوشية او الحامية الاولى ونعرب نص عبارة

سفر الخليقة من التوراة واولد لكوش غرود وكان قد اخذ في ان يكون قادرا على الارض وصياد اقو يا امام المولى جل جلاله ومن ثم سار المثل السائر وهو قو لهم فلان صياد قوى امام المولى كنهروود وقد كان اصل سلطنته بمدينة بابل وارا ش وآ كادوشا لانة بيلادش نعار ومن تلك الاعصار كان قد خرج الرجل المسمى باسم (آسور و آشور) (بالسين المهملة او بالشين المعجمة) وهو الذى بنى مدينة نينوى (مدينة قوم النبي يونس عليه السلام) واختط شوارعها واسس مدينتى كالاش وريسان فيما بين نينوى وكالاش التى كانت هو المدينة الكبيرة (انتهى نص عبارة التوراة)

مطلب — اصل منشأ الآسوريين والسر يافين قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه مامعناه ومن نص عبارة الكتاب المنزل المروى عنه اعلاه يستنبط عدة وقايع تاريخية ذات اهمية اصلية فيما يتعلق بتاريخ اوائل بلاد الجزيرة العراقية وذلك انه يفهم منها ان الاقوام الساميين الذين هم من ولد آسور كانوا قد ساكنوا فيها الاقوام الكوشيين الذين كانوا بيلاد كدة ولم يخرجوا منها وبهاجروا عنها الى جهة الشمال ولم يوسسوا لهم دولة هناك غير الاولى حيث انشأوا فيها المدن الآسورية المذكورة اعلاه فى عدة تاريخية حقيقة اى لافى المدة الخرافية بمعنى (الزمان السالفة الغير المحققة التاريخ) ومن مساكنهم بعضهم مع بعض من اول الامر فى سالف ذلك العصر فى ظرف تلك المدة المديدة والاعصار العديدة يعلم السبب فى كون الآسوريين والبابليين وان كانوا فى الاصل امتين متغايرتين احدهما من ولد كوش بن حام والثانية من ولد آسور بن سام كانت لغتهم واحدة وكيفية تمدنهما متحدة

الفصل الثانى

فى تاريخ الدولة السكادانية الاولى

اغنى طبقة ملوك العراق الاولى بمدة اجتماع الآسوريين والبابليين تحت ولاية النماردة السالفين

مطلب — ذكر اوائل امر دولة السكادانية والدولة الآسورية ببلاد الجزيرة العراقية — قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه ماتعريبه ادناه لانعلم شيئا مطلقا من طريق الموارد الادبية سواء كانت اثرية او بشرية من تاريخ الملوك السالفين الذى خلفوا النمرود على السلطنة بيلاد كدة ولا من تاريخ الاعصار الاولى ببلاد الآسورية غير ان الذى يمكن لنا فقط ان نعلمه من خلال الروايات المتناقلة طبقة عن طبقة والحكايات المتداولة من التواريخ البابلية التى نقلها النسا مؤرخ السكادانيين اليونانى المشهور باسم (هيرودوت) وان كانت

هي ايضا من قبيل الخرافات أى الاحاديث الغير المحققة المختلفة في درجة الخرافية هوان
 كلامن بلاد كلد وبلاد الاسورية كانا في اول الامر من سالف العصر امين متغايرتين
 وملتين منفرتين اما الاسوريون الذين هم من ولد سام بن نوح عليه السلام فقد كانت
 مساكنهم في السهول الممتدة بجنوب جبال بلاد ارمستان بين نهري الدجلة والخابور وفي القطر
 الجبلي السكان خلف نهر الدجلة لغاية بلاد الميمنية (التي هي الآن بلاد العراق العربي
 واذر بيجان) وفي هذا القطر الاخير كانوا قد اسسوا مدينة بنوى على الشاطئ الايسر من
 النهر المذكور والظاهر ان سيرتهم في الامور المادية وما كانوا قد بلغوه فيه من الدرجة
 العلية كان ابطاءهما كان عليه سير التمدن عند الامة الكلدانية وذلك ان الاسوريين
 والنينويين كانوا متوطنين على ارض او عمر من ارض الكلدانيين والبابليين وكانت درجة
 اقليمهم اقل اضعافا لا بد ان فذلك مكثوا مدة مديدة من الزمان وهم بحال البداوة الاصلية
 والقساوة الالهية غير انهم كانوا اكثر رجولية واقوى تجلدا على الحرب من جيرانهم الجنوبيين
 والظاهر ايضا ان الاسوريين لم يتكاثروا من اول الامر في سالف ذلك العصر في هيئة
 دولة واحدة وسلطنة كبيرة متحدة بل كانوا اول قبائل متحالفين وانما اجتمعوا في
 صورة محالفة وهي المعبر عنها الآن بلفظ جمهورية تحت ولاية مشايخ قبائل ورؤساء
 طوائف كانوا بالاصالة متصرفين بالصفة العسكرية واما البابليون الذين هم من ولد
 كوش بن حام فقد كانوا متوطنين على وجه مطلق في جميع الرسائيف الخصبة الكائنة
 بين بلاد كلد لغاية الخليج الفارسي وكانت سلطنتهم على تلك النواحي متميزة بدرجة عالية من
 ممارسة الصناعات واعدادهم والتقدم في المعارف والعلوم مختلط ذلك بما يوجد اتمافي
 الاماكن التي اقام بها ولد كوش بن حام من الاوهام الفاسدة والافهام الكاسدة
 المتواترة عندهم الناشئة لهم من علم النجوم وهي غاية ما كان لهم من النصيب في تاريخ
 تقدم الجمعية الانسانية فكان لهم خيرة بغن الفلاحة واستخراج المعادن المعتادة
 والاحجار النفيسة والتجارة في البر والبحر وكان عددا السكان بتلك البلدان قد نما وازداد
 مريعا على ارض خصبة تكاثرت فيها المدن والقرى والعمران واخذت العلوم والفنون في
 التوسع والانتشار ونشأ فيهم بتلك الاعصار تحت سماء صافية جليلة أصل وضع علم انلك
 والنجوم وتقرر عندهم على آثار العقائد الاصلية الاولى التي كانت قد زلت بطريق الوحي على
 نوع البشر في سالف العصر عبادة الشمس وغيرها من الاجسام السماوية وصارت هذه
 العبادة هي اساس دين تلك الاقطار

مطلب - ذكر الامة الكلدانية الاسورية قال المؤرخ المروى عنه اعلاه ما تعريه ادناه
 وقد كان الاسوريون بوقت مهاجرتهم الى جهة الشمال قد جلبوا معهم الى تلك النواحي بعض

شيء من تلك الممارسة التمدنية واستمر وانحمت تأثير البابليين دون غيرهم حيث كان البابليون قد سبقوهم في طريق التمدن وكانوهم المعلمين لهم في كل ما يتعلق به ولذلك كان لا يرى في سائر السهول المروية بدجلة والفرات من سالف الاعصار اعنى من قبل ان يفتح الملوك الكلدانيون بلاد الاسورية بالقوة القهرية غير امة واحدة وملة مختلطة وان كانت من حيث الاصل مختلفة وهى الامة الكلدانية الاسورية ثم صارت تلك الملة الكبيرة من ذلك الحين قد تشاهد لنا في بعض الاحيان منقسمة الى دولتين متباينتين وسلطنتين مستقلتين ولم تكن مدينة نينوى التى هى قاعدة الدولة الاسورية ومدينة بابل التى هى قاعدة الدولة البابلية تحت طاعة مملكة واحدة ثم آل امرهما الى ان ظهر عليهما علامات شدة الميل للاتحاد وصار هاتان الفرقتان الاهليتان في اغلب الاحيان مجتمعتين تحت يد ملك واحد ودولة متحدة وغاية ما كان يحصل من الحوادث الاصلية في مدة سلسلة ملوك الدولة الكلدانية الاسورية الطويلة هو عبارة عن حركة تنافل من كرتل شوكنهما وتداول ايام دولتهما حيث كانت دولة تلك البلاد تتداول بينهما من الاسوريين للبابليين وبالعكس وكانت تتناقل تارة من جهة الجنوب اى من حيث نشأت الى جهة الشمال ومن الشمال الى الجنوب وتسمى سلطنة بلاد الجزيرة الفراتية على حسب اختلاف تلك الحركات التنافلية بالدولة الكلدانية او بالدولة الاسورية اى السريانية ولكن كان دينهم واخلاقهم وعوايدهم التى كانوا عليها واللغة التى كانوا يتكلمون بها واحدة وكل من هاتين المملكتين المتداولتين والدولتين المتنافلتين امر واحد لم يتغير في المواد الاصلية

مطلب — ذكر تلك الدولة الميديّة على مدينة بابل العراقية (اى من سنة ٢٥٠٠ الى سنة ٢٣٠٠ ق م) قال المؤرخ المروى عنه اعلاه بعد ذلك ما تعريبه ادناه ثم بعد حقة من الدهر لم يتيسر لنا العثور على دليل يدل على تعيينها بالطريقة اليعقينية جاءت غارة جنسية الى بلاد البابلية وقلعت الدولة الكوشية اى الاكادية الاولى التى كانت متسلطة بمدينة بابل قبل ميلاد المسيح نحو ٢٥٠٠ سنة وهم من القوم المعروفين باسم الآر بالولار بين الذين هم من ولد يافث بن نوح عليه السلام وغاية ما ينظر هو ان تلك الحادثة التاريخية كان وقوعها موافقا للوقت الذى وقعت فيه حادثة المهاجرة الكبرى اعنى الوقت الذى ترك فيه الاقوام الايرانيون من ولد يافث اوطانهم الاصلية التى كانت لهم بشواطئ نهر جيحون وتوجهوا الى جهة الغرب ليتخذوا لهم اوطانا اخرى في نواحي بلاد فارس و بلاد الميديّة وكان فرع آخر منهم قد نزل ببلاد الهند غير ان دولة بنى يافث بمدينة بابل والجزيرة الفراتية ما سرع ما زالت بعد فان دولتهم لم تستقر ببلاد اسية فيما وراء جبال تلك (وهى)

(وهي التي منشأها من عند الحدود الفاصلة بين بلاد العرب والجم وتسمى أيضا عند السلف المتقدمين بجبال زجروس) وأنقرضت دولتهم في بلاد كلدة بالكلية وفي بلاد الميديّة مدة بعض قرون من الزمن بانقراض القوم الآريين حيث كان قد غلب عليهم بالشافي جنس القوم التورانيين الذين هم اعداؤهم من قديم الزمان

مطلب — ذكرتملك الدولة الايلامية على بلاد البابلية (من سنة ٢٣٠٠ الى سنة ٢٠١٧ ق م) — قال المؤرخ المروى عنه أعلاه ماتعريبه أدناه قال المؤرخ بيروز ان الذي تملك على بلاد بابل من بعد الدولة الميديّة والآرية المذكورة أعلاه هو دولة جديدة كانت قد جاءت فقاعتها واستولت على سرير الملك بدلها وان اصلها من القوم الايلاميين وهم بنو ايلام (بأماله الهمة مزعة على الياء المثناة التحتية في اوله) اكبر ابناء سام ابن نوح عليه السلام وان اول مؤسس لهذه الدولة هو ملك من ارباب الفتوحات والصلوة يدعى باسم (شودور ناخونثة) ونص على انها اقامت على سرير ملك بابل من نحو سنة ٢٣٠٠ الى نحو سنة ٢١٠٠ قبل تاريخ الميلاد ووافق ذلك ما ذكر في التوراة من الاخبار بانه في تلك الاعصار كان الملك المدعو باسم (شودور لاخومور) ملك ايلام قد امتدولى على سائر النواحي والجهات السكّانة في حوض دجلة والفرات وكان من اتباعه الملك المدعو باسم (امرافيل) ملك بلاد شنعار يعنى كلدة والملك (اربوش) ملك مدينة (ابلا سار) وقد كانت اعظم المدائن الاسورية في تلك الحقبة العصرية والملك (تارجال) قال في التوراة وهو ملك الاقوام الرحالين فاستعجب الملك شودور لاخومور جميع الملوك المذكورين الذين هم من اتباعه وتوجه بهم للحرب نحو بلاد الغرب فاستولى مؤقتا على جميع بلاد الشام الى تخوم الديار المصرية وانهب مدينتي سدوم وعمورة واخذ لوطا سيرا حتى جاء ابراهيم فانهصر عليه واستنقذه منه (انتهى الملخص ما ذكر بالتوراة) والظاهر ان الملك شودور لاخومور المذكور قد كان اشهر ملوك الدولة الايلامية ببلاد البابلية

مطلب — ذكرتملك الدولة السكّانية ببلاد البابلية (من سنة ٢٠١٧ الى سنة ١٥٥٩) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المروى عنه أعلاه بعد ذلك ماتعريبه أدناه وفي سنة ٢٠١٧ قبل تاريخ المسيح عليه السلام كانت قد قامت على سرير الملك بمدينة بابل عائلة ملوكية جديدة من القوم السكّانيين واهل البلاد الاصليين فحكمت مدة ٤٥٨ سنة ومن اشهر ملوكها الذين حصل العنور لهم على آثار عمرانية وقصور ملوكية ملكان كبيران وسلفان عظيمان يدعى احدهما باسم (اسميداجان) (بكسر الهمزة في اوله) وهو الذي انشأ الهيكل الكبير بمدينة ابلا سار المذكورة

اعلاه وكان قد جمع تحت سلطنته مملكتي الاسورية والبابلية معا والثاني يدعى باسم (هامورابي) (بفتح الهاء في اوله) وهو الذي حفر الخليج السلطاني الشهير بمدينة بابل وهو اعظم طريق لرى الاراضى وسفر السفن ببلاذ الجزيرة السفلى

مطلب — ذكر استيلاء الدولة المصرية على بلاد الجزيرة الفراتية (من سنة ١٥٥٩ الى سنة ١٣١٤ ق م) — قال المؤرخ المروى عنه اعلاه ماتعربيه ادناه كانت دولة بلاد كلداء الاولى هذه قد رالت باستيلاء فراعنة العائلة الملوكية المصرية الثامنة عشرة عليهم فان الملك فرعون طوطميس الثالث كان قد استولى على مدينتي بابل ونيوى وادخل تحت طاعته بلاد الجزيرة والاسورية وكلداء ومكثت سلطنة الفراعنة مستولية على تلك الاقطار مدة قرنين ونصف من الاعصار والذي ذكر تاريخ المؤرخ بيروز السالف الذكر ان الذى حكم بابل في تلك المدة هو ملوك دعاهم بملوك العرب وقال انهم كانوا اتباعا لفراعنة طيبة صعيد مصر من ملوك العائلتين الفرعونيتين الثامنة عشرة والناسعة عشرة المصريين (اه)

الفصل الثالث

في تاريخ ملوك الدولة الاسورية الاولى او طبقة ملوك العراق الاولى

مطلب — ذكر تأسيس السلطنة الاسورية (من القرن الخامس عشر الى الرابع عشر ق م) قال المؤرخ المروى عنه اعلاه ماتعربيه ادناه ولما اخذت الدولة المصرية في الانحطاط في ايام الملوك الكسالى ملوك العائلة الفرعونية المتممة للعشرين في تلك الاوقات نيسر لسكان شواطئ نهر الدجلة والفرات ان يتخذوا لانفسهم بالثاني دولة اهلية مستقلة وسلطنة محلية بنفسها مستبدة وكان مركز استقرارها في هذه الدفعة بجهة الشمال اعنى ببلاذ الاسورية (قريباً من نحو سنة ١٤٥٠ ق م) بعد ان كانت قاعدة مملكتهم في الاعصار الاولى بالجهة الجنوبية اعنى في جهة الخليج الفارسي ومن وقت ان اخذت دولة الفراعنة في الاضمحلال كانت قد اخذت دولة بلاد العراق في الاستفعال فاطاعت لسلطنتهم سائر بلاد اسيية الوسطانية وصار لادينة نينوى من حيث تسمى على مدينتي اور وبابل درجة الاعلوية وصارت في ذلك العصر هي قاعدة السلطنة العراقية وقد كانت قاعدة مملكتهم في العصر الاول هي مدينة اور ثم بابل غير ان ميدان تاريخ هذه الدولة الجديدة هو غير متضح الجال ومن الخطأ البين ما ذكر في كتب التواريخ اليونانية من الروايات العامة واشتهر جدا عند السلف فيما شاع من القصص الحكوية حتى تداولته يد التعليم في المدارس الاوروية بناء على روايات حدثت فيما بعد من ذلك العهد بأن اول من اختط مدينة نينوى هو الملك

المدعو باسم (نينوس) ثم أعقبته على سرير الملك المرأة المسماة باسم (سيميراميس) ونسبوا اليهم مآثر الفتوحات التي صدرت فيما بعد من ذلك العهد عن الملوك الآشوريين في تلك الاوقات وكل ذلك من قبيل الخرافات والصحاح انه لم يوجد على ظهر الكرة الارضية في ذلك العصر ملك يدعى باسم نينوس ولا ملكة تسمى باسم سيميراميس بالسكينة وان اول من تملك على مدينة نينوى كان في اول الامر هو بعض امراء صغيرين او ملوك طوائف تابعين لدولة المصريين ثم توسعوا في املاكهم وتفسحو في اراضيهم واستفحل ملكهم شيئاً فشيئاً حتى آل امرهم الى ان تملكوا على مدينة بابل ولم يكن ذلك الا في نحو سنة ١٣١٤ قبل ميلاد المسيح ومع ذلك فقد كانت تلك المدينة العتقة والحاضرة الشهيرة قد بقيت في ذلك العصر وهي بتقليد بالولاية عليهم املك مخصوص تابع للملك نينوى المذكورة وفي اكثر الاوقات كان يخرج عليهم ولا يدع بالطاعة اليهم وكان الملوك الآشوريون المذكورون يدفعون خراجاً للفراعنة المصريين لغاية نحو سنة ١١٣٠ قبل ميلاد المسيح حتى تقلد بمملكتهم في ذلك الزمان الملك المسمى باسم (اسورديان) فقطع ذلك الامر وامتنع عن ادائه اذ كرم من علامة التبعية والاسر

مطلب — ذكر اول فتوحات الآشوريين لبلاد الامم المجاورين (من القرن الثاني عشر الى الحادي عشر ق م) قال المؤرخ المروى عنه اعلاه بعد ذلك ما معناه ولم يشرع الآشوريون في طريق فتوح البلاد الخارجية الا في الربع الاخير من القرن الثاني عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام فاستولوا على الافاليم الجبلية المحيطة ببلادهم الاصلية من جهتي الشمال والشرق وفي نحو سنة ١١٠٠ ق م كان قد ظهر احد ملوكهم المسمى باسم (تجلاتفلصر) الاول ففتح بلاد الجزيرة العربية وبلاد الشام لغاية جبل لبنان غير ان تلك الفتوحات التي كانت قد صارت بها دولة الآشوريين الى ما كانت قد آلت اليه فيما بعد من هذه الجهة كانت قد خرجت عن يدهم بعد سنوات قليلة في مدة سلطنة ملوكهم المسمى باسم (اسورابامار) اذ كانت قد قامت بينه وبين ملك القوم المعروفين بالهيثيين في تلك الاعصار حرب شديدة كانت الغلبة فيها للملك الهيثيين على الآشوريين فاستردوهم منهم وأخرجوها عنهم (في نحو سنة ١٠٧٢ ق م)

مطلب — ذكر اول منشأ العائلة المالكية الآشورية المسماة بالبيليطارية (من سنة ١٠٧٠ الى سنة ٩٣٠ ق م) — قال المؤرخ المذكور ما قرئ به بعد مسطور وكانت قد انحطت مرتبة العائلة المالكية الآشورية الاولى المذكورة بهذه الهزيمة عن درجتها ولم تقم من سقطتها وبعد ذلك بقليل قامت عليها فتنة داخلية وعصبة أهلية كان رئيسها رجلاً يدعى باسم (بيليطارة) وهو رجل كان موظفاً بوظيفة نظارة البساتين

السلطانية للملك المذكور أعلاه فقام على ولده وقتله واستولى على كرسى ملكه بدلا عنه وبذلك صار أول عائلة ملوكية أخرى تدعى بالعائلة الملوكية البيليطارية (في سنة ١٠٧٠ ق م) وأوائل ملوك هذه الدولة الآشورية الجديدة هم الذين فتحوا بلاد الميديّة في أثناء القرن العاشر قبل الميلاد وضموها إلى الدولة الآشورية - مدة عدّة قرون من الدهر جديدة غير أن مدة حكمهم لا تعرف ولم يوقف من أخبارهم إلا على شيء قليل جدًا **مطلب** - ذكر الملك آسورنازير پال (من سنة ٩٣٠ إلى سنة ٩٠٥ ق م) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السابق الذكر والبيان أعلاه بعد ذلك فامعناه ولم تزل مدة حكمهم ملوك العائلة الآشورية البيليطارية هذه بمجھولة الحال حتى ظهر منهم الملك المدعو باسم (آسورنازير پال) وبه اتضح تاريخهم وكانت مدة حكمه حيث مكث على سري الملكة الآشورية خمسة وعشرين سنة هي أول مؤكدة لحادثة استفتحال الصولة الآشورية الشديدة بظهور الدولة البيليطارية الجديدة من حيث تعلق أطرافها بالاستيلاء على سائر بلاد آسية ولا سيما على الاقطار الغربية منها ودليل ذلك ما حصل عليه العشور من آثار الملك المذكور اذ عثر له على حجر وجد عليه قصة سائر غزواته مسطرة مع غاية التفصيل والبيان بالقلم السرياني المحفور في الحجر المذكور يصف فيها نفسه مع غاية البلاغة والتبيان بأنه ملك في غاية الشجاعة والافتراس بالأعداء ويقول انه لم يتأخر أبدا عن كونه سليخ حياكل من تجاسر على الخروج عن طاعته من الملوك التابعين لسلطنته وعثر له على لوح آخر من الحجر وجد منصوبا على مكان مدينة كان قد أخرجها بالكلية وأزالها ووقف على أطلالها فسطر عليه ما نصه معربا هكذا وان وجهي لينضر على أطلال المدن التي أخرجتها وان رضاه قلبى لفي شفاء غليل غضبي، (انتهى)

وقد علم من نص الآثار المذكورة انه لم تـمض سنة من مدة حكم هذا الملك بدون ان تشتهر بغزوة جهادية كبيرة وكان أ كثر غزواته في جبال بلاد ارمنية وكوماجينه (وهي جزء من البلاد المنكون منها الآن كل من اياتي مرعش وحلب من مملكة آل عثمان) وفي بلاد بنطش، او بنطكسان (وهي البلاد المجاورة لبحر الخزر) وقد كان الحاكـم عاير في ذلك الزمان هم القوم المدعوين بالموشيين ثم في بلاد الميديين وفي جزء من بلاد فارس الغربية وكان له غزوات أخرى بشواطئ الفرات حيث كان قد أدخل تحت طاعته سائر البلاد الكائنة على الجانب الايمن منه وهي المعروفة في عصرنا هذا ببلاد العراق العربي وقد كانت في ذلك العصر منقسمة الى عدة ممالك مزهرة وفيها جملة دول متعددة

وقد علم من الآثار المذكورة أيضا ان الملك آسورنازير پال المذكور كان قد عبر نهر الفرات واستولى على جميع بلاد الشام الشمالية وبلاد الهينيين وسلسلة جبال آمانوس (الماداغ)

الدرس الثامن ١٤٥ في التاريخ العام

وحوض الاورنط (نهر العاصي) غير انه لم يتجاسر أن يتقدم في تلك الجهة الى أكثر من تلك الحدود لدا هي ان ملكتي يهودا وبني اسرائيل كانتا في ذلك العصر قويتين جدا بحيث لو تعصبت احدهما مع الاخرى لتيسر لهما دفعه وكان كل من الملك يهوذا فاط والمالك احوث الذين كانا معاصريه قد تعاهدا على محاربة اليراميين ملوك دمشق الشام وظفر اعليهم بالنصر التام ولم يكن الملك اسور نازير بال المذكور أعلاه قد تعرض لهم كذلك

مطلب — ذكر الملك سلمانصر الرابع (من سنة ٩٠٥ الى سنة ٨٦٥ ق م) وظهر من بعد الملك اسور نازير بال المذكور ولده المسمى باسم سلمانصر الرابع ففاقت غزوانه على غزوات والده وزاد طريق مجده على تالده ومن مدة حكمه هذا الملك الاخير أخذ تاريخ مملكة اسور في ان يكون له أبشدة الارتباط وأكد الاتحاد الكبير مع تاريخ الذوات المذكورين بالتوراة حيث صار من ذلك العهد يوجد في تاريخ دولة الاسور بين أنفس تحقيق وأوضح توفيق لما أشتمل عليه الكتاب المقدس عن بعض ملوكهم من الحكايات التاريخية والروايات الاثرية

وقد كان أكثر غزوات الملك سلمانصر المذكور كغزوات أبيه متجهة تارة الى جهة الشمال في بلاد ارمنية وبلاد بنطس وتارة الى جهة الشرق في بلاد الميديين اذ كانت تلك البلاد لدولة الاسوريين على الدوام غير مدعومة بالطاعة والانقياد واخرى الى نواحي الجنوب ببلاد كلدان اذ كانت تلك البلاد أيضا في كل وقت هي منشأ الفتن والفساد وطورا الى جهة الغرب ببلاد الشام وجبال امانوس التي هي جبال المداغ الآن كما سبق بذلك التوضيح والبيان غير انه من تلك الجهة كان قد تعمق الى ما لم يكن قد فعله اسلافه وكان ذلك هو أول الاسباب التي اقتضت ارتباط تاريخ مملكة اسور بالذوات المذكورين في التوراة وكان هذا الملك أول من تدخل من ملوك الاسوريين في مصالح دولة العبرانيين ببلاد فلسطين فقد دلت الكتابات التي هي عنه مأثورة على انه هزم الملك احوث ملك بني اسرائيل وانه أدخل تحت طاعته الملك ياهو من ملوك البلاد المذكورة

مطلب — ذكر الملك بيلوخوس الثالث والمملكة سيميراميس الحقيقية (من سنة ٨٥٧ الى سنة ٨٢٨ ق م) وكان أفخر الملوك الاسوريين الذين خلفوا الملك سلمانصر الرابع المذكور من ملوك الدولة البابليطارية ببلاد اسور هو الملك المسمى باسم (بيلوخوس) الثالث فقد كان ملكا عسكريا وسلطانا مغازيا قويا زادا ملاك المملكة الاسورية زيادة بليغة جدا من الجهة الشرقية في ذلك العهد وبلغ بجيشه الى حدود بلاد الهند وكان قد تزوج بامرأة من بنات ملوك بابل تسمى باسم (سيميراميس) (ولم يكن في التواريخ الحقيقية الاسورية من وجد بهذا الاسم غير هذه الذات الملوكية) وقد كانت

هـى صاحبة الولاية السلطانية على مدينة بابل بحيث كان دولاب الحركة السياسية يدور بالنيابة عنها في تلك الدائرة البلدية بخلاف سائر بلاد السلطنة الاسورية اذ كان دولاب الحركة الادارية يدور باسم الملك المذكور ولذلك نسب المؤرخ اليوناني المعروف باسم هيرودوت الى تلك المملكة سائر الاعمال العمومية التي تم انشاؤها والعمارات السلطانية التي حصل بنائها بمدينة بابل وضواحيها في تلك المدة العصرية كالجسور والقناطر والارصفة والخيمان التي عملت على نهر الفرات في تلك الاوقات

مطلب — ذكر الملك سردانا پال (من سنة ٨٠٠ الى سنة ٧٨٩ ق م) قد كان ما حصل للسلطنة الاسورية من الامتداد البليغ في تلك الحقبة العصرية أمرا خارقا للعادة وكان ملوك ينوي ان كانوا قد أحاطت يدهم على عمالك كثيرة وأغالييم كبيرة لكنهم لم يصلوا الا ان يجعلوا سائر الامم الكثيرين والاقوام العديدين الذين كانوا قد أطاعوهم بالقوة القهرية في هيئة أمة واحدة وملة متحدة ولم يكن في سلطنتهم قوة اتحاد والادواتهم متركزة اشتداد مطلقا وكانت طريقة سياستهم معيبة ورابطة الولايات التابعة لها فيما بين بعضها وبعض وفيما بينها وبين عاصمة المملكة غير وثيقة الى درجة بليغة بحيث كان عند مبدأ كل تقليد ملك من ملوكهم تشتمل على نيران القتل تارة في مكان وتارة في مكان آخر وكان لا يصعب ان يدرك انه متى قبض على دفعة السفينة ترحل غير ذي حكمة حقيقية ورجولية كاملة وتقلد بمملكة الاسوريين ملك غير شهيم أو سلطان غير ذي حركة حربية قوية بحيث يكون دائما على رأس جيوشه في ترحال مستعدا للحرب والقتال فلا بد من ان ما أنشأه اسلافه من ملوك القرن العاشر والحادي عشر قبل الميلاد مع غاية المشقة والاجتهاد يسقط دفعة واحدة وتذهب هذه المملكة العظيمة هباء منثورا بسهولة يتعجب منها كل أحد عجبا كبيرا ولقد حصل ذلك باستيلاء الملك المشهور باسم (سردانا پال) حيث قبض على قضيب الملك في سنة ٨٠٠ للمسيح وكان زيرنساء وأسير شهوات وخناء فانهمك كالمكبين السالفين عليه كل الانهماك على اللهو واللعب واعتكف على أنواع الملاهي والطرب واشتغل بلاذ النساء عن مهام المملكة وصار لا يخرج من داخل قصره أبدا وترك كل عيش فيه شائبة عيش الرجال ولم يحصل منه أدنى التفات لمادة الحرب والجهاد ومكث على هذا السلوك القبيح مدة سبع سنين وغضب الناس عليه لا يزال في كل يوم يزداد حتى جاء رجل يقال له (أرباس) كان رئيس طائفة الجنود الميديين وكان هو ذاته ميدي الاصل والملة فوجد فرصة للدخول عليه في داخل قصره بمدينة نينوى وشاهده لابس ملابس النساء والمغزل في يده منهمكا على قضاء شهوته يسترخف سائر حرمه وعورثه جبنه وبطالته فبداله انه يسم الظفر بمنزل هذا الملك المنقصد الاخلاق حيث كان لا يقدر على الاتيان

بمثل أفعال أسلافه الشجعان وظهر للقائد إرباس المذكور أن الوقت قد آن ليكون الأقاليم التي كانت قد انضمت للسلطنة الاسورية بالقوة القهرية يمكنها أن تفخرج عن الطاعة وتنتشر ألوية العصيان وانضم لرجل آخر كلداني الأصل يسمى باسم (فول) و يلقب بلقب (بيليزيس) كان قائد الطائفة العسكرية البابلية واسرائيلية أذكاره ومقاصده فبادر بموافقة وتعاهده مع على معاضدته ومساعدته واتحد كلاهما مع قواد طوائف الجنود الأجنبية وكل من كان يرغب في الخروج عن طاعة الدولة الاسورية ويستقل بنفسه من ملوك البلاد التابعين للسلطنة النينوية وعزم الجميع على عزل الملك سردانا بال عن كرسي المرتبة الملوكية وجمع سائر رؤساء الجنود في آخر السنة جنودهم حوالى مدينة نينوى حتى بلغوا أربعين ألف رجل بعلة فرز وتبديل العساكر الذين كانوا قد أدوا واجب الخدمة العسكرية في العام الماضى حسبما كانت قد جرت عادتهم بذلك ولما اجتمعوا في ذلك المكان جاهروا جميعا بالعصيان

مطلب — ذكر زوال الدولة الاسورية الاولى و خراب مدينة نينوى (في سنة ٧٨٩ ق م) ولما بلغ الملك سردانا بال خبر هذا الخطر الذى لم يكن له على يسال قام فى الحال من غفلة شهوته وخرج عن حباله لذاته وظهر فيه على حين غفلة من الشجاعة والشهامة ما لا مزيد عليه وسار امام من بقى على طاعته من فرقة الجيوش الاسورية الأصلية وبارزهم عسكريا الخوارج وقتلهم فهزمهم شر هزيمة وانتصر عليهم نصره تامه عظيمة على ثلاث مرات متواليات حتى أخذوا في اليأس من الظفر بمقصودهم وبيناهم على تلك الحال وأذا بالقائد فول السالف الذكر تدارك هذا الامر واستعان في ذلك بمعونة الاوهام الاهلية وفساد الافهام العامة فقال لهم انه طالع الكواكب فعلم منها علم اليقين انهم ان صبروا خمسة أيام جاءهم من عند آلهتهم الامداد القوي وانتصروا من غير شك على عدوهم النصر المبين وفي الواقع ونفس الامر كان قد اتفق ان قدم من السفر بعد عدة أيام قليلة جماعة كثيرة من عساكر الاقاليم المجاورة لبحر الخزر كل قد طلبهم الملك لامدادهم فالتحازوا الى عسكري الخوارج ولداعى انضمامهم اليهم فاز عسكري الخوارج بالنصر وظفروا بعسكر الملك غاية الظفر فالتحصر جميعا في داخل مدينة نينوى وعزم على ان يدافع عنها لغاية أن يخرج يتيامنهما وبمكث الحصار مدة عامين كاملين لداعى ان أسوار المدينة كانت حصينة متينة لا تؤثر فيها آلات الحرب واضطر الحال لاجبارها على التسليم بضرورة الوقوع في سوء حالة الجوع فلم يكن سردانا بال يكثر بشئ من ذلك اذ كان بعض الكهنة قد أخذ خبره بان مدينة نينوى لا تؤخذ من يده ما لم يكن النهر عدو له ثم في العام الثالث نزلت أمطار غزيرة ازدادت منها مياه الدجلة زيادة كثيرة حتى أغرقت

جزأ جسمان من المدينة وهدمت حائط اعظمها من حصونها المينة يبلغ طوله عشرين شوطا يونانيا (ومقدار الشوط عند قدماء اليونان ١٨٥ مترافرا نساويا) فاستيقن الملك من تحقق خبر الدكا هن ويئس من النجاة ولاجل ان لا يقع في يد أعدائه وهو بقاء الحياة أوقد في داخل قصر عمارا عظيمة ألقى فيها كل ما عنده من خزائن الذهب والفضة والحال الملوكة ثم حصر نفسه هو ونساءه ومخاضيه في قاعة كان قد بناها في وسط النار وأقام معهم فيها حتى احترقوا جميعا وحينئذ فتحت المدينة أبوابها للقوم المحاصرين وسلمت نفسها اليهم فلم ينفعها ذلك التسليم شيئا لكونه جاء أخيرا بل أسلحوه الأسلب والنهب وأوقعوها في غابة الكرب وأوقدوا فيها النيران ومحووا أبنيتها بالكلية والجزئية مع عناية حقدية تدل على شدة الغضب التي كانت قد جمعها قساوة الملوك الاسوريين الفاتحين السالفين في قلوب الامم الذين كانوا لهم بقوة السيف مطيعين فان الميديين والبابليين لم يتركوا حجارة على حجر من بناء الحصون والقلاع والقصور والهيكل التي كانت مشيدة فيها ولم يدعوا أثرا مطلقا من عمارة الدور التي كانت قائمة من تلك الحاضرة الشهيرة التي مكثت مدة قرنين كاملين وهي متعلبة على سائر بلاد آسية الداخلية حتى ان أهل العناية بالبحث عن الآثار القديمة من الافرنج المتأخرين لم تصل أعمال الحفر الجارية بعرفتهم في المكان الذي كانت توجد عليه مدينة نينوى المذكرة لغاية الآن الى العثور على شقة جدار قائم واحد من البناء السابق على حادثة استيلاء كل من القائد ارياس والقائد بيليزيس المذكورين على تلك المدينة وقد كان وقوع هذه الحادثة التاريخية الكبيرة في سنة ٧٨٩ قبل الميلاد

الفصل الرابع

في تاريخ الدولة الاسورية الثانية اود كر الطبقة الثانية من ملوك الجزيرة الفراتية مطلب — ذكر الملك فول (من سنة ٧٨٧ الحسنة ٧٤٧ ق م) وبعد خراب مدينة نينوى كان الميديون قد اكتفوا باسترجاع استقلالهم بانفسهم بالثاني وخروجهم عن طاعة الدولة الاسورية الاولى فعادوا للاقامة في جبالهم كما كانوا ولم يتعلقوا بصالح بلاد الجزيرة الفراتية بخلاف القائد الكلداني المدعو باسم (فول) أو (بيليزيس) السالف الذكر فانه بعد خراب المدينة المذكورة كان قد استولى على سائر بلاد الاسورية وجعلها تابعة لمدينة بابل مدة حقبة من الدهر وضم اليها ايضا سائر الاقاليم الغربية من المملكة الاسورية السالفة أعنى سائر البلاد الآرامية الكائنة على جانبي الفرات وغاية ما نعلم من تاريخه هو ما اقتص في التوراة من قصة الغزوة التي غزاها في سنة ٧٧٠ ق م بمملكة بني اسرائيل لاغير

مطلب — إعادة الدولة الاسورية بالثاني وذكر الملك تجلات فلصر الثاني (من سنة ٧٤٤ الى سنة ٧٢٧ ق م) ولم تدم غلبة الكلدانيين على بلاد الاسوريين اللغاية وفاقا للملك قول السانف الذكر وكانت وفاته في سنة ٧٤٧ قبل الميلاد ولما كان الاسوريون هم اشجع الامم المتوطنين ببلاد الجزيرة الفراتية وأقواهم على الحرب والضرب وكانوا قوما أهل رجولية تامة وقوة عسكرية كاملة لم يرزوا ابتذ كرون في القرن الثامن قبل ميلاد المسيح كما كان قد وقع من أسلافهم السابقين في مدة القرنين السابقين من الحروب الكبيرة والوقائع الشهيرة مع مانعقهم من هزيمة الملك سردانا بال حسبما أسلفناه فلم يرزوا بقيام نفوس أهل المدن الاسورية الكثيرة العمران من الشوق الى الاستقلال بالذفس ماحلهم على ان فاروا ثورة عامة وقاموا قيامة تامة بعد خراب مدينة نينوى بأربعين سنة وطردها البابليين من بلاد الاسورية وكان قبقي من نسل بيت الملك من بني يليل طارة السالفين بعض اسراء كانوا قد فازوا بالنجاة من حريقه سردانا بال المذكور أعلاه وكانوا مختفين في بعض أطراف البلاد منهم الامير المسمى باسم (تجلات فلصر) فأحضره الاسوريون وجعلوه رئيس عصبتهم عند ثورتهم ومكثوا بحاربون البابليين مدة ثلاث سنين حتى استولى تجلات فلصر على تاج الملك (في سنة ٧٤٤ ق م) وانتهز فرصة من حروب داخلية ومنازعات أهلية كانت قد شتت شمل بلاد البابلية فأدخلها تحت طاعته ووضع عليها الجزية بعد ان كانت بالامس هي التي تولى على نينوى قوانينها وأعاد الملك تجلات فلصر المذكور السلطنة الاسورية الى حدودها السابقة الاصلية ما عدا بلاد الميديه وذلك بعد عدة وقايح حربية متعاقبة فاز بالنصر فيها على التوالي ببلاد ارمنية وبلاد الشام وفلسطيين وبلاد العرب والبلاد المجاورة لبحر الخزر والاقطار الكائنة في أقصى الشرق فيما بين بلاد الميديه وارس من احدى الجهات و بلاد الهند من جهة أخرى وهي التي يسمى بحدها اصطلاح علماء الجغرافية البحارى على مقتضى طريقهم التدريس بالمدارس الاوروية باسم بلاد اريان (وهي التي تعرف الآن ببلاد افغانستان) وحيث قد كان هذا الملك تعمق في الفتوحات من هذه الجهة الاخيرة الى أكثر من سائر اصلاعه وبلغ الى حدود بلاد الهند الغربية

مطلب — ذكر الملك سرجون (من سنة ٧٢١ الى سنة ٧٠٤ ق م) قال المؤرخ المروى عنه أعلاه مات عربيه أدناه وقد عمك من بعد الملك تجلات فلصر ولده المسمى باسم (سلمصر) فكانت مدة حكمه قصيرة (من سنة ٧٢٧ الى سنة ٧٢٢ ق م) وهو الذي كان قد شرع في حصار مدينة سمريه ومات عندها في اثناء الحصار ولما كان هو آخر نسل بيت السلطنة الاسورية أذ كانوا قد انقرضوا بالكلية ولم يوجد منهم من يلي المرتبة السلطانية اجتمع أعيان الدولة وقلدوا بمنصب الملك رئيس قواد الجنود المدعو باسم سرجون

وقد كان من أعظم الملوك أر باب الفتوحات ببلاد الاسورية وكانت العائلة الملكية التي كان هو
رئيسها والدولة السلطانية التي أسسها وان كانت قد مكثت مدة قصيرة لكن كانت قد ألقت
على وجه التاريخ بجمعة كبيرة وذلك ان سرجون هذا من أول مبادئ مدة سلطنته كان قد أخذ
مدينة سميرية وأخربها بالكلية وحارب الملك سببا كون الحبشي ملك مصر وبلاد الاثيوبية
فغلبه في واقعة رافيا ببلاد الشام (في سنة ٧٢١ ق م) ثم شن الغارة بالحرب في بلاد ارمنية
مدة مديدة فأطاعها الدولة كلها الاشياء قليلا منها ودخل في بلاد اللبانية (بلاد الارثووط)
حتى بلغ الى حدسفع جبال قوقازة وفتح بلاد الفلستينيين (في سنة ٧١٠ ق م) وكذلك
جزيرة قبرص (في سنة ٧٠٨ ق م) وقد كانت تلك الجزيرة في ذلك الزمان يحكم فيها
عدة ملوك طوائف صغيرين ورؤساء أقوام عديدين أصلأ كثرهم من اليونان وفي أواخر
مدة حكمه كان قد اختط مدينة (خورازاباد) وشيد قصر اعظمه فيه ابدا عن مدينة نينوى
من بعد خرابها قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكروا البيان والذي دل على
ذلك هو ما تصنع من أعمال الحفر والتفحص التي جعل اجزاؤها على التعاقب بمعرفة اثنين
من أهل بلادنا الفرانساوية وهما المعلم (بوطه) والمعلم (ويكتور بلاس) ومن تلك الاعمال
صار الحصول على أغلب النقوش الجيدة لبلاد الاسورية التي توجد محفوظة بآنية فخانة سرارية
لورة الملكية (بمدينة بارس) ثم مات الملك سرجون المذكور حيث قتله جماعة من أر باب
الفتن من أهل بابل (في سنة ٧٠٤ ق م) وبقته اشتعلت نيران الفتن الاهلية
في تلك الحاضرة السكدانية

مطلب — ذكر الملك سنحاريب (من سنة ٧٠٤ الى سنة ٦٨١ ق م)
وكان قد تقلد بالملك من بعد الملك سرجون المذكور ولده المشهور باسم (سنحاريب) فلم يكن
دون أبيه في مادة الحرب والجهاد اذ كان قد ابتلى باطفاة نيران الفتن الشديدة القائمة بمدينة
بابل واضطرا لان يقا تل الخوارج في واقعتين اذ كانوا قد قاموا عليه في مدة ولايته مرتين
(احدهما) تحت رياسة رجل يدعى باسم (ميروداشبالادان) (والثانية) تحت رياسة وجل
يدعى باسم (سوزوب) ثم انتهى الحال بان الملك الذي تنوى المذكور اشتد غضبه على مدينة بابل
فعاقب أهلها الطغاة وعذب سكانها هولا البغاة بأن أباح فيها السلب والنهب وأسلمها
لنيران والاهب فاحترقت عن آخرها وصار عاليها سافلها مع كونها قد كانت معتبرة
عندهم كعمرهم محترم وكان ذلك (في سنة ٦٨١ ق م) ولم تمنع هذه الفتن
الداخلية الجسيمة الملك سنحاريب المذكور من ان يباشر بنفسه في الجهات الخارجية عدة
غزوات عظيمة فكان قد ذهب الى بلاد فلسطين (في سنة ٧٠٠ ق م) وأدخل تحت طاعته
مدينة صور وغيرها من مدن بلاد الفينيقيين وأغار على مملكة يهودا وهدد قريون مصر

بالديار المصرية ثم وضع الحصار على مدينة اورشليم أوالقدس الشريف (كما سلف ذكر ذلك غير مرة في مواضع من هذا التأليف) غير أنه ببركة دعاء ملك بلاديهودا المسمى باسم (خزقيا) وكان رجلا صالحا وملكا تقيانا جسا وبرجا النبي (اشعيا) الذي كان له معاصر امن أنبياء بني اسرائيل كانت يد الله سبحانه وتعالى قد وطئت على جنوده الوطء الثقيل فأرسل عليهم كما سلف ذكر ذلك في الابواب السالفة طاعونا شديدا أهلك منهم مقدار اعديدا حتى اضطر الملك سنحاريب المذكور للنأي عن حصار مدينة القدس وقفل عائدا بجنوده الى جهة الفرات ولكنه كان أسعد طالع في غزواته ببلاد الميديه وبلاد السوس (خوارزم آلان) لغاية بلاد فارس وأعاد بناء مدينة نينوى بالثاني من بعد ان كانت قد بقيت خرابا من عهد هزيمة سردانا بال واتخذها مقرواته وقاعدة بلاد سلطنته وجعلها ببلاد آسية أفخر حاضرة وأشهر مدينة عامرة (في سنة ٦٨٤ ق م) وانتقل اليها وأقام فيها مدة ثلاث سنين ثم مات حيث قتله اثنان من أبنائه الكبار لكنهم لم يمتدوا به لثمة جرمهما بل اشتد عليهما الغضب العام وبادر الناس عليهم بالقيام حتى اضطروا الى الفرار ببلاد ارمينية وكان ذلك (في سنة ٦٨١ ق م)

مطلب — ذكر الملك آسارادون (من سنة ٦٨١ الى سنة ٦٦٨ ق م) — قال المؤرخ المروى عنه اعلاه بعد ذلك ما تقرر به ادناه وقد كان آسورادون المذكور هو ثالث ابناء سنحاريب وكان ابوه قد نصبه بوظيفة الوالي على مدينة بابل فلما تقلد بتاج المملكة استمر على الإقامة في المدينة المذكورة ليضبط أهلها ويسكنهم تحت الطاعة السلطانية وقع كذلك معصيان اهل المدن الفينيقية مع غاية القساوة والجبر وكانوا قد قاموا على الدولة السريانية وادخل تحت الطاعة أيضا مملكة يهودا وأمسك مدة من الدهر في مدينة بابل الملك منشدة مقيدا بسلاسل الاسر وغزا غزوة في بلاد فارس واخرى على شواطئ البحر الاسود حتى بلغ بلاد اقليم (كولشيد) (وهي المسماة الآن باسم اميري يتي ومنجريلى) الكائنين على غربي جبال قوقاز واستولى على أكثر جزيرة العرب وديار مصر ثم اعتراه المرض واحس بالجزع من القيام بواجب الملك فتنال عن سرير المملكة لولده البكرى المدعو باسم (آسور بانينبال في سنة ٦٦٨ ق م)

مطلب — ذكر الملك آسور بانينبال (من سنة ٦٦٨ الى سنة ٦٤٧ ق م) وكان الملك آسور بانينبال المذكور هو آخر ملوك الاسوور بين المجاهدين وهو الذي يعرف عند اليونان باسم (سردانا بال) غير أنهم كانوا يميزونه مع غاية الحرص والعناية عن الملك سردانا بال المتخلف الذي سقطت مدينة نينوى اول مرة في ايامه من سالف الزمان وقد كان الملك آسور بانينبال هذا هو الذي استمر أولا مدة ثلاث سنين متواليات بالديار المصرية

الدرس الثام ٢٥٢ في التاريخ العام

وهو يقاتل الملك (طهارة) ملك بلاد الالبينوية (البشنة) وينازعه على مملكة مصر في ذلك العصر وظفر في تلك الديار بعد هزات هجينة من التبحاح والانتصار واستولى على مدينة طيبة الصعيد مدمرين واسلمها الى السلب والنهب ووقع بها اغاية الكرب ثم اتى امره لان ترك تلك الديار حيث رأى ان التملك عليهم يحتاج لكثير من المشقة والتعب وقد كان من جملة الملوك الذين كانوا يدعون له الخراج الملك المسعى في تلك الحقب باسم (ججيس) (نجيم فارسية) مثلثة من تحتها ياء منثناة تحتية فجيم عربية معتادة مما لة على ياء منثناة تحتية أيضا يليها سين مهمل في آخره) وهو ملك بلاد (لبدية) (وهى الجزء الغربى من ولاية الاناضول المتركة الآن من القسم المسعى باسم (سورخان) وغيره من بلاد آسية الصغرى وبهجة هذا الملك الكبيرة امتدت دائرة اعلاوية الدولة الاسورية على جميع بلاد آسية الصغرى المذكورة

وكان للملك آسور بانيبال المذكور اخ يدعى باسم (سامولسوچان) كان عاملا له على ولاية مدينة بابل فقام عليه واراد ان يستقل بنفسه ورفع الوية العصيان واستعان في ذلك بملك بلاد السوس وملك بلاد العرب (في سنة ٦٦٣ ق م) ووقعت بينهم حرب عظيمة دارت الدائرة فيها على جنود اقوام الخوارج فهزمهم ملك نينوى شرهزيمة وظفر باخيه هذا واستولى عليه ثم اطلق سبيله وعفاه عنه وتوجه عزمه للعزاة ببلاد السوس فادخلها ساحت الطاعة الدينوية بعد حرب مكثت مدة ثلاث سنوات (من سنة ٦٦٣ الى سنة ٦٦٠ ق م) واستولى على مدينة سوس قاعدة البلاد المذكورة حيث اخذها بطريق الهجوم عليها واسلمها للسلب والنهب واخذها كلها اسيرا وشنقه ثم انتقل بمنوده الى بلاد خيرة العرب وجاس خلال ديارها ومر بها من اولها الى آخرها في غزوة مكثت عدة اعوام ظفر فيها بالنصر المستمر على الدوام (من سنة

٦٥٩ الى سنة ٦٥٧) قبل ميلاد المسيح عليه السلام

مطلب - ذكر آخر ما حصل من التبحاح في الجهاد على يد بعض ملوك الطبقة الثانية من الملوك الاسوريين بتلك البلاد (من سنة ٦٤٧ الى سنة ٦٢٥ ق م) وما توفي الملك آسور بانيبال الظافر بالنصر على بلاد السوس كان قد تملك على مملكة نينوى ولد له يدعى باسم (آسور ديبلي) وفي أيام دولة هذا الملك الاسورى الجديد كانت قد ظفرت المملكة الاسورية من التبحاح في الجهاد بتلك البلاد ظفرة عسكرية أخرى وذلك ان بلاد الميديين كان فيها بمدة عصر الملك سرجون ولده عدة ملوك طوائف متفرقين ورؤساء قبائل كثيرة متحالفين بعضهم مع بعض في هيئة الحكومة الجمهورية ولذلك سهل على الملكين الاسوريين المذكورين افتتاح بلادهم وادخالها تحت طاعة السلطنة الاسورية ثم اجتمعوا في هيئة مملكة قوية واحدة وسلطنة ذات شوكة متحدة وقام فيهم الملك المدعو باسم (فرادرت) متقلدا ابقلاسة سلطنة الميديين (في سنة ٦٥٧ ق م) فاجلى الاسوريين من

الاماكن التي كانوا يزوالوا مستولى عليها من بلاده واقتنح بلاد فارس كلها واسائر البلاد الايرانية الكائنة فيها وراه جبال هندكوش وصحارى بلاد القرمات وبذلك صارت المملكة الميدية سلطنة جهادية متسعة ودولة كبيرة ذات صولة ومنعة فخطر له انه يقتدر على أن يأتي بمثل ما فعله الملك ارباس السالف الذكر ويهدم شوكة المملكة يبنوى وبعدهم قوة السلطنة الاسورية بالكلية فاغار على بلاد أسور غارة شديدة وقابله الملك اسور ديللى هذا بجيوش عديدة ووقعت بينهما واقعة حرب كبيرة عند مدخل مضائق الجبال الكائنة بتلك البلاد (فى سنة ٦٣٥ ق م) تنزل فيها فرا وورث المذكور وهلك الجيوش الميدية عن آخرهم وكان هذا النجاش هو آخر طفرجة جهادية وغاية نصره عسكرية حصلت على يد ملوك الطبقة الثانية بمدينة يبنوى من ملوك السلطنة الاسورية

مطلب — ذكر زوال الدولة الاسورية الثانية وخراب مدينة يبنوى الخراب الثانى بالكلية والجزئية وبالطريقة القطعية (من سنة ٦٢٥ الى سنة ٦٠٦ ق م) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكروالبيان أعلاه ما تعريده ادناه وقد كانت الدولة الاسورية الثانية فى ظرف تلك المدة الماضية مع ذلك قد أخذت فى الانحلال وتدانت للزوال وسقطت قوتها العسكرية ونفدت خزائنها المالية مع كون من جاورها من الامم كانوا قد صاروا الى درجة العظمة والاستفحال وفى سنة ٦٢٥ قبل ميلاد المسيح عليه السلام كان قد قام الملك (سياكزار) بكسر السنين المهملة وفتح الياء المثناة من تحتها يابها الف فكافى فزاي مجمعة فألف فراء هملته فى آخره) ملك الميديين وخليفة الملك فرا وورث المذكور آتفعا على مملكتهم وكان قد استولى على سائر بلاد آسية الصغرى (بلاد الاناضول) لغاية النهر المسمى عند السالف باسم (حاليس) ويسمى الآن باسم (قزىل يرمى) واتتهز فرصة من موت الملك أسور ديللى وما ترتب عليه من ظهور الفتن والاختلال فى بلاد السلطنة الاسورية وحضر بجنوده امام مدينة يبنوى وحصرها وضيق عليها وكان الملك الكلدانى المسمى باسم (نابو پولصر) (بنون موحدة فوقية فألف فباء موحدة تحتية عرية معتادة فباء فارسية مثناة من تحتها بعد هاوا وفلام فها دقراء هملتان فى آخره وهو أبو مختنصر المشهور) قد أثار الفتنة فى مدينة بابل وأعلن نفسه بالسلطنة فيها وتقلد بتاج المملكة عليها وأعاد له هذه المدينة الكبيرة ما كان قد عهد لها فى الاعصار السالفة من الاستقلال وأخذت دولة الملك المذكور فى الاستفحال وكادت مدينة يبنوى ان تسقط بالكلية لولا ما حصل فى ذلك العصر من غارة الافوام السيتيين (قبائل بأجوج وما جوج) على بلاد الميديين ونزولهم على أهالى تلك البلاد كالجراد المنتشر واستعبادهم اياهم مدة ١٩ سنة من الدهر حيث ترتب على تلك الغارة بقاء مدينة يبنوى واقاذا الدولة

الاسورىة السانىة فى ذاك العهد مءة بعض سنواء بعء من الوقوع فى هاوىة الزوال وكان الملك المسءوء باسم (ساروق او أسوراقوس) قءقبض على قضىب الملك بمءىة نىنوى (من سنة ٦٢٥ الى سنة ٦٠٦ ق م) ولءاعى ما حصل من الهءة لءلك المءىة بغارة الاقوام السىءىىن المءكورىن كان قءسىر له ان مكء على سرىر المملكة النىنوىة نحو تسع عشرة سنة من غيرم كءرولا نماز ع ققرىبا غير انه انما كان مسءولىا على سلطنة ضعىفة ومملكة ءنىة وضىعة مءزقة الشمل لاقوة لها ولا ثبااء ولا صولة لها ولا حىاة ولم ىءءء هو فى اقامة اوءها ولا سعى اءنى سعى فى اعاءءها لما كانت علىه من قوة عءءها ومءءها بخلاف الملك سىا كزار ملك المىءىىن فانه بعء ان بذل ىءهوءه وبلع بقصوءه من انقاء مملكة من غارة الاقوام السىءىىن والامم الءورانىىن المسءكورىن كان قءءعا ىءىءوءه الى اسوار مءىة نىنوى بعء ءلك المءة المءكورة ووضع علىه الحصار بالءانى عازما على ان ىسءأ نفما كان قء فعله به فى اوائل ءلك الازمان الملك ارباس أعنى انه ارءاء ان ىءرب ءلك الحاضرة الءى كانت موطن هؤلاء الملوك الجبابرة وكانت قءاسءة ىءء معظم بلاد آسىة ووضعت ءلك الاقطار فى أضىق رىقة الءل والصغار وىءر ها الءمار الءى لا ءعود للعمار بعءه ابءا وساعءه على ذاك أىضا غاية الاسعااء الملك نابو بولصر ومن كان نءء طاهءه من القوم البابلىىن بمءل ما كان الملك فول قءءأقى به لارباس من المساعءة مع غاية الحىة والمجاهءة وبعء ان قام على حصارها مءة مءىة حصل فىها مءءة شءىة واستولى علىها وأخذها فسقط وىءس الملك أسوراقوس من النءاة ففعل بنفسه كما كان قءفعل سلفه سرءانا بال فى مءل هذه الواقعة وقءل نفسه بىءه فءرب القوم الغالبون ءلك المءىة العىءة وءرقوا ما كان فىها من القصور والهباكل العءىة وصارت مءىة نىنوى هذه العظىمة الءى كانت اءءى مفاخر بلاد آسىة بعء الملك سنهارىب عبارة عن ءلال مءكومة وأطلال مءءمة فى غاية الءمار والءرب (فى سنة ٦٠٦ ق م) ولم ءعد للعمار مرة أخرى بعء ذاك أبءا كما أنءر بءلك أنبىاءه بنى اسراءىل

الفصل الخامس

فى سارىء الءولة الاسورىة المءمءة أو طبقة ملوك العراق السانىة

مطلب — ذكر الملك نابوشوء و نوزور او ىءءء صر المشهور (من سنة ٦٠٧ الى سنة ٥٥٨ ق م) قال المورخ فرانسىس لونورمان المروى عنه أعلاه بعء ذاك ما ءعرىبه

أدناه وبهذه الحادثة الكبيرة انتقلت وراثته سلطنة نينوى الشهيرة مدة بعض سنوات يسيرة الى مدينة بابل أو بابلون و يشاهد من حيثئذانه قد قام في بلاد العراق القديمة دولة كلدانية حديثة تملك على سائر الاقاليم الغربية والجنوبية التي كانت تحت يد الدولة الاسورية الثانية وهي طبقة ملوك العراق الثالثة وكان بطل هذه السلطنة العراقية الجديدة ومنشئ صولتها الشديدة هو الملك المدعو باسم (نابوشودونوزور) (وهو المعرب باسم بختنصر المشهور) وكان أبوه المدعو باسم (نابو بولصر) قد استقل بالسلطنة في مدينة بابل (في سنة ٦٢٥ ق م) و بينما كان الميديون قد مكثوا تحت طاعة الاقوام السبيين مدة مؤتمنة كان هو بحسن تدبيره واتقان ادارة أموره قد أرقى بلاد أسفل الفرات من الفلاح والنجاح الى أعلى الدرجات واستفحل ملكه في تلك الجهات واعانه على احسان ادارة مملكته خرم رأى زوجته المشهورة باسم (نبتوكريس) فأنشأ في مدينة بابل بتلك الاوقات كثير من العمارات الخشبية والاعمال التزيينية والاشغال النافعة العمومية وفي سنة ٦٠٧ قبل ميلاد المسيح عليه السلام كان الملك نابو بولصر المذكور قد أشرك معه في منصب الملك ولده بختنصر المشهور وعهد له على السلطنة بولاية العهد فيما بعد

مطلب — ذكر واقعة حرب قيرقيزية اوفر قemis (في سنة ٦٠٦ ق م) وقد كان بختنصر وهو فتى شاب بعد في حين السنة التي كانت مدينة نينوى قد سقطت فيم اقد قام على ساق الحرب وسار في عدد عديد من الجيوش فقاتل الملك نبخاووس ملك مصر بمدينة قيرقيزية اوفر قemis في واقعة حربية قطعية ظفر فيها عليه بغاية النصر والغلبة العسكرية اذ كان الفرعون المذكور قد اتهمز الفرصة من انحطاط دولة الاسوريين بمدينة نينوى فاستولى على بلاد الشام وفلسطين ثم تعدى بختنصر نهر الفرات وطرد المصريين من جميع الولايات والافاليم التي كانوا قد اقتحموها من تلك الجهات وكان قد أراد أن يضع الحصار على مدينة اورشليم ومن ثم يدخل ديار مصر واذا بجنح وفاة أبيه قد وصل اليه فاضطر لسرعة العود الى مدينة بابل على الفور (في سنة ٦٠٤ ق م)

مطلب — ذكر أوائل غزوات بختنصر على اليهود (من سنة ٦٠٢ الى سنة ٥٩٩ ق م) ثم عاد بختنصر بعد عامين الى بلاد الشام بالثاني وأغار على الملك يهوياقيم ملك يهوذا وقرر عايه خراجا يؤديه اليه وأخذ معه الى بابل من أعيان اليهود عدة رهائن وجملة من الاواني المقدسة الموقوفة على بيت المقدس وبعد ثلاث سنوات عاد ملك اليهود لنكس ما كان قد عقده مع بختنصر من العهد معة ا على امداد فرعون مصر مع كونه لم ير دله من الديار المصرية أدنى مدد وكان ملك العبرانيين المذكور قد مات بعد ذلك بقليل فترك على

الدرس الثامن ٢٥٦ في التاريخ العام

رأس ولده المدعو باسم (بختنغو) ثقل وبال ما ترتب على عصيانك (كما أسلفنا ذلك في مكانه من باب تاريخ العبرانيين بتفصيله وبيانته) ولم يقيم بختنغو والمذكور على سرير مملكة يهودا غير ثلاثة شهور إذ كان بختنصر قد أرسل عليه جنوده ثم حضر بنفسه إلى بلاد اليهود بالثاني واضطر ملك اليهود المذكور لأن سلم نفسه وسائر أهل دولته ودأثرته ليدعوه هذا الجبار فلم يكتف بختنصر بأن يأخذ هذا الملك العبراني مع أهل دولته بحسالة الأسرى بل دخل مدينة اورشليم وانتهك حرمة بيت المقدس الكريم واستلب سائر خزائنه المكنونه وخزائن قصر هذا الملك المصونة وأخذ معه في ربة الأسرى إلى مدينة بابل من أشجع أبطال الجنود العبرانية ما يبلغ عشرة آلاف مقاتل وكثيرا من أبواب الحرف والصنایع الأسرياء يابسين ولا سيما الحدادين والغدقالية (صناع الأسلحة) وذلك لقصده منع بلاد اليهود ومن أن تعود بالثاني إلى الاستعداد للدفع والمنعة ولم يترك في مدينة بيت المقدس غير القليل من أفقر الناس وأخذ معه إلى مدينة بابل الملك بختنغو والمذكور مع والدته وسائر نسائه ومخاضيه ووضع في السجن وضيق عليه غاية التضيق ثم أظهره أنه يريد أن يترك لامة اليهودية خيال استعلاها الأول فنصب على كرسي مملكة اورشليم عم الملك الأسير المدعو باسم (صدقيا) كما هو في موضعه فيما سلف من هذا الكتاب مسطور

مطلب — ذكر خراب بيت المقدس على يد بختنصر المشهور (من سنة ٥٩٠ هـ إلى سنة ٥٨٨ ق م) قال المؤرخ المروى عنه أعلاه بعد ذلك ما تروى به أدناه وقد كان النبي ارميا من أنبياء بني اسرائيل هو نبى ذلك العصر وقد أئذ الملك العبراني السالف الذكر ومن تقدمه من ملوك اليهود بما سيحصل على مملكة فلسطين من التخريب والأسرى فلم يكن يصنع لانه لا يذره أحد منهم وعيت بصيرة صدقيا كغيره من أسلافه عن سماع هذه الاخبار النبوية والعمل بتلك النذر التدبيرية مع كون النبي ارميا كان لا يفتر عن الانذار اليه والاشارة عليه بأن الأولى له أن يسلك طريقا سياسية احتراسية ويدعى بالطاعة لسلطان الدولة البابلية ومع ذلك فقد خالف مشورته وناقض نصيحته وتخلل له أنه يقتدر على الخروج عن طاعة ملك العراق ويستقل بنفس دولته فجأهر بالعصيان عليه وأمتنع من أداء الخراج الذي كان يدفعه اليه واتخذ مع فرعون الديار المصرية وملوك المدن الفدقية (في سنة ٥٩٠ ق م) فغضب بختنصر لذلك أشد الغضب وسار بنفسه مرة أخرى إلى مدينة بيت المقدس ووضع عليها الحصار ثم تركها مدة يسيرة وتوجه لقتال فرعون مصر المشهور باسم (أبريس) إذ كان قد حضر بجنوده إلى بلاد الشام لقصده امداد صدقيا عليه وكان ملك مصر المذكور قد عاد إلى تلك الديار وأخذ في الفرار بدون أن يضرب عليه ضربة واحدة فعادت الجيوش المكدانية إلى بلاد المملكة اليهودية واستولوا على مدينتي (لاخيس وآسبشه) ووضعوا الحصار

الحصار بالثاني على مدينة اورشليم وضيقوا عليها ومكث العبرانيون مدة تسعة عشر شهرا في داخل قاعدة ملكهم يدفعون هجوم الجيوش البابليين ويتجادون على مقاومة وصولهم ثم اشتدت الجحاسة عليهم فغلبت على قوة ثباتهم وأجبرتهم على الاذعان والتسليم وكان الاسوريون قد دخلوا المدينة من خرق في السور وتصادف ان صدقيا المذكور كان قد اراد أن يخرج منه ويفر الى جهة نهر الاردن مع بعض خدمه فلحقه بعض الجنود البابليين في سهل ربحا وحبضوا عليه وأحضره ليجتصر فقتل أبناءه بين يديه وهو ينظر اليهم وسمل عينيه وحمله مقيدا في سلاسل من الحديد الى مدينة بابل (في سنة ٥٨٨ ق م) و بعد ذلك بشهر كان قد دخل قائد طائفة خفر الملك البابلي المذكور وهو المسمى باسم (نابوراردان) في مدينة القدس واستولى عليها وشرع في تخريبها ودمرها وأحرق قصر الملك والهيكل المكرم وذبح مع الخبز الاعظم ستين نفسا من أعيان بني اسرائيل وبعث الى مدينة بابل في ربة الامر كل من بقي في المدينة من غير فرار الى الوادي والقفار من القوم اليهود (وهذا هو المعبر عنه عند أهل التاريخ بخراب بيت المقدس الاكبر على يد بختنصر)

مطلب - ذكر حصار بختنصر لمدينة صور واستيلائه عليها (من سنة ٥٨٨ الى سنة ٥٧٤ ق م) ولم يكن ملك بابل الجبار المذكور قد اكتفى بذلك بل تعلقت أطماعه بفتح بلاد الفينيقيين والاستيلاء عليها اذ كانت كثرة ثروة تلك البلاد قد جذبت قواؤه اليها وكان أنبياء ذلك العصر لم يزالوا من مدة مديدة يندرون أهالي مدينة صور بما سيحلقها من مصائب الدهور وكانت قد صار لها درجة الاعلوية منذ ثمانمائة سنة على سائر المدن الفينيقية وقد كانت مدينة صور هذه قلعة ذات منعة حصينة فلما وضع بختنصر عليها الحصار ثبت الصوريون امامه وقاموه حتى أقام على حصارها مدة ثلاث عشرة سنة ثم أخذها عنوة اى بطريق الهجوم عليها وقعل بالصوريين كما كان قد فعل بالقوم العبرانيين ونقل الى بلاد كلدة أوجه أعيان ذوى البيوتات من أهل تلك البلدة (في سنة ٥٧٤ ق م) واعترف له بالطاعة بالضرورة سائر الغزائل والمستعمرات من القبائل الفينيقية التي كانت تملكها مدينة صور بالسواحل الغربية من بلاد افريقية وفي بلاد اسبانيا (جزيرة الاندلس) كنزلة قرطاجة (وهي الآن ولاية تونس) قبل ان تصير ليد الدولة الرومانية وكنزلة قادس وصارت جميع هذه المستعمرات ملحقة بسلطنة بختنصر حيث صار له الغلبة على تلك المدينة الاصالية

مطلب - ذكر وقائع بختنصر الحربية ببلاد الجزيرة العربية (من سنة ٥٧٣ الى سنة ٥٧٢ ق م) وقد كان بختنصر المذكور بعد ان استولى على مدينة صور وأدخلها تحت طاعته وقبل أن يرجع الى مدينة بابل التي كانت قاعدة سلطنته شق الغارة

على الاقوام المدعوين عند الامم الاقدمين بالايديمين وبنى مؤاب والامونيين اذ كانوا قد فتحوا قوام دولة العبرانيين عند قيامهم الاخير عليه فأجبرهم كذلك على الدخول تحت طاعته وأزهمهم بالاذعان اليه وغزاة كبرية في بلاد العرب الجاهليين حتى بلغ الى ملكة سبأ ببلاد اليمن وكانت تلك الحروب التي انذر بها انبياء ذلك الزمن هي آخر سلسلة الغزوات التي غزاها هذا الملك الكلداني ببلاد آسية الغربية

مطلب — ذكر ما أثر عن مختلف من العمارات والآثار في تلك الاعصار — ولما عاد بختنصر من تلك الاسفار الحربية الى بلاده الاصلية التفت الى انشاء العمارات والآثار واشتهر بحسن ادارة الامور الداخلية كما اشتهر بالفتوحات الخارجية غاية الاشتهار وكان قد حصل له من تلك الغزوات أموال عظيمة ومقادير جسيمة من اسرار تلك البلاد الاجنبية فاستعملها في بناء عمارات كثيرة وانفقها في انشاء آثار كبيرة تحسنت بهامدنة بابل وتزينت بأجل الزينة — حتى صارت تلك المدينة أشهر مدينة في بلاد الدنيا بقاءها في تلك الاعصار قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان قال المؤرخ هيرودوت اليوناني في تاريخه عند الكلام على صفتها وقد كان سافرا اليها ونزل بها واطلع عليها في اثناء القرن الخامس قبل ميلاد المسيح عليه السلام ما هذا نص عبارته « وقد كانت تلك المدينة فاخرة جدا الى درجة بحيث لا تعرف اها مدينة اخرى يمكن مساواتها بها وذلك ان مدينة بابل هـ ذه هي موضوعة في وسط سهل متسع وهي على شكل مربع تبلغ مساحته كل ضلع من أضلاعه مائة وعشرين شوطا (والشوط مقياس اليونان بقدر الان بقدر ١٨٥ مترافرا انسانا) يحيط به خندق عميق هو على الدوام ممتلئ بالماء يليه سور فيه يبلغ مساحته سبعة وخمسين ذراعا ملوكة على مائتي ذراع ارتفاعا ويحتمل ارتفاعها القرات من الوسط بحيث يسمعها الى قسمين ويحتملها خطتين وهونهر عظيم عميق القعر سريع الجريان يأتي من بلاد الارمن ويصب في بحر (ايرتره) وهو البحر الهندى الذى من ضمنه الخليج الفارسى) ومن داخل السور الكبير سور آخر هو بالنسبة اليه صغير وكلما طرفى السورين ينتهى من عند شاطئ النهر زاوية خارجة يتقدمها على الجانبين حائط مشيد من الآجر يحيط بالنهر من الطرفين وفي داخله الديار منها ما هو على ثلاث طبقات ومنها ما هو على أربع في شوارع مستقيمة متقطعة بطرق اخرى منتظمة تنهى الى النهر المذكور بأبواب صغيرة مفتوحة في السور المبني على طوله كلها متخذة من معدن النوج لكل شارع من الشوارع القاطعة للشوارع الاصلية باب مخصوص والسور البراني هو المدينة حصص حصين على ان السور الجوانى ايضا متين غير انه دونه في الانساع ومركز كل من الخطتين المذكورتين ظاهر متماز (احدهما) بوجود قصر الملك فيه حيث يظهر لنا نظرا بما يحيط به من سور عظيم

وحائط قوى متين (والثاني) يتبين لعين الرائي بنشيد هيكل جسيم لمعبودهم المسمى عندهم باسم (بعل) وأبوابه مصطنعة من الخحاس الاحمر قال المؤرخ اليوناني المذکور ولم يزل هذا المعبد قائماً على جذرانه لغاية الآن (انتهى نص عبارة هيرودوت)

ثم قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذکور أعلاه بعد ذلك ما معناه ان سور مدينة بابل الكبير يشتمل بمقاس العالم الفراتساوى المشهور باسم (اوبير) على مسافة تبلغ خمسمائة كيلومتر (والكيلومتر عبارة عن ألف متر) من ربع معنى مقدار من الارض يساوى جميع مساحة مديرية نهر السنين ببلاد فرانساة أى بقدر أضعاف مسطح مدينة باريس على الحالة التى كانت عليها فى سنة ١٨٥٩ الميلادية خمس عشرة مرة وبقدرها سبع مرات على الحالة التى هى عليها الآن وأما السور الصغير فهو أضيق من الاول يشتمل على مسافة مائتين وثمان وتسعين كيلومتراً من ربعا اعنى على أكثر من مسطح مدينة لوندن بكثير ولا يسوغ ان يقال ان هذين السورين كانا حصنين لمدينة كبيرة عتيقة بل هما عبارة عن معسكر حصين متسع جدافان مسافة الارض المشمولة فى داخل السور الثانى فضلاً عن الاول لم تكن كلها معمورة باماكن السكان الاهلية وقد نص المؤرخ اللاتينى المعروف باسم (كتسكورس) فى تاريخه على ان محيط الدائرة الكائنة عليها الديار المعمورة بمدينة بابل المذكورة قد كانت تسعين شوطاً لا غير وياقها كان ارضاً مزرعة على وجه بحيث تكفى الثمرة الحاصلة منها لمؤنة القوم المحصورين فيها وتمنع عنهم ضرورة الوقوع فى غائلة المجاعة مادة عديدة من الزمن كما ان السور البرانى لبلاغة سمته يمنع هذه القلعة من غائلة الاخذ والاحاطة بها والتضييق عليها وقد كان يختنصر شيد قصره فيها على مقادير بليغة جداً وانشأ وزرع فى داخل سورها على ذات ساطئ الفرات البساتين المعلقة المشهورة كأنها جبال صناعية كبيرة انتزعه فيها امرأته المسماة باسم (آميثيس) وقد كانت مدينة الاصل لقصد ان تتذكر بها المناظر الخلوية المعهودة لها فى بلادها الاصاوية وهى عبارة عن طبقات مدرجة بعضها فوق بعض من قبيل ما يوجد فى عصرنا هذا بالجزيرة المسماة باسم (ليزولا يله بمعنى الجزيرة الجميلة) فى البحيرة المعروفة بالبحيرة الكبرى (بولاية سردنيا من بلاد ايطاليا) ومن تحتها سفلى عظيم يحملها وقد اصطنع فيه مغائر متسعة تحت كل طبقة مزرعة من السفلى المذکور واسر فى تلك المدينة ايضا عدة هياكل اهلية عديدة وجملة معابد دينية مشيدة واصلى شأن الهرم القديم الذى كان محل اقامة كاهن معبودهم المدعو باسم (بعل) السالف الذكر وبنى ما كان يدعى عندهم بعامعناه (برج اللغات) الذى كان يوجد بالذاحية المسماة (بورسية) احدى ضواحي مدينة بابل فى تلك الاوقات ولم يقتصر يختنصر على تخليقة مدينة مملوكة هذه كما كان يعبر عنها بذلك حسب ما عثر عليه فى آثاره الأثورة وتزيين

سائر المدن الاخرى الداخلة تحت سلطنته بل كان قد ألغت ايضا الوسائل تخصيب اراضي بلاد البابلية وتوسيع دائرة المعاملات التجارية فاجرى العمارة اللازمة للامم السلطاني الشهير الذي كان قد انشأه الملك (هامورابي) قبل ذلك العصر بالف وثلاثمائة سنة وكان قد انسد امدور و الدهر وكاد ان يزول منه الاثر فاعاده بختنصر واصلح شأنه حتى عد اهل التاريخ هذه العمارة كانها انشأه جديد وتأسس حقيقى مفيد وحفر بركة عظيمة عند اسفل الناحية المسماة باسم (سيبارة) لقصدا في تكون حوضا يجتمع فيه المياه اللازمة لرى ارض المزارع بذلك السهل وحدث فرضة بحرية في الخليج الفارسي عنده مصب الدجلة والفرات بمدينة (تيريدون) وهي ثغر بلاد كلداء على ساحل الخليج الفارسي وقد كانت قاعدة تلك البلاد في ذلك العصر) وبذلك تم تأسيس مادة السقر في البحر

مطلب — ذكر ما عثر بختنصر من داء الجنون وما حصل له من الغرور والفتون وحيث كان الحال كما توضح اعلاه فقد ثبت ان بختنصر قد كان ملوكا كبيرا وسلطانا خطيرا غير انه كان قد غلب عليه الكبر فاضاعه واستولى عليه الجبر فالتف احواله ووضاعه فاغتر بنفسه وافقتن وآل به الغرور والفتون حتى اعتراه الجنون كما قد يحصل كثيرا لامثاله من ذوى القرائع الكبيرة اذا اغتر واما حصل لهم من السعادة الكثيرة ونجى لانه آله يستحق العيادة فصنع لنفسه تمثالا من الذهب وامر سائر الناس بانهم يسجدون له ويعبدونه قال في التوراة ولما ابى ثلاثة فتيان من الميرانيين ان يمثلوا هذا الامر كان قد امر بختنصر بالقائم في النار فلم تؤثر قيمهم وانجاشهم الله سبحانه وتعالى منهم ولما شاهد بختنصر هذه الكرامة اذعن لآله بنى اسرائيل غير انه لم يزل الكبر غالبا عليه ولذلك وقع الله به العذاب المهول واصاب هذا الملك الجليل بارذل جنون رذيل حتى آلت به حالة الاختبال الى انه صار يالف الاعتزال عن الناس ويهيم في الاودية كالبهايم ويروم ان يغذى مثلها من الاعشاب التي تنبت في البوادي حتى صار بدنه بشيع المنظر لداعى اهماله من المتعبد لنظافة والاغتسال والتعريض على الدوام لتغيرات الأحوال الجوية ومكث على تلك الحال مدة سبعة شهور ثم افاق ورجع للاستعمال بتدبير امور الملكة الثانية وبعد ذلك بقليل مات (في سنة ٥٦١ ق م) بعد ان اقام على سرير الملك مدة ثلاثة واربعين سنة وكان كما قيل قد اخبر هو من قبل زوال السلطنة البابلية

مطلب — ذكر مرعة انحطاط السلطنة البابلية ومجمل زوال الدولة الكلدانية قال المؤلف فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان ولم يكن يلزم لمن يتأمل في الاحوال الواقعة في تلك الاعصار ان يكون قد اوتى منحة من النبوة كسيرة لاجل ان يعرف ان سلطنة بابل هذه التي كانت قد بلغت بلك الاقطار الى اعلى درجة من الابهة والفخار كانت قد تدبرت

من الزوال والدمار وان ما كانت قد بلغت من اعلى درجة الشوكة فى مدة يسيرة لابد وانه سينقض منه الجدار فى مدة أسرع من مدة نشأتها بل يكفى لمعرفة ذلك مجرد عقل ذى قريحة ثاقبة ونفس باعقاب الامور متبصرة وذلك ان السلطنة المذكورة لم تكن مؤسسة فى حد ذاتها على اساسات قوية ولم تستقر على اصول متينة على وجه بحيث تستمر بل كان هذا التمثال العظميم انما هو قائم على قدمين من طفل بمعنى انه سر يع العطب كما فى تأويل الرؤيا المنامية التى كان قد رآها بعض ملوك بابل وكان قد اولها اله البنى دانيال بهذا المعنى (حسبما سبق بذلك فى موضعه توضيح هذا المجال) ولم يكن فى الامة البابلية الشهامة الجهادية والهمة الجندية الكافية لحفظ ما تيسر لها من السلطنة القوية على اقوام عديدين وامم فى الجنس متنوعين كما اتفق للاسوريين حيث حفظوا دولتهم وابقوا سلطنتهم مدة عدة قرون من الزمن ولذلك كان مجرد وفاة بختنصر قد انتشر الخبر بمدينة بابل على الفور بان امة جديدة ذات بطش ووطن شديدة ستسطو على دولتهم وانها قاعدت دولة الميديين مع ان تلك الامة المستجدة قد كانت لها من التابعين وهم القوم المسمون بفارس كما كانوا يدعونهم فى تلك الاعصار وكانوا قد برزوا من خلال جبالهم الوعرة لشن الغارة على سائر الاقطار تحت قيادة ملك ناشئ من اعظم ملوكهم شهامة واعلاهم همة (وهو الملك كيرشاقيرسوس) وكان بمجرد ظهور مبادى امره فى الوفايع الحربية قد انتشر صيته وامتدت شهرته فى سائر الانام وعدم جملة قواد الجيوش العظام وكان انبياء بنى اسرائيل قد انبأوا منذ زمن طويل بغاية الجهر والاعلان بأن مدينة بابل العظيمة الشأن ستقع عن قريب فى مثل ما وقعت فيه مدينة اورشليم من السوء والخذلان

مطلب — ذكر من خلف بختنصر على كرسى مملكة بابل من الملوك فى ذلك العصر (من سنة ٥٦١ الى سنة ٥٥٥ ق م) ولما توفى بختنصر كن قد خلفه على كرسى مملكة بابل ولده المدعو باسم (ايو يليموداش) (بالف عمالة على ياء مثناة تحتية سا كنة فواو مكسورة فياء مثناة تحتية فلام سا كتين فيم فياء مثناة سا كنة فراء مهملة فواو فدا ل مهلة فالف فشين معجمة فى آخره) وكان هذا الملك الاخير قد اشترى كاذ كرى التوراة بأنه قد جاء من مكارم الاخلاق الانسانية بفعلة فى غاية الحسن وذلك انه بمجرد ان صعد على سرير الملك أمر بالملك (يخنيو) ملك يهودا فخرج من السجن وكان قد مكث يقاسى سلاسل الاسر مدة سبع وثلاثين سنة ورفع مقامه فوق سائر اهل دولته وقلده بمنصب اعلی من مناصب سائر الملوك الذين كانوا مقيدین فى سلاسل الاسر بقاعدة مملكته وصار يؤا كاه على خوانه ورتب له ما يلزم لمعايشه على طرف خزيرته غير انه فى سائر مدة حكمه لم يأت بما يوافق ما وقع منه فى اول امره من هذا الفعل الجليل وقد قتله صهره بدمى باسم (نيريجابصور) (بنون

موحدة فوقية يلها ياء مثناة تحتية - سا كنة فراء مكسورة فياء مثناة تحتية - فيجيم مجمعة سا كنتين فلام - ياء مثناة تحتية فصادمه - ملة فواو فراءمهم - حلة في آخره) وهو زوج بنت بختنصر وكان ذلك (في سنة ٥٥٩ ق م) واستولى على سريملكة بدلا عنه ولكنه لم يكت عليه غير أربع سنوات فقط وهلك هو كذلك في واقعة حربية وقعت بينه وبين الملك (كيرش اوقبروس) ملك فارس اذ كان قد توجه بجنوده اليه وأراد ان ينازعه مملكة بلاد الميديّة التي كان قد انتزعها من يد السلطنة العراقية

مطلب — ذكر الملك نابونيد (من سنة ٥٥٥ الى سنة ٥٣٨ ق م) — وكان الذي خلف الملك نيريجليصور المذكور على كرسي مملكة بابل طفل له صغير لم يكت على سريمالك غير بعض شهور وذلك ان رؤساء امناء الديانة الكلدانية وقد كانوا هم أرباب الخزقة القسيسية والطائفة الدينية السياسية المتحكمة بدولة بابل العراقية في تلك الحقبة العصرية لما تلاحظ لهم ما وجد في أخلاق هذا الطفل من تباشير الرذائل والانطباع على الجبر والقساوة من صغر سنه قاموا عليه فخلعوه وعزلوه عن سريمالك ونزعوه وولوا واحدا منهم بدلا عنه يقال له (نابونيد) (في سنة ٥٥٥ ق م) فاستولى على سريمالك واستقر عليه مدة السبع عشرة سنة الاخيرة من مدة السلطنة البابلية الشامية وكانت أوائل مدة سلطنته آمنة مطمئنة ومبادئ أمره قارة سارة لداعي ان الملك كيرش ملك فارس كان مشغول انبال بافتتاح ممالك اخرى غير مملكة بابل هذه فلما خلا بابل ملك العجم المذكور من عزوانه وكان قد استولى على سائر بلاد آسية ما عدا مملكة العراق المذكورة توجه اليها وشن الغارة عليها (في سنة ٥٣٨ ق م) بجنود من القوم الفارسيين والميديين معلما بأنه عازم على ان يضم مملكة كلدة الى ممالك سلطنته المتعددة

مطلب — ذكر سقوط الدولة البابلية وزوال السلطنة العراقية بالكلية (في سنة ٥٣٨ ق م) — وكان الملك نابونيد هذا قد بادربلافاة الملك كيرش فدارت الدائرة عليه وانهمز هزيمة تامة حتى اضطر للنجاة بنفسه وفر من ادمه متبوعا بعدد يسير من جنوده وخدماه والتجأ الى قاعة بوسينية وحضر نفسه فيها وترك بختنصر حتى وصل الى بابل ووضع الحصار عليها وكانت تلك المدينة يوجد فيها من الدخائر والمؤنة ما يكفيهم لمدة عدة سنوات ولم يتيسر لذات القوم المحاصرين لها فلم يكثر ثوابهم ولم يسالوا بختنصر - م ولكن كان قد جاء الوقت المحتوم بالتفادي الزالية للانتقام من تلك المدينة الكلدانية وكان الملك كيرش من عه - قد قرب قد جفف النهر المسمى باسم (لوجانديس) بواسطة فتح خلمان فيه وهو أحد الغدران الممددة للجدلة فعزم على ان يفعل مثل ذلك بنهر الفرات ويدخل بجنوده في مدينة بابل من مجرى النهر المذكور فعمل عليه فأنطرت - ف

بهمامياهم الى البحيرة الصناعية التي كانت الملكية ينوكر يس قد حفرت هاهنا كما أسلفنا
 ذلك وبهذه الوسيلة تيسر الجنود ان يسيروا في مجرى النهر حيث صار الماء لا يبلغ
 الى ما فوق سيقانهم فقط وتوسطوا فيما بين خطتيها وكان يمكن لسكانها ان يأخذوهم
 ويقبضوا عليهم كما يأخذ الصياد غنمته في جباله مصيدهه بأن يغلقوا عليهم أبواب أرضهم
 المصطنعة من الخحاس التي سلف ذكرها و يقذفوا عليهم بالآلات الحرب من أعلى أسوار
 مدينتهم ولكن كان أهل المدينة في اشتغال بالتخاذد موسمهم ففعلوا عنهم وتركوهم
 حتى تمكنوا من وسط حاضرهم قبل ان يشبع الخبر بهذا الامر في باقي طاراتها العديدة
 وكان الملك نابونيد قبل ان ينجباز الى قلعة بارسية قد ترك في مدينة بابل ولده المدعو باسم
 (بلطازار) اذ كان قد عهد اليه بالملك وأشركه معه في كرسى المملكة العراقية ولا شك
 في ان ما ذكر في سفر النبي دانيال بالتوادة من الوصف العجيب والذكر الاخذ بجميع القلوب
 فيما يتعلق بمجلس الفواحش الذي كان بلطازار قد انهى ملك فيه واعتمكف عليه قد كان
 في جوف ليلة هذا الموسم اعني في ذات الليلة التي كان كيرس قد فجا بجنوده الفارسيين
 والميديين مدينة بابل هذه ودخلها على حين غفلة من أهلها واتفق ان أحد قوادعسكر الجحيم
 المسمى باسم (دارا) المسمى بالمأمور من طرف الملك الفارسي بقيادة هذه الغارة الليلية على
 قاعدة السلطنة البابلية قتل بلطازار بيده فكافأه مولاه بان قلده بالولاية على سترية
 بابل (اي ولاية الستراب بمعنى الوالي او العامل) وكان الملك نابونيد قد سلم نفسه بصفة الاسير
 لملك فارس المذكور وبذلك زالت دولة العراق بالطريقة القطعية وانحلت بالكلية
 والجزئية من خريطة الكرة الارضية ولحقها الى هاوية الزوال ذات مدينة بابل هذه بعد
 قبل من القرون الزمنية

الفصل السادس

في كيفية ما كانت عليه بلاد الاسورية والبابلية من الدرجة التقدمية

والحالة العمرانية في سالف الاحقاب العصرية

مطلب — بيان كيفية المراتب الاساسية والمناصب السياسية التي كانت عليها الدولة
 الملوكية الاسورية الكلدانية في سالف الاحقاب العصرية قال المؤرخ فرانسيس لوتورمان
 السابق الذكر والبيان اعلاه في هذا الشأن ما تعريبه بغاية الضبط والتحرى على قدر الامكان
 كما سطر ادناه وقد كانت الدولة الملوكية الكلدانية الاسورية في تلك الاحقاب العصرية
 يتحقق فيها نوع ولاية الامر العامة التي حدثت فيما بعد بسائر الدول السلطانية الحادثة

في بلاد اسيية وسائر الدول المشرقية كدول الخلفاء الاسلامية ودول فارس السكيانية والساسانية وهو عين نوع الحكومة التي عليها ترتيب الدولة العثمانية بالقسطنطينية والدولة الروسية الموجدتين في عصرنا هذا وذلك عبارة عن أقبح حجة تقدم الحرية البشرية وارذل فقد انكارهم الاخلاق التمدنية فكان ترتيب دولتهم من قبيل الحكومة الاطلاق ما يكون من غير ضابط يضبطها ولا قانون يربطها بوجه من الوجوه مطلقا غير ما كان يعتبر في بعض الاحيان من ثوران بعض فتن داخلية شتمت على سفك الدماء الغزيرة التي كانت تحصل في داخل قصورهم الملوكية

ومع ذلك فلم يكن الملك في بلاد كلدانية والاسورية معتبرا في درجة الألوهية كما كان الحال كذلك بالديار المصرية ولم تعترف في ضمن الآثار القديمة التي حصل عليها العثول لغاية الآن من اطلال مدينة نينوى والمدن التي كانت مجاورة اهلها على اثر ولا عبارة تدل على ان من ملوك العراق السالفين من كان يحترم على انه اله معبود وفي مدة حياته كما وجد ذلك في آثار العمارات الفرعونية بل لا يوجد فيها ادى شائبة ولا اثر مطلقا يدل على تأليه أحد منهم من بعد وفاته وكان الملك يعتبر عندهم دائما كافر من البشر غير ان ذلك البشر كان بيده مجموع النفوذ الروحاني والبدني معا بمعنى انه كان مسلطا على الارواح والابدان وبعبارة أخرى كان له الولاية المطلقة العليا واليد التصرفية القصوى على سائر الرعايا من حيث السياسة والادبان وكان هو الحبر الأعظم والسلطان الاطلاق وكانوا يلقبونه بقلب خليفة الالهة على الارض وبرون ولايته صادرة عن اصل آلهي فهي ولاية عامة مطلقة تشمل الارواح والاشباح وقد دلت النقوش والتساوير التي حصل عليها الثوري في ضمن العمارات والقصور الباقية من آثار مدينتي نينوى وبابل على حقيقة كيفية المعيشة التي كانت عليها طريقة ترتيب الدولة النينوية والبابلية في تلك الاعصار الاولى اذ يوجد على تلك العمارات والتساوير من النقوش والتمائيل ما يدل تارة على هذا الغرض المذكور وتارة على صورة ما كان يحصل من الغزوات والحروب التي كانت تقع من بعض الملوك لقصد امتداد فتوحاتهم حيث كانت لا تزال تتسع بها المملكة العراقية فترى صورة ملك الملوك منهم جالسا في داخل قصره والقصر مع ذلك قلعة حصينة وحوله جم غفير وقوم كثير من رجال دولته واعلاهم منصبا طائفة طواشيته ومن أرقى أرباب وظائف ديوان الدائرة الملوكية ناظر سرايته وكبير سقاة الملك ورئيس الحرس السلطاني وكان من وظائف هذا الامير الاخير اضرار ياسة مسيخة البلد وادارة اعمال شحق المشنوقين وكان ارباب وظائف السراية الملوكية مع كونهم تحت ادارة الذات السلطانية بطريق المباشرة اى من غير واسطة وفي خدمته الخاصة هم أيضا أعيان رجال دولته ورؤساء حكومتهم وأرباب مشورته ينعم منهم مثل مجلس شورى الوزراء الذي

بنعقد الآن في الممالك العصرية (وهو المعبر عنه بالمجلس الخصوصي في الديار المصرية) عبارة عن مجلس عال بنعقد من كبار اعيان ارباب الدولة لقصد ادارة مهام المملكة تحت على رياسة الملك وان كان هو في اغلب الاحيان معتكفا في داخل حريم سرايته منهم كما على لذته مشتغلا بقضاء شؤونه عن النظر في المصالح العامة

مطلب — بيان كيفية تقليد الولاة على الاقاليم المفتوحة من طرف الدولة الكلدانية الاسورية في تلك الاحقاب العصرية — وقد كانت الاقاليم العديدة والولايات المديدة التي كانت قد افتتحتها الدولة الاسورية الكلدانية وجمعها تابعة لولايتها السلطانية على ضربين (احدهما) ما كان يولى عليه اعمال من طرف الملك بطريق المباشرة (والثاني) ما كان يلحق بالسلطنة العراقية بمجرد التبعية فقط فاما الضرب الثاني فكان متى فتح الاقليم ثوضع عليه يد السلطنة الاسورية العظمى ويقرر على ما كان عليه في سالف الاعصار من ترتيب كيفية ولايته وقوانينه الالهية الثابتة فيه بالروايات الاثرية مع بعض تغيير وتبديل قد يحصل من لدن الحضرة السلطانية الكبرى ويقررت ملكه على ولايته والصلية غير انه ياتزم بالاذعان والتبعية للملك المملوك الاعلى على انه سيده ومولاه ويجبر على ان يؤدي اليه في كل سنة من المال اناوة جسمية ويبعث له حصاة عظيمة من الجنود تنضم للعساكر السلطانية العراقية وقد كان من النوادر جدا ان يجرد ملك الاسورية بعض الاقاليم المذعنة بالطاعة اليه على انها بالتبعية له من ولايتها الخصوصية ويبعث عليها عاملا من مدينة نينوى بطريق المباشرة من طرفه ولا يقع ذلك الا اذا تكرر من ذلك الاقليم الخروج عن الطاعة السلطانية والمجاهرة بالعداوة والعصيان للدولة الاسورية الكلدانية

مطلب — بيان كيفية ترتيب الطبقات الالهية وتركيب الجمعية البشرية ببلاد الاسورية — لم يكن يوجد ببلاد الاسورية في سالف الاعصار لاطبقات اهلية متميزة بعضها فوق بعض ولا درجات متباينة بالدقة ولا طائفة سيادية وراثية مستقرة على وجه ثابت بل كان سائر الناس على قدم المساواة بعضهم لبعض في هيئة الاجتماع البشرية اعنى تلك المساواة التي كانت تقتضيها وتريدها وترغب فيها وترقرها طبيعة نوع الحكومة المملوكية المطلقة التصرف في سائر الامور لداعي انها هي التي يسهل لها ان تنفذ حكمها عليها وتطمئن اليها وهي عبارة عن كون سطح التسوية بين جميع الطوائف الالهية تضغط عليه وطأة قدم السلطنة ذات الشوكة القوية التي يحصل الحرص عليها من لدن قوة النفوذ السلطانية على سائر رقاب الرعية بحيث لا يكون بينهم تمييز الهمزة اللهم الا باختلاف الدرجات الناشئ عن الترقية الى بعض المناصب العلية والمراتب الاولى التي يترقى اليها بعض الرجال بمجرد ارادة ولي الامر كما يريد ويرضاه وليس فوق يده يد عليا للتمتيش عليها وفي أغلب الاحوال

يكون ذلك الترفي لا مبنياً على بواعث فضل واستحقاق بل لمجرد قضاء شهوة المولى وهو اه لا غير حتى انه لم يوجد في بلاد الاسور بين بتلك الاعصار تمييز ثابت مستمر ولا فرق ظاهر مستقر بين القوم الاسوريين والرعايا المغلوبين من اهـل البلاد التي افتتحوها وتغلبوا عليها وتملكوها فكان الملك في اغلب الاحيان ينصب بارادته بعض الرعايا الاجنبيين في اهل مناصب دولته ولم تكن المناصب العلية التي ينط اليها النظر في اهم المصالح السلطانية العمومية ينصب فيها دائماً بالخصوص من اعيان الاهالي الاسورية الاصليّة

مطلب — الكلام على ما كان للاسوريين في الاعصار القديمة من الشرائع والقوانين — لم يذكر في كتب التواريخ المأثورة عن مؤرخي السلف المعتمد عليهم في المدارس الاوربية من الفوائد التفصيلية والمعلومات البيانية فيما يتعلق بمادة الشرائع والقوانين الاسورية كما نقلوا لنا فيما يتعلق من هذا القبيل عن احوال الديار المصرية وغاية ما نعلم في هذا المقام هو ان كيفية القضاء في المواد الجنائية قد كانت تحصل عندهم بالطريقة الفورية أي السريعة بمعنى انهم كانوا يقضون على المتهم بمجرد ثبوت الدعوى عليه في مجلس القضاء بالطريقة الشفاهية وقد كانت شرائعهم في هذه المادة شديدة جدا وعقوباتهم شديدة للغاية وانهم كانوا يستعملون طرق التعذيب لاجل الحصول على اقرار المتهمين بالاجبار وان الحكم بالموت على المذنبين لا يصدر غالباً الا مسبوقاً بالتفتن في أنواع العذاب وتقلب المصائب على أصناف العقاب مما لا يعرف نظيره في الديار المصرية وقد كان مجرد قطع رأس الأذى من غير تمثيل به ولا تعذيب بالبلاد الاسورية في تلك الحقبة العصرية مما يعدم من الاحوال التزيرية ويتهرب من أنواع القتل اللطيفة وهيئات الموت الغير العنيفة وكانوا في أكثر الاحوال نارية يصلبون المذنبين ويملئون بهم وتارة يخزقونهم وطوراً يسلمونهم ويهسم على قيد الحياة ولا يدفنونهم الموتى المعاقبين بل يلقونهم في البادية فتأكلهم أنياب السباع المستوحشة وتفترسهم الحيوانات المفترسة وكان من المعتاد لهم كثيراً أن يعاقبوا على الذنوب الصغيرة التي لا تستحق القتل بقطع عضو أو عدة أعضا من البدن وكثيراً ما كانوا كذلك يجازون بفقاً البصر

مطلب — ذكر طباع الاسوريين — قد كان الاسوريون في سالف الاعصار بالاصالة هم من الرجال الغلاظ الشداد والابطال اولي الحرب والجلاد ولقد صدق بعض الصديق ووافق قوله بعض الحق من غير عنهم بقوله انهم كانوا روماني بلاد آسية القديمة وقد اتضح لنا بدليل ما نشاهده من تصاويرهم وتمثالهم المصورة في عماراتهم العظيمة انهم كانوا اناسا قصار القامة غلاظ الجسم شداد القوة اولي اعصاب تدل على انهم كانوا منطويين على قوة عصبية خارقة للعادة انوفهم صلبة محدودة وعيونهم متسعة وفي تقاطيع وجوههم ما يشتمل

على أظهر العلامات المميزة لذوات نوع الرتبة الالهية البشرية المعروفة بالسامية هذا فيما يتعلق بصفاتهم الحسية وهياكلهم الجسمية وامان حيث طبا عهم ان عقلية و اخلاقهم الباطنية فانهم كانوا على حسب ما عاهد فيهم من الفضائل والذائل الاخلاقية جامعين لآتم ما يكون عليه اعظم امة فاتحة للممالك ببلاد آسية فقد كانوا رجالا اهل جراءة واقدام على الحرب وقوما جبارين اهل قساوة للغاية يعيشون سفك الدماء ويحبون السلب والنهب اشد الحب وكانوا يبدلون نفوسهم مع غاية الجاس في الصداقة ملو كهم ممثلين من الكبر الذي لم يعهده نظير ولا قياس في امة من الامم السالفين وكانوا يزعمون انهم فوق جميع الملل المتقدمين ولهم صبر على الحرمان من الملاذ الدنيوية وفيهم ميل للجداد والخيانة واشيد الطباع الغريزية المائل للحب السلطنة وكانوا قوما اهل نشاط وشهامة ورجالا اهل جلالة ومواظبة ولداي اجتماع جميع هذه الصفات فيهم كانوا هم احدى الملل التي خلقها الله سبحانه وتعالى بتدبيره الازلي واعداه بتقديره الالهية القصد ان تستولى على غير هامن الامم الآخري مدة مامن الاحقاب الدهرية ولاجل ان يجعلها آلة عقاب لمن يستحق منهم سوء العذاب

وقد بلغت درجة خشوتهم وشدة نشاطهم وحركتهم لغاية انهم قاوموا مدة عدة قرون كاملة ما كان حاصل اعلينهم من تأثير التمتع والرفاهية التي كانت قد غلبت عليهم من بعدما كان قد تحصل لهم من كثرة الغنى والثروة من سائر اقطار الدنيا باستيلائهم على الممالك الكثيرة والفتوحات الغير المحصورة وتيسر لهم من بعد سقطة الملك سردانا بال انهم في مسافة ثلاثين سنة قاموا من سقطتهم وعادوا الى كانوا اعلينهم من شدة وطأنهم ولود درجة صولتهم وشوكتهم واستمر راعلى فتوح البلدان أكثر مما كانوا عليه في سالف الزمان ولم يتيسر لغيرهم من الامم الاسيين انهم استمر راعلى حفظ درجة أعلويتهم الجهادية مدة مديدة واعصارا عديدة كما تيسر لهم مع كون الامم الذين كانوا قلد أطاعوهم بالقوة القهرية كانوا قوما الى عصبية شديدة ومقاومة عسيدة وكانوا هم ذاتهم محاطين بأعداء من اشد ما يكون

مطلب — ذكر ما كان للاسوريين في تلك الاعصار السابقة من درجة الفلاحة والصناعة الفائقة — قد كانت أرض بلاد الاسورية في سالف الزمان ولم تزل لغاية الآن خصبة خصوبة تامة في أى مكان امكن جلب الماء اليه وتيسر ريده وكانوا قد تعلموا فنى الفلاحة من جيرانهم البابليين الذين كانوا في أول الامر هم أساتيدهم والقوم الاعلون عليهم ولذلك كان فن الفلاحة قد بلغ عندهم الى أقصى درجه الكمال من أعصار قديمة جدا في سائر بلاد الجزيرة الفراتية سواء كان ببلاد كلدان أو ببلاد الاسورية وكانت طرقهم الزراعية مؤسدة على أقوى الاصول العلمية أعنى على أساليب علمية وتجارب فعيلة تصعد الى أقصى

الازمان السالفة مع كونها مبنية على قواعد العلم مستندة للدالة العقلية ولم يكن يلحق الاسوريين والبابليين في فن الفلاحة أمة من الامم السالفة ولم يفقههم في كثير من الاعمال الزراعية أحد من الامم المتأخرين وكما كانت الزراعة عندها تين الملتين في أعلى درجة من الكمال فكذلك كانت الصنایع عندهم على تلك الحال فكان يخرج من معامل مدينتي نينوى وبابل في تلك الاعصار الغابرة من الاقمشة المصبوغة بالالوان الزاهية او المطرزة والامتعة النفيسة والمصنوعات المتقنة من مخلوط المعادن الثلاثة التي هي النحاس والقصدير والحارصيني أو التوتية المعدنية المسمى بمجوع ذلك بالتوج ومواد من المصاغات التي عليها نقش بغاية الدقة والظرافة ومن الاواني المنخدة من الفخار المطلي ما يرغب فيه الراغبون ويجلبه الجالبون الى سائر بلاد الامم المتقدمة وقد كان بدينة بابل تجارة ذات حركة نشيطة في البحر مع بلاد الهند وفي البر مع بلاد فارس والسوس ومدينة نينوى قوافل تسافر الى بلاد الفنيين وأسية الصغرى وبلاد الارمن والميديين

مطلب — ذكر القلم السمانى والخط السريانى — قد كان الخط الاسورى او السريانى المعبر عنه عند علماء الافرنج المتأخرين بالقلم السمانى هو فى الاصل من قبيل الخط الهيروجليفى والقلم المصرى القديم أعنى مركباً من حروف هي تماثيل الاشياء المحسوسة وصور المواد المكتوبة ثم يقتضى الميل الطبيعى حصل فى تصوير الاشياء على هذا الوجه تبديل شديد وتحويل آخر جديد واحوجت ضرورة الاختصار الى استبدال تصوير الثنى المكتوب على صورته الاصلية بتصوير بعض خواص مميزة له عن غيره وهى وان كانت ليست بصورته الحقيقية غير انها تدل على بعض صفات ظاهرية هى أخص خواصه الطبيعية ومن ثم نشأت صورة الكتابة السريانية المعبر عنها بالطريقة الكتابية السنانية وصفتها المميزة لها عن غيرها هى ان جميع الاشكال التى تتركب منها على أى هيئة كانت هى عبارة عن حروف تجميع بالاختيار أو بالجبر الى كونها تنتهى بما هو أشبه بسنان الرمح أو المسمار ولذلك تعبر عنها بالكتابة السنانية ولم تكن هيئة هذه الطريقة فى أول الامر الاناشئة عن كيفية رسم الخط وذلك ان الاسوريين والبابليين لم يكونوا يكتبون علامات كتابتهم هذه لابل القلم الواسطى على كأغد كالعهود عند أهل المشرق لغاية الآن ولا بقلم الرسم على ورق البردى ولا على جلود مدبوغة بمجزة لهذا القصد أو على خرق من القماش ولا بس قلم النقش الجاف على ألواح من الخشب أو خوص النخيل أو قشور الاشجار بل كانوا لداعى عدم تيسر هذه الوسائل لهم بالسهولة يرسمون حروفهم مفرغة فى ألواح من الطفل الطرى ثم يحرقونها بالنار اذا أرادوا بقاءها وحفظها على ممر الاعصار وكانت آلة كتابتهم قلماً على شكل المثلث يتخذونه من الحديد لهذا العمل حصل العثور على عدة افراد عديدة منه فى اطلال مدينة نينوى فكان تصوير شكل

خطهم على تلك الصورة الغربية أعنى صورة المسمار هذه ناتجة عن تأخير خط هذا القلم في جسم الطفل وترسم صورة المسمار فيه بواسطة الطرق عليه طرقين بقلم النقش المذكور ولا شك ان الرسم على الحجر يمثل هذا العمل كان اسهل لهم واسرع من تصوير تماثيل الاشياء المكتوبة بتمامها عليه ولذلك عدلوا عن هذه الطريقة الاولى الى تلك الطريقة السهلة قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المروى عنه اعلاه وجميع الصحف التي تيسر لنا الحصول عليها من بقايا الكتب السريانية القديمة الحقيقية هي ناتجة عن اعمال الحفر التي حصلت في اوائل هذا القرن الحاضر بمعرفة المعلم (ليار) الفرانساوى الساف الذكر واصلها من الكتبخانة العمومية التي كان قد انشأها الملك آسوربانيبال في قاعة من قصره بمدينة نينوى في ذلك العصر ولقد كانت تلك القاعة دار كتب عجيبة وكتبخانة غريبة وهي عبارة عن مجرد الواح مسطحة مرتبة من الحجر كتب على كل من وجهيها بقلم السنانى القديم ونوع الخط السريانى الدقيق المصموم (المعروف في اصطلاح اهل الخط بقلم الرقعة) حقيقة من الكتابة مرسومة على أصل الطفل وهو بحالة الطراوة بعد وقد وضع بأعلاها رقم يدل على انها صفحة من كتاب يتركب مجموعه من جملة صفحات كلها من هذا القليل ولا شك انها قد كانت في الاصل مرسومة بعضها فوق بعض على هيئة الكتاب موضوعة في خانة من دواب الكتبخانة المذكورة

مطلب — ذكر ديانة الاسوريين وعقائدها اهل العراق السالفين — وقد كانت ديانة الاسوريين والبابليين هي اصل منشأ اغلب المذاهب الدينية التي كان عليها سكان بلاد الشام وبلاد آسية الصغرى السالفين وكان دينهم من حيث أصوله الاساسية وقواعده الاصلية العمومية من قبيل دين قدماء المصريين وسائر اديان أهل الجاهلية الصابئين وعبداء الاصنام من الامم السالفين على العموم وذلك انه متى أمعن الناظر فيه نظره وحقق بصره الى ما وراء القشرة الخشنة الغليظة أعنى مادة تعدد الالهة المعبودين لهم التي كانوا يحجبون بها مضمون عقائدهم عن أعين العامة منهم وصعد الى مرتبة من العقائد الدينية الحقيقية أعلى من تلك الاوهام العامية التي هي لتلك العقائد الاصلية وسائل ابتدائية وأوائل توسلية اتضح له في ضمنها ادراك معنى أصلى دقيق من اصل الوحدانية الالهية وانه كان لهم حظ من عقيدة التوحيد الاصلية التي هي من آثار الوحي السابق غير انها كانت قد تشوهت على مرور الزمان بما كان قد تدخل في اذهان هؤلاء الامم من التخيلات الشيعية والاوهام البشيعية في ميدان تعدد الالهة المعبودين حيث خلطوا الخلق بالخالق وتصوروا الذات المعبودة في صورة مادة دنيوية آلهية جعلوا الحوادث الطبيعية هي مظاهرها وتوهموا ان الآثار الاعتيادية هي ما أثرها فكانوا يعتقدون انه يوجد اله واحد اسمى وذات معبود

أعلى هو السيب الاعظام والكل الاقصى تنتهى اليه سائر الاشياء الاخرى وتشتل فيه اشتمال الكل على الاجزاء ودونه عدة آلهة ثانوية سفلى وجملة ذوات معبودة دنيا صادرة عن الذات الالهية العليا مرتبة فى اعتقادهم على درجات متنوعة بحسب اختلاف قدرها واهمية بعضها بالنسبة لبعض وليست فى الحقيقة الاعبارة عن صفات الذات الاعلى وهم قد شخصوها وعن مظاهرها الاثرية وهم قد خصصوها وجعلوها ذوات مستقلة وآلهة منفردة عن الذات الاصلية وأصل جميع أديان الامم الجاهليين وعبدة الاصنام الصابئين السالفين واحد وانما كانت تختلف خصوصاً من حيث تنوع هؤلاء الذوات المعبودين الثانويين واختلاف تاهياتهم الذاتية فى تخيل هؤلاء الامم السالفين فكان المصريون كما أسلفنا ذكر ذلك فى موضعه قد تأثر تخيلهم خصوصاً بالحوادث المتوالية المرتبة لهم من حركة الشمس اليومية والسنوية فقرأى لهم فيها أعظم مظهر وأظهر أثر للذات الالهية الاصلية وتصوروا ان فيها انموذج وقوانين نظام الكون فجعلوها أصلاً لتشخصات آلهتهم ومنشأً لتخصص ذوات معبوداتهم بخلاف أهل العراق السالفين أعنى السككانيين والاسوريين المذكورين فانهم لما كانوا قد انهمكوا بالخصوص على الاشتغال بعلم الفلك كانوا قد تصوروا ان مجموع سائر الكواكب الفلكية ولاسيما الكواكب السيارة منها هى آثار للذات الالهية فاعتبروها هى مآثرها الظاهرية ومتعلقاتها الاثرية وجعلوها فى طريقة هم الدينية هى الصور المرتبة الصادرة عن ذات معبودهم الاصلى المطلق وكانوا يعتقدون اتحادها بالعالم المرقى الذى هو صنعتها وقد كانت هذا التصور موافقاً لما كانوا منهمكين عليه من دوام الاشتغال بعلمى الفلك والنجوم حيث كان هذان العلمان هما الغالبان على عقول هذه الامة وكانت خرقة القسس السككانيين الذين هم أمناء بآنتهم منهمكين بالخصوص على رصد أحوال السماء وما فيها من الكواكب والنجوم ومعرفة حركاتها وكانوا قد تقدموا فى هذا العلم فوق سائر العلوم تقديماً كبيراً جداً وكانوا لعلم الفلك هم اول الواضعين واسبق المؤسسين واليهم بنسب اختراع دائرة فلاك البروج وتقسيم الدائرة الى ٣٠ درجة والدرجة الى ٦٠ دقيقة وانهم اول من رصد الكواكب السيارة وحسب حوادث خسوف القمر وقد جرهم الاشتغال بعلم الفلك الى البحث فى العلوم الرياضية ولا سيما علم الاعداد وعندهم أخذ الفيلسوف اليونانى المشهور بفيثاغورس جدول الضرب المشهور باسمه فى علم الحساب لغاية الآن ولقد كانت ديانة أهل نينوى وبابل تشتمل على رذائل شنيعة ومناسك بشيعة وأمر مخالف لمكارم الاخلاق منفرقة للطباع السليمة جداً ومن ثم كان الانشيع الشديد والتعجب بالنفس العالى الذى كان يصدر من أنبياء بنى اسرائيل على هذه الديانة الدينية التى كانت تقر مثل هذه القبائح الشديدة

مطلب — ذكر فنون الاسوريين وصناعاتهم ومبانيهم وعماراتهم وكيف كان فن

العمارة عندهم - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكرو والبيان قدمكث الناس مدة مديدة واعصارا عديدة يعتمدون على مجرد قول أهل التارخ السالفين كالمؤرخ (اكليزياس) مثلافيماذكروه من انه قد كان للاسوريين في سالف الاعصار فنون وصناعات دأرتها وعمارات اتقنت صنعتها الى درجة عالية جدا ويعتقدون مجرد دعواهم في ماحرروه من بديع وصف العمارات الفاخرة والقصور والهيكل المشيدة التي كانت في مدينتي نينوى وبابل حتى جاءت سنة ١٨٤٤ الميلادية (سنة ١٢٦٠ هجرية) وفيها عثر بلدينا العالم التحرير والقنصل الشهير باسم (نوطه) وكان قنصل دولة فرانسبا الموصل على آثار قصر قديم لبعض الملوك الاسوريين في مكان قرية تحقيرة تدعى باسم (خورازاباد) على القرب من مدينة الموصل المذكورة وكان هو اول من استكشف شيئا من تلك الآثار المأثورة ثم حذا حذوه وحقا أثره جماعة كثيرون من اهل العناية بالبحث عن احوال الامم السالفين فاستكشفوا من هذا القبيل استكشافات كثيرة جدا حتى وقف سائر الناس الآن على حقيقة فن من العمارات لم يكونوا يعرفوا وجوده ولا قدره الا بمجرد الاعتماد على تلك الاقوال الادبية والشهادات التاريخية المشهورة ولقد علم بدليل هذه الاستكشافات ان ما كان يوجد ببلاد البابليين من العمارات الدينية كان كله على منوال واحد فانهم كانوا يبنون هياكلهم على شكل هرم مدرج يتركب من عدة سطوح عديدة مربعة وجملة طبقات مربعة من قصات بعضها فوق بعض من جميع جهاتها أعني ان كل سطح او طبقة منها هي أضيق مما دونها على وجه بحيث ان الطبقة السفلى اعني قاعدة الهرم كانت على اوسع مسافة من الارض والطبقة العليا وهي الرأس هي اضيقها وقد كان بناه برج بابل المشهور على هذا الوجه من قبل وكذلك كان بناء اقدم الاهرام المصرية كهرم صقارة مثلا وقد كان انشاء معابدهم على هذه الهيئة موافقا لما كان من كوزافي اذهانهم من بناء العرائد الكلدانية خصوصا من مبادئ اصلها على القواعد الفلكية وكانهم كانوا يعتقدون انهم بهذه الوسيلة يتقربون الى الاجسام السماوية التي كانوا يعبدونها فاتخذوا هياكلهم هذه كأنها رصدخانات حقيقية لكي يرصدوا فيها حركاتها الدورية ولذلك تراهم على سطح الطبقة العليا منها يبنون زاوية أو مصلى صغيرا وهو عبارة عن حجرة مربعة مربعة بأجمل الزينة يوضع فيها تمثال الاله المعبود لهم في كل هيكل من هياكلهم وكل سطح او طبقة من الطبقات السكائن بعضها فوق بعض مكسو ببلاط من الاجر تختلف ابعاده وألوانه في كل واحدة منها عن غيرها من الطبقات الاخرى وقد كان من عوايد الاسوريين على وجه العموم ان يعملوا جيبيلات مرتفعة عظيمة اى تلالا مصطنعة جسمية يجعلونها اقواعد مسطحة يبنون عليها هياكلهم وقصورهم ومدائنهم وديارهم ومنازلهم وكانت مدينة نينوى مبنية على هضبة مصطنعة من هذا القبيل تمتد على

خطهم مديد من مساحة الارض وكانت اسوارها تحيط على نطاق من الارض يبلغ مقاسه ٣٦٠ شواطئ يونانية اظهروا هاهنا مبنى بالآجر وباطنها محشو بتراب مجلوب ولذلك تراهما زال عنها الحائط المبنى بالآجر انما التراب المذکور واختلط بالارض كما لم يكن لها سور وحيث كانت عماراتهم مبنية على تلك التلال الصناعية كانت بحسب طريقة بنائها هذه تظهر لعين الرائي كأنها في الحقيقة تلال أخرى من اعمال البشر مترتبة على التلال الاولى وكانهم كانوا يحتفرون في جوانبها مساكنهم اذ كانوا يضطرون لذلك كما يظهر بضرورة جنس المواد المتيسرة عندهم لعمل الابنية والحاجة كونهم لا يتخذون لانفسهم بيوتاً طرية لتقيم الحرفى مثل تلك الاقطار الشديدة الحرارة نعم ان ارض بلاد الاسورية يوجد فيها أحجار بكثرة للبناء لكن البابلين الذين كانوا لبنانيين هم الاسانذة المعلمين كانوا لا يجدون في ارض بلادهم مواد للبناء حيث كانت ارضهم كلها سهولاً لا تتركب من مجرد طينة طفالية محمولة ولذلك اضطروا لتخاذل بنيتهم كلها من الطوب المصطنع اما محروقاً بالنار او مخففاً بحجارة الشمس لا غير وقد عاثرهم في ذلك تلامذتهم الاسوريون غير انهم بدلا عن كونهم يضربون الطوب بطريقة اساتيدهم البابلين انما كانوا يقتصرون على عمل مذايح من الطفل اى على مجرد القاء المادة الطفالية من بعد سحقها بمسحقة في قوالب من الخشب فقط ولم يكن للاسوريين مواد بناء أخرى غير هذه المادة حسبما اتضح من جميع اعمال الحفر التي حصلت في آثار العمارات الاسورية القديمة لغاية الآن اذ لم يوجد فيها البناء بالجر اللهم الا في صورة تطبيق من الظاهر لبعض الخيطان تراه مرصوصاً على طبقات اوصاف بعضها فوق بعض وفيها نقوش خفيفة تمتد على طول جوانب القيعان وتلك القيعان في غاية من الزينة الزاهرة الزاهية والنقوش الباهرة الباسية يكسو حيطانها من الظاهر طبقة من الجرانيت مبنية على الوجوه الخارجية من السطوح المذكورة ولما كان الاسوريون لا يتخذون لبنيتهم الا من المذايح الطفالية لمهم ان يجعلوا حيطانهم سميكة جداً وكانوا لا يبنون الا حرات ضيقة وحيطانها غير مرتفعة لان القبوة المصنوعة من المذايح الطفالية المذكورة لا يمكن ان تكون الاعلى ابعاد غير عظيمة وكانوا لا يجعلون عماراتهم الا بدور واحد ويربكون سطح سقفها بطبقة جسمية من الطين لاجل ان لا تحترقها الامطار ولا ينفذ فيها الشقوق الناشئة عن اشعة الشمس

مطلب — ذكر ما كان قد اشتهر عند الاسوريين في تلك العصور من صناعة التصوير — قد كان فن التصوير ببلاد الاسورية في سالف العصور من اعظم الفنون التي كان يشتغل بها الامم الافدمون ومنهم تعلم اليونان مبادئ تصويراتهم اذ كانت هذه الصناعة قد انتقلت اليهم بواسطة سكان بلاد آسية الصغرى وهم كانوا قد اخذوها عنهم وتعلموها منهم وذلك انه باعسان النظر في اعمال التصوير المصنوعة بآداب الفنونيين واليونانيين في الاعصار

الاغصار والاولية يرى ان بين-مادرجة ذراية عجيبة ومناسبة غريبة جدا وقد كانت صناعة التصوير عند الاسوريين كما هو شأن جميع الفنون الابتدائية والصناعات الاولى وكما كان الحال كذلك عند قدماء المصريين عبارة عن تقليد غير تام للصور الطبيعية وصنعة غشيمة في رسم التماثيل التصويرية تكاد ان تكون اعمالا بئائسة اوهي اساليب اتفاقية مصطلح عليها عندهم واكثرها من قبيل ما يشتغل به الصبيان في سائر البلدان في مبادى اشتغالهم بفن الرسم والتصوير فترى سائر رسم الوجوه في النواوير البارزة عندهم مثلاً مأخوذاً بجانب ولون ترتب عليه اختلال تركيب مجموع الصورة بتمامها لداعي كون تمثيل المستويات على الخشب اسهل من تمثيلها بالمواد غير ان فن التصوير عند الاسوريين كان مبنياً على اصول مغايرة لاصول فن التصوير عند المصريين ولم يكن على الصناعة الاسورية تلك الفخامة الاحتفالية والضخامة ال اثرية التي كانت تشاهد على التماثيل المصرية وذلك ان الاسوريين كانوا بدلاء عن كونهم يصورون الاشياء بصورها العمومية وينظرون لمجرد القوانين الجبرية من الصور الطبيعية فقط فختصرون صور المستويات والخطوط بواسطة ايجاز الصورة المراد تمثيلها والاقتصار فيها على اجزائها الاصلية واصفائها الطبيعية المميزة لها ولا يتخفون ما يستحق العناية به مبنياً على اصول الدقة والحدق كما نواته لقون بتصوير دقائق الاحوال مع غاية العناية والتدقيق فلا ينسون تطوير الثياب ولا يهملون رسم ضفيرة من شعر الرأس أو اللحية أو عصب ذراع او فخذاً وما أشبه ذلك واشد اعترافهم بتمثل هذه الدقائق كانت صناعة التصوير الاسورية كالصنعة المصرية تبعده عن تمثيل الحقيقة الطبيعية لكن كل منهما من طريق مخالف للثاني مخالفة الضد للضد وكانت عنايتهم في التصوير بالاحوال التبعية تبلغ من درجة الاهمية البالغة الى ما يضر بمجموع الرسم على العموم وكانت كيفية رسمهم لا عصاب أعضاء الجسم لداعي المبالغة في اظهارها وتصير هائلة جدا وتصير النسبة بين اجزاء البدن غير مضبوطة ومن هذه الخشونة بقي فن التصوير ببلاد العراق القديمة دون فن التصوير في ديار مصر بكثير ولم يكن فيه ما كان في فن التصوير المصري من الروح الخشيلة ودرجة التصوير العقلي وعظمة السكون والجلالة الدينية الموجهة في التماثيل المصرية لكنه في مقابلة ذلك يشتمل على حركة ونشاط ونوع من الروحانية والحياة لم تكن تعرف عند ارباب الفن المصريين (انتهى من تاريخ الامم المشرقية والحمد لله) فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان

مسائل

تتضمن على وجه الاختصار ما تقدم في هذا الباب الرابع من الفوائد والأفكار

أفكار تقديميه وفوائد عموميه

- ١ - ما المقتضى لترتيب تاريخ الاسوريين والبابلين بعد قدماء المصريين والعبرانيين بالنسبة الينامعاصر المصريين

مقدمة

- ٢ - ماصفة حوض دجلة والفرات وما اشتمل عليه من الممالك والولايات
- ٣ - كيف تنقسم الجزيرة الفراتية بالنسبة لطبيعة طبقتها الارضية وما طبيعة أرض كل قسم منها
- ٤ - ما المراد من التعبير ببلاد الاسورية وكيف كانت تنقسم في سالف الحقب العصرية
- ٥ - ماهى الولايات المشعولة في حوض دجلة والفرات وما صفة تلك البلدان على حسب ماهى عليه الآن
- ٦ - ما مكان مدينة (نينوى) القديمة ومن هو أول من اسكن كشف آثار هذه المدينة العظيمة
- ٧ - أين توجد اطلال مدينة بابل المشهورة
- ٨ - ما المراد من النبط أو النبطيين في مقابلة القبط أو القبطيين
- ٩ - ما وجه المقابلة بين وادى النيل ووادى دجلة والفرات وما الموجب لتعلق اطماع الدول بالجمع بينهما والاستيلاء عليهما في كل عصر وجيل
- ١٠ - ماذا قيل من الأشعار العربية الشهيرة في المقابلة بين نهر النيل والفرات

الفصل الاول

- ١١ - من كان سكان بلاد كلدنة من الامم الاقدمين في سالف الازمان بعد الطوفان وماذا
يذكرون السومير والاكاد - وهل كانوا وحدهم سكان تلك البلاد
- ١٢ - من كان اول من أنشأ المدن والعمارات على شواطئ نهرى الدجلة والفرات
- ١٣ - ما النمرود وماذا يحكى عنه في التوراة من الروايات
- ١٣ - ما أسور وماذا يؤثر عنه من الآثار والعمارات
- ١٥ - ما أصل منشأ الاسور بين أوالسريانيين وما نسبته للبابليين

الفصل الثاني

- ١٦ - ماذا ثبت من تاريخ أوائل أمر الدولة السكادانية والدولة الاسورية حين كانتا
مجتمعتين ببلاد الجزيرة الفراتية وماذا كانت مساكنهم من تلك الاقطار وما تحقق
عنهم من الاخبار
- ١٧ - ما حل الامة السكادانية الاسورية في تلك الاعصار الاولى
- ١٨ - ما قصة تملك الدولة الميديّة على مدينة بابل العراقية ومادة تملكهم على تلك البلاد
قبل الميلاد
- ١٩ - ما قصة تملك الدولة الايلامية على بلاد البابلية ومادة تملكهم على تلك البلاد قبل
الميلاد
- ٢٠ - من الذى اعقب الدولة الايلامية على بلاد البابلية وفي أى سنة كان ذلك قبل
الميلاد وما أشهر ملوك هذه الدولة الذين عثر لهم على بعض آثار بملك البلاد
- ٢١ - ما قصة استيلاء الدولة المصرية على بلاد الجزيرة الفراتية ومادة ذلك الاستيلاء
وماذا يستأنس لذلك من كتب المؤرخين المتقدمين

الفصل الثالث

- ٢٢ - كيف كان تأسيس السامرة الاسورية بملك البلاد (من القرن الخامس عشر الى
الرابع عشر قبل الميلاد) وما حلة تاريخ تلك المدة من حيث الصحة والاعتماد

- ٢٣ - مأواثل فتوحات الاسوريين لبلاد الامم المجاورين ومن هم أول الملوك الاسوريين
الفاحين
- ٢٤ - مأول منشأ العائلة الملوكية الاسورية المعروفة بالبليطارية وماتاريخ حدوثها
- قبل المدة الميلادية وماذا ثبت من تاريخ بليطارية ومن خلفه من ملوك تلك العائلة
الملوكية
- ٢٥ - ماذا ثبت من تاريخ الملك آسورنازيرپال وما عثر له عليه من الآثار الدالة على
ما كان فيه من غرائب الخصال وبجائبات الافعال
- ٢٦ - ماذا ثبت عن الملك سلمانصر الرابع وما تحقق له من الغزوات والوقائع
- ٢٧ - ماذا ثبت من أخبار الملك بيلوخوس الثالث والملكة سيميراميس الحقيقية وهل في
- التواريخ الاسورية الصحيحة امرأة تسمى بهذا الاسم غير هذه الذات الملوكية
- ٢٨ - ماذا يدكر عن الملك سردانپال من رذائل الخصال وماذا تضرب به الامثال وماذا
ترتب على فحس سلوكه من العنت والاحتلال وخراب مدينة نينوى الخراب الاول بعد
القتال
- ٢٩ - ما قصة زوال الدولة الاسورية الاولى وخراب مدينة نينوى الاول وماتاريخ هذه
الحادثة الكبرى

الفصل الرابع

- ٣٠ - ماذا كان من حال القوم الميديين بعد خراب مدينة نينوى الاول وماذا يدكر عن
الملك فول بعد ذلك بمدينة بابل
- ٣١ - كيف كانت مدة مكث الدولة البابلية وماذا فعل الاسوريون بعد ذلك من المسالك
حتى عادت السلطنة الاسورية الى مدينة نينوى بالثاني وماذا يدكر عن الملك
(تجلات فلصر) الثاني
- ٣٢ - ماذا يدكر عن الملك (سلمانصر)
- ٣٣ - ماذا يدكر عن الملك (سرجون)
- ٣٤ - ماذا يدكر عن الملك (سنخاريب)
- ٣٥ - ماذا يدكر عن الملك (آسارادون)
- ٣٦ - ماذا يدكر عن الملك (آسور بانيبال)

- ٣٧ - ما آخر ما حصل من النجاح في الجهاد على يد بعض الملوك الاسوريين من الطبقة الثانية بتلك البلاد
- ٣٨ - كيف كان زوال الدولة الاسورية الثانية وخراب مدينة نينوى الخراب الثاني بالكلية والجزئية وما قصة غارة الاقوام السيتيين على بلاد الميديين وماذا ترتب على تلك الحادثة الدهرية
- ٣٩ - من هو آخر ملوك الدولة الاسورية الثانية بمدينة نينوى وكيف كانت حالته بالنسبة لصاحب الدولة الميديّة

الفصل الخامس

- ٤٠ - ماذا يذكر من غرائب الامور عن الملك بختنصر المشهور
- ٤١ - ما قصة واقعة قرقيش الشهيرة وما الذي اوجب سرعة هود بختنصر الى مدينة بابل عقب هذه الواقعة الشهيرة
- ٤٢ - ما قصة أوائل غزوات بختنصر ببلاد اليهود بناء على ما كان قد حصل من طرف ملكهم من نقض العهد
- ٤٣ - ما قصة خراب بيت المقدس على يد بختنصر وماذا فعل بالملك صدقياس من أفعال الجبر والتهور
- ٤٤ - ما قصه وقايح بختنصر الحريرة ببلاد الجزيرة العربية
- ٤٥ - ما قصة ما يؤثر عن بختنصر من العمارات والآثار وما قصة مدينة بابل حسب ما نص عليه المؤرخ هيرودوت اليوناني في تلك الاعصار
- ٤٦ - ما المحرّضات المؤثرخ فرانسيس لوفورمان فيما يتعلق بقياس مدينة بابل في تلك الازمان ببعض المدن الموجودة الان
- ٤٧ - ما تعريف البساتين المعلقة المشهورة في قديم الزمان وبماذا يمكن تشبيهها بما يوجد من هذا القبيل الان
- ٤٨ - ماذا كانت آثار بختنصر فيما يتعلق بالمواد الزراعية والتجارية والاسفار البحرية
- ٤٩ - ما قصة ما اعتري بختنصر من الجنون وما حصل له في آخر عمره من الغرور والقنوت

الدرس الثامن ٣٧٨ في التاريخ العام

- ٥٠ - ما أسباب سرعة انحطاط السلطنة البابلية ومجلة زوال الدولة الكلدانية بالنسبة للسلطنة الاسورية وما تأويل الرؤيا المنامية التي كان رآها بعض ملوك الدولة العراقية فيما يتعلق بهذه القضية
- ٥١ - ما تاريخ خلافة بختنصر على ملكة بابل من الملوك في ذلك العصر
- ٥٢ - بماذا اشتهر ولد بختنصر المدعو باسم (ابو بلير وداش) من مكارم الافعال الانسانية وهل استمر على حسن تلك السيرة الملوكية
- ٥٣ - ما قصة صهر بختنصر المدعو باسم (نير بجليصور) وكيف كانت عاقبة امره في تلك العصور
- ٥٤ - من ذا الذي خلف الملك (نير بجليصور) وما قصة اسديلاء الملك (نانو يد) على سرير السلطنة البابلية وكيف كانت طالة أيام هذا الملك الاخير
- ٥٥ - ما قصة سقوط الدولة البابلية وزوال السلطنة العراقية بالكلية

الفصل السادس

- ٥٦ - كيف كان ترتيب الدولة الاسورية الكلدانية في سالف الاحقاب الزمنية وما نوع تلك الولاية العمومية وكيف كانت تعتبر عندهم المرتبة الملوكية بالنسبة لساائر المراتب الدولية
- ٥٧ - ما كيفية تقليد الولاة على الاقاليم الاجنبية المفتوحة من طرف الدولة الكلدانية الاسورية في تلك الاعداء اب العصرية
- ٥٨ - كيف كانت طريقة ترتيب الطبقات الاهلية وترتيب الجمعية البشرية ببلاد الاسورية في تلك الاحقاب الدهرية
- ٥٩ - ماذا يذكر عما كان للاسوريين في الاعصار القديمة من الشرائع والقوانين بالقياس على شرائع المصريين
- ٦٠ - كيف كانت طباع الاسوريين الاخلاقية وهيئاتهم الجسمية
- ٦١ - ماذا يذكر عن الاسوريين في تلك الاعصار السابقة من درجة الفلاحة والصناعة الفائقة
- ٦٢ - ما تعريف القلم السمناني والخط الميرياني القديم
- ٦٣ - ما قيمة ديانة الاسوريين واهمية عقائدها لاهل العراق السالفين وماذا كانوا قد برعوا فيه من انواع العلوم والفنون

٦٤ - ما حالة صناعاتهم ومبانيهم وعماراتهم وكيف كانت قد بلغت درجة فن العمارة

عندهم

٦٥ - ما حقيقة ما كان قد اشتهر عن الاسوريين في تلك العصور من صناعة التمثيل

والتصوير



الباب الخامس

في تاريخ الفرس والميديين وسكان بلاد العراق الجعفي واذر بيجان السالفين

(واصل مأخذ هذا الباب من تأليفات العلماء الاورو باوين المتأخرين وتحقيقات المؤرخين المحققين المصريين ولا سيما من تأليف المؤلف (برجان) فيما يتعلق باصول الامم المتكونة من بني يافث السالفين وتأليف العالم (بيشيت) فيما يتعلق باصول الامم الهندية والاوروباويين والآخرين الاولين وكتاب المعلم (شيبيل) فيما يتعلق باصول ديانة الجنس البشري الهندي الايراني وتأليفات العالم الپروسياني المشهور باسم (كوهن) وغير ذلك)

افكار تقديمية وفوايد عمومية

قد علمنا ما تقدم في الابواب السابقة ان الديار المصرية هي قطب رحي الدنيا القديمة والحديثة في الاعصار السالفة والحالفة كما سيأتي ايضا حاه ايضا في الابواب اللاحقة وفهمنا مما سلف ذكره لغاية الآن ان كل امة تبعت بصولتها بين الامم المتقدمة وكل امة برعت بشوكتها بين الملل السالفين في ذلك الزمان لا بد وأن تتعلق بالاستيلاء عليها اطماعها وتشوقها لاستصفائها لنفسها واستتباعها لداعي ما منحها الله سبحانه وتعالى دون سائر الاقطار الدنيوية من المزايا الطبيعية وحسن الاحوال الموقعية كالخوداء البديعة الجمال الغزيرة المال والحسنة ذات الحسب والنسب الكثيرة النشب يتزاحم عليها الراغبون ويتنافسون في مهرها الخاطبون ولذلك يجب علينا معاشر ابناء المصيرين وطلبة العلم المصريين في درس التاريخ العام والبحث عن اخصار سائر الامم والقوام ان لا نقطع النظر عن هذه البقعة الكريمة والجنة الارضية العظيمة ونزد سائر تواريخ الامم المتنوعة عن اليها ونبحث في جميع اخبارهم واحوالهم لا من حيث كونهم لنا هم الغرض الاصلى والباعث الاولى بل بطريق التبعية والتمسك عليها واذا سرحتنا اور وحننا في بعض ميادين اخبار هؤلاء الامم والقوام في كل مكان وفي كل زمان ينبغي لنا ان نرجع دائما الى هذه الاوطان التي حباها من الايمان ونقول لها بالقلب والالسان قول العاشق الولهان (شعر)

اورى بسعدى والرباب وزينب * وكل يدبغ الحسن والقصد انتمو

وان من اشهر الامم السالفين واكبر الملل الاغراب المتقدمين الذين امتدت يدهم

واستعدت عددهم وعددهم للاستيلاء على الدار المصرية في سالف الاحقاب العصرية اعنى بمدة التواريخ القديمة التي نحن بصدد البحث عنها والاقباس منها بعد غارة الملوك الرعاة المعروفين بالهيكسوسيين وغارة ملوك الايتوبيين ومن احتمهم عليها كما علمتهم تفاصيل ذلك فيما سلف من ملوك الاسوريين هم ملوك فارس والميديين أى سكان بلاد العراق الجمي واذربيجان السالفين وكانت مساكنهم فيما وراء البحر المسمى عند السلف باسم بحر (اير يتره) وهو المعروف الآن بالخليج الفارسي الخارج من الاوقيانوس الهندى او بحر الهند ويتصل بخليج عمان وذلك القطر هو ما يعرف في هذا الزمان ببلاد العجم أو دولة (ايران) والغرض لنا من هذا الباب ان نبحث عما ثبت عند المحققين من علماء التاريخ الاروباويين المتأخرين من أخبار هذه الامة الشهيرة والملة ذات الشوكة الكبيرة من سالف الاحقاب لغاية ان امتدت سلطنتهم وشملت غارتهم ديارنا هذه المصرية واستحقوها بالتبعية وتتبع تاريخها بعد ذلك لغاية ما يعرف في اصطلاح أهل التاريخ بالحروب الميديّة يعنون بذلك الوقائع الحربية التي وقعت بين الامة الفارسية واليونان المعبر عنهم عند العرب بالروم كما هو معلوم وذلك في نحو القرن الخامس قبل ميلاد المسيح عليه السلام كما فعلنا بالامم المذكورين في سالف الابواب من هذا الكتاب

وقبل الشروع في ايراد هذه التحقيقات التاريخية والنتائج الاستكشافية العلمية يلزم أن نقدم امام هذا الباب مقدمة تستل على معلومات جغرافية وفوائد وصفية تتعلق بالانظار الارضية التي كان فيها مساكن هذه الامة الميديّة وتلك الملة الفارسية التي نريد ان نستعمل بالوقوف على حقيقة تاريخها في سالف الاحقاب لضرورة معرفة وصف المكان قبل السكان على حسب الاسلوب الذي سلكناه في هذا التأليف لغاية الآن

مقدمة

في بعض قوائد جغرافية ومعلومات وصفية تتعلق ببلاد فارس والميديّة

جرت عادة المؤرخين الاوروباويين ان يذكروا تاريخ بلاد فارس والميديين او مادی في باب واحد وان كانوا أمتين متغايرتين وملتين مختلفتين كما جرت عادتهم أيضا بأن يذكروا في باب واحد كذلك تواريخ الاسوريين والبابليين لارتباط أخبار بعضهم ببعض ولا يكون مساكنهم متقاربة والافراد الميديّة (ويقال لها أيضا بلاد مادی) هي خلاف بلاد فارس وان كانت اما كنهم متصاربة من أقطار الارض وحدث وكل منهما كالسطر بعد

مطلب — حدود بلاد الميديّة — أما بلاد الميديّة فهي محدودة من جهة الشمال ببحر الخزر و بلاد أرمينية ومن جهة الغرب ببلاد الآسورية الأصلية ومن جهة الجنوب ببلاد فارس ومن جهة الشرق بالبلاد المسماة ببلاد الفريثية (بالثاء المثلثة بعد الراء المهملة) وهي القطر الكائن بشرقى العراق العجمي وغربى خراسان الآن و جبال الخزر تنسب سائر سطح الجهة الشمالية منها وفي تلك الجهة أيضا ما يوجد ببلد تلك البلاد من الانهار وذلك غديران يسمى أحدهما باسم (قورش أو قور) والثاني بنهر (آراس) وقد كانت مدنها الأصلية في سالف الزمان كل من مدينة (ايكباتان) (قال صاحب معجم مشاهير الرجال والبلدان ولعلها الآن المدينة المعروفة بهمدان) ثم مدينة (راجيس) (وهي المدينة المعروفة باسم الري الآن)

مطلب — حدود بلاد فارس — وأما بلاد فارس أو فارسستان فقد كانت في سالف الزمان عبارة عن الأرض المشمولة فيما بين بلاد الميديّة المذكورة أعلاه والخليج الفارسي من جهتي الشمال والجنوب وبين بلاد الكرمان (بكسر الفاء الموحدة وسكون الراء المهملة) وبلاد البابلية من جهتي الشرق والغرب وفيها من جهتي الشمال والغرب جبال لا يمكن منها الدخول إليها الا بغاية المشقة والتعب وكانت مدنها الأصلية في سالف الزمان كل من مدينة (برسپوليس) (وهي المعروفة الآن باسم ايتشهيل منار) ثم مدينة (بازارجاد) (بالبا الفارسية في اوله وهي المعروفة الآن باسم (بارا) أو (فازا) (بالباء الفارسية أو بالباء الموحدة الفوقية في اوله)

وقد كانت سلطنة فارس المشهورة في عصر (دارا) الاول تشتمل على عشرين سترابية اى عمالة بمعنى اقليم او ولاية ينصب عليها عامل من طرف دولة فارس المذكورة منها ما هو بلاد افريقية كالديار المصرية وما يليها من بلاد (قوريس) او بلاد (ليبيا) (وهي بلاد برقة) من الاقطار المغربية ومنها ما هو بلاد آسية اى فيما بين بلاد الميديّة لغاية بلاد الهند ولا جمل تصور مجموع بلاد فارس وما دى الأصلية قبل الشروع فيما يتعلق بهما من الاخبار التاريخية رأينا ان نعرب هنا ما سطر في كتاب جغرافية المعلم (قورتنبير) الكبيرى الفرنساوية فيما يتعلق بهذه الاقطار الفارسية وذلك كما سطر بعد

مطلب — اوصاف مملكة فارس الطبيعية وذكر بعض احوالها المحلية — قال المعلم (قورتنبير) المذكور في كتاب جغرافيته الكبيرى المشهور ان دولة فارس المسماة عند اهل المشرق بدولة (ايران) تمتد الآن في شرقى دولة بنى عثمان على الاقطار الكائنة فيما بين بحر الخزر من جهة الشمال والخليج الفارسي من جهة الجنوب وتتصل من جهة الشرق ببلاد (بلوچستان) و (افغانستان) من جهة الشمال الشرقى ببلاد (تركستان) المسماة ايضا ببلاد (العترا المسماة قلة) ومن جهة الشمال الغربى ببلاد ماوراء جبال قوقازة ومساحة طولها

٢٠٠٠ كيلومتر من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي على متوسط عرض يبلغ ١١٠٠ كيلومتر ومساحة سطحها مليون واحد كيلومترا مربعا وتعداد اهلها الآن عشرة ملايين نفسا ومتوسط اقطارها على درجة ٣٥ من العرض وتمتد من جهة الجنوب الى حد الرأس المسمى باسم (رأس ياسك) السكان على بحر عمان ويسمى مدخل الخليج الفارسي من بحر الهند باسم بوزغاز (هرمز) ويشتمل البوزغاز المذكور على جزيرتين تدعى احدهما باسم جزيرة (هرمز) والثانية باسم جزيرة (كيشم) وفي داخل الخليج الفارسي عدة جزائر عديدة وهذا البوزغاز شهير باستخراج اللؤلؤ

وأجمل اقطار بلاد فارس المذكورة هو الجبل الجنوبية منها غير ان هواءها حار وكثيرا ما تعتبرها الرياح الخطرة المعروفة بالسموم وأما في جهة الشرق وللشمال الشرقي فان درجة الهواء لطيفة موافقة للصحة وفي جهة الشمال منها اعني على سواحل بحر الخزر تحدا اقطارا خصبة بخلاف جهة الشرق حيث تجد فيها الصحراء الكبيرة المسماة باسم (سالة) أي الملحقة ويخرج ببلاد فارس هذه ثمرات طيبة نفيسة وفواكه أرضية جميلة فهي الموطن الأصلي لشجرة التين والمان والتوت واللوز والخوخ والمشمش والبرقوق والعنب ويصطنع بها الخمر الجيد ويخرج نعدة أقطار منها كذلك من القمح والارز والقطن وقصب السكر ما هو سبب ثروتها ويزرع بهان البساتين التي هي منتزهات أهل فارس ما يزدان بها لا يحصى من أنواع الازهار الجميلة وفي هذه الاقطار الخيل الفارسية المشهورة الجميلة والجمال الجيدة النافعة للأسفار وهي نفيسة أيضا من حيث مالها من دقيق الاوبار التي نأخذ منها الاقشة المتقنة وفي الاقطار الشرقية منها صنف من المعز يكاد أن يضاها في الاشتهار معز بلاد (التيبت) من حيث دقة الشعر وقد يوجد في عدة أقاليم منها الاسد والنمر وغير ذلك من السباع الضارية وأعظم المواد المعدنية التي توجد بها الملح حيث يوجد في كل مكان منها والنفط وهم يسمونه لنتوير بدلا عن الزيت ومنها النحاس والياقوت والفيروزج واللازورد والون الازرق الجميل

وتنقسم بلاد فارس بحسب احوالها الطبيعية الى ثلاثة اقطار أصلية (الأول) وهو أعظمها يشتمل على وسط تلك المملكة وعلى جهة الشرق منها ومنه يتركب الجزء الغربي من ارض مستوية مرتفعة متسعة تعرف بما عناه هضبة فارس وهذه الهضبة يحدها من جهة الشمال جبال خراسان وجبال البرج ومن جهة الغرب جبال (الوند) وأعلى هذه الجبال هو رأس (ديماوند) السكان في جبال البرج المذكورة ومقدار ارتفاعه ٦٤٠٠ متر (الثاني) من اقطار بلاد فارس الطبيعية هو منحدر بحر الخزر وهو في جهة الشمال منها (الثالث) في جهة الجنوب منها وهو يشتمل على المنحدر المائل نحو الخليج الفارسي وبوزغاز (هرمز)

وبحرمعان

وسائر الانهار الموجودة بهضبة فارس المذكورة لا مصاب لها بل تضيع اما في رمال الصحارى او في البحيرات والبرك الموجودة فيها بدون ان يرى لها مصارف معلومة واعظمها النهر المسمى باسم (زايانده رود) وهو يضيئ في الصحراء الكبيرة المسماة باسم (سالة) المذكورة اعلاه النهر المسمى باسم (بنده مير) وهو يصب في بحيرة (بختاجان) وفي جهة الشمال الغربي من ثم هضبة فارس هذه بحيرة ملحّة عظيمة تعرف ببخيرة (أرميه) (بضم الهمزة وسكون الراء المهملة) ومساحة طولها ١٣٠ كيلومترا وماؤها كبحيرة لوط وبحيرة (الوان) الملح المياه التي تعرف بغربي بلاد آسيما فلا يعيش فيها سمك ولا حيوان مطلقا ومن أنهار هذه الاقطار أيضا نهر (قرل أوزان) ونهر (أراس) وهونهر سريرع الجريان جديا يتكون منه بعض الحدود والفاصلة بين أرض فارس وبلاد ماوراء جبال قوقازة (وهو الذي كان يسمى عند الامم المتقدمين كنهر (بنده مير) السالف الذكر باسم (آراس) ثم نهر (تدران) وأسفل مجراه ببلاد (تركستان) (أوبلا التتر المستقلة) وفي المنحدر الجنوبي من تلك الاقطار نهر الكرخ يلتقي مع النهر المسمى بشط العرب ثم نهر (قارون) يصب في خليج فارس مع اختلاط بعض مياهه بماء هذا النهر الاخير

مطلب — ذكر تقاسيم مملكة فارس السياسية في هذه الاحقاب العصرية — قال العالم الجغرافى المروى عنه علاه مامنهان ان مملكة فارس تنقسم من حيث خططها السياسية الى أحد عشر أقالما أو حكمداية اثنان منها في جهة الشمال على طول بحر الخزر وهما (مازندران) و (كيلان) أما الاول فقاعدته مدينة (بلقر وخ) يبلغ عدد أهلها ١٠٠٠٠٠ نفس وهى حاضرة شهيرة فبكثرة المتاجر والصنایع والمدارس ويلها مدينة (سارى) وعدد أهلها ٣٠٠٠٠ نفس واما الثانى فقاعدته مدينة (رشت) ومبلغ أهلها ٨٠٠٠٠ نفس غير ان موقعها في مكان مضر بالصحة

وفي وسط مملكة فارس أو ايران الاقليم المعروف بالعراق العجمى أى الفارسى وهو يشتمل من جهة الغرب منها على أقطار خصبة ثم يمتد من جهة الشرق الى صحارى جدبة وقاعدته مدينة (طهران) التى هى قاعدة سائر مملكة فارس وهى على القرب من جبال البرج وعددها أهلها فى الشتاء ١٣٠٠٠٠ نفس وفى الصيف ٤٠٠٠٠ نفس فقط ومن أظهر ما فيها من الابنية الكبيرة والعمارات الشهيرة قصر الملك وهو عمارة متسعة جدا متخلية بكثير من الزاوق والزينة وعلى شرقى تلك المدينة مدينة (ديماند) الكائنة على القرب من الرأس المسماة باسمهمان من جهة الجنوب وبجوارها طلال مدينة الرى التى يقال انها هى مدينة (راجيس) القديمة وهى مكان ولادة الخليفة هارون الرشيد المشهور وفى جنوب العراق

الجمي المذكور مدينة (أصفهان) وقد كانت هي قاعدة المملكة الفارسية قبل مدينة (طهران) ثم انحطت عن عالي درجتها السالفه إذ كان عدد أهلها في سالف الزمان نحو مليون كامل من السكان ثم صارت لا يوجد بها الا نحو ١٠٠٠٠٠ نفس الآن ومن أظهر العمارات الظاهرة بتلك الحاضرة عدة قصور وقنطرة (زاينده رود) والسوق المعروفة بسوق عباس والمسجد السلطاني الموجود بها والسهل المحيط بها ذو خصوبة غزيرة جدا يخرج منه خصوصا من القوان والبلخ أصناف شهيرة وفيما بين أصفهان وطهران مدينة (فاشان) وهي مدينة جميلة جدا والمدينة المسماة باسم (قم) وهي عند أهل فارس كعبة محترمة يكثر حجهم إليها وبقعة مباركة يترددون إليها وعلى شمال طهران مدينة (قزوین) يبلغ عدد أهلها ٦٠٠٠٠ نفس وقد كانت في سالف الأزمنة مقر السلطنة وهي شهيرة بما يصطنع بها من السيوف الجمجمة والمصنوعات النحاسية وفي غربي العراق الجمي مدينة (همدان) أو (همذاب) (بالذان المججمة أو بالذال المهملة) وهي من أجل مدائن بلاد فارس موضوعة على الغرب من اطلال المدينة الشهيرة عند السلف باسم (ايدكانان) وفي الجنوب الشرقي من العراق الجمي المذكور مدينة (برز) وهي حاضرة كبيرة لا بأس بها وأكثر سكانها من الجوس وهم عبدة النار المتدينون بديانة (زردشت) (وسمى أي يمان تاريخ مذهبهم في هذا الباب ان شاء الله تعالى)

ومن الاقاليم السياسية بغربي المملكة الفارسية ثلاثة اقاليم تمتد على حدود الدولة العثمانية وهي (اذربيجان) و(كرديستان) و(خوزستان) اما الاول فهو عبارة عن اراض جبلية فقراء باردة الهواء تكثر بها الزلازل الارضية الشديدة وتظهر فيها الالة لابان البركانية (اي الارية) العديدة (والبركانية نسبة للبركان بمعنى الجبل الذي قد تنفجح فيه فوهات من النيران) وقاعدة هذا الاقليم مدينة (تبريز) وهي حاضرة جميلة ذات تجارة كبيرة على الشمال الشرقي من بحيرة (ارميه) يبلغ عدد أهلها ١٦٠٠٠٠ نفس وعلى الشمال الغربي من البحيرة المذكورة المدينة المشهورة بعض الشهرة باسم (خوى) (على صيغة التصغير)

واما اقليم كردستان الفارسي فهو كذلك عبارة عن اراض جبلية أكثر سكانها قبائل من الاكراد الرحالين الترابين والاقوام الغير المتوطنين ومن مدنها ايضا مدينة (سهنه) ومدينة (كرمانشاه) وهي مدينة رديئة الابنية غير انها كثيرة التجارة يبلغ عدد أهلها ٤٠٠٠ نفس واما اقليم خوزستان فهو كائن من جهة الجنوب على ساحل الخليج الفارسي ويشتمل من جهة الشمال على الخط المسماة باسم (لورستان) وقاعدته مدينة (شستر) على القرب من اطلال المدينة القديمة المشهورة باسم (سسوس) ومن مدنها الشهيرة مدينة

(ذيفول)

ومن اجل اقليم فارس ايضا الاقليم الجليل والوادى الجليل المسمى باسم (فارستان) وهو بلاد فارس الاصلية وارض دولة العجم القديمة الحقيقية وقاعدته مدينة (شيراز) موضوعة في اجل المواضع واجل المواقع بوادى الحقيقة جنة يستمر بها فصل الربيع على مر ايام السنة ويخرج بها اجود اصناف الخمر الذى يتأتى ببلاد آسبا والبرقوق اللذيذ وغيره من أنواع الفواكه الشهيرة وهذا الوادى معدود من جملة الجنان الارضية عند اهل البلاد الشرقية غير انه يكبره الازل التى قد تترتب عليه اضراب بعض الاماكن والمنازل ويسمى اهل فارس مدينة شيراز هذه بدار العلم وبها كانت اقامة الشاعرين الفارسيين الشهيرين باسم الخافظ والسعدى وفي الشمال الغربى من هذا الاقليم ايضا الوادى المسمى باسم (شهاب ديوان) وهو احد الجنان الاربع المشهورة بتلك البلدان وعلى الشمال الشرقى من شيراز آثار مدينة (پرسپوليس) التى كانت قاعدة مملكة فارس فى سالف الازمان وأعظم المين الكائنة بهذا الاقليم هى الفرضة المسماة باسم (أرشهر أو بندر بوشهر) على ساحل الخليج الفارسى وهى عرضة لدرجة من الحرارة خانقة واماها فى الخليج المذکور جزيرة (كرک) التى توات عليها يد الفلمنكيين ثم الفرائسيين ثم الانجليز

وأقصى الاقليم الفارسية الى جهة الجنوب اقليم (لارستان) وقاعدته مدينة (لار) التى كانت فى سالف الزمان مدينة عظيمة ثم انحطت عن عالى درجتها القديمة الآن وفى الجنوب الشرقى من المملكة المذکورة أفليمان أحد مدنها بحرى وهو المسمى باسم (موغستان) والثانى أدنى منه وهو اقليم (كرمان) اما الاول فهو من جهة على ساحل بوغاز (هرمز) وبحر عمان وبه مينة تعرف باسم (بندر عباس أو جو مرون) كانت فى سالف الزمان موضع تجارة عظيمة وفرضة بحرية جسيمة وايسر تابعة لمملكة فارس بل هى مملوكة لآمام مسقط من ملوك العرب ويوجد امام هذه الفرضة جزيرة (هرمز) فى البوغاز المسمى باسمها وهى عبارة عن صخرة قفرة لا تنبت شيا غير ان فيها مدينة مزره كانت فى الاصل من المتوسطة لغاية القرن السابع عشر من الميلاد من أعظم البقاع تجارة ببلاد آسيا وعلى القرب من هذه الجزيرة من جهة الغرب منها جزيرة (كيشم) وهى أوسع منها وأرضها خصيبه جدا وكلتا هاتى تابعة لآمامة مسقط للمملكة فارس

وأما الثانى وهو اقليم (كرمان) فهو مشهور بما يصنع فيه من الانسجة الجميلة المتخذة من أوبار الابل وشعور المعز ويخرج منه من العقاقير الطبية والمواد المعدنية والخمور الجيدة وقاعدته مدينة (كرمان) وتسمى أيضا (سرجان) وفى شرقى مملكة فارس ايضا الاقليم الكبير المسمى باسم (خراسان) وهى بقعة خصبة جدا

في الجهة الشمالية ومتكونة من صحارى جديدة في ابلهه الجنوبية وهى مشهورة بما تليق منها من نفع الياقوت المسمى بالعل وبالفيرزج والخيول الجمدة والسط المتقنة وقاعدته مدينة (المشهد) مشهد الحسين بن على رضى الله تعالى عنه وقد كانت أكثر عظمة في المدة السالفة مما هى عليه في هذه الاعصار الخالفة بكثير وبها مسجد شهير واثركبير يقال انه مؤسس على مشهد الامام الحسين ولذلك يكثر عليه تردد الزائرين ومحط رحال المسافرين وبحوار المدينة المذكورة آثار مدينة (طوس) المشهورة وقد كانت في الاعصار السالفة حاضرة كبيرة ومنها الشاعر الفارسي الشهير بالفردوسي ومن المدن العظيمة باقليم خراسان أيضا (نيسابور) وبحوارها معادن الغبير زج وفي نواحى بحر الخيزر من مدن هامة فارس الشهيرة مدينة (أستراباد) عدد سكانها ٤٠٠٠ نفس وبها يسمى الخليج المعروف بهذا الاسم ثم مدينة (دامغان) الكائنة على جنوب المدينة المذكورة وهى الآن مدينة حقيرة مع كونها قد كانت في الاعصار الغابرة مدينة مزهرة جدا تسمى باسم (هيكا تونقيل) قال المعلم (قورندير) المنقول عنه اعلاه بعد ذلك ما معناه وهيئة حكومة بلاد فارس من قديم الزمان ولم تزل لغاية الآن هى من قبيل الحكم الملكي المطلق غير ان عدة قبائل منهم لا يزالون يعيشون بحالة من الاستقلال تكاد ان تكون تامة ويلقب السلطان عندهم بلقب (الشاه) ودينهم الآن دين الاسلام من شيعة على رضى الله عنه وهم زهير بن عن انفسهم بالتاجية ويسمون اهل مذهبهم من حيث الديانة بالعدلية واخصامهم من اهل السنة هم الذين يدعونهم بالشيعة واهل فارس هم امة مهذبة ومؤدبة يوجد فيها جملة فضائل ظاهرة جميلة واخلاق غنية مقبولة (اه)

مطلب — ذكر جغرافية أرض فارس التاريخية ومقابلتها بما استجد من الاسماء الحادثة في هذه الاحقاب العصرية - قال العالم الجغرافى المحكى عنه اعلاه في هذا المقام ما معناه ان دولة فارس او ايران وهى المعبر عنها عند العرب بدولة الجهم التى وصفناها في المطلب السابق البيان هى الآن في مكان ما كان يدعى في سالف الزمان بهذه الاسماء القديمة وهى كما سطرناه

- (اولا) القطر المسمى باسم (مدى) او (الميدية) في جهة الشمال الغربى
- (ثانيا) بلاد (هركانيا) في جهة الشمال
- (ثالثا) بلاد (السوسية) أو (السوس) في جهة الغرب
- (رابعا) اقليم (فارستان) أو بلاد فارس الاصلية في جهة الجنوب
- (خامسا) بلاد (كرمانيا) أو (لكرمان) في جهة الجنوب الشرقى
- (سادسا) بلاد (القرثية) في جهة الشمال الشرقى

أما بلاد (مادى) أو (الميدية) المذكورة أعلاه فقد كانت قاعدتها في سالف الزمان المدينة الشهيرة باسم (ايكباتان) (و يقال انها هي همدان الآن) وقد كان من جملة اقاليمها ما يسمى باقليم (لابروباتين) (كصيغة المثنى) وكان فيه القلعة المسماة باسم (برواسبه) ومن مدنها الكبيرة السكان في جهة الشمال الشرقي منها مدينة (راجيس) وهي مدينة عتيقة جدا على القرب من جبال الخزر لها ذكر في التوراة وقد كان اسمها عند المقدونيين من اليونان (اوروبس) وفي عهد الملوك الفرثيين (ارساو با) ثم سميت في مدة القرون الوسطى في عهد دولة العرب المسلمين باسم (الري) وبقي عليها هذا الاسم الاخير لغاية الآن ثم مدينة (طابه) على القرب من بحر الخزر وكانت قاعدة الاقليم المدعى في ذلك العصر باسم (طابور) وعلى القرب من ذلك المكان كانت مساكن القوم الاقدمين المعروفين باسم (المارديين الشماليين)

وأما بلاد (هركانيا) فقد كانت تمتد على السواحل الجنوبية الشرقية من بحر الخزر ولذلك كان يدعى ذلك البحر أيضا باسم بحر (هركانيا) وكانت قاعدة تلك البلاد تسمى باسم (زودراكارت) أو (كارت) أو (هركانيا) وموقعها في ناحية الجنوب بالاقليم الذي كان يدعى حينئذ باسم (الاستاين) (كصيغة المثنى) وقد كان اعظم اقاليم تلك البلاد في ذلك الزمان وكانت هذه المدينة هي قاعدة سلطنة القوم المعروفين بالفرثيين

وأما بلاد (السوسية) أو (السوس) فهي المعروفة الآن بأقليم (خوزستان) وقد كان من أهلها في سالف تلك الزمان فضلا عن السوسيين الاصليين أقوام آخرون يدعون باسم (الكوسيين) و (الوكسين) و (المارديين الجنوبيين) وكانت المدينة الشهيرة عند السلف باسم (سوس) هي قاعدة تلك البلاد وموقعها في جهة الشمال منها وقد كان ملوك فارس يتخذونها محل إقامة لهم في بعض الاحيان ومن مدنها الاصلية ايضا مدينة (سابلوقية) في جهة الشمال الغربي منها ومدينة (عراقه) على نهر الدجلة والظاهر ان أصل منشأ التسمية بلفظ العراق عنها

وأما بلاد فارس فهي التي كانت تدعى في التوراة باسم (فارس) أو (ايلام) وهي الآن عبارة عن اقليم (فارستان) مع جنوب العراق العجمي وقد كانت السلطنة القديمة التي كان يطلق عليها هذا الاسم عند الامم المتقدمة قدامت امتدادا عظيما واتسعت اتساعا جسيما بكثرة الاقطار التي كان قد افتتحها الملك (قورش اوقيروس) وعدة من خلفه على سرير مملكة فارس وكانت تشمل فضلا عن بلاد فارس الاصلية بالمعنى المراد هنا على بلاد (مادى) أو (الميدية) و بلاد (السوسية) و (الابالية) و (الاسورية) و بلاد (ارمنية) و (آسية الصغرى) (وهي بلاد الاياضول الآن) وعدة اقطار أخرى من بلاد آسية الغربية وقد كانت تنقسم بلاد فارس الاصلية عند الامم المتقدمة الى قسمين اصليين (احدهما) فارس الحقيقية الاصلية

في الجهة الجنوبية و (الشانى) ما كان يدعى باسم (فاربثاسين) في الجهة الشمالية ما القسم الاول فقد كانت قاعدته المدينة المشهورة باسم (برسپوليس) على نهر (آراس) وكان بها نصر ملوكى فاخر احرقه الاسكندر وكان به مدينة كبيرة اخرى تسمى باسم (پازارجاده) على نهر (الغور) وبها قبر الملك (قورش) السالف الذكر وقد كان في القسم الثانى المدينة المسماة باسم (اسبادانه) وهى المعروفة باسم اصفهان الآن في الجهة الغربية منه والمدينة المسماة باسم (ابكبثان المجوس) في الجهة الشمالية الشرقية وانما تنسب للمجوس لكون الملك (دارا) كان قد بناها لهم بالخصوص

وأما بلاد (كرمانيا) وهى المعروفة بالكرمان الآن فقد كان من ضمنها جزيرة (اوراكته) وهى المسماة الآن باسم (كيشم) وجزيرة (اورجانه) وهى المسماة الآن باسم (هرمز) وهى اصغر من الجزيرة الاولى غير انها صارت اشهر منها فى القرون الوسطى لداعى ما حصل فيها من واقعة النجاء القوم المسلمين المسمين باسم (الهرمزىين) حين هربوا من التتار والغول اليها وقد كانت مدينة (كرمانه) وهى المعروفة بمدينة (كرمان) الآن هى قاعدتها غير ان الظاهر ان مدينة (كرمانه) المذكورة قد كانت موضوعة على المكان الكائن عليه مدينة (جوسرون) الان

وأما بلاد (الفرثيين) فقد كان موقعها على شرقى بلاد (هركانيا) وقد كانت فى الاصل جزءا منها وأصل القوم المعروفين بالفرثيين من الاقوام السقيين (اقوام بأجوج وما أجوج) ظهوروا فى القرن الثالث قبل ميلاد المسيح وحدث رئيسهم المسمى باسم (ارباس) سلطنة عظيمة ودولة ذات شوكة جسيمة جدا امتدت حدودها الى غاية شواطئ الفرات من جهة المغرب والخليج الفارسى من جهة الجنوب حتى خشيبت منها دولة الرومانيين على نفسها حاكمة من الزمن وانتهت فى القرن الثالث ميلاد المسيح عليه السلام

وقد كانت بلاد الفرثيين تشتمل من جهة الشمال الشرقى على الاقليم المسمى باسم (مرچيان) ومن جهة الشمال على الاقليم المسمى باسم (قوميزين) ومن جهة الجنوب على الاقليم المسمى باسم (طابيين) وكانت المدينة المشهورة باسم (هيكاثونفيل) الكائنة بأقليم (قوميزين) المذكور هى قاعدة دولة الفرثيين ودار اقامة الملوك الاربابيين المذكورين وأما مدينة الاسكندرية التى كانت توجد بأقليم (مرچيان) فقد كان الاسكندر هو الذى اختطها وبنها ثم جاء الملك (انطيوخوس سوتير) فاتفق ببناءها وزينها ولذلك سميت فيما بعد باسم (انطاكية) على نهر (مرجوس) وهو المعروف الآن باسم (مرجاب) (بفتح الميم وسكون الراء المهملة فى أوله) قال العالم الجغرافى المروى عنه أعلاه فى تاريخ دولة فارس على وجه الاجمال كما هى طريقة العلماء الجغرافيين ما تعرض به أدناه وكانت بلاد فارس قد مكنت بحالة

الاجل وعدم الذكر من سالف الدهر حتى جاء عصر الملك (قورش) فأحدث فيها سلطنة متسعة البلاد ودولة ذات منعة وجهاد في القرن السادس قبل الميلاد وجاء الاسكندر (الرومي أو المقدوني أو اليوناني) بعد قرنين فازالها وبوفاته اقسمتها خلفاؤه الى آخر ما أبداه (هذا ما رددنا نقله هنا من جغرافية قورتنبير الكبرى لفصدة تعرف هذه البلدان التي يزيد الوقوف على حقيقة تاريخها على وجه التفصيل والبيان وذلك هو ما يأتي بعد) معربا من كتاب تاريخ الامم الشرقية والهند للمؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر) منحصر اذ ذلك في ثلاثة قصول وهي هذه نذكرها فنتول

الفصل الاول

في بيان اصل الذرية الابراية ومنشأ الامة الفارسية

مطلب - ذكر الآريين الاوائل الذين هم اصل النعم الفارسيين - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان اعلاه مامعناه ان اقدم الانار التاريخية التي تتعلق بذرية بني يافث أو الطائفة البشرية المعبر عنها في اصطلاح علماء الافرنج المتأخرين بالمرتبة الهندية الاوربية لاتصعد الى اكثر من نحو ثلاثة آلاف سنة قبل ميلاد المسيح عليه السلام وقد كانت تلك الطائفة في تلك الازمان منحصرة كلها بالمواطن الكائنة على القرب من المهد الاول الذي كان قد نشأ فيه نوع الانسان قبل الطوفان اعنى على شواطئ نهر (جيحون) ببلاد (البكترية) (وهي ما يدعى الان بخانية بلخ من بلاد (تركستان) او بلاد انتر المستقلة) قال المؤرخ الفرانساوي المذكور ولقد صدق من حقق النظر ودقق الفكر فذهب الى ان هذه البلاد هي اقدم المساكن وأول المواطن التي اقام بها فيما يعلم من التواريخ البشرية اصل تلك الذرية الباقية التي نحن منها معاشر الاورباويين وكانها كانت لهم كخلاية نحل خرج منها على التوالي قبائل شتى وعدة اقوام متفرقين اتخذوا لهم مواطن أخرى من اقطار الارض والذي يظهر من احوالهم التاريخية انهم حين كانوا مجتمعين في قطر واحد على هيئة اجتماعية واحدة كان لجميع الفروع المنفرعة عن اصل يافث بن نوح عليه السلام صورة وجود ذاتي مخصوص وكانوا يتكلمون بلغات متباينة بعضها عن بعض غير انها ترجع كلها الى لغة أصلية مشتركة بينهم صار كل فرع من فروعها المذكورة فيما بعد تفرق هؤلاء القبائل من بني يافث الى تلك الاماكن المختلفة من الارض أصلا لثة أو لفرقة من اللغات البشرية وقد كانت سائر هذه الذرية تسمى نفسها باباعم (الآريا أو الآرية) أو (الآريين)

(بمعنى المحترمين)

مطلب — ذكر اخلاق القوم الآريين الاقدمين حسبما تحقق عند علماء الافرنج المتأخرين - لما لم يبق لنا من آثار هذه الاعصار الاولى للاقوام اليافاثية الاصلية ما نفد به على حقيقة اخبارهم التاريخية غير ما بقى من بعض كلماتهم اللغوية تشبث اهل النظر فى مضاهاة اللغات البشرية ببعض الكلمات التى كانوا يتكلمون بها فى تلك الاعصار الغابرة واستنبطوا منها أكثر ما كانوا عليه قبل تفرقهم من الاحوال الدنيوية والهيئة الاجتماعية الانسانية والقاعدة الاصلية التى توصلوا بها للوقوف على هذه الحقيقة التاريخية هى ما تنبى اليه بعض علماء الافرنج المتأخرين من ان جميع الكلمات الدالة على مدلول واحد فى اللغة الهندية الدينية المسماة باسم (السنسكريت) واللغة الايرانية القديمة المعروفة باسم (الزند) وفى اللغات التى يتكلم بها أهل أوروبا فى هذا العصر الاخير هى على حال بحيث لم تتغير صيغتها ولا معناها غير تغيير يسير وبذلك استدلوا على ان الآريين الذين هم اصل القوم اليافاثيين هم أصل اهل الهند وفارس وسائر الامم الاورباوين المتأخرين واستنبطوا من ذلك ما كان عليه تلك القبائل الآرية الاصلية فى تلك الاعصار الاولى من الدرجة المدنية والهيئة المعاشية الدنيوية حين كانوا مجتمعين بعضهم مع بعض على تلك الارض التى كانت تسمى فى تلك الاحقاب الدهرية باسم (البكترية) اعنى قبل ان تفرقوا فى ذلك العهد الى الاقطار الستى التى توطنوا بها فيما بعد وتوضح ذلك انهم وجدوا مثلاً ان طائفة الالفاظ اللغوية التى تتعلق بالمعيشة الرعائية كاللفظ الدال على معنى الدابة أو الماشية أو البهيمة مثلاً كلها تقريباً متحدة اللفظ والمعنى فى جميع طوائف اللغات الهندية والاوروپية وبذلك حق لهم ان يستنتجوا ان هذه الطريقة المعاشية (اعنى رعاية المواشى) قد كانت هى الحرفة الاصلية التى كان يتخذها وسيلة لمعاشهم بنو يافث السالفون حين كانوا متوطنين بالقطار الكائنة على شواطئ نهر جيحون ومن ثم علم ان أكثر أنواع الدواب المنزلية والحيوانات الاهلية كانت معلومة لهم وانهم كانوا يكتنون نوع البقر والخيل والغنم والمعز والخنزير والاوز وغير ذلك من الحيوانات والطيور الانسية

وبواسطة مضاهاة الكلمات اللغوية بعضهم مع بعض استدلوا على ان هؤلاء الاقوام قد كانوا فى سالف تلك الايام يعرفون تعليق الخيل والبقر تحت ناف الخراث ولا يعرفون فن الفروسية وانما كان لليونان به بعض معلومية فى أيام جاهليتهم الاولى المسماة بالاعصار الاميروسية (أى التى ذكرها الشاعر اليونانى المشهور باسم (اميروس) فى قصائده الشعرية) وقد كان الفبائل اليافاثيون السالفون قد عرفوا أيضاً صناعة بعض معادن وابتدؤا فى زراعة الارض ولم يكونوا يسكنون تحت الخيام كالعرب ولا فوق العريانات كالاقوام السيتين بل كانوا يبنون لهم

مساكن يأودون إليها ويوتا ثابثة يقيمون فيها وكانوا يجمعون بعضها البعض في بعض بقاع من الارض بحيث يتكون منها ما يمكن ان يطلق عليه لفظ القرى أو الكفور بل ربما كان منها ما يصح ان يطلق عليه ما هو من قبيل المدينة أو الحاضرة أو البندر الكبير

مطلب — ذكر ما كانت عليه العائلة والملة عند الاقوام الآريين السالفين وبنى يافث المتقدمين — ومما تحقق أيضا عند علماء الافرنج المتأخرين بواسطة مضاهاة الكلمات اللغوية من احوال الاقوام الآريين السالفين وبنى يافث المتقدمين ان العائلة تظهر لنا عند الاقوام الآريين المذكورين ببلاد (البكترية) في سالف تلك الاحقاب العصرية مادة محترمة وعقدة وثيقة قوية مكرمة ينبنى عليها أساس ترتيب الهيئة الاجتماعية والزواج عقدا مقدسا معتبرا وعمل مختارا مشهورا تسبقه خطبة ويشار اليه بانضمام اليدين من العروسين ومتى دخلت الزوجة في بيت الزوج صارت من حسن المعاملة وجميل المعاشرة والمواصلة حرما محترما ودستورا مكرما كما يليق بمقام من به بقاء النسل نعم ان المرأة كانت عندهم تحت طاعة الرجل غير ان تلك الاعلوية كانت ملطفة بما كان يحصل بين الزوجين من التعاشق الحاصل من الطرفين وبما كان ممكنا في اخلاقهم وعوايدهم من احترام الزوجة لزوجها واتخاذ الزوج لها حرما يذب عنه وحجى يحميه ويقا تل دونه

وبالتوسع في دائرة العائلة حدثت عندهم العشيرة وقد كانت في أوائل امر الاقوام اليافثيين عبارة عن مجموع عدة عائلات مرتبطة بعضها مع بعض بروابط القرابة النسبية كما صارت كذلك فيما بعد ببلاد ايران والهند وجزيرتي (ارلمدة) و (ايقوسيا) ببلاد انجلترا وعند سائر الامم الاسلاويين ببلاد اور وية وكان لهارئيس العشيرة او لى امرها او كبير القوم أو أبوا العائلة ومع ذلك فلم يكن يسوغ له ان يتصرف في سائر أمورها وحده بمجرد رأيه بل كان له مجلس شورى يتركب من بعض رجال كلهم من مشايخ القوم وآباء العائلات الذين يجمعهم أصل واحد فيستشيرهم ويرجع لقولهم ومن اجتماع عدة عشائر تتألف القبيلة ومن عدة قبائل تتركب الامة وللامة رئيس أعلى له الولاية العامة القصوى على سائر رؤساء العشائر والقبائل وهو الملك وكان يعبر عنه عندهم بما معناه (القائد والمرشد)

وكان من وظائف الملك عند الامم المتناسلين من بنى يافث السالفين انه هو الذى يعقد الصلح ويأذن بالحرب ويقود الجند وكان قد ابتدأ عندهم فن القتال العام بالتقاء الصنفين ومقابلة الجيشين وأخذوا يبنون حول القرى والبنا دبر بعض اسوار تحصينية بطريق العمارة الخالوية وكان من وظائف ملكهم — ايضا ان يقضى بينهم — ومن اغرب اخلافهم وخصالهم واعجب عوايدهم وخالاهم انهم كانوا في حالة الشك يرجعون لما كانوا يعبرون عنه (بقضاء الله) وكان ذلك عندهم أولا عبارة عن الامتحان بالنار وهو الاكثر استعمالا

لديهم ثم عدوا فيما بعد الى الامتحان بالماء

مطلب - ذكر كيف كانت ديانة الامم الآريين السالفين وعبادة الملل اليافنيين المتقسمين - قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه بعد ذلك ما معناه قد علم لنا من ترجمة الكتب الدينية الاربعة المشتملة على الادعية والصلوات التعبدية الهندية القديمة المعروفة باسم (الويدا) وهي الكتب التي بقيت الى هذا العهد في بلاد الهند بطريق الرواية والتوارث جيلا عن جيل من آثار القبائل الذين كانوا قد افتتحو تلك البلاد قميلا بعد قبيل ان ديانة الامم الآريين السالفين وعبادة الملل اليافنيين المتقسمين وان كانت الكتب الدينية المذكورة لم تفدنا منها غير ضرورة مقتطفة من اصول الاصلية وهيئة فرعية من عقائدها الاولية لكنها قريبة جدا منها وهي اصل سائر الخرافات التي تحكمت فيما بعد على عقول جميع الامم الهنديين والادو باويين وخصوصا عند اليونانيين قد كانت كلها مبنية على عقيدة الوحدةانية الالهية فقد كان اسلاف الامم الهنديين والاوربيين يعتقدون ان كل شيء صادر عن الذات الالهية العليا والحضرة المستحقة للوجود بالحقيقة القصوى وهي ذات الله سبحانه وتعالى ويرون ان تلك الذات كما هو عين العبارة المنصوصة في صلب الكتب الويدية المذكورة هي «الذات الحى والروح الالهى الباقي السارى في العالم» وما ذكر في احدهذه الكتب الدينية المأثورة وهو الكتاب المسمى باسم (لوريچ ويدا) وهو عبارة عن مدائح الهية وادعية توسلية على الهيئة الشعرية في حق الذات العلية) ماهو قريب مما ورد في نصوص التوراة من العبارات المتعلقة بما يستحقه المولى الاعلى جل جلاله من الصفات ونص عبارته (معربة) هكذا ان الاله الذى ندعوه «هو وحده مالك الملك وهو ملء السموات والارض وهو الحى والمقوى لكل شيء وكل ما عداه من الالهة يمتسون بركته وليس الموت والحياة مخلدة الا بامر وارادته وان الجبال المعصورة بالثلج والبحار مع ما يعترىها من المواج والافطار السماوية المتسعة تشهد بقدرة وهو الذى بنى على امكن اساس كلام السماء والارض والفراغ والفلك ونشر النور فى الجو وان السماء والارض لتفشعرا من هيئته بحضرتة وهو الاله الاعلى فوق كل آله» (انتهى نص عبارته) قال المؤرخ المذكور ولم يفتق ان احدا من ارباب الاديان من الامم السالفين في قديم الازمان تكلم في المواد الدينية باعلى من هذا اللسان غير العبرانيين والعمرى ان ادراك الذات الالهية بهذه الصفة العالية بالنسبة للعائد الدينية التي كانت تعلم في اشهر المعابد والهياكل ببلاد آسسيا عند الامم المتناسلين من ابناء سام او حام لهوا ظاهرا ودليلا على ما بنى يافت من درجة الاعلوية العقلية وشدة الميل لتصورات الروحانية العلية غير ان معنى الوحدةانية الالهية الذى كان قد بقي في عقول الناس من آثار العقائد البشيرية الاصلية وبقايا الوحي الذى نزل على ارباب النبوة المتقنين قد كان

الدرس الثام ٢٩٥ في التاريخ العام

اعتراه الفساد عند بني يافث الاولين كما حصل مثل ذلك عند سائر الامم السالفة ما عدا
العبرانيين حيث اختصهم الله سبحانه وتعالى بعنايته وامدهم باعائه اذ جعلهم مستودع
حقيقته وموضع امامته فبقيت حتى وصلت اليها بخلاف غيرهم من الملل والاقوام الاخرين
كبنى يافث هؤلاء المذكورين حيث كانت قد فسدت عقائدهم الوحشية الاصلية بما سلكوه
من طرق الضلال وتوهموه بمجرد الخيال من تشخيص الصفات والنعوت الالهية وتأليه
الاثار الصادرة عن الذات المؤثرة واعدة قد واذلك كله آلهة اخرى متنوعة المراتب
والاحوال صادرة عن الذات العاليا فخلطوا الا له الخالق بالعالم المخلوق وخالوا وحدته الى
عدة افراد اشركوهم معه في مرتبة الالهية وبذلك بدلوا اصل الادراك للذات المعبودة
الصادرة عن الوحي الاول اشنع التبديل وحولوه اشبع التحويل وانحى ذلك الاصل بالكلية
والجزئية في صور العبادة العامة الظاهرية حتى جرد ذلك الى ان سقطوا في هاوية الاشرار
وتعددا لآلهة المعبودين ووعوام عبادة الاصنام في اقبيدين وقد كانت المظاهر
الطبيعية والاثار الظاهرية التي ترى للاقوام الآريين الاولين انها اثر قوة الذات
المعبودة الاصلية ومظهر القدرة الالهية الاولى فعبدوا فيها صفاتهم وشخصوها وجعلوها
ذوات آلهية اخرى وصارت اصلا خرافاتهم الالهية ومنشأ لا وهامهم الملية هي محض
الحوادث الجوية التي تتولد منها خصوبة الكائنات الطبيعية كتأثير الشمس على الحياة
النباتية وكالرياح الجارية والابخرة الرطبة والسحب والصواعق والامطار وغير ذلك من
الاثار الالهية النورية

مطلب - ذكر مهاجرة القبائل اليافثية الى الاقطار المغربية وكيفية رحلتهم الى
الارض الاوربية - لم تكن مهاجرة القبائل اليافثيين السالفة الذين تكونت منهم
اهالي بلاد اوروبه الان وكيفية رحلتهم من الاقطار الاسية في سالف الزمان قد حصلت
دفعة واحدة ولم يخرجوا كلهم خرجة متحدة بل لزم الضرورة ان يكون ذلك قد حصل شيئا
فشيئا وجزءا بجزءا بالطريقة التدريجية حسب مقتضاه ضرورة ازيد عدد النفوس
وتكاثر مقادير الاهالي الآريين المشرقيين لانهم لم ادعى كونهم بحسب طبيعة تلك الاقطار
كافواهم وعين من جهة الشرق بموانع عظيمة وقواطع جسيمة من الجبال الصعبة الانطع
والارتمال فاضطرر والان بدفعوا غيرهم من القبائل اليافثيين الاخرين الى جهة المغرب
حيث كان هؤلاء الاقوام الاخيريون يجدون امامهم في تلك الاقطار مسافات متسعة وفراغات
من الارض مطلقة من غير مانع يمنعه ولا قاطع يقطعهم عن ان يتخذوا لانفسهم فيها
موطن مستجدة واما كن اخرى مستعدة غير ان الظاهر ان هذه المهاجرة وان كانت في اول
الامر تدريجية كان قد طار أعياها - بين من الدهر لزم ان تكون فيه قد تراجمت على حين

جفاة وثراكت دفعة واحدة على حين غفلة لسبب من الاسباب اقوى دفعها ما ذكر اعلاه
 هوليس لنا معلوم غير ما يظهر من انه في ذلك الحين كان كل من بقى ببلاد آسيا من اصول القبائل
 الياقضية الاولى التي انشئت منها الملل الاوروبية والامم الافرنجية الموجودة الآن كانوا
 قد هاجروا مرة واحدة وخرجوا خرجة متحدة من تلك الاقطار المشرقية الى هذه النواحي
 المغربية ليبحثوا فيها عما فيه اصلاح شؤونهم من ترقية الاحوال والحصول على السعادة والمال
 وتركوا هذه الاخوانهم الاكربيين المشرقة بين يديهم ليكون وحدهم وبنية دون غيرهم
 بذلك القطر الخصب الذي كان اول مهمل نسلاهم وكان وقوع هذه الحركة الاهلية الكبيرة
 والطامة الهجرية الاخيرة قبل ميلاد المسيح عليه السلام ببثلاثة آلاف سنة من الاعوام
 وفي المدة التي تلى تلك الواقعة التاريخية على الفور كان قد حصل انشاء اقدم القطع المؤلفة من
 مجموع الكتب الدينية الاربعة المعروفة باسم (الويدا) السالفة الذكر والتأمل فيها
 والاطلاع عليها يظهر منها ان القبائل الياقضية المشرقية كانوا ايضا في تلك الاعصار
 التالية على حالة من الهيمنة الاجتماعية البشرية كالحالة التي كانوا عليها في الاعصار السالفة سواء
 سواء غير انهم لما كانت اعداد الاهالي قهيم لا تزال تزداد بغاية السرعة لزم ان ترتب على ذلك
 عندهم ان العمارات والمدن كثرت والبنادر والحوضر عظمت وكبرت ومنطقة الزراعة
 اتسعت وتقدمت واخذت تغلب على ما كانوا عليه اولا من حالة المعيشة الرعائية والحياة
 الخلوية وشرعت جميعتهم البشرية وكيفية شركتهم الانسانية في ان تتنظم بالهيئة
 التدريجية اعني انها قد اخذت في ان تكون منقسمة الى درجات اى طوائف اهلية ومراتب
 ملية بدون ان تنصوب هيئة الخرق الحقيقية والفرق القانونية اى المراتب الاهلية التي
 تكون بحيث لا يسوغ لاحد من ارباب اى فرقة منهم ان يتعداها الى ما عداها وغاية
 ما هناك انها كانت على وجه بحيث ان الحرف والصنایع قد كانت عندهم في تلك الارمان على
 وجه العموم وراثية بمعنى ان الولد في اغلب الاحيان كان ينتحل صنعة ابيه ويتبعه في
 وسيلة معاشه ويقتفيه لا غير وقد كانت هذه الطوائف الاهلية عبارة عن طائفة امناء
 الديانة او مشايخ الدين وطائفة العسكروالمجاهدين وطائفة ارباب الزراعة او الملاحين
 وقد كانت تنقسم هذه الطائفة الاخيرة عندهم في بعض الاحيان الى فصيلتين متميزتين
 وطائفتين اخريين وهما فرقة رعاة المواشي وفرقة الحرايين الحقيقيين ثم يتمكن حوادث
 الفتوحات المتوالية من الاقوام الياقضيين الغالبين وبتأثير قوة طائفة امناء الديانة المعروفين
 بالبراهمانيين في بلاد الهند قد آل امر الفرق الثلاث المترتبة من اسلاف الاقوام الاربيين
 المتقدمين لان صارت خرقا اهلية حقيقية وفرقا قانونية ملية وصارت هي الطبقات الاهلية
 العليا فيما بعد وصار الاهالي المغلوبون من نسل جام الذين كانوا قد سبقه وهم الى تلك البلاد

في سالف الايام منحصرين في الطبقة السفلى وأرباب هذه الدرجة الدنيا محتمقون وهم يدعون
 أرباب هذه الطبقة الالهية الدينية باسم (السودرا) او السودريين
مطلب - ذكر زردشت ومذهب ديانتته وشرح حاله وملته - قال المؤرخ المحكي
 عنه اعلاه بعد ذلك ما تعريبه أدناه - وفي ذلك العصر يلزم أن نضع تاريخ حادثة المذهب
 الديني الذي تدين به الايريانيون في ذلك العهد وينسب الفخر فيه للرجل المشهور باسم (زردشت)
 (بفتح الزاي المجمة وسكون الراء المهمله يليها دال مهمله مضمومة ثم شين مجمة سا كنة
 بعدها تاء مشناة فوقية سا كنة أيضا وضبطه ابو الفدا في تاريخه بلفظ (زرادشت) يزاي منقوطة
 مفتوحة وراء مهمله مفتوحة بعدها ألف فدا مضمومة مهملة وشين منقوطة سا كنة وتاء
 مشناة من فوقها وهو المحرف عند اليونان بلفظ (زروراستر) (بضم الزاي المجمة وسكون الراء
 المهمله يليها واو مفتوحة وألف فسين مهمله سا كنة فتاء مشناة فوقية مكسورة فراء مهمله
 سا كنة في آخره) واصل معناه (اشراق المذهب) وقد اجمع سائر من كتب في التواريخ
 القديمة على ان (زرادشت) هذا قد كان موجودا في اعصار عتيقة جدا والذي استقر عليه
 الآن رأى اهل العلم من الافرنج المتأخرين هو انه ولولم يتحقق تاريخ مضبوط لوقت وجود هذا
 الرجل المؤسس لدين الاقوام الفارسيين في سالف الزمان ولم يزل يصعب تعيين العصر الذي
 حدث فيه هذا المذهب الديني الشهير لداعي عدم الوقوف لغاية الآن على مواد صحيحة يبنى
 عليها ما يدل على ذلك من البرهان الا ان الاقرب للصحيح انه قد كان في نحو القرن الخامس او
 السادس والعشرين قبل ميلاد المسيح ولا علم لنا بشيء ثابت صحيح فيما يتعلق بحياة (زرادشت)
 المذكور غير انه قد كان هو المنشئ للمذهب الديني الذي هو باسمه لغاية الآن مشهور
 وتبينت أصوله في ضمن كتب تعرف باسم (زندوستا) (يزاي مجمة مفتوحة فنون موحدة
 فوقية سا كنة يليها دال مهمله مفتوحة فواو مهمله وسين مهمله سا كنة فتاء مشناة فوقية
 مفتوحة بعدها ألف في آخره بل لا نعرف له على وجه الضبط وطنا معيننا ونهاية ما هنالك ان
 المكان الذي كان فيه قد نشر أصول مذهبه وظفر بنجاح ما وعظبه من قواعد دينه هذا هو
 الذي تعين فقط وهو بلاد (البكترية) (بلخ) وان ذلك كان في عهد الملك (جوستاسب) بن
 (لوهراسپ) بن (كيخسرو) بن (كيكاؤوس) بن (كيقباد) الذي هو مؤسس العائلة
 الملوكية المعروفة بالكيمانية التي كانت هي المتولية على كرسي مملكة بلاد (البكترية) في
 تلك الحقبة العصرية ولا نعرف حقيقة هذا الصانع الابتاعته ولم تقف على هذا الرجل
 المشرع الا بشر يعته وذلك انها في الحقيقة هي شريعة عظيمة الشأن واحكام عالية المقام
 يستحق اعلى درجة من الاستحسان وانديانة (زرادشت) هذه لهي اقوى اجتهاد
 يتصور من تصاعد العقل البشري نحو عالم الروحانيات وحقايق ما وراء الطبيعيات

وامكن عماد يمكن ان تؤسس عليه أصول ديانة ناشئة عن مجرد العقل البشرى اعنى بدون مساعدة الوحي الالهى و بعض الاستحسان العقلى الطبيعى وبالنسبة لساثر الاديان التى كان يتدين بها ساثر الملل ببلاد آسيا فى سالف الازمان وغيرهم من جميع الامم المتقدمين ماعداد ديانة العبرانيين الصادرة عن الكلمة الالهية هى اشرف ديانة وانقاها وانحف شرعة واعلاها واقرب طريقة تشريعية للحقيقة الدينية الحقيقية وهى نتيجة اشرف الطبيع المجبولة فى نفوس بنى يافث الذين هم ارباب العقول الفلسفية الحقيقية واصحاب النفوس العالية الالوية التى تأنف الميل للعقائد المادية وتأتبى دون ساثر بنى نوح ما ينبنى عليها بالضرورة من الديانات المبنية على تعدد الالهة المعبودة التى كانت قدسرت تدريجيا فى عقائد الآرين السالفين ومحت آثار الشريعة الموحة بالسالف فى الاعصار الاولى ولذلك ترى (زرادشت) قد جاء فى أصول ديانته بمثل ما جاء به أنبياء بنى اسرائيل واحبار دين النصرانية السالكون من شدة الغضب على عبادة الاصنام وأتى فى هذا المقام من الاحكام بما يقتضى تسمية الذات التى كانت الاقوام اليافثيون يعبدونها على انهم آلهة لهم بناء على أصول الديانة الويدية القديمة بالارواح الخبيثة وانه جعل الآلهة الذين كانوا لهم فى سالف الزمن معبودين بمقتضى ذلك الدين بالنسبة لديه من قبيل الشياطين والجلجلة فان (زرادشت) يميل فى مذهب دينه الى حقيقة الوجدانية المحضة ويصعد بانجحة قوة عقله الى اعلى هذه العتيدة الصادقة الازلية ويرى فى الواج تلك الحقيقة الثابتة المخدرة غير انه لما كان قد وكل نفسه لمجرد قوة عقله الطبيعية وانحرم من عناية الوحي الالهية زلت قدمه عن هذه المسألة المعضلة وسقطت همه لدى تلك القضية المشككة التى هى مسألة اصل الشرف فكانت هى العقبة الموهلة التى انكسرت دونها سفينة علمه والصخرة الغائلة التى عجزت عندها قريحة فهمه وحيث لم يتيسر له ان يرقاها ولم يمكنه ان يخلص دونها ويتمعدها اضطر لان يسقط الى اسفل هذه الثنية وهبط الى ارض عتيدة دينية اعنى عقيدة التثنية (أى اعتقاد الآلهة اثنين و بناء اصول دينه على اصلين) وهما الخير والشر أو النور والظلمة المدعو (أولهما) باسم (اورموزد) و (الثانى) باسم (اهريمان) وسماأتى لذلك فى المطلب الآتى بعد هذا زيادة ايضا و ببيان

مطلب — ذكرنا المراد من (اورموزد) و (اهريمان) وما حقيقة ما انبنى عليه منهما دين (زرادشت) فى سالف الزمان - وقد كان (اورموزد) فى اعتقاد (زرادشت) ومن تبع مذهب لغاية الآن عبارة عن الخير فيقول بانه هو الذى خلق الخلق وانه كما هو نص الكتب الماثورة عنه المذكورة آنفا هو الروح العاقل والحكيم ويعبر عنه كذلك بروح القدس واصل الخير و يقدس عنده بالنور والشمس والبار ويدعوها بصفة ولده وانه خالق

اكمل شئ ويصفه بأنه قائم بذاته غير مخلوق ازلى باقى لأول له يعهد ولا آخر له ينقذ ويعتقد انه يوجد بازاء هذا الآله الجيد واصل الخير المستعد اله آخره وله على الدوام والاستمرار خصم وضد وان اله الخير معه في نزاع مستمر اقصد ان يتسلطن عليه ويعلوه وقوته وانه اصل يساوي في القدرة ويضاهيه في الطبيعة والحقيقة وانه كما هو نص عبارة الكتب المذكورة اعلاه ايضا هو الروح الخبيث او اصل الشر ويدعوه باسم (اهريمان) ويقول انه هو الذى خلق الشر الملعون والحسى وانه هو الذى خلق الموت غير ان غريزة (زرادشت) العقلية لم تأذن له ان يجرم بأعتماد كونه الشر يقتضى ان يكون باقيا مخلدا الى ما لايزال فقال بان (اهريمان) وان كان ازليا لا اول له يعهد اكده لا بد من انه يأتى عليه يوم في آخر الزمان يغلبه فيه اله الخير ويعلوه عليه ويستحيل آله الشر المذموم كور الى حالة العدم وينقذ وتعود الخليقة الى ما كانت عليه في اول الامر من النقاوة والصفر ويذهب (اهريمان) الى حيث لا يرجع بالثاني الى عالم الاكوان ويسمى مذهب (زرادشت) هذا بالديانة المزدية

مطلب - ذكر تفرق الآريين المشرقيين الى فرقتين وتوجههم الى ناحيتين متعارضتين - ولما كان بالضرورة مثل هذا التبديل الدينى الكلى والحادث الكبير الاصل الذى حدث في تلك الازمان على يد (زرادشت) السالف الذكر والبيان لا يمكن ان يتقرر في الاذهان بدون معارضة شديدة ومقاومة عنيدة تحصل من سكان تلك البلدان فالظاهر ان الاقوام الاريايين الذين هم اسلاف القبائل الساكنين ببلاد الفارسيين والميديين (بلاد الآرية) قد صوبوا في اسرع حين الى التدين بأصول دين المزدية وهو مذهب (زرادشت) المذکور وذلك ان صاحب هذا المذهب الجديد المسطور كان قد خرج منهم وظهر من بينهم وذلك باعث قوى يحملهم على ان ينضموا اليه ويعتمدوا عليه وافترق منهم اعداؤه وهم القبائل الذين توجهوا منهم الى نواحى الهند وافتخوها في ذلك العهد وبقي في اذهان آمناء ديانتهم قوة العبادة الوهسية وغلبة الديانة الصنمية المتوجهة نحو تأليه الحوادث الطبيعية والاعتقاد في اعلوية المخلوقات الكونية ولا شك في ان حادثة تبديل ديانة الاقوام الاريين المنسوبة الى (زرادشت) المذکور واصل منشأ الوعظية في تلك العصور قد كانت قبل حركة المهاجرة الكبيرة التي تفرق بها مجموع الآريين المشرقيين الى فرعين وتوجههم الى ناحيتين متعارضتين احدهما الى جهة الشرق والثاني الى جهة الغرب بعد ان كانوا غاية ذلك العصر مجتمعين بعضهم مع بعض على تلك الارض ولا شك في ان اصل هذا الافتراق الذى حصل بين هؤلاء الاتساق الآرية لا يقتضى له غير المنازعات الدينية والظاهر ان القبائل الذين اظهروا العداء لمذهب (زرادشت) كانوا هم الذين تمت عليهم الغلبة في تلك المنازعات التي وقعت بينهم فيما يتعلق بمسائل العقائد الدينية وكيفية الاعمال التعبدية فاضطروا

الدرس التام ٣٠٠ في التاريخ العام

للمهاجرة بالكلية من ارض (البكترية) التي كانت هي اصل مسقط رأسهم واول
 مهذلا بناء جنسهم وصارت تلك الارض وطنا خاصا لخصاصهم وارتحلوا زمر اعماها
 وانتقلوا جوعا منها الى ماوراء سدة جبال (هند كوش) من الجهة الاخرى
 ولم يزالوا يتقدمون من هناك دائما الى نحو المشرق والجنوب وتوطنوا على التدرج بالاقطار
 التي كانت تعرف عند اليونان في تلك الاعصار باسم (البارو بانيسوس) و(الدرنجيان)
 و(الاراكوزيا) وتدخلوا في الجزء الشمالي من وادي جيحون ومكنوا في تلك الاقطار مدة
 الف سنة يتنازعون مع الاقوام البلديين الاصليين الذين هم من نسل حام ومن ثم تعدت
 يداهم وامتدت سلطنتهم على سائر البلاد الكائنة بحوضي جيحون ونهر السنج
 واما الابرايون التابعون لمذهب (زرادشت) فبكثافتهم وامتدوا من بلاد (البكترية)
 (وهي خانية بلخ) وبلاد (السوجديان) (وهي ما يدعى الآن بخانية بخارى وخوقند من
 بلاد تركستان) وبلاد (مرجيانه) (وهي البلاد الكائنة على شواطئ النهر المعروف
 الآن بنهر مرجاب) واستقر بعضهم في تلك الاقطار وهاجروا آخرون منهم بضرورة كثرة عدد
 النفوس منهم الى جهة الجنوب الغربي وعبروا بلاد (هركانيا) وتغلبوا على بلاد (مادي
 او الميديه) و(السوسيه) وبلاد فارس الاصليه وطردها منها بالسهولة سكانها الاصليين
 الذين هم من الاقوام الكوشيين المذكورين في الروايات القديمة المتداولة عند الفرس بانهم
 كانوا رجالا سود البشرة اولى شعور قصيرة تشبه اصواف الغنم

الفصل الثاني

في تاريخ الماديين والميديين وذكر الدولة الميديه

مطلب — ذكر الماديين الاربيين والتورانيين — اما في بلاد فارس الاصليه وفي
 بلاد القرم ان التي كانت ملحقة بها من وقت استيطان القبائل الباقثية فيها فان الاربيين
 لم يجدوا من طرف سكانها الاصليين معارضة شديدة ولا مقاومة قوية عنيدة ولذلك مكثوا
 بتلك البلاد وتوطنوا فيها وصاروا هم المالكيين اياها بدون منازع قوى ينازعهم عليها
 بخلاف بلاد الميديه حيث كان الاقوام الاربيون قد سبقهم اليها القبائل التورانيون الذين هم
 اعداؤهم الشديدون وخصاصهم الاللون وكان هؤلاء القبائل التورانيون الذي كانوا
 متوطنين في اول الامر ببلاد الميديه يوجد منهم فيها اقوام عديدون ورجال اولو عصبية كثير

ولذلك لم يتيسر للقوم الايرانيين ان يخرجوه من ديارهم بل اضطروا لان يسكنوهم فيها وبينة وافوقهم هم الاعاون ويكثوا عليهم بصفة اقوم الفاتحين

مطلب — ذكرنا نازعة القومين ومقاومة الحصصين المذكورين — وقد كان التورانيون الذين هم سكان بلاد (مادى) الاصليون في اول الامر قد امتثلوا الشدة اللوطاة الناشئة بادئ بدء عن قوة عليا الاقوام الاربيين ثم رفعوا رؤسهم في اقرب مدة واشتبكوا بالحرب والقتال مع القوم الايرانيين الذين ارادوا ان تكون لهم الدولة عليهم ولم يزل النزاع بين القومين يتردد مرة بعد مرة ويتجدد بين الحصصين المذكورين كرة بعد كرة على ذلك القطر حيث كانت القوة متساوية من الطرفين والشجاعة متعادلة من الجانبين حتى مكث النزاع بينهما مدة اكثر من عشرة قرون والحرب بينهما سجال تارة يتصرهؤلاء واخرى يظفر الآخرون وليس لهذه الوقائع الحربية تاريخ ثابت وثيق يعتد به ولاذ كمرحوق يعتمد عليه غير ان ذكرها لم تزل محفوظة مع غاية الوضوح والصراحة العجيبة فيما بقى لغاية هذه الايام الحاضرة من الروايات المتداولة بين العوام ببلاد فارس ولم يزل مذكورا في ضمن الحكايات الخرافية والافسان التخيلية المأثورة عن الشعراء الفارسيين فلم يزلوا يتحدثون بان مدة الحروب المذكورة كانت قد طال جدا وعالت اشتدادا وبعدا ثم آلت في اخر الامر لان غلب ايران على توران وصار هو الاعلى عليه غير انه لم يصل لغاية ان يعمده بالكلية وبغضبه وقد كان ذلك في الحقيقة هو ما وقع في آخر الحروب الاهلية والنزاعات النسبية التي وقعت في تلك الاعصار الغابرة بين التورانيين والايرانيين ببلاد الميديا اعني ان الايرانيين لم يبلغوا العلمهم من اعدام صورة الوجود الملية وهيئة الكينونة الاهلية التي كانت متكونة من الاهالى التورانيين الذين كانوا قد سبقوهم بالتوطن في تلك الاقطار من سالف الاعصار وانما غلبوا عليهم بالقوة القهرية وتحكموا فيهم بالحسالة السيادة وصارت لهم الدولة عليهم وصاروا هم بالتبعية اليهم

مطلب — ذكر دين المجوسية وبيان كونه هو غير دين المزدية — ومع ما كان قد استقر الحال عليه من توطن هاتين الملتين المتغايرتين في الاصل والنسب ببلاد الميديا وهما الايرانيون والتورانيون ومن بعد ما وقع بينهما من المقاومات الاهلية والمخاضات الدينية في ظرف تلك المدة المديدة من القرون الزمنية قد كان من المستحيل ان مذهب (زاردشت) المجلوب الى تلك البلاد مع القبائل الايرانية يبقى فيها على حال النقاوة الاصلية بدون ان يعتريه بعض تغيير وتبدل وفي الواقع ونفس الامر كان قد حصل في مذهب الديانة المزدية الذي هو دين فارس الاصلية بعض تحويل في ذلك العصر وآل الى ما صار يعرف بدين المجوسية وهو مذهب الديانة الذي حدث يتخاصم الملتين المذكورتين وتفاقم هذين القومين

الدرس الثامن ٣٠٢ في التاريخ العام

المخاضين ببلاد الميديّة وكان مذهب دين الميديين مخالفاً بالكلية لمذهب الاقوام الفارسيين وانما عرف بدين المجوسية نسبة الى طبقة امناء الدين السيادية التي كانت تقوم بخدمته وكانوا يدعون بالمجوس وحينئذ فدين المجوسية هو خلاف دين المزدية وقد جرت عادة الناس ان يطلقوا اسم دين المجوس على مذهب (زرادشت) المسمى بدين المزدية والحال ان هذا خطأ كان اول من وقع فيه مؤرخو اليونان في سالف الازمان وكان اولهم المؤرخ اليوناني المعروف باسم (هيرودوت) وذلك انه قد كان انما سافر في بلاد الميديّة لافي بلاد فارس الاصلية فخلط بين المزدية بدين المجوسية. ولا شك في ان ذلك خطأ صريح والصحيح كلمة لم نلها من المعلومات التي تخصنا عليها في هذا الشأن وان كانت قليلة الوضوح والبيان هو ان دين المجوسية عبارة عن مذهب اعتزال ناشئ عن اصل دين (زرادشت) مبني على عقيدة التثنية الالهية كدين المزدية غير ان الفرق بينهما ان المجوس يعتقدون مساواة الاصليين (اهريمان) و(اورموزد) اللذين هما اله الله والخير عندهم ويتعبدون لعدد كثير من الالهة المتعددين والاصنام المعبودين حيث سرت لهم ذلك من ديانة الامم المجاورين ولا سيما من الاسوريين وهذا امر يناقض بالكلية لاصل ثرية (زرادشت) الاصلية

مطلب — ذكر استيلاء الدولة الاسورية على بلاد الميديّة — وقد كانت بلاد الميديّة من اول الاقطار التي تعدت اليها يد ملوك الاسوريين من دولة بئى بيليطارة فكشفت في ايديهم مذعة لوطاة ظاههم وتعليمهم مع غاية الامتثال والاذعان مدة ثلاثة قرون من الزمان وكانت طريقة سياسة الاسوريين في تلك البلدان ان يعتمدوا على القوم التورانيين لكونهم راءهم اقرب للصاعة والامتثال من الاقوام الاربيين لما كان في طباع الاربيين المذكورين من حب الحرية والاستقلال وعدم سهولة الاذعان لاحكام الدولة الاجنبية ولا كونهم كانوا كثير ايماناً فاهروا عليهم بالعصيان ولداعى كونهم كانوا على الدوام والاستمرار مستعدين عليهم للقيام والثوران ثم لما تشاقلت وطأة الدولة النينوية مع مرور الزمن على سائر الاهالى الميديين من كلا الجنسين المذكورين سواء كان اصلهم من التورانيين أو الاربيين حصل ارتداد فعل في الجنس الايرانى الاصل الذي كان هو المقاوم لجور الدولة الاجنبية ولداعى توجيه الحرب على الدوام من طرف الملوك الاسوريين الى الطبقة الآرية ببلاد الميديّة تقررت اعلايتها وثبتت أفضليتها وامتزجت بالطائفة التورانية وانضم كل من هاتين الطائفتين الالهيتين المذكورتين كلناهما الى الاخرى وان كانتا من مذقرون عديدة متعديتين عداوة شديدة واجتمعتا لقصص التخلص من ظلم هذه الدولة الغربية ولما جاء وقت توجيه اول ضربة قوية على الشوكة النينوية التي كانت متسلطة على بلاد الميديّة في تلك الحقبة العصرية كان القوم الآريون هم اول

ذكر الدولة الميديّة

مطلب — ذكرار باس والدولة الجهمهورية الميديّة (من سنة ٧٨٨ لغاية سنة ٧١٠ ق م) قال المؤرخ فرانيس لو فورمان السابق الذكروا البيان أعلاه بعد ذلك ما معناه قد قصصنا في الباب المعهود للبحث عن تاريخ الاسوريين والبابليين السابق قصة العصيان الذي حصل ليجموغ تدبير كل من قائد العسكر المسمى باسم (ارباس) الميدي الاصل والقائد الكلداني المسمى باسم (فول) أو (بيليزيس) في سنة ٧٨٨ قبل ميلاد المسيح عليه السلام وما ترتب على ذلك من خروج الجنود الملكية على الدولة الاسورية واستيلائهم على مدينة نينوى وقتل الملك سردانا بال الى آخر ما ذكر في موضعه هناك فلا حاجة لتكراره هنا بالثاني وتتمام ما ترتب على هذه الفتنة الجندیّة بالنسبة لبلاد الميديّة هو ما انعمت له هذه الترجمة بالخصوص وهو ما بهر عنه في كتب التواريخ الاسلاميّة يتاريخ ملوك دولة فارس الاولى وما تحقق منه عند علماء الافرنج المتأخرين هو ما نذكره بعد فنقول

قال المؤرخ المذكور انه من بعد تمام هذه الفتنة الاسورية واستقرار (ارباس) في بلاده الاصليّة لم يكن هو فيها ملكا حقيقيا ولا سيما بالمعنى الذي يطلق عليه هذا اللفظ عند الامم الاسيين بل كان قائدا عسكريا ورئيسا جهاديا واحدا للملّة مرتبة ترتبها سياسيا أساسيا على هيئته ما يعرف الآن عند الامم المتأخرين بالحكومة الجهمورية وبقي الحال كذلك حتى لحقته الوفاء فاستمر الميديون على تلك الهيئّة الجهمورية من بعد وفاته غير انهم لم يجد فيهم من بعده رجل وجيه ذو نفوذ وشوكة يجتمعون اليه ورئيس ينيذروا اعتبارا وصوله يعتمدون عليه ليمسك في يده عروة امورهم العمومية ويحفظ في قيده ولايتهم المركزية فتفرق شملهم وتفرق طاهم بالكلية والجزئية والجلّة فكان التغرق الذي هو من هذا القبيل مدّة مقدار عديد من القرون جيلان جيل هو الحال الاصل الى الماسلطن في سائر القبائل الايرانية على العموم حين كانت عندهم طريقة تمييز القبائل ادعى موافقتها لما كان متحكما في طباعهم من حب المديشة الحربية مع الاشتغال بالصلاح ورعاية المواشي دون سائر الصناعات والفنون قد بقيت لديهم على حالة نقاوتها الاصليّة وكانت عندهم هي القاعدة

الاساسية التي ينبغي عليها تركيب هيئتهم الاجتماعية البشرية
 واذا كانت هذه الحالة اتفرقة توافق حب الاستقلالية المحلية وتناسب الحرية الشخصية
 الاهلية وتليق بحال أمة لا بأس عليها ولا خطر يصل اليها من الغارات الاجنبية كالامة
 الفارسية الاصلية فقد كانت مضرة قايمة كالامة الميديّة اذ كانت على خطر شديد من جهة
 الدولة الاسورية وذلك انه على أبواب الميديين كانت السلطنة الاسورية قد قامت من
 سقطتها في اسرع مدة زمنية واعادت قوتها العسكرية الى اقوى مما كانت عليه في اى حقبة عصرية
 وكانت قد دخلت في طريق الفتوحات والتغلب على سائر الاقطار والولايات وتوجهت
 مطامعها خصوصا الى استرداد سائر البلدان التي كانت تحت طاعتها في سالف الزمان واشتد
 تتبعها على الوجه الاخص لاعدام سائر الدول التي كانت قد تعصبت عليها وخرجت عن
 القواعد الطاعة اليها وترتب على تحزبها عليها خراب مدينة نينوى بالكلية وكانت بلاد
 الميديّة بعد ان كان قد اخرجها (ارباس) من رق عبودية الملوك الاسوريين قد كادت ان تقع
 في حباله أسر الدولة العراقية بالثاني لولا ان شدة الخطر المتوجه اليها من تلك الجهة وضرورة
 الاجتماع للدفاع العامة عن الاوطان قد الجأت الاقوام الميديين على ان تركوا الحالة
 الاستقلالية التي كانوا عليها في كل خطة ارضية من بلادهم واجتمعوا في هيئة دولة واحدة
 قوية واتخذوا هيئة الحكومة الملوكية وتوضّح ذلك هو ما يأتي في المطالب المسطورة بعد
ملطب — ذكر (ديجوسيس) ومنشأ ترتيب الملك ببلاد الميديّة (من سنة ٧١٠ لغاية
 سنة ٦٥٧ ق م) قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه بعد ذلك ما معناه قال المؤرخ
 اليوناني المشهور باسم (هيرودوت) ما نص عبارته هكذا قد كان يوجد في بلاد الميديين
 رجل حكيم يسمى باسم (ديجوسيس) وكان قد تعلقت اطماعه بان يكون ملكا عليهم فسلك
 مسلك العدل وحسن السيرة للحصول على اغراضه وذلك انه قد كان من اخلاق الاقوام الميديين
 انهم كانوا متفرقين الى احطاط متميزة كل قبيلة منهم في خطة ارضية مختصة بها لا يتعدى
 عليها اقيما غير ما وكان (ديجوسيس) هذا منذ زمن طويل قد صار رجلا معتمدا في قومه
 مشتهرا في خطه ولما يكونه يعد ان المظلومين يبغضون الظالمين ويحبون من يعرض بينهم بالعدالة
 والحكمة كان يبذل كل طاقته في ان يعرض بالحق بين اهل عشيرته بخلاف سائر القبائل
 ببلاد ما دى كما حديث كانت اصول العدل فيها منكورة وسائر القوانين والشرائع مختقرة ولما
 شاهد اهل خطه حسن سيرته ولوه عليهم قاضيا فسلك في جميع أعماله مسلك العدل والاستقامة
 ولم ينحرف عن طريق الحق في جميع أحكامه حتى استوجب ذلك غاية الشناء عليه من اهل
 قبيلته وسع به غيرهم من سكان الخطط الاخرى وكانوا الى ذلك الوقت يقضى عليهم
 ظلما وجورا وحيث ثبت لديهم من غير شك والتباس ان (ديجوسيس) دون غيره هو

القاضي الكامل والحاكم العادل الذي يقضى بالحق بين الناس صاروا يتجارون الى محكمته ولا يرضون الا بمحكومته ولم يزل يزداد في كل يوم عددا المتقاضين لديه ويشهد نظام المتحاكمين اليه لتيقنهم من عدالة احكامه واماشاهدان جميع الناس قد انكبوا عليه وانه قد صار وحده هو الحامل لثقل اعباء جميع القضايا ولا حكام امتنع من الجلوس بمجلس القضاء وأبى ان يصعد على كرسي المحكمة بعد ان كان هو وحده من تلقاء نفسه يصعد عليه وينظر في كل امر يعرض اليه ويقضى فيه وصرح بتنأزله عن وظيفة القضاء بين الناس متعللا ان ذلك او جب اعمال مصالحه الخصوصية حيث صار يقضى ايامه كلها في قضاء المصالح العمومية فترتب على امتناعه هذا ان عادت البرفات وانقطعت الطرقات وفشا الظلم والجور في سائر الطبقات الاجتماعية واختل نظام الجمعية بالكلية في سائر أخطاط جميع بلاد المدينة اكثر مما كانت عليه في أى مدة كانت من الاعصار الخالية ولذلك اجتمع سائر الاهالي الميدين في مجلس جمعية عمومية وتشاوروا فيما بينهم اقصدان برسوالهم على صورة مستحسنة في شأن حالتهم الراهنة وقام اصدقاء الحكيم (ديجوسيس) في المجلس وقالوا امامناه حيث كانت هذه الحالة التي نحن عليها بهذه البلاد لا يمكن معاناة نعيش فيها فتدوجب علينا ان نختار املاكا يضبط امورنا ويقضى بيننا على اصول جديدة وقوانين متقنة حتى يتيسر لمان نزرع اراضينا مع الامان بدون ان نخشى من احد يغير حنا منها بالنظم والجور والقوة القهرية فانظر هذا القول على عقول سائر القوم الميدين واتفقوا جميعا على ان يتخذوا لهم ملكا واخذوا على الفور في ان ينتخبوه وحيث اجعت سائر الاراء بالمدح والثناء على الحكيم (ديجوسيس) المذكور واتفقوا عليهم على انه هو الجدير وحده بالقيام بولاية الامر العمومية توجهوا اليه وباجعوه وباجعهم عليه قلدوه بالملك وولوه فامرهم بان يشيدوا له قصرا يليق بمرتبة ويزينوا له حرسا يقومون بحفظ ذاته وحضرتة فامتلوا ذلك الامر وبنوا له في المكان الذي أشار لهم اليه عمارة تسعة حصينة ودار ملكة جميلة متينة وابعادوا له ان ينتخب من شاء من جميع افراد الامة المدينة ليكونوا لنفسه طائفة حرس ملوكية ويجردان صعد على سرير الملك اجبر الرعية على ان يبنوا له مدينة وامرهم بان يزيناها بانواع الزينة ويحسنيها بالقلاع والحصون المكيكة ولم يلبثت لغيرها من الاماكن التي كان يلزم ان تكون حصينة بتلك البلدان فامتلوا امره وأذعنوا اليه كل الاذعان وشيدوا له مدينة حصينة وقلعة كبيرة جدا وهي المسماة في ذلك الزمان باسم (ايكبانات) وفي مكانها الآن مدينة (همدان) (هـ) ما نقله المؤرخ فرانسيس لونورمان عن (هيرودوت) مؤرخ اليونان

مطلب — ذكر الملك (فراودرت) وما شأ في عصره من السلطنة بالمدينة الكبيرة

(من سنة ٦٥٧ الى سنة ٦٣٥ ق م) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر البيان اعلاه بعد ذلك مامعناه والظاهر ان مدة ولاية الملك (ديجوسيس) هذا قد كانت مدة سلمية استعملها هذا الملك بالخصوص في ترتيب أحوار المملكة الميمنية الداخلية لتكون مستعدة لما كان قد كتب لها من القادر الاولية وتوصلت اليه فيما بعد بذلك العهد من المراتب العالية وذلك انه من بعده كان قد تقلد بالملك في ذلك الوقت ولده المدعو باسم (فراوورت) وكان ملكا محبا للجهاد وساطعنا مغرما بفتح الممالك والبلاد ولا نعلم شيئا صحيحا من اخبار أوائل مدة حكمه غير ما يظهر لنا من انه كان قد أشغلها بطرد الاسوريين من سائر الاماكر التي كانوا لم يزالوا عليها مستولين من بلاد الميمنية وذلك اننا نرى هذا الملك من أوائل مدة الفتوحات التي كان قد تحصل عليها من البلاد الاجنبية مستوليا على سائر بلاد (مادى) من غير منازع يسارعه ولا معارض يعارضه في ذلك مع ان من المحقق كون جزء منها قد كان في مدة عهد الملك (ديجوسيس) السالف الذي ذكر في يد بعض الامم الاجنبية ولم يمتدئ الملك (فراوورت) في مغايرته اليكثيره الا في سنة ٦٥٠ ق م) وكانت قد توجهت همته الجهادية أولا الى جهة المشرق وكان مبدأ امره ان أطاع لدولته بادئ بدء سائر بلاد فارس الاصلية وكانت في ذلك العصر قد أخذت في ان تتكون في هيئة مملكة متحدة بعد ان كانت قد مكثت مدة مديدة وهي متمزقة الى عدة قبائل متعددة لا رابطة لها ولا عقدة تحالفية وثيقة تضبطها وكان أول تصور لها في صورة المملكة المتحدة في الوقت الذي كانت بلاد مادى قد خرجت فيه بواسطة حصيان (ارباس) السالف الذي ذكر عن طاعة السلطنة الاسورية التي كانت قائمة بمدينة (نينوى) في ذلك العصر وكان ملك فارس المسمى عند اليونان باسم (آشمينوس) هو آخر ملك استقل بمملكة فارس الاصلية ثم حاربه فاتتصر عليه وغلبه الملك (فراوورت) ملك مادى المذكور فاعترف له بالتبعية وصارت مملكة فارس الاصلية تابعة للدولة الميمنية والملك (آشمينوس) هذا هو أصل العائلة الملوكية الفارسية التي منها الملك (كبرش أويروس) وسائر ملوك فارس المسمين عند اليونان بالآشمينوسية (وعند مؤرخي العرب وفارس بالكيمانية) ولم يقتصر ملك مادى المذكور في تلك الجهة من الفتوحات والاستيلاء على الممالك والولايات على ما ذكر اعلاه فقط بل كان في مساقفة بعض سنوات قلائل قد أطاع لدولته سائر الامم المتوطنين في ما وراء جبال (هندكوش) وصحارى بلاد القرم ان كان أصل اكثرهم من الابرانيين وقد دسرح الطبيب المؤرخ اليوناني المشهور باسم (اكنتازياس) في كتاب تاريخ فارس والهند الذي كان قد افقهه وبقي بعضه مسطورا في ذيل تاريخ (هيرودوت) بان القرنيين وهم قوم اصلهم من الاقوام البيتيين او التوارنيين كان الملك (فراوورت) قد

الدرس الثام ٣٠٧ في التاريخ العام

أدخلهم تحت طاعته ومن ابتداء مدة حكم هذا الملك نرى ايضا بلاد (البكرية) وماالتحق بها من ولاية (هركانيا) وولاية (المرحيان) و(السجديان) كلها منضمة لدولته وكذلك في جهة الغرب من بلاد ماды كانت الامة الارمنية التي هي من جملة الامم الآرية وكانت متحالفة من عهد (ارباس) مع الامة الميديّة لزم الضرورة ان تكون مدعنة بالتحية لسلطنة الملك (فراوررت) المذكور وعلى حسب الظن اقوى وصديق الحدس المقل أنّه كان في نظير تلك التبعيّة قد انقذ بعض اراضيهم من يد الدرة الاسورية اذ كان بعضها تحت ايديهم وكانت قد وصل اليهم يد تعديهم

وحيث كان الملك (فراوررت) قد استولى على جميع هولا الامم وبذلك جعل المملكة الميديّة سلطنة جهادية متسعة ودولة عسكرية ذات منعة قوية ظن انه يمكنه ان يفعل بمدينة نينوى كما فعل بهامس قبله (ارباس) أعنى انه اراد ان يخربها ثانية وكانت قد قامت من سقطتها ورجعت لسالف بهمتها وعظمتها بعناية الملك (سنخاريب) وشرع في ان يطيع لدولته بلاد الاسورية لكر خاب له في ذلك اذ توجه مع نخبة جنوده اليها فلم يظفر بها وهلك هو وهم جميعا في (سنة ٦٣٥ ق م)

مطلب — ذكر الملك (سيا كزار) (من سنة ٦٣٥ الى سنة ٥٩٥ ق م) وتقلد بمملكة الميديين من بعد الملك (فراوررت) المذكور ولد له المسمى باسم (سيا كزار) فكان اكثر حبا للجهاد واقوى شغفا بالحرب والجلاد من والده المحكي عنه أعلاه وذلك انه اعتبر بسوء عاقبة أبيه فكان ازل عنايته منذ صعد على سمر ملكته ان أحدث في الامة الميديّة ترتيبات عسكرية جديدة وكان اقوم الفرثيون بوفاة أبيه قد خرجوا عن طاعته فتوجه اليهم وحاربهم واطاعهم بالثاني لدولته ثم التفت لتنفيذ مقاصد والده فيما يتعلق باخرب مدينة نينوى بالثاني وتدبر في ذلك الامر وقتة كبر وتأمل وتبصر فأداه حسن التدبير الى ان مثل هذا المشروع المهم لا يتم الحصول عليه الا بواسطة عقد محالفة مع اهل الجنوب من حوض دجلة والفرات كما فعل مثل ذلك (ارباس) في سالف الاوقات ولاجل ان لا يقدم وحده على مثل هذا الامر العظيم عقد معه الملك الكلداني المعروف باسم (نابولواصر) على انهما يفتتحان معا دية تقسمان المملكة الاسورية وتوثقت عروبة هذا العهد بما حصل بينهما على الفور من المبادرة بعقد زواج بنت الملك (سيا كزار) المذكور على ولد الملك (نابولواصر) وهو (بختنصر) المشهور وقد كان شابا حديث السن بعد وبوفاة الملك (آسور ديللي) ملك نينوى في سنة ٦٢٥ قبل الميلاد (كما سلفنا ذكر ذلك في موضعه) بدت لهذين الملكين المتحالفين والسلطانين المتصاهرين فرصة ان ينفذا أغراضهما وعرضا على ان يبلغا مقاصدهما فأغارتا الجيوش الميديّة والكلدانية دفعة واحدة على بلاد الدولة الاسورية

فتوجه الميديون اليها من جهة الشمال والكلدانيون من جهة الجنوب والتقى الجمعان والنهم الصفان من الجنود الميديّة والعساكر الاسورية وكان قد غاب الميديون على الاسوريين في ملحمة عظيمة وواقعة حرب منتظمة جسيمة وأخذ الملك (سياكرار) في أن يعقد على مدينة (نينوى) دائرة الحصار وتقدم الملك (نابولاصر) ودنا من أن يحضر لامداده بسائر اجناده على اخذ هذه المدينة واذا ملك الميديين قد نزل عليه على حين فجأة منه جيش عديد من الاقوام السيتيين وشنوا الغارة على سائر بلاد الميديين

مطلب — ذكر غارة الاقوام السيتيين على بلاد الميديين — وقد كانت غارة الاقوام السيتيين عبارة عن مهاجرة حصلت من امة متوحشة سارت بالصدفة وذلك انه كانت قد قامت حرب بينهم وبين قوم آخرين كانوا لهم مجاورين يقال لهم (النريميون) كانوا في ذلك العصر متوطنين بالصحرى الجبلية الكائنة في شمال بحر الخزر وجبال قوقازة فلما تمت غلبة السيتيين على هؤلاء القوم القريبيين اندفعوا وراءهم ولم يزالوا هم متمتعين حتى ضلوا في مضائق جبال قوقازة ولم يزالوا يتقدمون فيها الى جهة الامام ويهيمنون في تلك الصحرى بدون أن يعرفوا الى أي جهة هم متوجهون حتى نزلوا كالسيل على بلاد الميديين فقام الملك (سياكرار) المذكور وأراد ان يوقف غارتهم ويمنع صولتهم عن بلاده ولا قاهم بجنوده فهزمه وغلبوه واضطروا لان صار تحت طاعة هؤلاء القوم المتوحشين ومكث السيتيون مدة ثمانى عشر سنة يخرجون سائر بلاد آسية الداخلية حتى انهم بلغوا الغاية حدود الديار المصرية وكان الميديون هم اكثر سائر الامم الآسيين اصابة بغارة هؤلاء القوم المغيرين حيث كانوا قوتون اوباد يارهم وقتك وفيها على وجه بحيث كان يظهر عليهم انهم لا يريدون ان يخرجوا منها أبدا ولم يتوصل الميديون للنجاة منهم الا باعمال الحيلة والخيانة عليهم وذلك ان الملك (سياكرار) وأصحابه من طائفة اصياد الميديين الكبار دعوا ملك السيتيين وأعيان رؤسائهم الاصليين الى وليمة كبيرة واسكرهم بكثرة شراب الخمر ثم ذبحوهم عن آخرهم وهم سكارى وقامت جميع الاهلين الميديين على سائر الاقوام السيتيين فقتلوه عن آخرهم وقطعوا دابرهم جميعا حيث صار والارئيس لهم ولا رابطة عامة

بجمعهم

مطلب — ذكر ما حصل بعد ذلك للملك (سياكرار) من الظفر الجديد — ومجرد ما انتقد هذا الملك من غارة هؤلاء الاقوام المتوحشين كان قد جدد العهد مع الملك (نابولاصر) والنفقت لتنفيذ ما كان قد عده عزيمته عليه وتحجب اليه من العزم على خراب مدينة (نينوى) بالثاني فتوجه كل من هذين الملكين المتحالفين بجنودهما اليها وعقد الحصار عليها وظفرا بهاتمام الظفر واتصرا عليها كل النصر وفي (سنة ٦٠٦ ق م) كانت هذه

الدرس التام ٣٠٩ في التاريخ العام

المدينة الجبهرية الفاخرة والحاضرة العظيمة المتكبرة التي كان قد أعادها الملك (سبحاريب) بالثاني من بعد خرابها الاول الى درجة عظمتها الاولى قد سقطت في قبضة هذين الملكين الجبارين فأخر بها في هذه المرة خرابا لم تعد للعمارة من بعده ابد او اقتسما بينهما بلاد الاسورية فاحضد الميديون جهة الشمال واستولى البابليون على جهة الجنوب منها ثم بعد ذلك بثلاث سنوات أعنى في (سنة ٦٠٣ ق م) كانت قد قامت حرب أخرى بين (سياكزار) وملك القوم المسمين باسم (الابديين) وهو المدعو باسم (أليات) وكان هذا الملك الأخير قد استولى منذ بعض سنوات قليلة على إقليم (أفر يجيا) وهو على وجه التقريب عبارة عما يسمى الآن بلواء قونية وآق سراي وآق شهر بيلا - القرمان ولواي كوتانية وقرمان - حصار من بلاد الاناضول المعروفة (ببلاد آسيا الصغرى) وكذلك على إقليم (قبادوسيا) وهو جزء من ولايتي سيمرة والقومان الآن قال المؤرخ اليوناني المشهور باسم (هيروdotus أو هيرودوت) في تاريخه مانصه (معربا) هكذا مكث الميديون والليديون يتحاربون مدة خمسة سنوات والحرب بينهما سجال تارة يظفر هؤلاء وأخرى ينتصر الآخرون حتى جاءت السنة السادسة فحصل بينهما ما هو أشبه بموقعة حرب ليلى وبيان ذلك ان القومين المذكورين بعد ان مكثا تلك المدة على الدوام والاستمرار في قتال تعادل فيه المظلم الطرفين ، لقد تلاقبا في ملحمة كبيرة ومقتلة خطيرة واذا بالهارق صاريلا على حين غفلة منهم ابا انكساف قرص الشمس وهما في حوة الميدان يتحاربان ويتضاربان وكان الحكيم (طاليس) المليطي احد فلاسفة اليونان السبعة المشهورين قد انذر من قبل بهذه الحادثة الجوية واخبر بوقوعها الامة اليونانية وعين ذات اليوم والسنة التي تقع فيها ولما نراه للجيشوش الميدي والليدية ان النهار قد انقلب ليلا أحجموا عن القتال وبادروا للصالح وتوسط بينهما في ذلك ملك كابابل وبلاد (سيليسية) (وهي المعبر عنها الآن بولاية سيافكة وادنة) ولما كانوا يظنون ان عروة العهود لا تتأكد الا برابطة قوية كرابطة مصاهرة ونحو ذلك ألزم هذا الملك (أليات) بان يزوج ابنته المسماة باسم (اربانيس) بابن الملك (سياكزار) المذكور المدعو باسم (أستياج) (اه نص كلام هيرودوت) ثم قال المؤرخ فرانسيس لوفورمان المنقول عنه أعلاه بعد ذلك مامعناه وتعين مجرى النهر المسمى باسم (هايس) (وهو المعروف الآن باسم (قز يل يرموق) وهو القاسم لارض إقليم (قبادوسيا) المذكور الى قسمين متساويين هو الحد الفاصل بين تخوم السلطنة المذكورتين

مطلب — ذكر الملك (أستياج) والملك (كيرش أو فيروس) المشهور وقصة زوال سلطنة الميديين في سالف العصور (من سنة ٥٩٥ الى سنة ٥٦٠ ق م)

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور أعلاه بعد ذلك ما معناه وكان الملك (استياج) ابن (سيا كرا) المذكور قد خلف أباه على سرير سلطنة الميديين في (سنة ٥٩٥ ق م) وكان له كاخا لما وسلاطنا جاثرا غاشما لا خفر له ولا مجد قال المؤرخ الفرنسي المعروف باسم (روبيو) مانصه (عربا) بعد

وكان قد رأى في المنام انه يزيله عن سريره ملكته ابن بنته المسماة باسم (مندانة) وكان قد زوجه ابنته لمن ذرية العائنه الملوكية الفرنسية القديمة يقال له (قميرس أو قميرز) فأراد ان يقتل الطفل الذي ولد لهما عند ولادته وهو (كيرش أو قيرس) وامر به هذه المأمورية رجلا من كبار ضباط عسكره يقال له (هر باجوس) وهذه القصة مبنية على ما حكاه اهل فارس أنفسهم في حكاياتهم الالهية ورواياتهم المالية حيث ارادوا أن يغربوا في قصة تاريخ مدة طفولية الملك (كيرش) هذا بذكر احوال غريبة ووقائع عجيبة اذ كان هو الذي وسع سلطنتهم ورفع صولتهم وبواسطته استولوا على سائر بلاد آسيا فذكر ما معناه ان (هر باجوس) المذكور أعلاه لما أسره الملك (استياج) بأن أخذ حفيده هذا وقتله كان قد هزته أريحية الرافقة اليه واخذته شدة الرحمة والحنية عليه فتعلقت ارادته بان انجيه من القتل الذي امر به الملك وألقاه عند راع من رعاة الغنم واودعه اياه ثم عثر عليه الملك الميدي الذي هو جده لأمه وعرفه بتقاطيع وجهه وأسرة محياه فاستحياه وابقاه مؤولا وراياه بأنها قد تصدقت بما كان (كيرش) قد اجراه بوقت طفوليته وقد رآه وهو يلعب مع الاطفال يجري صرورة رسوم المملكة عليهم ويلقي الاوامر العالية بنخوة الملك اليهم فاخذه الى قصر ملكته ووضه الى اهل دوائه وانتقم من ضابط العسكر الذي كان قد امره بقتله على وجه شنيع وطريق شنيع بان اطعمه لحم ذات ولده في هيئة لحم جدي مشوي ففقد ذلك (هر باجوس) على (استياج) وحمل (كيرش أو قيرس) على الخروج عن طاعة جده وعلى ان ينقذاه فارس الاصلية من رق السلطنة الميدية ووعد به بان يساعده على ذلك ببلقونه ويعضده بذاته متى شرع في تلك المسالك قال المؤرخ (روبيو) المروى عنه اعلاه بعد ذلك ايضا ما معناه وكان (كيرش) المذكور قد اعل الحيلة وتوصل لان اثار نيران الفتنة والعصيان عند ابناء اوطانه الاصليين اعنى الاقوام الفارسيين وكانوا اقواما جبليين واناسا بدويين اشد قوة واقوى على الحرب والقتال من الاقوام الميديين وكان الملك (استياج) قد أساء التدبير اذ قلد (هر باجوس) هذا برياسة جنده المتوجه لقطع دابر هذه الفتنة وقع ذلك العصيان حيث خان الملك لداى ما كان قد اسره في باطنه من الحقد عليه بما اجراه في حقه من الظلم بذي ولده واطعامه لفلزة كبده وترك راية الظفر وضربة الغلبة والنهر لرئيس جند القوم الفارسيين على الميديين فقام الملك (استياج) بنفسه

على رأس جنوده واراد أن يدفع الجنود الفارسية عن كرسى مملكته فلم ينجح واجتهد كل الاجتهاد في اطفاء نيران هذا النيران فلم يفلح بل انهزم اتم هزيمة واقبحها وقتل اكثر عسكره في حومة الميدان ووقع هو ذاته اسيرا في يد أعدائه وكان قد مكث على سبيل السلطنة الميدية خمساً وثلاثين سنة وهو آخر ملوك دولة الميديين التي كانت قد ظهرت في الاقطار الآسية ذات شوكة كبيرة مدة حقبة من الزمن يسيرة (اه كلام المؤرخ (رويو) المنقول عنه اعلاه

الفصل الثالث

في تاريخ السلطنة الفارسية الاصلية

مطلب — ذكر فتوحات الملك (كيرش) (من سنة ٥٥٩ هـ الى سنة ٥٤٥ هـ ق م) — قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المروى عنه اعلاه بعد ذلك ما معناه وكانت نتيجة هزيمة الملك (استياج) المذكور وافتتاح بلاد الميدية ان صار بيد الملك (كيرش) الولاية السلطانية على سائر البلاد التي كانت تابعة للسلطنة الميدية وصار له اليد العليا خصوصاً على جميع الامم الآريين والملل الايرانيين المتوطنين في اواراه جبال (هندكوش) وصحارى بلاد القرم فبادر لوضع اليد بالفعل عليها وأجرى رسوم السلطنة بالعمل فيها وقد كان ذلك أمراً سهلاً عليه اذ كان سائر هؤلاء الملل أخوات ملته فكانوا يميلون بالطبع اليه ويعطفون بالحب لآلئيه ويثرون بالخير ورقة ان يكونوا تحت أعلوية امة ايرانية الاصل المحض كالامة الفارسية على أمة مختلطة التسب والحسب يتداخلها أصول أمم غرب كالامة الميدية

ولما كانت بلاد البكترية معرضة لكثرة غارات هؤلاء الامم الاغراب وتكرر اسقوط هؤلاء القبائل المتوحشة عليها بالقتل والسلب والانتهاك كان أول ما تعلق به همة الملك (كيرش) ان ابتدأ نفسه بالحصول على الامن فيها بان حارب القوم التورانيين المسمين باسم (الساسيين) وهم قوم من الاقوام التورانيين كانوا من وطنين حوالى ينابيع نهر سيحون المسمى ايضا باسم (سيرداريا) فغلبهم وانتصر عليهم وأسر ملكهم المسمى باسم (آمور جيس) وجعل بلادهم ستراية من اعمال سلطنته أى ولاية جعل عليها واليا من ولاية فارس الملقبين بلقب الستراب بمعنى العامل على إقليم من أقاليم الدولة الفارسية وحيث توطدت بذلك سلطنته وتمهدت البلاد لدولته من الجهة الشمالية الجنوبية شرع

يفتح البلاد المجاورة لجبال قوقازة وكانت قد بقيت مستقلة لم تدخل تحت طاعة الدولة الميديّة وبعد أن أقام على قتالها عدة سنوات عديدة وقامى فيها عدة حروب شديدة وهلك فيها أناس كثير ون كان قد أدخل تحت طاعته وألحق بأعمال سلطنته كلا من إقليمى (البانيا) و (ايبيريا) ومجموعهما هو ما يعرف بـ (الآن باس) (داغستان وبلاد الجرج) وأما الأقاليم المدعوى باسم (الكولشيديين) سكان إقليم (كولشيد) (وهو ما يعرف بـ (الآن بوليا) (بيريديا) (مغريليا) فقد كانوا امتثلوا لقوته ودخلوا صلحا تحت طاعته وكذلك الأقاليم الذين كانوا يسكنون الجبال الوعرة الكثيرة على الساحل الجنوبي الشرقي من بحر الخزر وهم (المارديون) و (المكرون) و (الكالييون) والقبائل المشهورون باسم (الطبرانيين) وهم قوم كانوا مشهورين عند الأمم السالفة من أقدم العصور السابقة بعمل المصنوعات المعدنية وابتراع حديد الصلب كلهم كانوا قد اطاعوا صلواته ودخلوا تحت أمر دولته وبذلك صار الملك (كيرش) الفارسي المذكور مستوليا على سائر الأقطار الكثيرة بآسيا الصغرى (بلاد الاناضول) إلى حد نهر (قريل يروفي)

مطلب — ذكر الملك (كيرزوس) ملك بلاد ليديا — قال المؤرخ فرانسيس لونورن الملقب عنه أعلاه بعد ذلك ما معناه وقد كان معاصر الملك (كيرش أو قيروش) المذكور آنفاً ملك يقال له (كيرزوس) ملك بلاد ليديا وهي الجزء الغربي من بلاد آسيا الصغرى أو الاناضول ويعبر عنها الآن باسم سوراخان ومنه من بعض بلدان أخرى وكانت قاعدة سكتة في ذلك الزمان تدعى بمدينة (سردوس) كان ذلك الملك هو أقوى الملوك ببلاد آسيا الصغرى وكان قد اجتهد في أن يحدث له في تلك الأماكن من الدنيا القديمة دولة عظيمة وسلطنة متسعة جسيمة يضاهاها السلطنة الفارسية وكان قد أجبر المداين اليونانية التي كانت قائمة على السواحل البحرية من تلك الجهة الآسية على أن تذهبن بالطاعة إليه وبلغ لغاية أن جمع تحت قبضة مملكته سائر البلاد الكثيرة في أوراسيا (قريل يروفي) وكان قد اغتر بما حصل له من النجاح فأراد أن يبدأ بالحرب والكفاح الملك (كيرش ملك فارس) المذكور إذ كان يخشى صلواته على بلاده وأراد أن ينتقم عليه ويأخذ منه بشار الملك (استياج) الذي هو صهره ويحكى أنه قد كان انتشار كاهنة مدينة (ديلفوس) ويقال لها (ايضاديلفي) وهي مدينة شهيرة كانت بأقليم (فوكيدة) من بلاد اليونان القديمة كان بها هيكل وكاهنة تجبر بالمغيبات لعبودهم المدعوى باسم (ابولون) (بتفخيم اللام) وفي مكانها الآن مدينة (كستري) (بفتح الكاف في أوله وتاء مثناة فوقية يليها راء مهملة مكسورة ثم ياء ساكنة في آخره) وسألها كيف تكون عاقبة هذه الحروب فأجابته بقولها أنك إذا

جرت نهر (قزيل يرموق) اخربت مملكة عظيمة فسا فرمطمنا اقولها جازما بأنه سيزيل مملكة فارس فكان الحال بالعكس وكانت المملكة التي زالت هي مملكته والساطنة التي تخربت هي سلطنته في ذلك العهد وبيان ذلك هو كما يأتي بعد

مطلب — ذكر هزيمة الملك (كريزوس) وزوال دولة الليديين على يد (كيرش أوقيروس) من (سنة ٤٤٥ هـ إلى سنة ٤٤٤ ق م) فجاء (كريزوس) بجيوشه النهر المذكور ودخل بهم اقليم (قبادوسية) واستولى عليه بغاية السهولة لداعى انه لم يجد من يصد عنه غير سكان تلك البلاد ثم التقى مع جيوش فارس تحت قيادة الملك (كيرش) بنفسه ووقعت بينهما قتلة شديدة هلك فيها نفوس عديدة من الطرفين غير انه لم يظهر فيها النصر لاي الجانبين حتى جاء الليل فاتسبى بذلك القتال ولم يرد (كريزوس) ان يعود عليه بالحرب في الغد لداعى انه كان قد قبل له ان جنوده هم دون جنود خصمه في الغد فعاد الى مدينة (سردوس) التي هي قاعدة مملكته وبعث يطلب المدد من ديار مصر وبابل و (لقدمونيا) بلاد اليونان بناء على ما كان منعقد ايده وبينهم من العهود وعزم على ان يعود بالحرب في فصل الربيع الآتي قال المؤرخ (روبيو) وكان الملك (كيرش) أو (قيروس) قد تبصر في نتيجة تلك الاستعدادات الطويلة وبلغه الخبر بان الملك (كريزوس) اعتمد على طول مدة فصل الشتاء ففرق شمل جنوده وأذن لهم بالعودة الى بلادهم فبادر ملك فارس بالسير الى مدينة (سردوس) قبل ان يتيسر للملك الليدي ان يجمع جنوده وبسته مدلا فانه ومع كون الملك (كريزوس) كان قد جاءه ملك فارس على حين غفلة منه وجأه بالقتال من حيث لم يكن له ذلك على بال سار لقتاله مع من يتسر له جمه من رجاله وكان الليديون قد فتحوا في مدة عهده فتوحات كثيرة واستولوا تحت قيادته على بلاد متسعة كبيرة فاغتروا بامتداد صديتهم وشهرتهم بالحرب والظواهر انهم كانوا قد تعلموا في قيمتهم من حيث الجلال والضرب وكافوا قد اطمأنوا لانفسهم واعتمدوا على شجاعتهم وكان لهم خصوصاً مهارة كبيرة وحذاقة شهيرة بركوب الخيل فالتقى الصفان والتحم الجيوشان في سهل منيع عظيم مكشوف امام مدينة (سردوس) عند ملتقى نهرى (هيلوس) و (هرموس) وهو النهر المعروف الآن بنهر (شرابات) والقادوس على القرب من مدينة (ازمير) قال المؤرخ (هيرودوت) اليوناني المحكي عنه أعلاه في هذا الموضع من تاريخه ما نصه (معر با) أدناه

وكان الملك (كيرش) قد جمع الجبال الحاملة لأذخيرة جنوده ووضعها في مقدمة جيوشه المشاة بإشارة بعض قواد عسكره فلما نظرت اليها خيول عسكر الليديين فزعت من منظرها واهلعت من رائحتها لعدم اعتيادها عليها ففرت منها وفرت عنها قبل ان تحمل عليها فنزل فرسانها عن ظهورها وتركوها واجتهدوا في ان يحاربوا على الارض بدونها فلم يصادفوا الغرض

ولم يغب عنهم اجتهادهم ذلك شيئا اذ كان أقوى عددهم قد فقد واشد مددهم قد نفذ فتمت عليهم من جنود فارس الغلبة والنصر وتفرق شملهم وتمزق جمعهم وانهمز مواشرهم وانهضوا من جملتهم الملك (كز يوس) في مدينة (سردوس) اشد الحصر (انتهى نص كلام هيرودوت) منقولاً من تاريخ (رويو) ثم قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المتسكر بالذكور والبيان اعلاه بعد ذلك مامعناه ومع ذلك فقد كان ملك الليديين المذكور لم يقطع العشم من الظفر اذ كان الاقوام اليونانيون قد دخلوا تحت طاعته من عهد قريب وكانوا له مصادقين وكان قد ارسل مراسيله بالثاني يستجلبون حضور الامدادات اليه من عنده هؤلاء الامم والممل التحالفين معه فلم يندك ذلك ثمرة ولم يعد عليهم منهم عائدة معتبرة بل كان الملك (كيرش) بعد اربعة عشر يوما من تاريخ الحصار قد هجم بجنوده على تلك المدينة التي كانت في ذلك العصر قلعة مؤسسة على صخرة ذات منعة مشتهرة فدفعهم القوم المحصورون في اول الامر وكان بعض جنود القرس قد لحظ بالامس طر يقا يوصل الى مكان من سور القلعة يمكن منه التسلق عليها وكانت القلعة حينئذ عاطلة من الحرس لا اعتقادهم عدم امكان الصعود على الصخرة التي كانت هذه القلعة موضوعة فوقها فارس داخا وانه اليها وصعد عليها وتبعه كثير من اصحابه وبذلك سقطت مدينة (سردوس) المذكورة هي وذات ملكها واسائر بلاد المملكة الليدية في قبضة يد الملك (كيرش) (في سنة ٥٤٤ ق م)

مطلب — فتح المراتن الاغريقية بمعنى اليونانية المسماة ببلاد (يونيا) اى البلاد اليونانية الاصل التي كانت على سواحل بلاد آسيا الصغرى واذ كراستيلاه دولة فارس على سائر الامم والاقوام الكائنين ببلاد آسيا العليا (من سنة ٥٤٤ الى سنة ٥٣٩ ق م) قال المؤرخ المذكور آنفا ولم يتأخر (كيرش) ان شن الغارة على سائر المدن الاغريقية بمعنى اليونانية المسماة ببلاد (يونيا) اى البلاد اليونانية الاصل التي كانت قائمة على سواحل بلاد آسيا الصغرى (وهى سواحل الوبه سيوى وصوراخا وعايدىن الآن) وحيث لم يرد لهم امداد من اخوانهم اليونانيين المتوطنين بنواحي اوروبه كان الملك (كيرش) قد استولى عليهم وامتدت يده اليهم وامتنع اهل مدينة (تيوس) (وهى المدينة المسماة باسم (سيدشيدجك) الآن واهل مدينة (فوكيا) (وهى المدينة المسماة بهذا الاسم على القرب من ازمير لغاية الآن) من الاذعان لطاعته فهاجروا من اوطانهم الاصلية وانتقلوا الى الجهات الادروية وانضم الفوكيون الى اخوانهم اليونانيين الذين كانوا قد نزحوا هاجروا من قبيل الى الجهات الغربية اعنى القبائل اليونانية الذين كانوا قد نزحوا بجهة (مرسيليا) (من سواحل فرانسة) ثم فتح اقليمى (كاريا وليسيا) (لوانى) منتشروا وتكة الآن) مع ما كان قد حصل من اهلها من المقاومة الشديدة والمصادمة

العبيدة وقد كان الذي تم له فتح سائر البلدان التي كانت تترب منها رأس آسيا الصغرى في ذلك الزمان هو القائد (هر باجوس) المذكور آنفاً وكان (كيرش) نفسه مستغلاً في أثناء تلك المدة بالاستيلاء على جميع الامم والاقوام المتوطنين ببلاد آسيا العليا وسائر الاقاليم السكانية فيما بين بلاد الهند وفارس أعني سائر الاقطار التي كانت تعرف عند الجغرافيين السالفين باسم عام وهو (بلاد الاريان والاريا) بمعنى بلاد الآريين وهي ما يعرف الآن بسجستان وخراسان وما يليهما من البلدان لغاية بلاد (الهند) وفتح بلاد (جيدروز يا) وهي ما يعرف الآن بولاية (مهران) وسائر الاقطار التي تليها لغاية بلاد اقوام المسلمين باسم (الجنديين) المصاحبة لآعلى مجرى نهر جيحون

مطلب — ذكر زوال الدولة الاسورية على يد (كيرش) ملك فارس المذكور في (سنة ٥٣٨ ق م) قال المؤرخ المروى عنه أعلاه بعد ذلك ما معناه وقد كان الملك (كيرش) لم يزل ينتقل من فتح الى فتح ويرتحل من بلد الى بلد فاتراً بالنصر والفتح حتى تعلقت اطماعه بالاستيلاء على جميع بلاد آسيا بتمامها والاحاطة بالاخذ بتمامها وكان قد استولى على معظمها ولم يبق عليه للحصول على هذا الغرض على وجه لم يتيسر لآى ملك كان من ملوك ذلك الزمان لغاية ذلك الاوان غير ان يخرب مملكة الكلدانيين التي كان قد أسسها في ذلك العصر بمدينة بابل المسمى الشهيان (نابوبلصر وبختنصر) على آثار المملكة الاسورية القديمة وكانت هذه المملكة قد أخذت في الاضمحلال وال سقوط لسوء الحال وابتدت في الزوال ولم يتأخر الملك (كيرش) ان فعل ذلك وتحصل على بلوغ آماله فيما هنالك (كما قصصنا قصة ذلك في الباب السالف فلا حاجة لتكراره هنا) ولما استولى الملك (كيرش) على مدينة بابل (في سنة ٥٣٨ ق م) صار سائر سكان الاقطار السكانية فيما بين نهر السند الى بحر الارخبيل او بحر جزائر الروم ومن عند صحارى بلاد العرب الى حد نهر سيحون امارعاً بالسلطنة وامامو كامذعين بالتبعية لدولته ولم يخرج عن ذلك بحسب الظن الابعض أناس قليلين من سكان الجبال المتوحشين او بعض قبائل بدويين من الاقوام الرحالين التزالين كان هذا البطل الفارسي يأنف من ان يكدر عليهم في عزلتهم معيشتهم وتأبى نفسه العارية منازلتهم ومقاتلتهم وكان متى استولى على امة او امة من هؤلاء الامم والملل العديدة اوطاع لدولته مملكة اودولته من تلك الممالك والدول الكثيرة لم يبدل أقسامها السياسية ولا خططها الارضية ولم يغير شيئاً من الشرائع والقوانين الجارية عندها بل كان يقيمها على حالها ولم يكن مطمح نظره متوجهاً الا نحو انشاء دولة جهادية وساطنة عسكرية قبل كل شيء على سائر هذه الاقطار الآسية

مطلب — ذكر خاتمة الملك (كيرش) (من سنة ٥٣٦ الى سنة ٥٢٩

(ق م) قال المؤرخ فرانسيس لونفورمان السالف الذكر والبيان وقد كان الملك (كيرش) قد أقام على كرسي سلطنة فارس من بعد استيلائه على مدينة بابل مدة ثمانى سنوات وهو بحالة السلم الكامل وفي تلك المدة كان قد أطلق سبيل القوم العبرانيين الذين كانوا بمدينة بابل مأسورين واذن لهم ببناء هيكل اورشليم بالثانى كما قصصنا ذلك تفصيلا في تاريخ القوم اليهود (وتقدم ذكره ايضا في الباب الثالث من هذا التأليف نقلا عن كتاب التاريخ القديم للمؤرخ جيلمان)

ومكث الملك (كيرش) على تلك الهدنة لغاية (سنة ٥٢٩ ق م) ثم في تلك السنة اما لقضاء ما كان قائما بنفسه الى فتح البلاد من الشهوة التي لا تشبع والحاجة التي لا تقنع اولقصدان يقيم غارات بعض القبائل الذين كانوا له مجاورين وكانوا له بالاذى يتعرضون كان قد شرع في شن الغارة بحرب جديدة على القوم المسمين في ذلك العصر باسم (الماساجيتيين) (بأجوج ومأجوج) وهم قوم من الانسال التورانية والتركية كانوا موطنين بالبحارى المكنانة على شمال نهر سيحون وانتهاز الملك (كيرش) الفرصة لشن الغارة عليهم من حيث كونهم كانت تملكهم امرأة يقال لها (توميريس) فجمع جيوشا عديدة وسافر بهم اليها وانشأ عدة قناطر على نهر سيحون ومر بهم عليها واما بلغ الملكة (توميريس) المذكورة خبر سير تلك الجيوش الفارسية اليها بعثت اليه رسولا يعرض عليه ان يلتقى الجيشان ويلتحم الصفان في ميدان حرب مغلقا يامكان اراده فلم يقبل وبدا لعن ان يرضى بالقتال على هذا الوجه الصادق والطريق المستقيم الا ان عمدة عول على طريقة مكر وخديعة مشهورة الملك (كيرزوس) ملك الميديين وكان معه في هذه الغزوة الشنيعة وذلك انه اشار عليه بان يتركه معسكره معطلا عن الدفع والاحتراس ويملاؤه بالذخائر من سائر الانواع والاجناس بحيث يسهل على الجنود (الماساجيتيين) ان يلجوه وسلبوا ما فيه وينتهبوه ومتى دخلوه واستغلوا بتعاطى ما فيه نزل هو عليهم على حين فجأة منهم بجمل جنوده ففرق شملهم وفرق جمعهم وظفر بهم كل الظفر وانتصر عليهم كل النصر وكان قد خبا في ناحية من النواحي جل جيوشه العديدة فتمت عليهم هذه المكيده قال المؤرخ (هيرودوت) اليوناني في تاريخه ، وكان الملك (كيرش) قد تبعاعد عن نهر سيحون بمرحلة يوم وترك اقبح جنوده هناك وعاد مع اجودهم الى ذلك النهر بالثانى فخاف القوم (الماساجيتيون) وهجموا على معسكره بثلاث جنودهم وقتلوا سائر الحرس وظفروا منهم بمقصودهم واشتغلوا بالسلب والنهب والسكر والاكل والشرب واذا بالجيوش الفارسية كانت قد اقبلت اليهم ونزات عليهم فقتلوا منهم رجالا كثيرا واخذوا اكثرهم مأسورين كان من جلتهم قائد عسكرهم المسمى باسم (اسبارجابينيس) وهو ابن الملكة (توميريس) التي هي ملكتهم فارسلت

الدرس الثامن ٣١٧ في التاريخ العام

الملكمة المذكورة أعلاه رسولا الى الملك (كيرش) تقول له ما معناه يا أيها الملك السفاح الذي لا يشبع من سفك الدماء لا تنفخر بما حصل لك من هذا النجاح فانك لم تحصل عليه الا بواسطة عصاة العنب وهذا الشراب الذي يزيل العقل وانتي لناصحة بك بنصيحة جيدة فاسمع ما أقول لك رد على ولدي واخرج سالما من بلدي ولوأنت ألفت معظم جنودي والا فاني أقسم بالشمس التي هي الاله الاعظم والسيد المالك الاكرم للقوم (الماساجيتيين) انني لاشبعنك بالدماء ولو بلغت ما بلغت من الظمأ فلم يعبأ الملك (كيرش) بقولها هذا المسطور أعلاه واما ولدها فانه لما أقاق من سكره التمس من الملك ان يفلت قيوده ويجرد ان انفك من سلاسل الحديد قتل نفسه ويده ولما بلغ ذلك أمه اجتهدت في ان جعت سائرا من كان عندها من الرجال وعقدت الحرب والقتال مع ملك فارس المذكور فتم النصر للقوم (الماساجيتيين) على العساكر الفارسيين وهلك اكثرهم في ذلك المكان وفي هذه الواقعة الحربية مات الملك (كيرش) نفسه بعد ان كان قد أقام على سرير المملكة الفارسية مدة تسع وعشرين سنة كاملة وأمرت الملكة (توميريس) بالبحث عن جثته في بحلة الموتى فعثرت عليها ومثلت بها وغسست رأسه في قربة مملوءة من دم الآدميين المقتولين وهي تقول اني وان كنت لم أزل على قيد الحياة ظافرة بالنصر لكنك قد قتلتنى بقتل ولدي فلاشبعنك من دم البشر كما وعدتك (اه ما نقل من تاريخ (هيرودوت) اليوناني قال المأورخ فرانيسس لوفورمان الفرانساوي وهكذا كانت خاتمة هذا الملك الفاتح الكبير غير ان السلطنة العظيمة التي كان قد أسسها كانت قد بقيت من بعده مدة حقبة من الدهور كما هو بعدمسطور

مطلب — ذكر الملك (قمبزاوقمبيزس) فاتح الديار المصرية وذ كر فتح ديار مصر بغارة الجنود الفارسية (من سنة ٥٢٩ الى سنة ٥٢٥ ق م) ولما مات الملك (كيرش) كان قد خلف ولدين اكبرهما يدعى باسم (قمبزاوقمبيزس) وكان قد تقلد من بعده بتاج المملكة الفارسية والا صغير يدعى باسم (سمرديس) كان قد تقلد بالعمل على ولايتي البكترية والهرثية من اعمال السلطنة الفارسية بشرط ان لا يدفع لاجبيه خراجا غير انه يعترف له بالاعلوية السياسية لا غير ويجرد ان جلس الملك (قمبيز) على سرير المملكة الفارسية وجبرما كان قد ترتب من المصائب وبوء العواقب على الغزوة الماساجيتية كان قد تعاقبت رغبته وتوجهت همته لان يشهر نفسه وكذلك بفتوح البلاد ويذكر بالغزو والجهاد وأول ما توجه نظره الى فتح الديار المصرية حيث كانت لداعي ما شملت عليه من أنواع الغنى والثروة دائما تجذب اطماع الملوك الآسيين اليها وكانت تلك الدمار في ذلك العصر خصا صافدا وحت حق القوم الفارسيين عليها اذ كانت

قد تعاهدت مع الملك (كرزوس) ملك اللدنيين عليهم وكان قد وفد على دولة ملك فارس في ذلك العهد رجل يوناني يقال له (فانيس) (بامالة النون الموحدة الفوقية على ياه مثناة من تحت بعدها سين مهـ جملة في آخره) كان قائداً للجنود اليونانيين المقيمين بالاجرة في خدمة فرعون مصر المدعو باسم (امازيس) وكان قد فر من الملك المذكور والتجأ الى ملك فارس المدعو باسم (قمبيزس) هذا فاطاعه على حقيقة أحوال تلك البلاد ودله على طرق الوصول بالسهولة اليها فكان ذلك موجبا لتسام التصميم على فتحها والتوجه اليها وبشارة الرجل اليوناني المذكور كان الملك (قمبيزس) قد عقد معاهدة مع مشايخ قبائل العرب الذين كانت لهم اليد على الطرق الموصلة من البر الى وادي النيل وكان الملك (امازيس) ملك مصر قد مات وخلفه على سري المملكة الفرعونية ولده المسمى باسم (اساماتيكوس) الثالث فقباله بالجيوش المصرية عند فرع النيل المسمى بفرع (بيلوز) (وهي ما يسمى بناحية (تينة او الفرمة) الآن) وكان في جملة الجيوش الفرعونية اوجاق للجنود اليونانيين والكاريين المستخدمين عند الدولة المصرية بالجامكية فارادوا ان ينتقموا من الرجل اليوناني الخائن هذا على اولاده وكان قد سافر الى بلاد فارس وتركهم بمصر فاحضر وهم الى المعسكر ونجحوهم بين الصفين وبوهم ينظر اليهم ويتفجع تفجع الوالد عليهم ثم التقى الصفان والتحم العسكران وكان الملك (قمبيزس) قد وضع في مقدمة جيوشه جملة من القطط والبازات وغيرها من أنواع الحيوانات المحترمة عند المصريين فلم يتجاسروا ان يضربوا بسهامهم على العدو خوفا من ان تصيب تلك الحيوانات وان هزموا الى وراء مجرد اول صدمة حصلت عليهم وثبت مع غاية القوة الجهادية امام الجنود الفارسيين العساكر اليونانيون والكاريون المؤجرون في خدمة الدولة المصرية حيث لم تمنعهم مثل هذه التدقيقات الاعتقادية واشتد القتال بينهم مدة مديدة وقتل من الطرفين هذه عديدة ثم انتهت الحال بان تمت غلبة الفارسيين عليهم لداعي كثرتهم بالنسبة اليهم ولما فاز الملك (قمبيزس) بالنصر على جيوش مصر ارسل اليهم رسولا من قومه بمدينة (منف او منفيس) وكانوا قد رجعوا منهزمين اليها يطلب منهم ان يعقدوا معه عقد شروط يتفقون عليها فصعد النهر على سفينة من سفن جزيرة (ميداين او ميدلي) اليونانية فبحر وان وصل الى مدينة مصر القديمة وراة أهلها على البعد خروا من قلعته زمرا زمرا وقبضوا على السفينة فكسروها قطعاً قطعاً وقطعوا ركبها رايا ربا وأخذوها معهم الى القلعة علامة على النصر فنضب الفارسيون من هذا الفعل الذي هو من قبيل الحياة الالهية للحقوق المالية وجاؤا الى القلعة المصرية واحاطوا بها وحصروها وضيقوا عليها بالعنوة والقهر استولوا عليها واخذوها وقتلوا اولاد الملك (اساماتيكوس) الثالث فرعون مصر وجماهه كثيرين

من أهيان المصريين المأسورين وكان اولاً الملك (قمبيزس) ملك فارس قد أبقي ملك مصر نفسه ولم يقتله ثم بعد مدة من الزمن امر بقتله فقتل بشاه على دعوى انه عقد عصبة وأقام فتنة على القوم الفارسيين

مطلب — ذكر كيف كان سلوك الملك (قمبيزس) بديار مصر لما استولى عليها في ذلك العصر — ولما تمكن الملك (قمبيزس) من ديار مصر وتسلط علىها ذهب الى مدينه (سيدس) (صالحج الآن) حيث كان قبر الملك (امازيس) فنبش قبره واجر جرمته واجرى عليه انتقاماً قبيحاً اذ كان يزعم انه كان قد سبه وأذاه في مدة حياته فامر بموميته (يعني بجثته المصبرة بالموميا) فضربت بالمنياخس حتى تمزقت وتقطعت قطعاً وتفرقت وتمثل بها غاية التمثيل والتشويه ثم ألقاها في نار فاحترقت وكان في ذلك أساءة للعقائد الدينية من وجهين (أولاً) للعقائد الدينية الفارسية حيث كانت أمة فارس تعتقد ان النار هي أكرم صورة لاله الخير المسمى عدهم باسم (ورموزد) وبرون ان من قبيل أقبح الكفر تدنيسها وتنجيسها بالقاء الرمة فيها و (ثانياً) للعقائد الدينية المصرية اذ كان من عقائد أهل مصر الاصلية وشعائرهم الدينية الاهلية أن يحفظوا جثث موتاهم بغاية الدقة ومع ذلك فقد كان (قمبيزس) المذكور قد سلك في أوائل أيام افتتاحه للديار المصرية طريقة سياسية تأنيسية ومهلكة معاشرية تأليفية تنجح لمرعاة جانب الخواطر المالية والعواذل الاخلاق الاهلية وسعى في أن يجذب قلوب المصريين بواسطة تقليد من بقي من اعيانهم بعلامات تميزا كثر لهم منها وعلى الخصوص باظهار العناية الظاهرة بجواد عبادتهم حتى انه كان قد اتخذ لنفسه القابا سلطانية مصرية محضنة واراد ان يوهبهم الناس انه من نسل العائلات الملوكية الفرعونية القديمة واخذ في انه يتعلم قواعد الديانة البلمدية

مطلب — ذكر غزوة الملك (قمبيزس) في بلاد الايتيوبية (الحبشة) في سنة ٥٢٥ ق م قال المؤرخ فرانسيس لوفورمان المروى عنه اعلاه بعد ذلك ما معناه وكانت ديار مصر قد مهدت للقوم الفارسيين وتوطدت واستقرت على حالة السلم وتمكنت ولم يرقها كما في عهد افتتاح الايتوبيين لها واستيلائهم عليها في العصر السالف ان قام بالاقليم البحرية المسماة بالدلتة منها بعض عصب اهلية ولا حصل بها حروب خزية لفساد اخراج القوم الفاتحين لها منها بل كان فتح الديار المصرية بالجيوش الفارسية قد أفرع سائر الامم والممل المجاورين لها لاجأ الليبيين (اي البرقيون وهم اهل جبال برقة اى الجبال الغربية من الديار المصرية) واذعنوا بالطاعة من غير قتال اليهم والتزموا الملك (قمبيزس) بخراج يدفعونه اليه وبعثوا له هدايا واقتفى اثرهم في ذلك القوم اليونانيون القورينيون (وهم سكان المدينة

المسماة الآن باسم قورين أو جزيمة ببلاد المغرب) وصفاله الحمال قارادان يوجه الحرب في آن واحد إلى ثلاث أمم متنوعين وهم القرطاجيون (سكان مدينة قرطاجة) وهي تونس الآن) والامونيون (وهم سكان واحات آمون الكائنة بالجلال الغربية من الديار المصرية) والايثيوبيون (وهم الحبشة) وكان اسطوله مركباً من أناس بحارة من الفنيقيين وهم الصوريون (أي سكان سواحل الشام البحريون) فامتنعوا منه ووافقته على التوجه للهجوم على القرطاجيين لكونهم في الأصل من اخوانهم الذين هاجروا من السواحل الشامية وصاروا بتلك السواحل المغربية نازلين ولذلك توجه (قمبيزش) يجنوده إلى بلاد الايتيوبية بجراءة لا يتصورها العقل غير ملتفت بالكلية لما يلزم أثونة جيوشه من الذخائر الضرورية ولما يلزم لنفسه من وسائل الاحتراس والامنية ولما وصل إلى مدينة (طيبة) الصعيدية وجه فرقة من جنوده الفارسية تبلغ نحو خمسين ألف عسكري لمحاربة الامونيين وخراب ما كان لهم في تلك الناحية من هيكل الضم المعبود للاقوام الليبيين باسم (آمون) وهو المسمى عند اليونانيين باسم (جوبيتر) وكان له فيه كهنة مشهورون بالاخبار بالمغيبات في تلك الاعصار فامر عسكره باحراق ذلك الهيكل وما فيه من الكهنة اللذكريين واستمر على السير يباقي جنوده إلى جهة بلاد الايتيوبية وأراد أن يختصر الطريق فانحرف عن شواطئ النيل من عند أول اعوجاجانه الكبيرة وتوغل بعساكره الكثيرة في الصحراء (المعروفة الآن بصحراء كروسكو) فلما صاروا في وسط سهول متسعة من الرمال لا أنحجار فيها ولا علف للدواب ولا ماء للشرب ولا شيء مما طلقاها يؤثر كل صاروا في مجاعة شديدة حتى أن كل بعضهم بعضاً واضطر (قمبيزش) لأن يرجع على أثره مع فل عسكره ابعدها ترك في تلك الصحراء أكثرهم واهلك فيهما معظمهم وأما من كان قد توجه معهم إلى واحات (آمون) فلم يعرف لهم خبر ولم يوقف لهم على أثر وبقي حالهم مجهولاً للغاية الآن والظاهر أنهم لم يتيسر لهم أن يصلوا إلى محل مأمورينهم وأنهم هلكوا كذلك في طريق مسيرتهم بتلك الصحارى الجبلية حيث لم يرجع منهم رجل واحد إلى الديار المصرية وقد روى عن بعض الكهنة الامونيين أن فرقة الجيوش الفارسيين الذين كانوا قد توجهوا إلى تلك الناحية لما وصلوا إلى نحو نصف الطريق من تلك الصحارى الليبية كانت قد قامت عليهم من جهة الجنوب ريح عاصفة شديدة فدققتهم تحت جبال من الرمال حتى هلكوا جميعاً بهذه الآفة السماوية

مطلب — ذكر ما عثرى الملك (قمبيزش) من الجنون والاعترا ببدء الكبر في ديار مصر (من سنة ٥٢٥ إلى سنة ٥٢٢ ق م) — ولما كان (قمبيزش) بمكان عال من الكبر والاعترا ببلوغ الانال جاءته هذه المصائب فخطت

من كبره وجرحت جرحا شديدا من غروره وجبره حتى اختل لذلك عقله واعتراه داء الجنون وعاش بعد ذلك مدة خمسة عشر شهرا لا يصدر عنه الا افعال جنونية مديدة واعمال قاسية عنيدة من أشد افعال اختلال العقل والفتن وذلك انه لما رجع من غروته هذه الخائبة الى مدينة (منف او منفيس) كان قد وجد الالهائي المصريين مشتغلين باشهار موسم معبود لهم وهو العجل المشهور باسم (ايبس) وكان قد مات لهم عجل قديم وارادوا ان يستبدلوه بعجل آخر جديد وكان من عادتهم انهم يشهرون تلك الحادثة بافراح اهلية عظيمة وخلاعات عاتية جسيمة فتخيل له ان اهل مصر انما كان انبساطهم هذا في ذلك العصر تشمتا بما حصل لهم من النوايب والتلال الامر قد عالجضته كبار ولاية الامور اعيان الطوائف الالهية بمدينة (منفيس) ومع ما حصل منهم من توضيح الحال وبيان الاسباب المقتضية للاعلان بهذه المواسم الملية امر بقتالهم فقتلوا به لواتهم كذبوا عليه وغشوه ثم طاب القسس والكهنة المصريين وامر بضربهم بقضبان الحديد فضر نواو امر بقتل كل من وجد من الالهيين المصريين مشتغلا باشهار شئ من شعائر هذا الموسم الديني ورغب في ان يرى بنفسه ذات العجل المعبود لهم باسم (ايبس) فاتي به اليه فقال حين رآه ما معناه ان هذا لعمري لهو المعبود الذي يليق بعقول المصريين وطعنه بسيفه في فخذه ثم تراكت منه على رؤس المصريين مظالم شديدة وتوات عايتهم منه مغايم عديدة فانكر حق الممكية في سائر الاماكن من الديار المصرية بالكلية وابطل سائر الشرائع الدينية أو عطلها واختل امر الاختلالات الجنازية واصدر الامر عندها بالكلية مع كونها قد كانت اشد ما تعلق به عناية الطوائف الالهية وآكد ما تنشوق اليه قوة العقائد الدينية المصرية ولم يكن القوم الفارسيون أنفسهم باكثر مراعاة ولا وقاية من شرافع هذا الرجل المجنون المعر بدعى الالهائي المصريين حيث امر أحد خواصه المسمى باسم (ابريكراسب) بقتل أخيه المدعو باسم (سمرديس) السالك الذي ذكر قتلته في السر وأعقب ذلك أيضا بقتل أصغر أخواته اذ كان قد عرض عليها ان يتزوج بها على خلاف العوائد الجارية ببلاد فارس في ذلك العصر فامتنعت الى غيرة ذلك من القبائح الشنيعة والقساوات البشيمة التي ثبتت عنه ورويت

مطلب — ذكر تعدى (جوماتيس) المجوسى على سرير المملكة الفارسية و وفاة (قمبزش) بالديار المصرية (في سنة ٥٢٢ ق م) — وبينما كان الملك (قمبزش) ملك فارس منهمكا بالديار المصرية على هذه الافعال الجنونية والاعمال العريضة كانت قد قامت فتنة عظيمة ومحنة جسيمة بالديار الفارسية وترتب عليها ان صارت مقاليد السلطنة بيد القوم الميديين مدة حقبة يسيرة من الاحقاب الزمنية وكان رأس

تلك العصبية هم طائفة المجوس وعادت ثمرتها عليهم اذ كان الملك (كيرش) لقصده ان يجذب قلوب الامة الميديّة ويستميلهاهم اليه قد أعطى لطائفة المجوسية جاها عريضا وتأثيرا كبيرا وقد كان قصده المجوس بقيام هذه الفتنة فضلا عن الاستيلاء على ولاية الامر العمومية ان يجعلوا للامة الميديّة درجة الاعلوية على الامة الفارسيّة ويجعلوا دين المجوسية الذي هو مذهبهم هو الاعلى على مذهب الديانة الزرادشتية المختصة التي هي ديانة القوم الفارسيين اذ كان كل من المذهبين المذكورين على الدوام متعادين وكان كل من القومين متخاصمين فقام رجلان اخوان من المجوس وتكفلا للقوم بتنفيذ هذه المقاصد وكان أحدهما منصوبا من لدن (قمبيزش) بمنصب نظارة الاملاك السلطانية ببلاد الميديّة فقام بتدبير هذا الامر وذلك انه كان قد علم بان الملك (قمبيزش) قد قتل اخاه (سمرديس) وكان قد أسره هذا الخبر وكان اكثر الناس يمتنعون انه لم يزل على قيد الحياة وكان للمجوسى المذكور أخ يدعى باسم (جوماتيس) كان بينه وبين (سمرديس) مشابهة ذاتية شديدة فقام المجوسى المذكور ونصب اخاه (جوماتيس) هذا على سرير مملكة فارس على انه هو (سمرديس) وبعث رسلا في سائر الاقاليم والولايات الفارسية وعلى الخصوص في الديار المصرية يعرفون العسكر بعدم الاطاعة الى (قمبيزش) وانهم لا يعترفون من الآن فصاعدا بالسلطنة (سمرديس) ابن (كيرش اوقيروس) فلما بلغ (قمبيزش) خبر هذه الفتنة عزم على ان يسافر من بقي على طاعته من الجنود الى بلاد فارس ويتجهز للسفر الى قاعدة مملكته وهم بان يركب حصاه على وجهه عتيف كما يفعل الجنون لخرج نفسه جرحا شديدا بذات سن سيفه ومع وجود هذا الجرح أمر بان يحمل على نعش فيجعله زله وسار عليه مسافة من الطريق ثم غلب عليه تعب السفر فتقرح الجرح وعضل الداء واستولت عليه الغفيرة فهلك به في قرية حقيرة بالشام

مطلب — ذكر مدة تملك المجوسى (جوماتيس) باسم (سمرديس) واستيلاء (دارا اوداريوس) على سرير الملك الفارسى (من سنة ٥٢٢ الى سنة ٥٢١ ق م) —
ولمات (قمبيزش) ظن (جوماتيس) المجوسى المذكور انه قد ثبتت اقدامه على سرير مملكة فارس بالوجه القطعى فقام على سرير الملك الفارسى مدة بعض شهور ويحكم البلاد ويلى امر هؤلاء العباد باسم (سمرديس) بدون منصف يكبر عليه ولا منازع ينازعه في ذلك وكان قومه المجوسيون لم يزالوا يفعلون على اعدائهم الفارسيين الزرادشتيين من افعال التشفيات الغلية الناشئة عن التعصبات الدينية الجهلية والتخربات المالية ماساعت سيرته وشاعت قباحتها بين الناس حيث كانوا قد عذبوا أمناء الديانة الزرادشتية وأخربوا عبادهم واتلفوا احوالهم بالكلية فاراد (جوماتيس) المذكور ان يستميل

قلوب الرعية اليه و يعادل سوء ميرة قومه المجوسيين المذكورين بانعطاف الناس عليه فامر بأن كل من كان له ثلاثة أطفال من الرعية يعفى من كل خراج وخدمة عسكرية ومع ذلك فقد كان السر الذي هو فيه مستتر لكي لا تعرف حقيقة حاله قد انكشف وظهر وذلك ان رجلا فارسيا يدعى باسم (اوتانيس) كان واليا له على اقليم (القادوسية) الجنوبية وكان له بنت كانت في جملة نساء المجوسى (جوماتيس) المزور باسم (سمرديس) وهذا فظن لتزويره وثيقن من حقيقة حاله وتعيينه واسر بذلك الى بعض اعيان قومه الفارسيين فاجتمعوا على الفور وتذاكروا فيما بينهم وتدبروا في وسائل عزل هذا الرجل المتعدى على كرسى ملكتهم بطريق النش والتزوير وكان المتواطئون على هذا الامر سبعة نفر كان من جملة هم رجل يدعى باسم (دارا اوداريوس) فاشار عليهم بانه يلزم ان يتوجهوا الى الحال ليعرجوا على الملك المجوسى في قصره ويقتلوه فوافق جميعهم على ذلك ولم يتأخر وان ذهبوا اليه في الحال وهجموا عليه في قصره من غير توازن ولا اجمال وقتلوه هو وكل مرصاد فوه معه في القصر الملوكن من المجوس وبلغ هذا الخبر الى مدينة (ابكباتان) (همدان) فقام اهلها الفارسيون وفي ايديهم السلاح وقتلوا كل من لاقوه في طريقهم من القوم المجوسيين تشفيا للغيليل صدورهم من جراءة تعديهم عليهم واستلاب قضيب الملك بطريق الغش من ايديهم وحصل مثل ذلك في أغلب المدن ببلاد فارس كلها بل اتخذوا مثل ذلك اليوم من كل سنة عيدا اهلها ونوروزا مليا يشهرون فيه هذه المقتلة الداخلية ولم يزل هذا العيد شهر عندهم لغاية القرن التالى لذلك العصر حتى ذكره المؤرخ (هيروودن) اليونانى في تاريخه المردى عنه غير مرة اعلاه وسماه بما معناه (موسم مقتلة المجوس)

ولما تمت هذه الفتنة على الوجه المذكور آنفا اجتمع السبعة نفر المتعصبون وتشاوروا بينهم في كيفية هيئة الحكومة التى تليق بحال بلاد فارس اذ كان فرع بيت الملك المستقيم من آل (كيرش) قد انقرض فيها وبعدها كرتة طويلة ومجادلة جادة عميقة فيما يترب من الفوائد والمضار على كل واحدة من انواع الحكومات الثلاثة التى هى الحكومة الملكية او السلطانية والحكومة السيادية والاعيانية والحكومة الالهية او الجمهورية استقر رأيهم على ان النوع الاول هو اجددها واحسنها وانه هو اليقهايا حول بلادهم واتقنها واجمعوا رأيهم ايضا على طريقة مخصوصة ينتخبون بها الملك الجديد وهى انهم اتفقوا على ان يتوجه كل واحد من السبعة الاعيان المذكورين من صباح يوم الغد وهم راكبون على صهوة افراسهم امام المدينة واول من يلم على الشمس وهى طالعة بأول صهيل حصانه صار هو الملك المتقلد بتاج المملكة دون غيره منهم وكان الذى فاز بقصة السبق فى حومة هذا

الميدان بواسطة حيلة وخديعة حصلت من سائس ركابه هو المدعو منهم باسم (دارا اودار يوس) بن (جوستاب او هيستاب) ولذلك صار هو السلطان في (سنة ٥٢١ ق م) وهو رجل من نسل الملك (اشيمونوس) من خامس جيل ينتهي اليه بواسطة اخ نان لوالد الملك (كيرش اوقير وس) كان يسمى باسم (ار ياراميس) وكان والد (دارا اودار يوس) المدعو باسم (جوستاب او هيستاب) المذكور واليا للملك جوماتيس المجوسى على ولاية فارسستان الاصلية وبقي على هذه الوظيفة بعد تقليد ولده بتاج المملكة الفارسية (ولعل الملك (اشيمونوس) هذا الذى جعله اليونان مؤسس العائلة الموكية الفارسية المسماة عندهم باسم الدولة (الاشيمونوسية) وهى غير العائلة المسماة عند فارس والعرب باسم الدولة (الكيانية) هو عين الملك المعروف في كتب مؤرخى فارس والعرب بالمدكورين بلقب (كيقباز) حيث جعلوه هو أول الدولة (الكيانية المذكورة)

مطلب - ذكر ما حصل من الفتن والعصيان في سلطنة فارس بتلك الا زمان (من سنة ٥٢١ هـ الى سنة ٥١٤ ق م) — قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكروالبيان اعلاه بعد ذلك مامعناه ولما جلس (دارا) على سريرمملكة فارس قام عليه عدة ثورات شديدة وسلسلة فتن هائلة عنيدة كل من مبدأجه لتهتمها من عهد سلطنة (جوماتيس) المجوسى المتشبهه بذات (سمرديس) السالف الذكروحدث بعضها بحجود صعود (دارا) نفسه على كرسي المملكة الفارسية في ذلك العصر فكث مدة ست سنوات وهو على قدم الحرب والقتال حتى اطفأ نيران ذلك الاخلال واستأصل تلك الفتن كلها وتوصل لأن اقرله بالاملكة سائر العباد في سائر سعة تلك البلاد التى كانت تابعة للدولة الفارسية بتمامها ولم تكن تلك الحركات عبارة عن مجرد ثورات أهلية ناشئة عن بعض أهواء وقتية او بعض مظالم محلية اودسائس طمعية صادرة عن بعض أعيان من كبار الطوائف الالهية بل كان اكثرها ناشئاً في الاظنار الارضية التى كانت توجد فيها مخاصمات قومية توجب نفور أهلها عن الدخول تحت طاعة الدولة الفارسية وتمييزهم عنها بالكلية لداى تذكر ما سبق لهم عنها من أحوال الاستقلالية والاستبداد بالنفس

الملية

وبالجملة فقد كانت أغلب نزاحى السلطنة الفارسية على التعاقب اودفعه واحدة ميدانا لتلك الفتن الداخلية والثورات الالهية فكان الخروج عن الطاعة السلطانية قد حصل أولاً ببلاد السوسية بل في بلاد الولاية الفارسية الاصلية نفسها ولكن الظاهر ان أشد الامم الخارجين عن طاعة السلطنة الفارسية مقاومة وهنادى تلك الحقبة العصرية كانوا هم القوم الميديون لداى ايفار صدورهم بما وقع عليهم من قرب هدم من ازالة ما كان

لهم من الدولة القوية ودرجة الاعلوبة ولا سيما بحادثة مقتل خنقة المجوس الذين هم طائفة
أمناء ديانهم الالهية والارمنيون لداعى ما كان قد قام بقلوبهم من الحقد والضغينة من حيث
كون الدولة الفارسية قد عامتهم بصفة الرعية والقوم المغلوبين مع كونهم كانوا يرون انهم
انما هم بالنسبة اليها خصوصاً من الاقوام المتخالفين فقط والبابليون لداعى ان الفارسيين كانوا
قد فقدوا حريتهم وأزالوا دولتهم واستولوا عليهم من عهد قريش قال المؤرخ فرانسيس
لونيومان المروي عنه اعلاه نقل عن كتاب المؤرخ (روبيو) الفرنسي ما يورد ذلك ما معناه
ولم يحك المؤرخ (هيردوت) اليوناني في هذا الموضوع من تاريخه ما يتعلق بهذه الحوادث
التلقائية غير مقدار يسير من الاخبار التاريخية وان كانت قد شغلت أوائل مدة حكم
الملك (دارا) من تلك الاحقاب الالهية وكان الذي تعرض لذكره منها هو أهمها في الجملة
ثم حصل الثور في هذه الحقبة العصرية على الاثر اقديم المشهور اثر جبل (بيستون)
وجاء هذا التاريخ المسطور فقص لنا قصة تامة لهذه الوقائع الدولية الفارسية (قال المؤرخ
فرانسيس لونيومان) المذكور في تاريخ بلاد المشرق القديمة الكبير بعد ان قص ما حكمه المؤرخ
(هيردوت) في تاريخه ما نصه هذا ما رواه المؤرخ (هيردوت) في تاريخه ولقد اكد كل
ما قاله في هذا الشأن وقم بعض ما نقص منه مع غاية الايضاح والبيان ما عثر عليه في هذه
الايام الاخيرة من الاثر المكتوب ذي الاهمية الكبيرة حيث جاءه تحقيق أعظم التحقيق
وصدق كل التصديق على الحقيقة التي ذكرها هذا المؤرخ اليوناني الشهير بأبي التاريخ
وذلك هو ما وجد مسطوراً على جبل (بيستون) وهو صخرة توجد على نحو مرحلة من شمالي
مدينة (كرمانشاه) على يسار الذهاب من مدينة بغداد الى همدان الآن أعني في إقليم
کردستان الفارسي اى الارض التي كانت تعرف في قديم الزمان باسم (الميدية) وصخرة
(بيستون) هذه هي ما كان يسمى عند علماء الجغرافية السالفين المتداولة كتبهم في مدارس
الاوروپا وبين باسم جبل (راجستان) وهي صخرة ترتفع ارتفاعاً يقدر ٤٥٦ متراً
وجد على جانبها رسم صورة منقوشة بالنش البارز الجسم والنحت المعظم ودونها ثمة قديم
مسطور رسمه سطح الة العبارة الى غاية بلغة بحيث ان السياح المشهور باسم (كبيرتير) قال
في رحلته انه يلزم لنسخه لأقل من مدة شهرين وذلك هو صورة ملك جالس على هيئة
الهدى والسكون في مجلس احتفال يقدم اليه فيه صورة أعداءه أسورين وهو يدوس
تحت أقدامه رمة رجل مغلوب وهذا الملك هو (دارا أوداريوس) والرجل الذي
يدوسه تحت أقدامه هو الجوسي (جوماتيس) وهو لاء المأسورين هم رؤساء اقوام كانوا
قد انتزوا فرصة من تعدى الجوسي المذكور على كرسي السلطنة الفارسية فأزروا الفتن
الداخلية وخرجوا عن الطاعة السلطانية في سائر الاقاليم الفارسية والذي استكشف

هذا الاثر العظيم وعرف ذلك الكتاب المسطور البكرى وترجمه ونشره في عالم المنشورات العلمية هو (الجنرال راولنسون) الانجليزى المشهور وهو محرر النقش والتعبير بثلاث لغات مما وهى اللغات الرسمية واللجئات الدولية التى كانت مستعملة فى ديوان كتابات الدولة الفارسية الكيانية فى تلك الحقبة العصرية أعنى اللغة الفارسية والميدية والاسورية اقتصر فيها قصة استيلاء الملك (دارا) المذكور على سرير المملكة الفارسية وحوادث مدة سلطنته لغاية سنة ٥١٤ قبل ميلاد المسيح عليه السلام وهى أنفس أثر يؤتى ويستند اليه واصدق تاريخ مسطر يذكرو بهتمد عليه فى حقيقة تاريخ ذلك العصر ولذلك رجعنا اليه واعتمدنا عليه فى كثير من مواضع هذا التأليف لدعى كونه خصوصاً قدرجه الى اللغات الاوروبية اولاً بجانب (الجنرال راولنسون) الانجليزى المذكور ثم بجانب (الموسيو وأوير) السياح الفرنساوى المشهور وبذلك صار هذا الاثر المأثور الآن سهل التناول والاطلاع عليه من كل أحد انتهى ما اردنا نقله عن كتاب تاريخ المشرق الكبير للمؤرخ فرانسيس لونورمان ور جعنا للنقل من تاريخه الصغير)

قال المؤرخ المذكور نقلنا عن تاريخ (رويرو) المروى عنه اعلاء بعد ذلك ما معناه وهذا الاثر الذى هو اطول اثر قديم عثر عليه فى الدنيا تمامها كان قد نقش فى الحجر باهر الملك (دارا) على جانب جبل بلاد الميديه محرر بثلاث لغات اصلية كانت هى اللغات الثلاثة الرسمية المستعملة بديوان كتابات الدولة (الاشيمونوسية او الكيانية) وكانت كلها تكتب بالحروف المعروفة بالسنانية وهى الفارسية والميديه والاسورية وهى عبارة عن قصة جميع الحوادث والغزوات التى فعلها هذا الملك من اول قتل (جوماتيس) المجوسى المتشبهه بذات (سمرديس) الى ان ثبتت اقدامه على سرير المملكة الفارسية وتم له الاعتراف بالسلطنة فى جميع الانظار التى كانت تابعة لهذه الدولة المتسعة الاسية وباعلى كتابة الاثر المذكور رسم صورة مجسمة هائلة بقلم النقش البارز فى ذات الصخر المسطور تصور فيها ذات صورة (دارا) على هيئة الدائس تحت اقدامه رمة (جوماتيس) المجوسى وامامه صورة عدة من رؤساء الفتن التى كانت قد قامت على دوائه فاطاعهم لهولته بوقت جلوسه على سرير مملكته وفى رقابهم اغلال الحديد وبيان ذلك كما هو المختص نص الاثر المروى عنه اعلاء هو كما سطر ادناه .

وهو ان بلاد السوسية كانت قد قامت اولاً وانارت فيها الفتنة وخرجت عن طاعته وثارت معها ايضا مدينة بابل تحت رياسة رجل زعم انه ابن الملك (نابونيد) الذى هو آخره لو كما فتوجه اليهم (دارا) بجندوه وقتالهم أشد القتال وحاربهم اجد الحرب والقتال وبعد ان انتصر عليهم فنهزمهم هزيمة عظيمة (احدهما) على شواطئ نهر الدجلة (والثانية) على

شواطئ الفرات كان زعيم القوم البابليين قد انخرم والتجأ الى داخل مدينة بابل ومكث فيها مدة مديدة محصورا يذب عن نفسه

وحكى قصة توران هذه الفتنة بمدينة بابل المؤرخ (هيرودوت) اليوناني في آخر المقالة الثالثة من تاريخه المشهور فقال ان هذا الحصار كان قد مكث مدة عشرين شهرا ولم ينته الا بواسطة خيانه وخديعة حصلت على يد رجل فارسي يقال له (زوبير) (بالزاي المجمة في اوله يليها واو فباء) موحدة فارسية مكسورة بعدها ياء مثناة تحتية ساكنة فراء مهملة في آخره) كان للملك (دارا) من الخدمة الصادقين والاولياء الذين هم لمصلحة اسيا دهم المالكين لارواحهم من البذايين وكان من هؤلاء الرجال الذين تقوم بهم الحمية الملكية احد التعصب لبعض الدول السلطانية او الحمية الوطنية فتحملهم على ان يذبلوا بنفوسهم افعالا عجيبة واعمالا غريبة وكثيرا ما يوجبون امثال هؤلاء الرجال في التواريخ البشرية فقطع انفه واذا نه وذهب على هذه الهيئة المشوهة الى القوم البابليين لقصدهم ان يوجههم الى الملك (دارا) هو الذي فعل به تلك الفعل القاسية وانه انما خازيهم لينتقم لنفسه من سوء معاملته هذه الظاهرة فتمت عليهم هذه الخيلة وصدقوه واعية ودواعيه ووافقوه فسلم مدينة بابل للملك فارس بواسطة هذه المكيدة وبمعها كانت الجيوش الفارسية محاصرة لتلك المدينة السكادانية كانت قد قامت فتنة اخرى متسعة شديدة في الاقاليم الشمالية وذلك ان كلا من الامم الميديين والاسوريين والارمن كانوا قد اتحدوا بعضهم مع بعض وتعصبوا على القوم الفارسيين لداعي ما عوقا ثم يقولونهم من الحق التام والضعف العام عليهم وانقلب ايضا اليهم اهالي ولاية (المرجيان) وغيرهما من الولايات الشمالية الشرقية فاعانواهم على ذلك حتى قامت فتنة ثمانية بلاد السوسية مع كونها قريبة من مركز السلطنة الفارسية ولكنها كانت وقتية حصل تسكينها في برهة يسيرة من الزمن بخلاف الفتنة العظيمة التي كانت قد قامت ببلاد الميديه اذا كان رئيس هذه العصبة الالهية كما هو نص ماسلف ذكره من تلك الكتابة الاثرية قدادعي اندابن (سيما كزار) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان يعني من غير شك ان زعم كونه حفيد الملك (استياج) اخو ملوك بلاد الميديه وانه كان قد منع عن حق استيلاء التملك عليها لداعي سبق تقليد الملك (كبرش) بتساج المملوكه اليها) ولذلك وجه الملك (دارا) نحو بلاد الارمن والميديه معار باشديدة مكثت مدة مديدة مع غاية الهمه والشهامة العنيدة واقامت مادامت مدة حصار مدينة بابل واضطر الملك (دارا) ايضا لارسال احد قوادع كره لاستئصال الفتنة لقائمة بولاية (المرجيان) حتى قامت عليه فتنة أهلية اخرى ايضا في ذات اقليم (فارستان) من رجل منازع له في سرير الملك ثان باسم (سمرديس) السالف الذكر والبيان ثم أعقب ذلك في متن الاثر المذكور أعلاه

ذكر عدة فتن أخرى عديدة وقيامات أهلية جديدة (أولا) لولايه (آرا كوزيا) ثم بدنة بإيدل مرة ثانية إذ كان قد قام بهامدع آخر يزعم أنه ابن الملك (نابونيد) ثم بلاد (السوسية) وبلاد القوم الساسيين بعن القبايل (السيثيين) الذين كانوا داخلين في ضمن السلطنة الفارسية غير أن تفاصيل جميع هذه الفتن الأخيرة لم تزل مجهولة الحل ولكن كما حصل إطفائها بعناية الملك (دارا) بالقطع والاستئصال (انتهى ما نقل عن تاريخ المؤرخ (رويو) المنقول عنه أعلاه)

مطلب — ترتيب السترايات بالسلطنة الفارسية — قال المؤرخ فرانيس لوفورمان السالف الذكر والبيان أعلاه بعد ذلك ما معناه وقد كان (دارا) بعد أن أدخل تحت طاعته السلطانية سائر الأقاليم التي كان قد طاعها الملك (كيرش) من قبله للدولة الفارسية قد أجرى تقسيمًا سياسيًا جديدًا وعمل ترتيبًا إداريًا جديدًا في الخطط الأرضية والأقطار المذعنة لصولته بصفة الرعية لقصد توثيق جباية الخراج السلطانية على وجه الانتظام وتقوية سريان نفوذ ولاية الامم العمومية المركزية في سائر أجزاع جسم السلطنة الفارسية اعني في جميع الولايات والأقاليم التي كانت لها بالتبعية ولأجل التسوية بين أهمية المراتب العسكرية الكبيرة فتعد بتلك المناصب الجهادية العالية قوادا لقبوا بالقب (السترايات) وسميت الولايات المنوطة لعهدتهم باسم (الستراية) وهي عبارة عن وظيفة عسكريّة وملاكية معا يعني أنه انما عليهم قيادة العسكر الموضوع في كل ولاية لأغراض حفظها مع وظيفة جباية الخراج السلطاني المضروب عليها فسم سائر البلاد التابعة إلى السلطنة الفارسية في تلك الحقبة الزمنية إلى تسع عشرة ستراية وقد كان الغرض الأصلي المقصود لملك (دارا) من أحداث هذا الترتيب الجديد هو أن يغير ما كان قد سلكه أسلافه من قبله في تقسيم ولايات السلطنة الفارسية على مقتضى الطريقة الطبيعية وهما (كيرش وقمبيز) حيث كما كما افتنحا ملكًا اجنبية تركها على كيفية تقسيمها الأصلية أي أنهما جولا كل ملكة كانت مستقلة مجرد ستراية ملحقه ببلاد الدولة الفارسية فقط فلما جاء (دارا) وزع سائر بلاد السلطنة الفارسية توزيعًا معاصمًا جديدًا وقسمها تقسيمًا سياسيًا جديدًا اعني على حسب اقتضاء الأحوال السياسية والطرق الإختراسية أي على وجه بحيث يصعب على الامم والممل الداخلية تحت طاعة الدولة الفارسية أن يثيروا الفتن الأهلية ويخرجوا عن طاعة الدولة السلطانية الأصلية إذ كان الملك (دارا) قد ظهر له بالتجربة في مبادئ مدة حكمه بكثره الفتن التي قامت عليه ما يوجد من الخطر في طريقة التقسيم القديمة ولذلك عدل عنها إلى هذه الطريقة الجديدة

وهذه هي قائمة السترايات الفارسية اعني الأقاليم والولايات التي كانت تابعة للدولة الفارسية

الفارسية وكان قد وضع عليها (ستراب) بمعنى 'العامل' أو 'الوالي' من طرف السلطنة الأصلية حسيما كان قدرتها (دارا) كما سطرها المؤرخ (هيرودوت) اليوناني في تاريخه ولم تكن ولاية (فارستان) الحقيقية مندرجة فيها الداعي ما كانت عليه من الاحوال السياسية المختصة بها ولم تكن تدفع خراجا للخزينة السلطانية كسائر الولايات الفارسية الشاهانية وذلك كالمرس ودبعد

(اولا) الاقوام اليونانيون المتوطنون ببلاد آسيا الصغرى (وهي بلاد الاناضول الآن) وهم اليونانيون والماسانيون والايوليون مع اقليم (كاريا) (وهي لواء منتش) واقليم (ليسيا) (لواء تسكة) وولاية (بنفيليا) (وهي الجزء الغربي من ولاية (ايتشيل) مع الجزء الجنوبي من ولاية الاناطول الآن)

(ثانيا) سترابية (الليديا) (وهي الجزء الغربي من ولاية الاناضول اعني صوراخان وما يليها من تلك البلدان) وولاية (الميزيا) (وهي لواء قره سي وغيره من البلاد المجاورة له ببلاد آسيا الصغرى) مع سائر القبائل المتوطنة بالجلال الكائنة فيما بين هاتين الولايتين (ثالثا) سترابية سواحل بوغاز (هيليस्पون) (وهو بوغاز الدردانيل او بوغاز (شنق قلعه) الآن) مع ولايات (افريجييا) (وهي تقريبا ما يعرف الآن بالولاية قونية وآق سراي وآق شهر ببلاد القرم) ولوائى وكتاهية وقره حصار ببلاد الاناضول) و (بثنيا) (وهي الجزء لشمالي الغربى من ولاية الاناضول) و (بفلاجونيا) (وهي ما يعرف الآن بلوائى قسطمونى وكيانجبارى) و (القابادوسيا) (وهي الآن جزء من لوائى سيوة و بلاد القرم)

(رابعا) سترابية (سيليديا) (وهي ولاية (سلفتش وادنه) الآن)

(خامسا) سترابية بلاد (فنيقيا) والشام وفلسطين وجزيرة قبرس

(سادسا) سترابية مصر و بلاد (ليبيا) (وهي الجبال الغربية من الديار المصرية)

و بلاد (القيرونية) (وهي بلاد برقة الآن)

(سابعا) سترابية بلاد (الساتاجيتيين) و (الجندرين) و (الداديسيين) والاباريتيين

وكل هؤلاء هم اقوام من الامم الاقدمين كانوا متوطنين في الجبال السكائنة في اعلى نهر السند

(ثامنا) سترابية بلاد السوسية (وهي خوارزم الآن)

(تاسعا) سترابية بلاد بابل والاسورية (بلاد العراق العربى القديمة)

(عاثرا) سترابية بلاد الميديية (وهي بلاد اذربيجان والعراق الجهمى الآن)

(حادى عشر) سترابية بلاد (هركانيا) مع ما فيها من الاقوام الشتى وهم (الكاسيون)

و (الينتيماثيون) و (الداريتيون)

الدرس النمام ٢٣٠ في التاريخ العام

(ثاني عشر) سترابية بلاد البكترية (وهي الآن خانية بلخ ببلاد تركستان المستقلة)

(ثالث عشر) سترابية بلاد الارمن مع بعض الاخطاط المجاورة لها

(رابع عشر) سترابية بلاد الاقوام المسمين باسم (الساجرتين) و (الساينجيين)

(الطامانيين) و (الميزيين) و (اللاتيين) والظاهر ان جميع هؤلاء الاقوام كانوا هم

اهل بلاد القرم و بلاد (السو جديان) الاقدمين وسكان الجزائر الكائنة في مدخل

الخليج الفارسي في تلك الايام

(خامس عشر) سترابية بلاد (الساسيين) وهم قوم من الاقوام السيتيين كانوا متوطنين

حوالي منابع نهر سيحون

(سادس عشر) سترابية بلاد (البرثية) و (الخوارزمية) و (السو جديان) و بلاد

(الآرية)

(سابع عشر) سترابية بلاد (الباريكانيين) و (الابتيويين) يعني الحبشة او الكوشيين

المتوطنين ببلاد (جيدرور يا) (وهي المسماة ببلاد مهران الآن)

(ثامن عشر) سترابية ببلاد (ايمبر يا) و (البانيا) وهي البلاد الكائنة فيما بين نهر

(آراس) وسلسلة جبال قوقازة

(تاسع عشر) سترابية بلاد بحر (بنطش) و هي قطر من بلاد (آسيا الصغرى) مع

ما كان متوطنا فيه من الاقوام الصغرى والامم الكثيرين وهم الاقوام المسمون باسم

(الموشيين) و (الطبارانيين) و (المكرونيين) و (الموزيناكيين)

هذه هي قائمة ببيان السترايات الفارسية حسب ما سردها المؤرخ (هيرودوت) اليوناني في

تاريخه وكما كان قدرتهم الملك (دارا) وما ضم الملك المذكور الى ملكه البلاد الكائنة

على الشاطئ الايمن من نهر السند جعلها سترابية ممتدة لعشرين وحينئذ فقد كان عدد

السترايات اى الاقاليم التابعة للسلطنة الفارسية في عهد (دارا) عبارة عن عشرين

سترابية فقط وكان المؤرخ (هيرودوت) المروي عنه اعلاه قد جمع سائر مبالغ

الخارج المتحصلة من الاقاليم الفارسية المذكورة وحول النقود الفارسية الى النقود

اليونانية فبلغت قيمة الواردات للدولة الفارسية من العشرين سترابية المسروقة اعلاه في

كل سنة مبلغ ١٤٥٦٠ تالانا بسكة مدينة (اتينه) وذلك يساوي بالوزن مبلغ ٨٢

مليون و ٧٩٩٨٦٦ فرنكا بالسكة الفرنسية واذ انظرنا لما كانت عليه قوة

الفضة في ذلك الزمان بالنسبة لما هي عليه الآن صحت اننا نقول ان مبالغ ايراد الدولة الفارسية

المقوم اعلاه يضاهي قيمة حقيقية تبلغ ٨٦٢ مليون و ٣٨٢٩٢٨ فرنكا

مطلب — ذكر بيان طريقة ولاية الاقاليم بالسترايات — قد كان سائر

العمال الملقبين بلقب الستراب للدولة الفارسية في درجة متساوية بعضهم لبعض وكانت درجة نفوذهم فيما يتعلق بالمواد العسكـرية والمالية متحدة غير ان طريقة الادارة الداخلية التي كانت تجري في كل سترابية من تلك السترابيات هي التي كانت مختلفة ولم تكن على وتيرة واحدة بل كانت السترابيات الفارسية كما كان الحال كذلك في السلطنة الاسورية على ضربين (الاول) الاقاليم التي كانت يوضع عليها ولاية أو عمل بطريق المباشرة من طرف السلطنة الفارسية المركزية اعني ان ادارة امورها كانت جارية على مقتضى القوانين السلطانية الاصلية و (الثاني) الاقاليم التي كانت ملحقة بها بمجرد علاقة التبعية اى على وجه كونها تابعة للسلطنة الاصلية بمعنى انها كانت باقية على حالة الاستقلالية الداخلية بحيث تجري ادارة امورها بمقتضى قوانينها الخصوصية ويوضع عليها ولاية أو عمل من اعيان طوائفها الالهية فاما الضرب الاول فقد كان من جلته ما كان الباعث على التشديد عليه وتضييق حبل ارتباطه بقوة النفوذ المركزي هو خشية ان يحصل فيه الثورات الالهية والقيادات المليية المتكررة على الدولة السلطانية الاصلية مثل ولاية الميديـة والبابلية والميدية ومنه ما كان الباعث على ذلك فيه هو كونه محطات بحرية ومواقع عسكرية اصلية للاساطيل الحربية الفارسية بحيث يلزم جعلها تحت مباشرة ادارة السلطنة العليا لداعي انها من حيث كونها جهات تغربة بحرية هي ذات اهمية قصوى مثل الديار المصرية وولاية السيليسية ومنها ما كان الباعث على التضييق عليه وجعله تحت مباشرة الاوامر والنواهي السلطانية كونه قد كان قبل ذلك تحت طاعة الدولة الميديـة مثل ولاية البكترية وما يليها من الولايات المجاورة لها فقد كانت طريقة سياسة السلطنة الفارسية من حيث ادارة الاقاليم التي هي من هذا الضرب جارية على مقتضى العوائد القديمة فلم يكن الستراب المتولى عايمها قلدا فقط بقيادة الجنود والموضوعين فيها للمحافظة عليها وجباية الخراج المضروب عليها بل كان منوطا اليه ايضا ادارة سائر امورها وجميع تفاصيل تدبيرها بان يقلد من طرفه سائر العمال والولاة الا لازم من مباشرة سائر امصالح فيها وكان من اهم ما يوصل اليه واعظم ما يوصى عليه بأن يلتفت بالخصوص اليه ويعتني به هو العناية التامة في كل سترابية بمصلحة الفلاحة اذ كانت زراعة الارض من أهم ما تهتم به الامة الفارسية هذا فيما يتعلق بالسترابيات السكّانة تحت مباشرة الدولة السلطانية وأما في البلاد التي كانت تابعة للسلطنة الفارسية بمجرد علاقة التبعية فقط فقد كانت وظيفة الستراب متحصرة في مجرد قيادة الجنود والموضوعين في القلاع والحصون والمواقع العسكرية ذات الاهمية منها المحافظة عايمها وجباية الخراج المضروب عليها وبغية الى الخزان السلطانية لا غير ولا تعلق له بشئ من امور الادارة الداخلية غير انه كانه له حق

الحسبية والتفتيش والملاحظة بوجه عام على ولاية الامور الاهلية المنصوص في مناصبهم
الاصلية كما كانوا قبل فتح بلادهم لطاعة السلطنة الفارسية وقد كان منصب الستراب
في تلك البلاد بتلك الاحقاب الزمنية أشبه شيء بمنصب عمال الدولة الانجليزية الموضوعين
في هذه الحقبة العصرية عند بعض ملوك الهند البليدين المسلمين باسم (راجا) بمعنى
الملك البلدي المتقلد بمنصب الملك الاملى في بعض الممالك الهندية التابعة للمملكة
البريطانية بمجرد علاقة التبعية فقط وقد كان من جملة السترابيات الفارسية سترابيتان
متميزتان على وجه بحيث كانتا متصورتين في هيئة ملكيتين كثيفتين وولابيتين تكادان
ان تكونا تآثر بياهما متقلتين اذ كان الرئيس عليهما يتولاهما بطريق التوارث وان كان يلقب
كغيره من ولاية الاقاليم الفارسية بلقب الستراب غير انه لم يكن يوضع عنده عامل ينصب بطريق
المباشرة من طرف الدولة السلطانية وهما السترابية الثالثة عشرة والتاسعة عشرة اعني
ولاية ارمنية وولاية بنطش فاما بلاد ارمنية فأنها الداعي ما كان حاصل من الصداقة للسلطنة
الفارسية من طرف ملك ارمنية المدعو باسم (نيجران) الاول ومن خلفه على سرير
مملكة ارمنستان كانت قد أعطيت لها هذه المزية السياسية على خلاف المعتاد في سائر
الاقاليم التابعة للدولة الفارسية وأما بلاد (بنطش) فانها وان كانت لم يسبق لها كبلاد
ارمنية انما كانت مملكة مستقلة قديمة بل كانت مسكونة بمجموع أمم متفرقين واقوام بعضهم
عن بعض مستقلين للغاية ان افتتحها الملك (كبرش) وضمها للمملكة الفارسية وكانت
ن ذلك الوقت قد اجتمعت وانضمت ووضع عليها ملك من فروع انعائلة الملوكية الفارسية المسماة
باسم (الاشيموفوسية أو الكيانية) كان يدلى لبيت الملك الذي منه (دارا) بدرجة نسبة
قريبة جدا فلذلك أعطيت لها أيضا هذه المزية السياسية
وفيما عدا هاتين السترابيتين المذكورتين آنفا كانت حادثة ترتيب السترابيات التي كان
قد أحدثها (دارا) بناء على ما كان جاريا من قبله بارة عن كونه قد جمع كل عدة
ولايات كانت محكومة أولا بعدة ولاة أمور أهلية ورؤساء محلية كان اغاها بلقب أولا
بلقب الملوك وجعلها كلها سترابية واحدة أعني عمالة أو خطة سياسية تابعة للدولة الفارسية
وذلك لقصده ان يستوثق ولا يخشى من كون الستراب المنسوب من طرفه عليها يتيسر له
بالسهولة ان ينتهز الفرصة اذا كان مستوليا على دولة واحدة من ميل تلك الملة للخروج عن
طاعة الدولة الاجنبية فيتحكم معها ويجعل مصلحته مصلحتها ويخرج بذلك عن الطاعة
السلطانية وبفوز بالاستقلالية وكان من جملة ترتيب السترابيات بالدرلة الفارسية أيضا ان
الملوك التابعين للدولة السلطانية بمجرد علاقة التبعية فقط لم يستمر وفي عهد (دارا) على
ما كان لهم في عهد أسلافه (كبرش وقهميزش) من التصرف التام وولاية الامر العام

الدرس الثامن ٣٣٣ . في التاريخ العام

على ممالكهم بل كان دائماً يوضع عندهم عامل فارسي ينصب عليهم من طرف الدولة السلطانية المركزية ليكون نائباً عنها ويكون له اليد الطولى عليهم وكان له المرتبة العليا فوقهم بحسب ترتيب درجات أرباب المناصب السياسية والمراتب السلطانية الفارسية ولما كان ملك فارس في تلك الاحقاب الدهرية يوجده تحت طاعته السلطانية عدة امراء مسـتولين على امارات ارضية وجنود مملوك طوائف كثيرين كانوا له بالتبعية كان الملك المكياني يلقب في ذلك العصر بملك الملوك أو بالملك الاعظم والا كبر

مطلب — بيان ما ترتب على ترتيب السترايات من المترتبات — قال المؤرخ فرانسيس لونفورمان السالف الذكر والبيان أعلاه بعد ذلك ما معناه هكذا كانت طريقة الخطط الارضية والتقسيم السياسية والمالية حسب ما كان قدرتها (دارا) في بلاد السلطنة الفارسية وقد حصل فيه بعض تغيير وتبديل وجرى عليه بعض اصلاح وتكميل في كثير من التفاصيل غير انه بقي على حاله الاصلى واستمر على حسب الترتيب الاول فيما يتعلق بالخطط الارضية الاصلية والاصول السياسية الاساسية لغاية ان جاء الاسكندر الاكبر وافتتح الممالك الآسية

كان من مقتضى هذا الترتيب ان الملك هو الذي ينصب السترايين ويعزلهم وائل مخالفة للامور السلطانية كانت تعد من قبيل العصيان والبغى على السلطان والخروج عن طاعة ولي الامر الفارسي فيترتب عليهم في أغلب الاحيان قتل المرتكب لذلك الذنب وأدنى تهمة تكفي لضياح أى ستراي كان من ولاية الاقاليم الفارسية وذلك انه قد كان يرسل اليه مجرد السعي عند السلطان الاعظم رسول مخصوص ومعه سند توكيل عام وترخيص تام من طرف السلطان للحرس بان يقتلوا الشخص العاصي فينفذوا الامر السلطاني على الفور من غير تأخير ولا توان وقد كانت دولة فارس لاجل سرعة المواصلات بين الاقاليم التابعة اليها قد رتبته عاة على خيول موزعة على محطات بين كل واحدة والثانية مرحلة يوم كانوا يحملون اوامر الملك الى السترايين وراسلاتهم الى الدولة العليا وهذا هو ما يعرف بالبريد وهو من اختراعات (دارا) وقد كانت هذه الطريقة مما يسهل سر بيان نفوذ الدولة المركزية في سائر اجزائها لفرعية ومع ما كان حاصل من مملوك فارس من الاحتراسات الشديدة والاحتراقات الكيدة لقصد مراقبة احوال ولاية الاقاليم الملقبين بالسترايين وامساكهم في قيود الطاعة والامثال على الدوام والاستمرار لم يتيسر لهم تدارك ما كان يكثر وقوعه منهم في تلك الاعصار من الفتن الاهلية المتكررة والحروب الداخلية المتكاثرة التي كانت قد مضت شمل السلطنة الفارسية في آخر ايامها المتأخرة وذلك ان السترايين كان قد نيط ليدهم من ولاية الامر نفوذ كبير فكانوا الى منهم ما أسر عما ينزعروا ذاتياً ويتأبط شراً وكبيرا

شخصيا ويرى لنفسه زيادة درجة من الاهمية الذاتية لسعة مآبراه تحت طاعته من البلاد الموكولة لولايته حتى انتهى أمرهم لان صاروا يتبرون أنفسهم في مرتبة ملوك مستقلين وولاية أمور حقيقيين وصارت البلاد الموكولة لعهدتهم لا عبارة عن ولايات منوطة لاماتهم وهم فقط بمنزلة العمال عليهم الدولة سلطانية عليا بل صارت لهم كائنا املاك خصوصية يستغلونها لانفسهم وجفالك ارضية يتمتعون بها المنفعة ذواتهم الشخصية ولذلك تضاعفت قوة الدولة المركزية واضمحلت وتلاشت شوكة السلطنة الفارسية الاصلية واستردت وجاءت سرعة زوالها في أيام الاسكندر الأكبر فدلّت على ضعف عروة الرابطة السياسية الجاهدة بين اجزائها العضوية

مطلب — ذكر شت الغارة من الملك (دارا) بجيئوذه الفارسيين على الامم المعروفة بالسيثيين (في سنة ٥٠٨ ق م) — وبعد ان أتم الملك (دارا) اطفاء سائر الفتن الاهلية والقيادات الملية التي كانت قد قامت على دولته ورتب جميع بلاد سلطنته ترتيبا سياسيا جديدا رأى له من عزم الامور السياسية وحزم الآراء الاحتراسية لاجل حفظ حالة السلم الداخلية ان يوجه همه رعاياه الجهادية وشهامتهم الحربية نحو غزوات خارجية وقد كان كبره ايضا يدعو له لان يدخل في طريق الفتوحات ويشر نفسه كاسلافه بالجهاد والغزوات وذلك ان سلفه الملك (كيرش) كان قد افتتح جميع ممالك آسيا (قمبزش) ذهب بجيوشه الى بلاد افريقية فعزم هو ايضا على ان يستولى على بلاد اوروطة و لاجل الحصول على هذا الغرض احتج بعلمتين وهما انه اراد ان يمنع من الان فصاعدا ما كان يقع دائما على بلادهم من غارات الاقوام السيتيين وان يقطع درجة الاعلوية التي كانت قد تقررت لهؤلاء القبائل المتوحشين على جميع بلاد آسيا في سالف الاعصار مدة ثمان عشرة سنة من قبل عهد الملك (سياكزار) فصمم على ان يجهز تجريدة عظيمة ويذهب بنفسه على رأس غزوة جسيمة لشن الغارة على الامم السيتيين

ولفظ (السيتيين) هذا هو لفظ عام وكلمة غير معينة المعنى والمرام يعبر بها عند السلف ولا سيما عند اليونان في تلك الايام عن جميع القبائل التي كانت تعيش بالحالة البدوية والهيئة الانتجاعية أعني القبائل الرحالين التزالين والاقوام النبر المتوطنين في اماكن ثابتة ولا في مداين وقرى مستقرة كقبائل العرب المنتحمة من كل من كائنوا يجمون في الصحارى المتسعة والوادي الكبيرة الكائنة على شمال البحر الاسود وجبال قوقازة وبحر الخزر وبحيرة (آرال) ويتجمعون الى ما هو ابعد من ذلك الى جهة الشرق من أي جنس كان من الاجناس البشرية وكان هذا اللفظ يطلق عند اليونان وسائر الامم المتقدمة في تلك الازمان على قبائل شتى ويطبق على اقوام من اكثر ما يمكن تنوعا وتفرقا

الدرس التام ٣٣٥ في التاريخ العام

من حيث الاصل والجسمية فاما السيتيون الآسيون الذين كانوا قد انتدروا كالجراد المنتشر ببلاد آسياني في عهد الملك (سيماكرار) ووصلوا غاية بلاد فلسطين فتمد كانوا ببقين سن التورانيين ولاشك في انهم هم أسلاف الاقوام المعروفين في الاعصار الوسطى باسم التتروا والمغول اعنى الاقوام المفسدين والامم المؤذين الذين كانوا قد اذخروا البلاد ودوخوا العبادت تحت قيادة (خنكيزخان وتيمورلنك) المشهورين وهؤلاء الاقوام السيتيون السالفون هم الذين كان الملك (كيرس) قد توجه لشن الغارة عليهم فيما وراء نهر سيحون فلحقته من سيوفهم المنون ومات هنالك كما تقدم ذكر ذلك واما السيتيون الاوروبيون فهم من جنس الذرية اليافقية المعبر عنها بالطبقة الهندية الاوروبية والظاهر انهم هم أصل الفرع الجرمانى بالخصوص من فروع هذه الطبقة البشرية فانهم هم أول من عرف فهم اليونان فعبر واعنهم في الاصل على وجه التخصيص بهذا اللفظ اليونانى القديم وهو لفظ (السيتين)

ولاشك في ان ما ذكره المؤرخ (هيرودوت) اليونانى في تاريخه من الوصف الغريب والشرح الطويل العجيب لاختلاق السيتيين وعوائدهم واحوال بلادهم واما كنهم ليس المراد منه غير الاقوام السيتيين الاوروبيين المذكورين وهم السيتيون الحقيقيون اعنى القبائل الآرية الاصل الذين كانوا مقيمين بالوادي والصحارى التى هى صحارى بلاد الروسيا الآن وكان اكثرهم ساكنين فيما بين النهر الذى كان يعرف عند القدماء باسم (لويورستين) وهو ما يدعى الآن باسم نهر (ديبير) والنهر الذى كان يعرف عند السلاين باسم (لوتانايدس) وهو ما يدعى الآن باسم نهر (الدون) ببلاد اوروبة وقد كانوا في أعلى أو ج من الشوكة واقوى درجة من الصولة حين شن الغارة عليهم (دارا) الفارسى ووصف احوالهم المؤرخ (هيرودوت) اليونانى ثم انخطت درجتهم واضمحلت حالتهم بعد ذلك في أقرب حارجت قبائلهم ندرجما الى جهة الشرق وآل أمر الامم السيتيين المذكورين في عهد الملك (ميتريدات) ملك (بنطس) المشهور لان صاروا الاعداد لهم ولا اعتداد بهم بطريق الجد في جملة الامم الذين كان لهم حظ من العمل في الحروب الجسارية بسواحل بحر (بنطوكسان) (البحر الاسود) في تلك الاعصار وكانت ذرايرهم قد انقرضت من تلك الاقطار وصارت البلاد التى كانت مساكنهم بعضها قفار او بعضها حل فيه بدلا عنهم الاقوام (السرمايتيون)

ولما أراد (دارا) ان يشن الغارة على الاقوام السيتيين من جهة شمال بحر (بنطوكسان) اجتاز بجنوده الى اقليم (طراقة) (وهو الجزء الشمالى الشرقى) من الولاية المسماة باسم (الروملى الآن) وذلك انه وضع قناطر على بوغاز (البوسفور) (وهو المعروف ببوغاز)

القسطنطينية او بوزغاز اسلامبول الآن) ورسبهم عليها وأنشأ قنطرة أخرى أيضا على نهر (طونة) واجتاز بهم كذلك عليها وأقام القوم اليونانيين الدين كانوا في ضمن جيوشه - حرسا عليها وأخذ يتبع الاقوام السمتيين في تلك النواحي فلم يثبتوا امامه بل صاروا كلما دناء منهم يتبعه اعدون وهكذا صاروا على الدوام والاستمرار ينتقلون ويرتحلون قدامه في سهول متسعة لا آخر لها حتى كادت ان تنفذ خائرجنوده ولحقهم مجاعة شديدة واضطر للرجوع بجيوشه الى وراها بالثاني لاجل ان لا يقع في مثل ما وقع فيه قبله (قمبزنس) من المصائب بديار مصر بل بادر بالفرار اذ كان السمتيون قد عادوا عليه بالكره لما نراى له - مضعفه وارادوا البطش به واهلاك جنوده بالكلية حتى ان الجيوش الفارسيين لقصد سرعة قهقهرتهم كانوا قد تركزوا مرضاهم في الطرقات ولم يحملوهم معهم وابتعدوا عمليّة عودتهم من الليل لاجل ان يتهزوا وفرصة بعض ساعات يستترن فيها عن اعين العدو حيث كان قد كاد ان يلحقهم ويبطش بهم وصاروا يهربون من ملاقاته بقدر ما كانوا في أول الامر يرغبون فيها ولربما كان فرارهم هذا لا ينفعهم في شيء لولم يكن القوم اليونانيون الذين كانوا موضوعين على حراسة قنطرة نهر (طونة) قد صدقوا في حفظها وأنفذوا بذلك هؤلاء العساكر الفارسيين المساكين الذين كانوا قد كادوا ان يكونوا من الهالكين شهداء جراءة ملكهم وقضاء لاوطار اطماعه هذه

مطلب — ذكر ما حصل بعد من فتوحات (دارا) باقليم (طراقة) و بلاد الهند (في سنة ٥٠٦ ق م) وما لحق (دارا) من الخجل بتلك النوايب والغضب مما أصابه من تلك المصائب في غزوة السيتيين اخترق بجنوده اقليم (طراقة) واجتاز بهم بوزغاز (البوسفور) وانتقل الى سواحل آسيا من عند مدينة (سستوس) (سسينين) مهملمتين في أوله وهي المسماة الآن باسم (باوا الى قلعة سي) وترك بجبهة أور و به جيشا يبلغ ثمانين الف مقاتل تحت قيادة (ميجابيس) بن (زوبير) احد السبعة نفر الذين كانوا قد تعصبوا معه على عزل (جوماتيس) المجوسى وقتله كاسب قد ذكر ذلك في محله فما كان من القائد (ميجابيس) المذكور الا ان دنأى عن التوجه بجنوده للحرب على الاقوام السيتيين والثفت لمحاربة اهل اقليم (طراقة) فادخله تحت طاعة الدولة الفارسية بالكلية في اقل من سنة ثم شن الغارة بعد ذلك على مملكة (مقدونيا) وهى الجزء الغربى من ولاية (الروملى الآن) وطلب من ملكها المتولى عليها في ذلك الزمان وهو المسمى باسم (امانتاس) الطين والماء عبارة عن طلب الاذعان والامتنال لطاعته فلم يتأخر الملك المذكور ان اجابه لما طلب واذعن له بالطاعة من غير توقف كما رغب فوضع القائد الفارسى المذكور اليد على مدينة (بيراثني) المسماة ايضا باسم (هوقلة) ولم تزل تعرف

بهذا الاسم الاخير لغاية الآن وعلى مدينة (بيزانسة) وهي المعمورة بالقسطنطينية والاسطوانة
 العلية واسلامبول الآن) وهما مفتاح بؤغاز (البوسفور) من نواحي اقليم (طراقة)
 ووضع البذايض على كل من جزيرة (امبروس) (بالسين المهمل في آخره) وهي المسماة
 الآن باسم (امبرو) (من غير سين مهمل في آخره) وجزيرة (كينوس) وهي المسماة
 الآن باسم (استاليمين) من جزائر بحر الارخبيل (بحر جزائر الروم)
 وفي تلك السنة بعينها كانت قد توجهت غزوة فارسية ايضا لفتح بلاد الهند فخرج جيش من
 الجنود السلطانية من اقليم (الجنديرية) التابع للسلطنة الفارسية فاطاع سائر الالام
 والاقوام الفاطنين في الجهات التي يخترقها على نهر (السند) قبل ان يدخل بلاد (بنجاب)
 من سلسلة جبال الثلج الهندية المسماة بجبال (هيمالية) وانضموا بطريق التبعية للاستراتيجية
 السابعة مع بقائهم تحت ولاية ملوكهم الاصليين وولادة أمورهم الاهليين كما كانوا قبل
 فتح بلادهم للدولة الفارسية ومن هنالك بأمر (دارا) انشئت عمارة بحرية واسطول مركب
 من سفن فارسية على نهر السند من اخشاب بلاد (كشمير) وجعل القائد عليها امير البحر
 اليوناني الماهر الشهير باسم (سيلاكس دوكار يانده) وكان قد اشترى في ذلك العصر بعاغاها من
 كثرة السفر في البحر فتنزل بالسفن الفارسية على نهر السند لغاية مصبه من بحر الهند واشمرع بها
 الى جهة المغرب حتى وصل بعد مدة ثلاثين شهرا الى نهاية البحر الاحمر اعنى الى المينا التي كان
 فرعون مصر المشهور باسم (نيخاووس) قد وجه منها السفن الفنية لقصده السفر في البحر
 حول البلاد افر بقية وكانت نتيجة سفر القائد (سيلاكس دوكار يانده) اليوناني المذكور
 بالاسطول الفارسي على الوجه المسطور ان امتدت بدسلطنة (دارا) على سائر البلاد
 الكائنة فيما بين الشاطئ الايمن من نهر السند وجبال (پكتيان) ومنها تكونت الاستراتيجية
 الفارسية المتممة للعشرين ولم تتجاوز الامة الفارسية الى الشاطئ الايسر من النهر المذكور
 ولم تدخل خصوصاً في البلاد المعبر عنها الآن باسم (بنجاب) بمعنى الخمسة الانهار من تلك
 الاقطار حيث كانت يسكنها في تلك الاعصار اقوام اولو احرب وجهاد وأمم أرباب شجاعة
 وجلاد كان الاسكندر الاكبر هو اذن من فاز بفخر ادخالهم تحت طاعته وحاز ذكر
 اسمالهم في دائرة سلطنته

ولم يكتف (دارا) بالاقصار على جميع هذه التوسعات المسكية والتملكات الارضية من
 الاقطار بل كان لما وصل الى حدود الممالك الاوروبية القائمة في تلك النواحي بتلك الاعصار
 تعلقت مطامعه أيضا بأن يفتح اقطار اخرى من تلك الجهات اوسع وابرج من اقليم (طراقة)
 (مقدونيا) واراد ان يطبع دولته ذات ملكة اليونان الاسلمية الكائنة على السواحل
 البحرية من تلك البلدان فتعمل اثن الغارة عليها بعلته خروج عن الطاعة السلطانية الفارسية

حصل من بعض الطغاة اليونانيين المملوكين على بلاد (اليونية) (أى المدن اليونانية السكائنة على السواحل الآسية) وكان قد خشيت على نفسه من (غضب دارا) فعصى عليه وخرج عن طاعته وكان الاثينيون أى أهل مدينة (اثينة) قاعدة مملكة اليونان الأصلية قد ساعدوه عليه مدة حقبة من الزمن وان كان أهدادهم له ضعيفا خاليا عن القوة والحزم ومن ثم صارت مملكة اليونان دون غيرها من سائر البلدان عند الملك الفارسي هي مرمى اشتغال الابل ومحط رحال الحرب والقتال وترتب على ذلك انه تورط في تلك المتنازعة الطويلة والحرب العوان الثقيلة التي اشتهرت بين فارس واليونان في ذلك الزمان بقوة الجيوش من الطرفين وبما بعث عليها من البواعث السياسية من الجانبين حتى استمرت على الدوام تقريبا مسافة قرن ونصف من الدهر وترتب عليها في ذلك العصر خراب مملكة فارس وزوالها بالسكلية وتحويل احوال بلاد آسيا الغربية بتأثير قوة الفنون والصناعات المدنية الآثينية وقوة اللغة اليونانية وهذه المدة هي المشهورة على لسان أهل التاريخ اليونانية والاوروبية بعهد الحروب الميديّة بمعنى الفارسية وهي عبارة عن الحروب التي حصلت بين ملوك فارس واليونان في القرن الخامس قبل ميلاد المسيح عليه السلام وكان مبدأها في عهد (دارا) بن جرستاب هذا وهو (دارا الاول) ولذلك لم نمان نقف هنا من تاريخ دولته فارس على هذا العهد وبقية تأتى في ضمن باب تاريخ اليونان الآتى بعد لان تاريخ بلاد المشرق من أوائل عهد الحروب الميديّة في الحقيقة وعلى وجه الاصلة انقطع ولا يكون من الآن فصاعدا الاعبارة عن حوادث تذكر بطريق التبعية لتاريخ اليونان حيث يكون تاريخ اليونان من الآن هو تاريخ المتمدن والعمران (انتهى الى هنا معربا من تاريخ بلاد المشرق والهند للمؤرخ فرانيس لونورمان)

تذييل

يتضمن بعض قوائد تفصيلية ومساائل تكملية مما يتعلق باحوال الدولة الفارسية

(معربا من تاريخ المعلم (فرانيس لونورمان) الكبير)

المسألة الاولى — ماذا يؤثر عن (دارا) ومن سبقة من ملوك دولة فارس السالفين من الابنية والعمارات الماثورة عنهم في تلك الاوقات — قال المعلم فرانيس لونورمان في تاريخه الكبير المتقدم الذكر والبيان في هذا الشأن أعلاه ما تعربيه أدناه قد كان من عيوب ترتيب الدولة الفارسية مع ما كانت عليه من عدم البلوغ لدرجة الكمال

الدرس التام ٣٣٩ . في التاريخ العام

بعد في عهد كل من الملك (كيرش) والملك (قبيزش) انهم لم يكن لها قاعدة سلطنة ثابتة ولا كرسي مملكة معبر يقيم فيه آرباب الدولة المركزية بل كان هذان الملكان الاولان يعبدان عبادة تكاد أن تكون انتجاعية بمعنى رحالة نزلة وحالة على الدوام انتقالية منتجة فكانا تارة يقيمان في ناحية وتارة في أخرى من نواحي سلطنتهما المتسعة اما الملك (كيرش) فكان قد ثبت في المدينة التي كانت تدعى في ذلك العصر باسم (ايكباتان) (وهي همدان الآن) وكانت اقامته في القصر الملوكي الذي كان قد شيده لنفسه الملك (ديجوسيس) كما تقدم ذكر ذلك في موضعه من هذا الكتاب ، واما الملك (قبيزش) فلم يكن قد خرج من ديار مصر منذ افتتحها حتى مات وكانت حادثة تغدي (سمرديسر) الجبوسي على سرير الملك الفارسي قد دلت على ما كان يوجد في تلك الحالة من الخطر من وجهين (احدهما) في طول اقامة الملك في احدى نهايات حدود مملكته و (الثاني) في جعل مركز السلطنة الفارسية ببلاد الميديين مع كونهم لم يزالوا يحملون باسئراد ما كانوا يرغمونه من انه قد كان لهم الدولة العظمى واليد العليا على القوم الفارسيين وان القوم الفارسيين انما اغتصبوها منهم واستولوا عليها بدلا عنهم ولذلك لما جاء الملك (دارا) واراد ان يرتب أحوال الدولة الفارسية على وجه بحيث يعطى للصولة الملوكية زيادة قوة احس بشدة ضرورة ان يجعل مملكته قاعدة ثابتة مستقرة ويعين سلطنته نقطة مركزية مستقرة فانتخب لقضاء هذا القصد مدينة (سوس) وهي المسماة الآن باسم (شوستير) لسكونها قد كانت معتمدة من جهة على ولاية فارسستان الاصلية التي كان فيها مركز قوة السلطنة الفارسية الحقيقية ومن جهة أخرى كانت قريبة من مدينة بابل ومن بلاد الميديين وموضوعة على ابعاد متساوية من نهاية حدود بلاد سلطنته المتسعة من المشرق الى المغرب وشيد فيها قصر الملوك اعظم ما فخر اصار بعد ذلك محل سكنى سائر الملوك الكبار . اين اذا كانوا يسوماسا فرس على رأس جيوشهم في الغزوات البعيدة وكان (دارا) قد اسس ايضا في وسط ولاية فارسستان الاصلية المدينة المسماة في ذلك العصر باسم (پرسبوليس) او (فارسخرا) وهي المسماة الآن باسم (ايتشيل منار) (بمعنى الاربعين عمودا) لهذه المدينة تكون مقبرة لمدافن آرباب عائلته الملوكية وبني فيها ايضا قصر الملوك كما متسعا

أما قصر (سوس) فكان قد حفر عليه منذ بعض سنوات القائد الانجليزي المسمى باسم (الجنرال ويليام) المشهور بالدفوع عن مدينته (كارمر) (السكاتية ببلاد الارمن على حدود الدولة العثمانية من جهة دولة ايران الآن) والسائح الانجليزي المشهور باسم (نوفتوس) فلم يجد امنه غير اطلال واهية وآثار بالية غير انهم لم تزل تدل على ما كان لفس العمارة الفارسية من الصفات الاصلية المميزة لها عن غيرهما من انواع العمارات التي كانت للامم السالفين واما قصر (پرسبوليس) وهي التي كانت تسمى عند الفارسيين المتأخرين باسم (استخار)

فان اكثر بنيانه هو لغاية الان قائم على جدراننه وكل من اطلع عليه من السياحين منذ قرون عديدة عجب له واستغربه غربة شديدة وهو موصوف في كتب التواريخ المطولة بما لا يسع هذا الدرس المختصر ان يحيط به من البيانات المفصلة

المسألة الثانية — كيف كان فن التمثيل والتصوير والعمارة عند الامم الفارسيين في سالف العصور — قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في تاريخه الكبير ماتعريبه كما هو بعد مذكور

قد كان فن التمثيل والتصوير الفارسي حسب ما يظهر لنا من التأمل في الممارات المذكورة والنظر في تلك الآثار التي هي عنهم مأثورة متولدا بطريق المباشرة عن فن التصوير الاسرى القديم وانه منسوخ على صورته وان الفرع ليس دون الاصل بل ربما كان تفرعه اعلى واسلم وضرب قلم النقش فيه اطلق واتقن واعلم وتناسب الاجزاء العضوية من البنية البشرية اضبط واكثر مراعاة واحوط ولكن الامر الذي يظهر ان الفارسيين كانوا فيه بالحقيقة مخترعين وفي الواقع ونفس الامر مبتدعين في تلك الازمان هو فن العمارة والبنيان نعم لاشك في انهم كانوا قد استعاروا ايضا كثيرا من غودجات فن العمارة والبنيان الذي كان متبعاعا في مدينة (نينوى) عند الاسوريين مثل طريقة السطوح المدرجة والنقوش المفروغة في داخل الحجرات على صورة سلاسل غير منقطعة من الاشكال والهيئات ورسم الابواب المصورة على جوانبها صورة أئوار ذات أجنحة وغير ذلك من الكيفيات فكل ذلك لابد من ان قد كان مأخوذا عن الاسوريين غير ان القوم الفارسيين كما كانوا يقتدون بغيرهم كانوا كذلك يمتزجون ويخترعون ويختلقون في فن العمارة ويتدعون فانهم قد غيروا فن العمارة عندهم تغييرا كلياً وذلك انهم لم يبنوا ابنياتهم من الحجر ولا من المدامج المصطنعة من الطين التي كما كان ذلك شأن البناء عند بني بابل ونيوى بل كانوا يتخذون مواد ابنياتهم كالهاشوا الحيطان والاعمدة من المرمر الجميل المستخرج من جبال فارس الاصلية دون غيره من سائر المواد والمهمات المعمارية وكانوا ينجحونه مع غاية الضبط والدقة و يصفقونه صفا لا عجبيا وأما القوف والخرجات فكانوا يتخذونها من الخشب و يطلونها بانواع الالوان ويكسون بعضها بصفائح المعادن ومع ذلك فاعجب شيء انفردت به طريقة العمار الفارسية واختصت به دون غيرهما من طرق الممارات التي كانت مستعملة عند الامم المتقدمة هو كيفية وضع الاعمدة وذلك ان الاعمدة توجد بكثرة بليغة جدا في بناء قصر مدينة (سوس) وقصر مدينة (پرسبوليس) وكلها على وتيرة واحدة وهيئة متحدة وحيث كانت اعتمدتهم لا تحمل الاثقالا خفيفا جدا لانهم كانوا لا يبنون ابنياتهم على طبقات متعددة وكانت ابنيتهم الصلوية متخذة دائما من الخشب كان العمود عندهم يرتفع الى درجة عظيمة وخفة بليغة

جدا كانت جذع شجرة ارتفع في الجولأ أخذ حظه من الهواء والشمس ولم يتفق لافته من الامم
السالفين انها رفعت في ابنتها اعدة الى هذا الخدمن الارتفاع وشيدتها مع هذه الدرجة
لبليغة من النظرافة والابتداع فان الاعددة التي حصل العثور عليها في قصر مدينة (برسبوليس)
يبلغ ارتفاعها اضااف قطر قاعدتها ثلاث مرات ويظهر عليها انها مصطنعة من الحجر
على منوال اعمدة قد كانت متخذة من الخشب الخفيف وتتميز تلك الاعمدة خصوصاً عن
طريقة المساند التي كان يستعملها المصريون واليونان والاسوريون بما كانت عليه كيفية
صناعتها وسهامها التي ترتب الجيب والتنظيم الغريب وذلك انهم كانوا يصطنعون رؤس
اعدهم مسطيلة جدا على وجه بحيث تنسع كلما ارتفعت على عدة طبقات من قباب توضع
بعضها فوق بعض متعاضدة حتى تنمى بصورة قدم ثرى ترتفع عليها اخشاب الخرجة
البارزة من البناء وبالجملة فان فن العمارة الفارسية هو نسيج وحده وفن فريد لا يوجد
ما يماثله ولا يعهد ما يماثله في فنون الفعارات القديمة من حيث كونه قد جمع بين
النظرافة والعظمة

المسألة الثالثة — باى لغة كان تحرير الدفاتر الديوانية والاوامر السلطانية والوثائق
العمومية بديوان الدولة الفارسية في عهد (دارا) وما هو الخط الفارسى القديم — قال
المؤرخ المروى اعلامه انه لما كان الملك (دارا) قد استولى على بلاد متنوعة واهم مختلفة اللغات
والاجناس جدا اضطر في ترتيب دولته لان يتبع الطريقة القديمة التي كانت مستعملة من قبله
عند الملوك النينويين وهي تحرير الدفاتر الديوانية والوثائق العمومية بعدة السن مختلفة
واخذ جعل لغات متنوعة بصفة اللغات الرسمية بمعنى الديوانية فكانت الاوامر الملوكية
والوثائق العمومية الصادرة من لدن الدولة الفارسية في تلك الاحقاب العصرية تنشر
في البلاد الكثيرة على سواحل آسيا الصغرى باللغة اليونانية وفي بلاد القبادوسية
(سيليسيا) و(سورية) و(فلسطين) باللغة الارمنية وفي ديار مصر باللغة المصرية وتكتب
بقلم الكتبة الهيرودس بجليقية كما كان الحال كذلك في عهد الدولة الفرعونية الاصلية سواء
بسواء واما في بلاد آسيا الوسطانية فقد عثر على الآثار الماثورة عن ملوك الدولة السكمانية
من عهد (كيرش) لغاية عهد (دار الثاني) الملقب بالقب (نوتوس) مسطرة بثلاث لغات كلها
مرسومة بنوع الخط السناني وهي اللغة الفارسية الاصلية واللغة التورانية الميديّة واللغة
الاسورية وقد اسلفنا الكلام فيما تقدم على كيفية الخط السناني الذي كان يكتب به كل
من هاتين اللغتين الاخيرتين فلا حاجة لتكراره هنا واما اللغة الفارسية الاصلية فانها كانت
مباينة لهما بالكلية ولم يكن لها مشاركة مع الخط الاسورى القديم الذي كان مستعملا في مدينتي
نينوى وبابل الامن حيث اتحد رسم سائر الاجزاء التي تتركب منها الحروف على هيئة سنان

الرمح والمضمار فقط وقد كان اول من وقف على قراءته واثبت قيمة بعض العلامات الدالة على حروفه هو العالم الالماني المشهور باسم (جروثفند) الذي هو من مدينة (هانوفر) ببلاد المانيا ثم اقتنى اثره مع النجاح في ذلك كل من العالم الفرنسي المعروف باسم (سمنارتان) والعالم الدانيماركي المعروف باسم (باسك) والذي تم الوقوف على حقيقة الخط الفارسي القديم المذكور وجعل هذه المادة من قبيل الاستكشافات العلمية التي مار الحصول عاها بالطريقة القطعية هو ما حصل في هذا الشأن في سنة ١٨٣٦ الميلادية من الاشغال البحثية باتحاد كل من العالمين الفرنسيين المعروفين باسم (أوجين بورنوف) و (الموسيو لاسان) وجاء كل من (الدوكتور هانكس) و (السير هنري راولنسون) الانجليز بين فاشغلا ايضا بالبحث عن طريقة الخط الفارسي القديم ثم جاء العالم الفرنسي الشهير باسم (الموسيو اوپير) فوضح ما كان قد بقي غامضا للغاية الآن من مسائل هذا الشأن والظاهر ان اول منشأ هذا الخط قد كان ببلاد (الباكترية) وانه قد كان في اول الامر من كبار مقاطع حرقية ولكن ما عثر عليه من الآثار المكنوبة في عهد الدولة السكيانية لم يكن بهذه الصفة بل هو مركب من مجرد حروف هجائية تبلغ ستة وثلاثين حرفا وكيفية رسمها كرسوم صورة الحروف الهيوري بجليقية المصرية والسناثية الاسورية القديمة توجد في كتب التواريخ المطولة (انتهى من كتاب تاريخ بلاد المشرق الكبير للمؤرخ فرانسيس لورنومان)



الدرس التام ٣٤٣ في التاريخ العام
مسائل

تتضمن على وجه الاختصار ما تقدم في هذا الباب الخامس من الفوائد والافكار

١ — ما اصل مأخذ هذا الباب

افكار تقديميه وفوائد عموميه

٢ — كيف يقتضى ان يعثر الباحث عن تواريخ سائر الامم المتقدمين بالنسبة الى تاريخ مصر عندنا معائير المصريين

مقدمة

- ٣ — ما حدود بلاد الميديه
٤ — ما حدود بلاد فارس والى كم سترابية كانت تنقسم في عهد (دارا) الاول
٥ — ما اوصاف مملكة فارس الطبيعىة وما بعض احوالها المحليه
٦ — ما اقسام مملكة فارس السياسيه وما بعض احوالها في هذه الاحقاب العصريه
٧ — ما جغرافيه ارض فارس التاريخيه ومقابلاتها بما استجد من الاسماء الحادثه في هذه الاحقاب العصريه

الفصل الاول

- ٨ — ما ذا يدكر عن الآريين الاولين الذين هم أصل القوم الفارسيين
٩ — ما ذا يذكر من اخلاق القوم الآريين الاقدمين حسبما تحقق عند علماء الافرنج المتأخرين
١٠ — كيف كانت حالة العائلة والملة عند القوم الآريين السالفين وبني يافث المتقدمين
١١ — كيف كانت ديانة الامم الآريين السالفين وعبادة الملل اليافثيين المتقدمين
١٢ — ما قصة مهاجرة القبائل اليافثيه الى الاقطار المغربيه وكيفيه رحلتهم الى الاراضى الاوروبيه وما ذا يفهم من احوالهم حسب ما علم من الكتب الويديه
١٣ — ما ذا ثبت من تاريخ (زردهشت) ومذهب ديانتته وشرح حاله وملكته
١٤ — ما المراد من (اورموزد) و (اهريمان) وما حقيقه ما اتبني عليه منهم ادين (زردهشت) في سالف الزمان

- الدرس الثامن ٣٤٤ في التاريخ العام
- ١٥ — ماذا يذكر عن حادثة تفرق الآريين المشرقيين إلى فرقتين وتوجههم إلى ناحية بين متعارضتين

الفصل الثاني

- ١٦ — ماذا يذكر عن الميديين الآريين والثورانيين وكيف كانت منازعة القوميين ومقاومة الخصمين المذكورين
- ١٧ — ماحقيقة دين المجوسية وهل هو غير دين المزدكية أم كيف الجبال
- ١٨ — ماقصة استيلاء الدولة الآسورية على بلاد الميديه

ذكر الدولة الميديه

- ١٩ — ماذا يذكر عن (ارباس) والدولة الجمهوريه الميديه وكيف كانت حالتها الاولى
- ٢٠ — ماذا يذكر عن الحكيم (ديجوسيس) وكيف كان منزهاً عن تدبير الملك به بلاد الميديه
- ٢١ — ماذا يذكر عن الملك (فراووت) وما حدث في عصره من السلطنة الميديه الكبيره
- ٢٢ — ماذا يذكر عن الملك (سيارار) من الاخبار وما توجه اليه عزمه من خراب مدينه (نيزوى) في تلك الاعصار
- ٢٣ — ماقصة غارة الافوام السيتيين على بلاد الميديين
- ٢٤ — ماذا حصل بعد ذلك للملك (سيارار) من الحوادث والاخبار
- ٢٥ — ماذا يذكر عن الملك (استياج) وكيف كان منشأ الملك (كبرش اوقيروس) المذكور وما قصة ما ترتب عليه من زوال دولة الميديين في تلك الاعصار

الفصل الثالث

- ٢٦ — ماذا يذكر من اخبار فتوحات الملك (كبرش) للبلاد وقصة تدوينه للعباد
- ٢٧ — ماقصة الملك (كريزوس) ملك ليديا وماذا يحكى عنه من قضيه استشارته لكاهنه (ديلفوس)
- ٢٨ — كيف كانت هزيمة الملك (كريزوس) وزوال دولة الليديين على يد الملك (كبرش اوقيروس)
- ٢٩ — ماقصة فتح مدائن يونيا واستيلاء دولة فارس على سائر الامم والاقوام المتوطنين ببلاد اسيا العليا
- ٣٠ — ماقصة زوال دولة آسور على يد الملك (كبرش) المذكور

الدرس الثامن ٣٤٥ في التاريخ العام

- ٣١ — كيف كانت خاتمة الملك (كيرش أو فيروس) وما قصة مكيدته ووفاته في واقعة حربية مع الماسكة (توميريس)
- ٣٢ — ماذا يدكر عن الملك (قمبيز أو قمبزش) قاتح الديار المصرية وما قصة فتح هذه الديار المصرية بالجنود الفارسية وذكر (فائيس) احدة واد القرعة العسكرية اليونانية المؤجرة للدولة المصرية
- ٣٣ — كيف كان سلوك الملك (قمبيز) بديار مصر لما استولى عليها في ذلك العصر
- ٣٤ — ما قصة غزوة الملك (قمبيز) ببلاد الايتيوبية وفي واحة (آمون) بالصحارى الليبية
- ٣٥ — ما قصة ما عثرى الملك (قمبيز) من الجنون في ديار مصر بذلك العصر
- ٣٦ — ما قصة الفتى الاهلية والمجن الداخلية التي حصلت بادولة الفارسية من طائفة المجوسية بمدة غياب الملك (قمبيز) في ديار مصر وكيف كان تعدى (جوماتيس) الجوسى على سرير الملك الفارسى وكيف كانت وفاة (قمبيز) في ذلك العصر
- ٣٧ — ماذا يدكر عن مدة استيلاء (جوماتيس) باسم (سمرديس) وكيف كان استيلاء (دارا اودرايوس) على سرير ماسكة فارس
- ٣٨ — ما قصة ما حصل من الفتى والعصيان في سلطنة فارس بتلك الارمان حسبما قصه المؤرخ اليونانى (هيرودوت) وما حقيقة الاثر القديم المعروف بآثر جبل (بيستون)
- ٣٩ — كيف كان ترتيب الاسترايبات بالدولة الفارسية حسبما كان قدرتها (دارا) ونص عليها المؤرخ (هيرودوت) وماذا ذكر فيما يتعلق بتقدير مبلغ الخراج الواردة من الدولة الفارسية في تلك الحقبة العصرية
- ٤٠ — كيف كانت طريقة ولاية الاقاليم الفارسية بالاسترايبات والى كم ضرب كانت تنقسم الولايات الفارسية في تلك الاوقات
- ٤١ — ماذا ترتب على ترتيب الاسترايبات من النتائج والمترقيات
- ٤٢ — ما معنى البريدومن كان أول من ابتدعه في الدولة الفارسية
- ٤٣ — ما قصة غارة الجنود الفارسيين على الامم والاقوام المعروفين عند اليونان باسم (السيثيين) وماذا كان المراد بهذا اللفظ عند الامم المتقدمين وذكر

الدرس الثام ٣٤٦ في التاريخ العام
(السيئين الاورو بين والاسيين)

- ٤٤ — ماقصة ما حصل فيما بعد من فتوحات (دارا) باقليم (طراقة) وبلاد الهند
وذ كرامير البحر اليوناني المشهور في تلك المدة باسم (سيلاكس دو كار يانده)
٤٥ — ما المراد بما اشهر في عرف اهل التاريخ بعهد الحروب الميدية وماذا وقفنا هنام
تاريخ دولة فارس على هذه المدة التاريخية

تذييل

- ٤٦ — المسألة الاولى — ماذا يؤثر عن الملك (دارا) ومن سبقه من ملوك دولة
فارس السالفين من الابدية والعمارات الماثورة عنهم في تلك الاوقات
٤٧ — المسألة الثانية — كيف كان فن التمثيل والتصوير والعمارة عند الامم
الفارسيين في سالف العصور
٤٨ — المسألة الثالثة — بأى لغة كان تحرير الدفاتر الديوانية والاوامر السلطانية
والوناتق العمومية بديوان الدولة الفارسية في عهد الملك (دارا) الاول
وما هو الخط الفارسي القديم



الباب السادس

في تاريخ الفنيقيين او المصوريين وقدام سواحل الشام السالفين

واصل ما أخذ هذا الباب الاصلية من امرين
(الاول) التأليعات العمومية والتحقيقات التاريخية العلمية التي كتبها بعض علماء الافرنج
المتأخرين فيما يتعلق بعوم احوال الكنعانيين وسكان بلاد الفنيقية المتقدمين
(الثاني) الرسائل الخاصة التي ألفها بعض علماء الافرنج المذكورين فيما يتعلق بكشف
احوال بعض الآثار القديمة التي حصل العثور عليها في هذه الاعصار المراهنة من آثار هؤلاء
الامم السالفين

مقدمة

في بيان اصل الفنيقيين و تعريف المداين التي كانوا فيها متوطنين
(معر: بامن مختصر تاريخ الامم المشرقية والهند للأورخ فرانسيس لونورمان)

مطلب — بيان اصل الفنيقيين — قال المؤرخ فرانسيس لونورمان
في مختصر تاريخ الامم المشرقية والهند ما تعريبه بعد — ان اصل الفنيقيين كما هو نص
العبارة الواردة في الباب العاشر من سفر الخلق من التوراة وكما كانوا هم انفسهم يقولون به
في سالف الاوقات وكانت ذراريتهم قد حكوه لاحد احبار النصارى المشهور باسم
(سنتوغوستان) حسب ما نص عليه في الكتب المأثورة عنه هم من نسل (كنعان) الذي هو
من نسل حام بن نوح عليه السلام كما روى في نصوص التوراة غير ان بني كنعان لم يخصروا
في الفنيقيين فقط بل كانوا فروعا متفرعين كان منهم هؤلاء الفنيقيون وكان هذا الفرع قد
تكون من اول الامر في صورة وجودية منفردة عن سائر القروع الكنعانيين وكان هو
أشهرهم واكبرهم وآخرهم انقرضوا واقدروهم

مطلب — ذكر اصل الكنعانيين وكيفية مهاجرتهم من الاوطان التي كانوا فيها
في اول الامر متوطنين — وقد كانت مداين الكنعانيين من أول الامر على سواحل
الخليج الفارسي في اقليم بلاد العرب المعروف الآن باسم (القطيف أو البحرين) وفي جزائر
البحرين وقد كانت اثنتان متماثلتين اسمي احدهما في ذلك العصر باسم (صور) والثانية باسم
(ارواد) ولما انتقل الكنعانيون من تلك الاماكن فيما بعد كانوا قد اخذوا هدير المغظين وسموا
بهم بعض اماكن من بلاد فلسطين حين انتقلوا اليها وتوطنوا فيها وعلى نحو ٢٥٠٠ سنة تقريبا
قبل الميلاد كانوا قد اضطروا للمغروج من مساكنهم الاولى هذه اما لداعي زلازل ارضية

وقعت فيها فخرجتهم منها كما ذكر ببعض الروايات. وأما كما ذكر برواية أخرى لدايمي إخبارهم على الخروج منها عقب واقعة حربية وقعت عليهم من بعض ملوك بابل وكانوا قد انتصروا عليهم فيها فاضطروا للهجرة من أوطانهم الأصلية وهاجروا كلهم منها واختاروا بلاد العرب في سالف الزمان سائر في الطريق الأصلية التي لم تزل القوافل تسير فيها من تلك الاقطار لغاية الآن حيث كانت هي التي توجه بها أبار الماء العذب الذي يلزم لسقى المسافرين ودوابهم وصاروا يرتحلون من واحة الى أخرى من تلك الصحارى حتى وصلوا الى بلاد فلسطين على القرب من بحيرة (طبرية) وقد كان ذلك هو آخر مدى هجرتهم ولما استقروا ببلاد الشام تغلبوا على تلك البلاد ووضعوا اليد عليها وتفرقوا هناك الى اربعة فروع (احدهما) تكون من عدة اقوام مختلفة وقبائل متنوعة منهم واقاموا ببلاد فلسطين و(الثاني) توطن على السواحل الشامية فيما بين جبل لبنان والبحر المتوسط الابيض (بحر سفيد) و(الثالث) تعمق الى جهة الشمال واستقر بوادي (الاورونط) و(وغير العاضى) وهذا الفرع عبارة عن اكثر القبيلة المعروفة باسم (الهميشيين) (بالتاء المثناة الفوقية او الشاء المثلثة) وقد كانت هذه القبيلة في ذلك العصر هي اقوى سائر القبائل السكنايين شوكة واشدهم صولة و(الرابع) كان قد اغار على الديار المصرية مسترشدا بجماعة من القوم الهميشيين المذكورين فاستولوا عليها معهم مدة - قبة من الدهر وتأمر منهم فيها لعائلة المالكية المعروفة بالملوك الرعاة (او الملوك الهائلة)

وقد كان استيطان السكنايين ببلاد فلسطين من قبل نزول ابراهيم عليه السلام فيها اذ كان قد وجدهم مستولين على سائر ذلك القطر فعاش بين اظهروهم فيها مدة حقبة من الدهر

مطلب — ما المراد من لفظ الفنية وتعريف ما كابر يوجد فيها من المدن

الأصلية — اما لفظ (فنية) فهو كلمة يونانية تكتب وينطق بها في الاصل بلفظ (فيسيا) (بالسين المهملة بدل القاف المثناة) وقد جرت عادة المعربين في هذا العصر ان يقبلوا السين قافا ولذلك صارت (فنية) ولم يعلم اصل اشتقاقها وما أخذها لغاية الان غير ان العلوم ان لفظ (الفنيين) لا يوافق على سائر الاقوام السكنايين الذين توطنوا في نواحي الشام الجنوبية كلها بل على السكنايين البحريين اى المتوطنين على سواحل البحر فقط وهم الذين قد كان لهم ضرورة وجود منعزلة عن غيرهم من سائر الاقوام السكنايين بالكليّة وحينئذ فالمراد من لفظ (الفنية) في اصطلاح اهل التاريخ او الجغرافية المدرسية هو هذا القطر الضيق جدا المنحصر فيما بين الجبل والبحر ممتدا شمالا من اول جزيرة (ارواد) لغاية مدينة (عكة) جنوبا وهو يشتمل على الاراضى التي كانت يهيمون فيها تلك الاعصار باراضى ملك القوم (الاروايين) و(السميريين) و(الصيداويين)

الدرس الثام ٣٤٩ في التاريخ العام

وهذا القطر هو الذي نريد ان نشغل بآثاره في هذا الباب غير اننا قبل ان نقص مختصر الحوادث القديمة التي وقعت فيه رأينا من النافع ان نذكر هنا على سبيل التقديم بعض ما يتعلق به من المسائل الجغرافية وتعداد مدائنه القديمة الاصلية ونبتدئ من جهة الشمال فنقول ان اول ما يسدولنا من تلك الجهة هو الجزيرة التي كانت تدعى في سالف الازمان باسم (ارادوس) ولم تزل تعرف لغاية الآن باسم (ارواد) وهو ذلك الاسم بعينه مع بعض تحريف اعتراه وهي موضوعة على القرب من الساحل تحت عين درجة الطول التي توجد عليها مدينة (شيتي اولارناكة)، التي هي احدى مدن جزيرة (قبرص) وهي جزيرة ضيقة جدا فلذلك كانت ارضها مستغرقة بموضع مدينة كانت توجد فيها تسمى مدينة (ارادوس وارواد) وقد كانت هي قاعدة مملكة الاروايين السالفين وكانت هذه المملكة عبارة عن المدينة المذكورة مع مدينتين اخريين كانتين على الساحل القريب منها كانتا بالتبعية اليها وهما (اولا) مدينة (انتارادوس) (وهي المعروفة باسم (طرطوش) الآن) وفي السهل الذي توجد فيه هذه المدينة الخيرة يظهر ان قد كان موضع مقبرة اموات تلك المدينة الكثنة بالجزيرة المذكورة و (ثانيا) مدينة (ماراتوس) وهي المعروفة الآن باسم (عمر يظ) وفيها يشاهد اعظم آثار فر العمارة الفنية التي بقيت لغاية عصرنا هذا وقد كانت مملكة الاروايين هذه اعنى مدينة (ارواد) والمدينتين التابعتين لها على السواحل القريبة منها بعد ان انضمت الى مملكة الهيدايين لم يزل لها ملك مخصوص ملحق بطريق التبعية للملك الاكبر الذي كان له درجة الاعلوية على سائر بلاد الفنتقية

ثم الى جهة الجنوب وعلى القرب من مصب النهر الذي كان يسمى في ذلك العصر باسم (اليلوتيروس) وهو المعروف الآن بالنهر الكبير كانت توجد المدينة المسماة باسم (سيميرا) (وهي المسماة الآن باسم (سمرة) وقد كانت هي قاعدة مملكة السيميريين وهي وان كانت قد دخلت في ضمن المحالفة الفنية قد كان لها كما كان لمدينة (ارواد) المذكورة قبلها ملك مخصوص وفي عهد المملكة اليونانية، والسلطنة الرومانية كانت هذه المدينة العتيقة قد فقدت درجة عظمتها الاولى وانتقلت حالة اهميتها الاصلية الى مدينة اخرى كانت تدعى باسم (ادروريا) ثم فيما يلي ذلك الى جهة الجنوب ايضا يوجد المكان الذي كان قد اسس فيه كل من اهالي (ارواد) و (صيدا) و (صور) ثلاث عمارات متجاورة وسموها في ذلك العصر باسم (تريبوليس) (ومعناها المدن الثلاثة) وهي المحفرة الآن باسم (طرابلس) وبعد ذلك ندخل في ارض الامة القديمة التي هي من ضمن الاقوام الفنيقيين وهي التي كانت تعرف في قديم الاعصار بالصيداوين وهم كما هو عيّن نص التوراة (ابناء كنعان البكر يونا) وقد كانت ارض الفنية في اول الامر محدودة بنهاية ارض المملكة الهيدايوية المذكورة

الدرس الثام ٣٥٠ في التاريخ العام

واول مدينة يبد وللناظر منها هي هذه الجهة هي المدينة التي كانت تسمى في ذلك العصر باسم
 (بوتريس) وهي التي تعرف الآن باسم (بثرون) ثم مدينة (الجبل) وهي التي كانت
 تسمى عند اليونان باسم (يلوس) وتعرف الآن باسم (جبيل) (بصيغة التصغير) وقد كانت
 تابعة لمدينة (بوتريس) المذكورة قبلها وكانت مدينة (الجبل) هذه مدينة مقدسة وحرما
 مكرما محترما يصعد اليه اقصى اذكار العقائد الخرافية التي كانت هي دين الاقوام الفنيقيين
 في تلك الاعصار وكان لهم فيها موسم سنوي يشهرون فيه اسرار امشورة عندهم تعظيما
 لعبودهم المسمى باسم (آدونيس) ثم بلى ذلك فنازلا الى جهة الجنوب أيضا المدينة التي كانت
 تسمى حينذاك باسم (بيريت) وهي المعروفة الآن باسم (بهرت) وقد كانت في ذلك العصر
 كرسى مملكة ولم تزل في كل عصر من الاعصار فرضة بحر بة عظيمة وميناء تجارية جسيمة
 ثم تليها المدينة التي كانت تسمى في ذلك العصر باسم (صيدون) وهي التي تعرف الآن
 باسم (صيدا) وقد كانت كذلك في سالف الزمان مدينة عظيمة وكرسى مملكة جسيمة ولكنها
 قد آلت الآن الى حالة حقيرة جدا ولم يبق من الآثار الدالة على عظمتها القديمة غير بقايا
 مقبرة متسعة جسيمة توجد هناك واصل لفظ (صيدا) مشتق من الصيد وذلك يدل على
 ان هذه الصناعة هي اول صناعة اتخذها أول سكان تلك الاوطان بمجرد ان توطنوا على
 ساحل البحر وفيه تمر نواع الى فن الملاحة جمعنى السفر في البحر الملح وقد كانت هذه المدينة
 هي أقدم مدن الفنيقيين وكانوا يلقبونها بلقب (أم سائر المدن الفنيقية الاخرى) ما عدا
 مدينة (الجبل) فانهار بما لم تكن من جملة مدن الفنيقيين الاصليين بل كانت من مدن
 السينيين (بالنون الموحدة الفوقية في وسطه وهم قوم اخرون من الكنعانيين)
 وعلى جنوب (صيدا) توجد المدينة التي كانت تدعى باسم (سار بيطا) وهي التي تعرف
 الآن باسم (سرفند) وقد كانت في سالف الدهر مدينة ذات ثروة كبيرة ودرجة من العظمة
 والاهمية لا بأس بها ولا سيما في الاعصار الغابرة جدا ثم صارت في القرن الثاني عشر قبل
 ميلاد المسيح عليه السلام تابعة من حيث السياسة لمدينة (صور) ثم مدينة (صور) هذه وقد
 كانت هذه المدينة الاخيرة مدة حقبة مديدة من مدة تاريخ الفنيقيين حاضرة لدرجة الاعلوية
 القصوى على سائر مدن الفنيقيين التي كانت اولاً المدينة (صيدا) من قبلها ومذلول لفظ
 (صور) في اللغة الكنعانية (صخرة) ولم تزل تعرف بهذا الاسم عند العرب لغاية الآن وهي
 تنقسم عند علماء الجغرافة الى اليونان والرومانين الى مدينتين (احدهما) كائنة على جزيرة
 من الصخر صغيرة قريبة جدا من الارض القارة و (الثانية) على الساحل وقد كانت
 هذه المدينة الثانية موضوعة في المكان الذي يعرف الآن باسم (رأس العين)
 وكانت تدعى في ذلك الزمان بالخصوص باسم (بالا تيروس) ومعناها مدينة (صور) القديمة

وفي ضواحي (صور) يلزم ان يسكون منتهى الحدود الجنوبية للمملكة الصيداوية القديمة حسب ما يفهم من الباب العاشر من سفر الخليفة من التوارق في تلك الاوقات ثم امتدت حدود تلك المملكة بعد ذلك الى جهة الجنوب وذلك انه بوقت ان كان بنو اسرائيل قد اغاروا على الاقوام الكنعانيين المتوطنين ببلاد فلسطين وفخروا بلادهم واستولوا عليها واغاروا القوم المعروفون باسم (الفلسطينيين) على سائر السواحل الجنوبية من ذلك القطر كانت المدن البحرية من ولاية (جاليلة) التي هي احدى الولايات الاربعة التي كانت تتركب منها بلاد (فلسطين) في ذلك العصر قد تعصبت للمدافعة عن نفسها من غارة هؤلاء القوم الاجبيين وبلغت امنيتهما من حفظ جنسيتها المالية السكانية غير انها لم يمكنها ان تستمر على هذه الحالة وحدها ولم يتيسر لها ان تبقى على حفظ نفسها من غاراتهم بمفردها فاضطرت بالطبيعة لآن تلجأ الى الصيداويين وتبذل نفوسهم اذ كان يمكنهم ان يحموها من غارات القوم المذكورين وبذلك عاصرت تلك المدن الثغرية من ضمن المحالفة الفنية وقد كان ابعد تلك المدن البحرية الى جهة الجنوب واقصاها واغناها هي المدينة التي كانت تدعى في ذلك العصر باسم (اكو) وتدعى عند اليونان في بعض الاحيان باسم (بطولوميس أو البطلموسية) ثم غلب عليها في الاعصار المتوسطة اسمها الاصل مع بعض تحريف فيه باسم (عكا) هداما ردا لاراده هنا بالاحتصار من جغرافية هذه الاقطار وقد ساغ لنا الآن ان نتكلم بوجه الاقتصار ايضا على الحوادث التاريخية التي وقعت بتلك البلاد في سالف الاعصار وهو اصل موضوع هذا الباب وذلك في ثلاثة فصول فنقول

الفصل الاول

في تاريخ عصر الصيداويين اعني وقت ان كانت مدينة (صيدا) هي مقر ملكة الفنيقيين

مطلب — ذكر ميادى اخذ الصيداويين في الاشتغال بالسفر في البحر في سالف العصر — بينما كان جماعة من الكنعانيين قد توجهوا نحو ديار مصر وفخروها في ذلك العصر وكان القوم المعروفون منهم باسم (الهيثيين) الذين كانوا هم اقوام شوكية واشدهم صولة قد احدثوا لهم في تلك الديار دولة ووضعوا على سرير ملكة الغارعة من رؤسائهم عائلة ملوكية اجنبية (وهي التي تعرف عند أهل التاريخ بدولة العرب أو عائلة الملوك الرعاة ودولة العمالة بالديار المضرية) قد كان من بقي في مدينة صيدا من الكنعانيين وهم المعبر عنهم بالصيداويين يظهر انهم لم يكن لهم اطماع حرية

ولارغبة جهادية في الارض الفارة فلذلك انصرفت قوتهم وعـمتهم وتجردت نشاطتهم وشهامتهم للتشبث بالاعمال البحرية حيث كانوا قد اسـتـوطنوا سواحلـه ولا ندري هل ما وجد في الصيد او بين من هذا الاستعداد الغريب والتأهل العجيب للاشتغال بفن السفر في البحر والتجارة البحرية الذي تميزوا به عن غيرهم من سائر الاقوام الكعانيين في ذلك العصر قد كان ظهر فيهم من أول الامر وهم في اوطانهم الاصلية مذ كانوا متوطنين على سواحل الخليج الفارسي أم لم يظهر فيهم ذلك الامر الامن بعد ان هاجروا من تلك الاوطان وتوطنوا على سواحل البحر المتوسط الابيض (بحر سفيد) فقط وعلى كل حال من هذين الجانبين نحن العلوم المحقق ان هذا الاستعداد كان من بعد انبثاقهم الى هذه الافطار الاخيرة قد نما وازداد مع غاية السرعة والازدياد وذلك انهم لما كانوا مقتصرين في ارض ضيقة جدا فيما بين الجبل والبحر كما فهم من سالف الذكر بحيث لا يكفي مقدار تلك الارض من طريق الزراعة لغذاء اهلها فطر الصيد ويؤن باشد اللوازم الضرورية ويواعت غرائزهم الطبيعية لان يتخذوا لهم ما هو شبه بواطن جديدة ويتشبثوا بوسائل معاش وثروة مفيدة فوق امواج البحار ولا سيما وقد كان أكثر الامم المتوطنين على سواحل بحر سفيد في تلك الاعصار لم يزالوا بعد باقين بحالة الاقوام المتوحشين ولم يكونوا يعرفون ولا يقدرين في ذلك العصر على اشياء قارب بمكنهم ان يذهبوا به الى ادى مسافة على امواج البحر وكان مثل المصريين مع كونهم قد كانوا في تلك الاحقاب الزمنية هم مركز اسبق الدائرة التمدنية ومحط اقصى الدرجة العمرانية لم يصلوا بعد من فن الملاحة اللهم الا للتجاسر على شئ يسير جدا من السفر على القرب من السواحل بدون ان يتباعدوا منها ولا يعضوا النظر عنها بحال الصيد او بين فانهم كانوا والحالة هذه اول من سافر في البحر وقد مكثوا مدة مديدة واعصارا عديدة من الدهر وهم وحدهم منفردون بفن الملاحة دون غيرهم من سائر سكان الدنيا بتمامها ولم يسبقهم أحد في التجاسر على طول الاسفار واقتحام اخطار الرياح العاصفة والزوابع الشديدة فوق اللجج والامواج المتسعة والاندفاع بغاية الجرأة الى أبعد السواحل البحرية للشاسعة ليجلبوا منها المعادن والاشباب النفيسة والمواد الاولى من سائر الاصناف التي كانت تلزم لاعمالهم الصناعية واقدامهم المديدة وادهارهم المديدة من الزمان

فبـل ان تظهر امة أخرى تـزاحمهم في هذا الميدان وبالجملة فلم يكن البحر بالنسبة للصيد او بين معدن ثروة وغنى لا ينفد وميدان للنشاط قوم أولى جراءة وصناعة واهال ذوى فطنة وبراعة لم يجدوا في حرائث ارضهم ما يقوم بضرورة معيشتهم فقط بل كان البحر ايضا مباحا لهم ولا مباحا لهم سواه ولم يكن لهم سبيل يوجهون اليه

الدرس الثام ٣٥٣ في التاريخ العام

اليه سائرة وتهم غير طريق التجارة البحرية وذلك انهم كانوا على الدوام والاستمرار تدفعهم غارات الاقوام المجاورين لهم الى السواحل البحرية وتقذفهم صولة الامم الاقوى شوكة منهم الى الجهات الشرقية (أولا) من أبناء جنسهم وهو القوم الهيشيون و (ثانيا) فيما بعد من ملوك دولتي وادي النيل ووادي الفرات العظيمين اللتين كانتا قائمتين في تلك الاوقات فلم يتيسر للصياديين أن يتوسعوا الى داخل البر ولا ان يكون لهم منصب سياسي ولا مقام جهادي بين الامم السالفين ولم يقدر واحتي على أن يحفظوا حالة استقلال بانفسهم تامة لهم ولان أن يمتنعوا الاجباله استبداد بالنفس منهية تابعة للغير فانتازهم في أغلب أعصارهم التاريخي بالتبعية لدولة من تلك الدول الكبيرة القائمة في ذلك العصر وفي الواقع ونفس الامر اذا كانت اممة من الامم لا تجد في حرائه الارض التي هي قائمة عليها ما يقوم بضرورة غذائها ولا يتيسر لها ان تكون قوما فلاحين ولا جندا مجاهدين ولا تحفظ حالة استقلالها بالكلية من صولة الصائليين وكان فيهم مع ذلك تلك الشهامة الاهلية والنخوة العصبية المالية التي ينتج عنها عظام الامور فلا سبيل لها غير طريق واحد وهو ان تدفع في ميدان التجارة والسياسة في البحر لا غير ولقد كان ذلك هو حال القوم الفنيقيين في ذلك العصر ولما لم يكن لهم سابقة تتقدمهم ولا خصم يراجهم في ذلك الامر الذي كانوا قد اندفعوا فيه بضرورة الحال لزم بالضرورة ان يتكفوا فيه ويستقيموا عليه ويختصوا منه بجزية الاحتكار مودة احقاب مديدة من الاعصار

مطلب — ذكر استيلاء الدولة المصرية على بلاد الفنيقية — لم يعلم لغاية الآن الوقت الذي فيه قد كان اول تشبث الصياديين بالاخذ في مبادئ الاسفار البحرية والنجاح في الاعمال التجارية فانه لم يعرف لغاية يومنا هذا في الآثار القديمة التي حصل العثور عليها فيما يتعلق ببلاد انشام وقدماء سكانها السالفين ما يدل على شيء من ذلك ولا تظن انه يحصل العثور على شيء من هذا القبيل في المستقبل ومن ثم فهم ان تلك الحادثة قد كانت في اعصار سابقة على تلك الآثار التي حصل عليها العثور لغاية الآن ولم يوجد أي بضائي مما يستدل به على تاريخ الحادثة المذكورة في الروايات الاهلية والحيكايات المالية المأثورة عن القوم الفنيقيين أنفسهم فيما حكاه عنهم مؤرخو السلف ونقلوه اليها على وجه ضعيف وانما من الثابت المحقق ان الصياديين قد كانوا أمة بحارة وقوماء في السفر على البحر وأولى جراءة وجسارة ولم تكن ذات تجارة عظيمة وثروة جسيمة في وقت ان كان المصريون قد استيقظوا من غفلتهم الاهلية وقاموا بعصيتهم المالية وطردوا من بلادهم طائفة ملوك العرب الرعاة وعادوا والاخذ بشايرهم من هؤلاء الامم الاجانب بعد ان كانوا قد استعبدوهم

الدرس الثام ٣٥٤ في التاريخ العام

مدة اعصار مديدة قاستولولهم كذلك على سائر بلاد اسيا السالفة وقد ذكرنا فيما سلف في ضمن الباب الثاني المعد للبحث عن تاريخ المصريين والفرعنة السالدين انه قد كان من امهر العائلة الملكية المصرية الثامنة عشرة ان فرانة مصر كانوا قد استولوا على جميع بلاد الشام ومن ذلك الوقت كان الصيد اويون كغيرهم من سائر الامم والاقوام الذين هم لهم مجاورون قد صاروا تحت يد الدولة المصرية واقامت الدولة الفرعونية واطاعة اليد عليهم بدون انقطاع مدة اقامة العائلة الملكية المصرية الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين اعنى من ابتداء النصف الثاني من القرن السابع عشر لغاية القرن الثامن عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام

مطلب — ذكر حادثة توسع الصيد اويون في الاسفار البحرية — ومن المعلوم من وجه ان مثل الصيد اويون المذكورين الذين هم قوم تجار يلزم لهم بالضرورة ان يكونوا تابعين لسلطنة كبيرة ليتمكنوا من سائرهم المقدمون على غيرهم ومن وجه آخر قد كان المصريون لداي ما كان متسلطنا عليهم من الإوهام الدينية ينفرون من الاسفار البحرية فلذلك كان لاسبيل للفرعنة في الحصول على انشاء اسطول لهم غير ان يستعينوا بالقوم الفنيقيين وقد كان الفرعنة المصريون بالضرورة يكافئونهم على هذه الخدمة بأن يخوهم بأعظم المزايا التجارية ولذلك اتفقت كلمة المؤرخين من السلف السابقين على ان قالوا ان اعلی درجة بلغت ساحة الاسفار البحرية وتأسيس المناقدا التجارية في الجهات الشرقية من اكثر الاقطار لمدينة صيدا في تلك الاعصار قد كان بعدة عهدها استيلاء الدولة المصرية على بلاد الفنيقية (اعنى فيما بين القرن السابع عشر فنانزالا لغاية القرن الخامس عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام) وقد كان جل حركة أسفارهم على البحر واصل نقطة دائرة تجارتهم بذلك العصر في النواحي الشرقية من البحر المتوسط الابيض (بحر سفيد) اذ لم يكن قد حدث في تلك الاقطار لغاية تلك الاعصار سفن بحرية اهنية تراحهم ولا مل بحارة تخصهم وفي جزائر بحر الارخبيل (بحر جزائر الروم) وفي البحر الاسود

مطلب — ذكر سفر الصيد اويون في بحار اليونان بتلك الازمان — وفي تلك المدة المدة قضية فيما بين القرن السابع عشر فنانزالا لغاية القرن الخامس عشر ق م المذكورة اعلاه كان الصيد اويون قاسوا مدينة (شيتي) (المعروفة ايضا باسم لارناكه) بجزيرة (قبرص) ومدينة (ايطانوس) بجزيرة (كريد) وانشأوا على سواحل بلاد (سيليسيا) (وهي ما يعرف عنه الآن بنيجم وعولايي سيلفته وادنه) عدة نزلات استعمارية اضطراهلها الاصليون فيما بعد للهجرة منها الى الجبال الداخلية وصاروا هم اصل القوم المعروفين عند الامم السالفين بالقوم (السوليميين) وقد كانت سفن الصيد اويون هي التي تفتقر في ذلك الزمان سائر بحار بلاد اليونان وقد كان لهم اليد عليهم الاشارتهم فيها احدثهم وكانوا

يفدون الى تلك البلدان ليأخذوا منها حواصلها البلدية ويعطوا للاهالى البيلاجية بمعنى اليونانية حواصل الصناعات الآسية والديار المصرية اذ كان اليونان لغاية تلك الازمان لا يعرفون بانفسهم شيئا مما يضاهاى تلك الحواصل الصناعية ولداعى ما كان يوجد على سواحل الارض القارية بلاد اليونان وبلاد آسية الصغرى فى تلك الاعصار من كثرة الاهالى والسكان وما كان يوجد فيهم من الغيرة على حفظ حريتهم وبقائهم على حالة استقلالهم بانفسهم كانوا لا يأذنون لاحد من الامم الاغراب ان يحد ثوابى بلادهم زائل كبيرة بحيث تشبه النزائل الاستعمارية الحادثة من اهالى الاوطان الاجنبية فلذلك لم يتيسر للصيادون ان يحد ثوابى انفسهم نزائل استعمارية بتلك البلدان بل كانوا يفدون عليها فقط بوظيفة اغراب لقصد التجارة فيها لا غير وغاية ما هناك انه ربما كان لهم فيها مجرد بعض اماكن عمالات تجارية من قبيل ما يعرف عنه الآن باسم (الفكتوريات بمعنى اقليم العملاء التجارية ببلاد الهند) واما فى اراضى الجزائر اليونانية فقد كان للصيادون بين اماكن تجارية ومواطن ملكية من نوع اخر ومحطات بحرية دائمة مستقرة ومراسى ثغرية قائمة بذاتها مستقرة على سند الملكية الحقيقية نلتجى اليها سفنهم التجارية ومن اعظم ما كان لهم من هذا القبيل فى جنوب بحر الارخبيل وهو بحر جزائر الروم المذكور انعاما كان يوجد بجزيرة (رودس) وجزيرة (طيرا) المعروفة الآن بجزيرة (سنثورين) وجزيرة (سيتيرا) المعروفة الآن بجزيرة (سيريجو) من الاماكن التجارية والمواطن البحرية العظيمة التى كانت من الامور الضرورية لفلاح الاعمال التجارية والاشغال البحرية العنيفة وحيث كان يوجد على البعد من تلك الاماكن الجزائرية الى جهة الشمال وعلى القرب من سواحل اقليم (طراقة) وهو ولاية الروملى الآن معادن ذهب يتحصل منها حواصل وافرة جدا كان قد انجذب الصيادون فى تلك الاعصار ايضا الى جزيرة (طاشوش) وهى ما يعرف الآن فى لسان ارباب دولة بنى عثمان باسم (ولاية الجزائر) الكائنة على سواحل اقليم الروملى المذكور اعلاه وكانوا قد استولوا على ارض الجزيرة المذكورة وعلموا فيها الاستخراج لتلك المعادن الكثيرة اعمالا جسيمة جدا بقيت اثارها بعد ذلك باكثر من عشرة قرون من الزمن الى العصر الذى كان قد وجد فيه المؤرخ اليونانى المشهور باسم (هيروdot) وقد وصفها بتلك الاحقاب فى كتاب تاريخه الشهير مع غاية الاستغراب والاستعجاب ومن ثم كانت تسافر سفنهم التجارية الى السواحل الغربية من تلك الجزيرة فتشتري من سكان تلك الاقطار ما كانوا يلتقطونه من الذهب المستخرج من العروق الذهبية التى كانوا قد فتحوها بحث التجار الصيادون بين المذكورين لهم فى ذات الصخر من جبل (بنجوس) الكائن فى ما بين اقليى (مقدونيا) و (طراقة) وهو

المعروف الآن بجبل (كاستانياتز) الكائن باقليم (طراقة) المذكور
مطلب — ذكر تجارة الصيداء بين بولاية بجر بنطش او بنتسكان (وهو
 المعروف بالبحر الاسود الآن) — ولم يكن اخر الشطحات التجارية والاسفار الصيداءية
 البحرية في تلك الاقطار ينتهي في تلك الاعصار الى جزيرة (طاشوش) المذكورة فقط بل
 كانت بحارتهم بعد ان يقفوا بتلك الجزيرة يأخذوا منها ما يلزم لهم من الازواد والذخائر اللازمة
 يخرجون منها ويسافرون الى جهة الشمال فيعملون تجار يد تجارية كانت هي اكثر من ذلك
 ارباحا وفائدة فيعبرون كلامن بوغاز (هيليسبون) وهو بوغاز الدردانييل او بوغاز (شنيق
 قلعة) الآن وبوغاز (اليوسفور) او بوغاز اسلامبول الآن) ويدخلون في بجر (بنطش
 او بنتسكان) وهو المعروف بالبحر الاسود الآن) وكان غيـرهم من الامم الاقل جرأة
 منهم يتوهمون ان ما هو كائن في مدخل بوغاز (البوسفور) هذان الجزائر
 الصحرية من خواصها انها تتبعاء بعد بعضها عن بعض ثم تنطبق على ماير بينهما من السفن
 ويخيلون انها مستحضرة لان تلك كل من تجار على العبور فيما بينها فلم يكن يتجاسر احد
 غيرهم من الامم السالفة على المرور منها واما الصور يون فبواسطة زوارقها التجارية
 وان كانت غير متقنة الصناعة بعد في ذلك العصر كانوا قد تجاسروا على اقتحام اخطار زوابع
 البحر الاحمر وان كانت لم تنزل خطرة في كل زمان حتى على السفن الادورية التي تسافر
 فيه لغاية الآن وكانوا يطوفون على السواحل البحرية الشمالية من بلاد (آسيا الصغرى)
 وان كانت سكانها لا يكرموا الاغراب وليس فيها مأوى مأمون للسفن فيلتقطون وهم
 سائرون كل ماعثر واعليه ويجمعون وهم يارون كل ما وجدوه من اعظم الحواصل
 الاصلية التي تخرج بتلك الاقطار حتى ينتهوا الى سواحل اقليم (كولشيد) (وهي ما يعرف
 الآن بمجموع بلاد (امير بسيا ومنجربليا) وكانوا يجذبون اليها بما يوجد فيها من المعادن
 التي توجد في الاقليم المذكور وهي التي قد تلج اليها في الخرافات اليونانية بما يذكروا في
 حكاياتهم العامة بما معناه (جزيرة الذهب) وذلك ان سفن الصيداء بين كانت ترحل الى
 تلك النواحي فتحمل منها من انفس انواع المعادن الثمينة والجواهر النفيسة ما لا يحصى ولا
 يحصر وهذا هو الذي كان قد جذبهم لاقتحام اخطار تلك الاسفار البعيدة ووجه قلوبهم
 لركوب تلك البحار الخطرة الشديدة وكانوا يجلبون من تلك الاقطار الذهب الذي كان
 (الكولشيديون) يستخرجونه بانفسهم من ذات مياه انهارهم مع ما كانت القوافل تجلبه
 من ذلك ايضا من جبال (اودال) وبلاد (الارميسيين) (وهم قوم كان اليونان
 يتصورونهم بيلا داسيا لهم عين واحدة كائنة في وسط رؤسهم) ويخيلون انهم يحتفظون
 الذهب من الطير الموهوم المسمى بالعنقا على نهر كانوا يدعونه باسم (ارميسبيوس) وكان

الدرس الثام ٣٥٧ في التارخ العالم

الصيداويون يجلبون من تلك الاقطار ايضا القصدير اذ كانوا يحتاجون اليه حاجة ضرورية في اصطناع التوج وهو مخلوط بالمعادن الثلاثة وهي النحاس والتوتياء والقصدير وكان القوم (الايبيريون والالبانيون) يستخرجونه من جبال (قوفازة) في تلك الاعصار ويجلبون منها ايضا الرصاص والفضة وقد كانوا وجدوا مخلوطين ببعض الجهات من ذلك الفطر ويأتون ايضا منها بالمعادن المصنوعة التي كان القوم المعروفون باسم (الشاليبيين) يعملونها في جبالهم وكانوا قد اشتهروا بها في جميع الاقطار بتلك الاعصار ويجلبون ايضا التوج المتقن الصنعة من اعلى ما يكون والحد يد المصنفي في هيئة قضبان ولا سيما حديد الصلب الذي لم يكن يمكن لامة من الامم غيرهم في ذلك العصر ان يصطنعوه وقد كان تختبره وهؤلاء الذين كانوا اقواما بدويين واعماليا كادون ان يصكوك ونوامتوحشين في فن صناعة المعادن يصطنعونه ويتقنونها منذ اقبان غابرة لا يعلم لها اول من الدهر

وقد كان تجار مدينة صيدا في عين ذلك المعدن يترددون ايضا على سواحل بلاد (الايبير) وهي بلاد الارنوط الجنوبية التابعة لمملكة اليونان الآن) وعلى جنوب بلاد ايطاليا و جزيرة (صقلية) غير ان الظاهر انهم لم يكونوا قد اتخذوا لهم مواطن ثابتة ولما كن تجارية في تلك الجهات متمكنة

مطلب — ذكر تجارة الصيداويين ببلاد افريقية — ولم يكن الصيداويون يقتصرون اكثر متاجرهم البحرية ويقتصرون في اكثرشطحاتهم السفرية على النواحي الشرقية من البحر الابيض المتوسط وبحار بلاد اليونان وبلاد بكتكسان فقط بل كانت الديار المصرية ايضا من اروج الاسواق الاصلية لطائفة التجار الفنية وكان مقدار وافر من تجارتك البلاة البحرية يقيمون بمدن النواحي السفلى من الديار المصرية المبرع عنها في ذلك العصر باسم (الديلة) وفي مدينة (منف او منفيس) وكان لهم فيها خطة مخصوصة (كما قد كان للتجار الاور وباويين فيها في كل زمان) وكانت سفن التجار الصيداويين ومن تبعهم من اهالي المدن التي كانت لها بالتبعية ايضا تسافر على القرب من سواحل بلاد افريقية فيما وراء وادي النيل لغاية البلاة التي كانت تعرف عند قدماء الرومانين باقليم (زوجستان) وهي البلاد التي حدثت على مكانها فيما بعد ذلك من الزمان مدينة (قرطاجه) مدينة تونس الآن) وكان الصيداويون قد اسسوا في تلك الاماكن لداعي تردد هم عليها في ذلك الزمان مدينتين قديمتين لقصد ان تكونا لبضائهم مخازن تجارية تسمى (احداهما) باسم (كبه) (بفتح الكاف في اوله) وكان موقعها على المكان الذي حدثت فيه (قرطاجه) فيما بعد و (الثانية) باسم (هيبيون) ومعنى هذا اللفظ في اللغة الفنية المكان المحاط بالاسوار

مطلب — ذكر سفر الصيداويين في البحر الاحمر — وقد كان اهل

صيد ايضا هم الذين يركبون السفن الحربية التي كانت تنقل الجنود المصرية الى اقاليم بلاد العرب الجنوبية لتدخل اهلها او تمسكهم في طاعة السلطنة القرعونية وقد كانت تلك الاقطار من منذ تلك الاعصار هي محط رحال سائر الحواصل الصناعية والزراعية النفيسة التي تخرج ببلاد الهند من المعادن والجواهر والاشباب الثمينة والاعطار ووسن الفيل وغير ذلك وهذه الوسيلة كانت السفن التجارية الفتيقية تتردد فيما بين الثغور المصرية وتلك الاقطار العربية التي هي كذلك اقطار ذات حظوة طبيعية يخرج بها النبات الطيب الرائحة المعروف بالحصالبان وينبت فيها الآس ومن ثم كان فتح البحر الاحمر واحتكار تجارته في يد الصيداويين بالخصوص هو اعظم المزايا التي كانوا يحتضنون بها في نظير دخولهم تحت طاعة الفراعنة السالفين

مطلب — ذكر اسباب انحطاط دوجة فن البحرية عند الصيداويين —
على نحو وسط القرن الخامس عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام كان قد حصل تغيير احوال عظيم في سائر الاقطار الكائنة في حوض البحر الابيض المتوسط في تلك الاعصار فكانت الاقوام البيلاجيون الذين هم من ابناء يافث (وهم اليونان والهيلينيون) قد احدثوا لهم بحرية صارت في مدة قروية الى حالة هائلة بحيث يخشى منها على السلطنة المصرية وكان الاقوام الليبيون الليثيون (وهم اهل الجبال اللبية المعروفة بجبال برقة الآن) قد اتوا من طريق البحر واستوطنوا على نواحي افريقية الشمالية مع الاقوام الهللاجيين الوافدين من اهل جزائر الارخبيل اليونانية وبلاد اليونان الاصيلة وبلاد ايطالية والفسطاطيين الخارجين من جزيرة (كريد) واهل جزيرة (صقلية) وجزيرة (سردينيا) وعقد جميعهم عقد مخالفة كانت بالاصالة تحالفه بحرية اعنى انهم اجتمعوا بعضهم مع بعض على ان يكونوا على يد واحدة بحيث يتعاونون على السفرة في البحر وصار لهم بذلك مدة قرنين او ثلاثة قرون من الدهر الدرجة العليا واليد القصى على سائر الاقطار الكائنة في الجهة الشرقية من البحر الابيض المتوسط ولا شك ان مثل الحادثة المذكورة لا يمكن بالضرورة ان تتم على تلك البحار مع كون سفن الصيداويين كانت قد تسلطت عليها واختصت باحتكار التجارة فيها دون غيرها لغاية تلك الاعصار بدون ان يحصل لشوكتها البحرية وقوتها التجارية مقدار عظيم جدا من الانهضام والانعكاس وقد كان ذلك هو اصل مبادئ اضمحلال حال تلك المدينة الفتيقية العظيمة واول علامات زوال مهولة تلك الحاضرة الصيدادية الجسيمة وذلك ان الصيداويين قد صار لهم منذ ذلك العصر في مادة السفر والتجارة في البحر اخصام من اجون واقوام يعملون في البحر مثلهم وهم لهم مقارمون ولا شك في انهم كانوا قد توجهوا الى تلك الوجهة اقتداء بهم وانكحلت تلك الحرفة تبعالهم وساروا معهم في طريق كان الصيداويون من قبلهم قد ساروا فيها

الدرس الثام ٣٥٩ في التاريخ العام

وحدهم ولم يكن الاقوام الملاحون المستجدون هم اخصام اضراحين للبحارة الصيد اويس فقط بل كانوا هم اعداءهم الطبيعيين حيث كمن هؤلاء الاقوام العالمون في البحر معهم لايمكنهم ان يقتصر واعلى ان يرازجهم في وادعما بشهم فقط بل لزمهم بالضرورة ان يكونوا معهم في حرب مستمرة على الدوام ويجهتدوا كل الاجتهاد في ان يسدوا عليهم من البحر سائر الطرق التي كانوا يترددون عليها بمفردهم قبل ذلك العصر ومن ثم كانت قد دنت صناعة الصيال البحرية سائر بحار بلاد اليونان وصار السفر فيها غير مضمون الامان وسقطت سائر الاماكن البحرية والمواطن التجارية واحدة بعد واحدة بقوة وصوله سكان الجزائر اليونانية البلديين وتعدى السفن القرصان على الاماكن التجارية الصغيرة التي كانت للصيد اويس فيها من الاقوام البيلاجيين وامام سكان للصيد اويس في تلك الاقطار من العماثر التجارية والنزائل البحرية الكبيرة كالتي كانت لهم بالنواحي المسماة باسم (طبره) و (ميلوس) و (طاشوش) فانها الداعي عظمتها ولكنها كانت بتدبير لها ان تدفع عن نفسها وصوله الاقوام الصائلين قد امكنها ان تبقى على حالها دون غير هامة مديدة من الزمان

مطلب — ذكر غارة الاسرائيليين على بلاد فلسطين — وبعده هذه الحادثة بقليل كانت قد حدثت حادثة أخرى من تلك الحوادث الزمنية الكبيرة التي توقع الامم بعضهم على بعض وتوجب مهاجرتهم من ارض الى ارض فاخرجت الكنعانيين الفلاحين المتوطنين في بلاد فلسطين من ديارهم وغيرت الاحوال السياسية من تلك الابدان الكلية وهي حادثة غارة بني اسرائيل على تلك الارض تحت قيادة النبي يوشع عليه السلام ولم تكن تلك الغارة قد توجهت على ذات الصيد اويس بطريق المباشرة فان يوشع عليه السلام يظهر انه كان قد حرص على ان لا يتخاصم اهل صيدا بالخصوص بل كان قد وقف بجنبه من بني اسرائيل الذين كان قد استصحبهم لتباعة عصابة الملوك المتعصبين عليهم مع الملك (هاصور) عند حدود بلادهم كما هو في النورا مذكور ولكنهم مع ذلك كان قد لقبهم بالضرورة شؤون عواقب الحادثة المذكورة وبيان ذلك انه كان قد ترب على غارة بني اسرائيل ببلاد فلسطين في ذلك العصر ان انقرضت دولة الكنعانيين في احدى وثلاثين اماره صغيرة كانت موجودة لهم في ذلك القطر واضطر سائر اهلها للهجرة من اوطانهم وانتقلوا الى جهة السواحل البحرية امام غارة بني اسرائيل عليهم ولم يكن لهم ملجأ يؤولون اليه ولا حى يستندون عليه في فرارهم هذا سوى ارض مملكة صيدا المذكورة ولم يكونوا يجنون فيها ما يكفي مؤتمهم الضرورية ولذلك اضطر والانتقال منهم الى بلاد أخرى يجنون فيها ما يلزم لراحتهم وسعادتهم بواسطة الاشتغال بزراعة الارض فيها ولقد كان ذلك هو الباعث على ان الفنيين كانوا قد اضطرر وبضرورة مقتضيات الاحوال المراهنة وبواعث الضرورية المتساطنة على ان

الدرس التام ٣٦٠ في التاريخ العام

احدثوا لهم ما يطلق عليه على وجه الحقيقة لاجاز لفظ التزائل الحقيقية اعني تلك التوطنات الفلاحية بمعنى انهم كانوا قد انتقلوا الى بعض بلاد اجنبية واستولوا على سائر ارضها واجلوا منها اهلهما البلديين واشتغلوا بزراعتها بل لا عنهم في كل مكان حوافره وذلك بخلاف التزلات التجارية التي قد كان من عوايد الفنيقيين ان يجدوها على سواحل البحر

مطلب — ذكر نزلة الفنيقيين في ذلك الزمان بناحية (طيبة) من بلاد اليونان وقد كان اول نزلاتهم الحقيقية في ذلك الزمان بناحية (طيبة) باقليم (بيوتيا) من بلاد اليونان فقد ذكر في الخرافات اليونانية على حسب ما يحكى في القصاص العامة الهيلينية ان اول مؤسس لتلك البلدة هو بطل كان يدعى باسم (قدموس) واصل مدلول هذا اللفظ في اللغة السامية القديمة بمعنى (المشرقي) ولم يزل يتصور فيه باذهان اهالي بلاد اليونان على الدوام والاستمرار لغاية الان مسورة اصل الملاحاة البحرية التي كانت للقوم الفنيقيين في عصر الصيدوايين قالوا وقد كان هذا الرجل لم يخرج في اول الامر عند نزوله مع اصحابه من الفنيقيين على البر من بلاد اليونان بل كان قد تلقاه سكان تلك البلدان بغاية العداوة والشنان وكانوا قوماعديدين واهصاما لا آجما هدين فحصل له في سفره هذا مشقات عديدة ولقي اخطارا شديدة ثم انتهى امره بان مهداها واطفأ نارها وارقدتها واستولى على تلك الناحية ونزل فيها واستعمرها

مطلب — ذكر التزلات الفنية ببلاد افريقية — وقد كانت التزلة الفنية الثانية اكثر عددا واعظم قوة ومددا وكان حالها بخلاف ما ذكرناه بشأن التزلة اليونانية المذكورة سالفا وكان نزولها بارض افريقية ودليل ذلك ان اهالي الاقليم المعروفين عند السلف باقليم (البيزاسين) و(الزو جيمان) وهما القطران اللذان كانت يتركب منهما في سالف الازمان ما يعرف باسم (افريقية) الحقيقية وهي الارض التي تأسست فيها فيما بعد مدينة (قرطاجة) المشهورة وهي التي في مكانها ولاية تونس الان لم يزلوا يعجبون بانهم من ذراري السكنة اعانيين الذين كانوا قد نزولوا ببلاد فلسطين الجنوبية ثم هاجروا من تلك الديار وانتقلوا الى بلاد افريقية بضرورة غارة بني اسرائيل عليهم في سالف تلك الاعصار ولم يتيسر لاهل التاريخ العثور على سند قوي يعارضون به قوة اعتمادية هذه الرواية الالهية قال المؤرخ قراسيس لونورمان السالف الذكر والبيان اعلاه مامعناه وانه ليرجح عندي ان الصيدوايين في الواقع ونفس الامر كانوا قد اضطروا لضرورة اقتضاء الاحوال في ذلك العصر لان نزولوا القوم الفنيقيين المتجشمين اليهم في ذلك القطر حيث كانت قد ضاقت ارض بلادهم الشامية عليهم لاسيما وقد

كانوا هم ذاتهم قد أنشأوا بلاد افريقية هذه من قبل كلاً من مدينتي (هيبيون) و (كبّه) كما أوضحنا ذلك في سالف الذكر (٥١)

مطلب — ذكر الاقوام الليبيين الفنيقيين — وقد كان هؤلاء الاقوام الكنعانيون الفلاحون وهم غير القوم الفنيقيين الذين كانوا منهم كمين في الاكثر على صناعة التجارة والسفر في البحر بذلك العصر قد امتزجوا في تلك البلاد التي كانوا قد نزّلوا بها واستولوا عليها مع بعض قبائل من الليبيين اليافيين كانوا قد وردوا الى ذلك النظم من الاقطار المجاورة لبحيرة (تريتون) وهي البحيرة الكائنة في جنوب افريقية الحقيقية : تعرف الآن ببحيرة (فارون) (بالقاء الموحدة في اوله) او بحيرة (لوده) ومن اختلاط هذين الجنسيتين من الناس تولدت تلك الامة الفلاحية الحربية الكبيرة المعروفة عند السلف باسم (الليبيين الفنيقيين) (يعني اهل جبال برقة المختلطين بالسكانيين) وهم الذين كان منهم معظم القوة الجهادية التي امتازت بها فيما بعد ذلك مدينة (قرطاجنة) الشهيرة وقد كانوا امة مختلطة وملمة بمتزجة من القومين المذكورين غير ان تقاطيع وجوههم كانت اقرب الى الليبيين من الفنيقيين ولكنهم كانوا بطباع الكنعانيين متطبعين والمذهب ديانتهم متبعين وكانوا لغاية العهد الذي كان فيه الخبر النصراني المشهور باسم (سنه توجستان) ولي امر الكنيسة النصرانية بمدينة (هيبيون) هم بغير اللغة الفنيقية لا يتكلمون وكانت تلك الامة قد فحلت ونجحت وارتقت حالها ووصلت على تلك الارض الخصبة التي كانت قد اقامت عليها وتربت فيها الى درجة قوية جدا حتى بلغ من شأنها انها بعد ان خرج منها جوع كثيرة نزّلوا بعدة اقطار من بلاد (اسبانيا) (وهي المعروفة عند العرب بجزيرة الاندلس) والى بعض سواحل بلاد (الموريتانيا) وهي بلاد المغرب الاقصى) مع سواحل غربي بلاد افريقية لغاية رأس (نون) وانشأوا في جميع تلك الاماكن البحرية عدة نزلات استعمارية كان لهم اكثر من ثلاثمائة مدينة عامرة وحاضرة كثيرة الاهل مضرحة على الارض الضيقة التي كان يتركب منها كل من اقليم (البيزاسين والزوجيتان) اللذين كان فيهما ساكنهم لغاية العهد الذي قد كان فيه انعقاد الحضام بين مدينة (رومية) و (قرطاجنة) كما يأتي ذكر ذلك في موضعه فيما بعد ان شاء الله تعالى

مطلب — ذكر غارة الفلاطينيين وخراب مدينة صيدا (سنة ١٢٠٩ م) — وقد اعقب غارة بني اسرائيل على بلاد فلسطين في عهد قريش جد اغارة قوم آخرين يعرفون بالقوم (الفلاطينيين) وهم قوم كانوا قد خرجوا بطريق البحر من جزيرة (كريد) في العصر الذي كان فيه فرعون رمسيس الثالث مستوليا على ديار مصر وكان اول نزولهم على السواحل الشامية حول نواحي (غزة) و (اسدود) و (عسقلان) و (غاطه)

و(الكارون) ولا شك في أنهم كانوا قد هاجروا إليهم أقوام آخرون فيما بعد ذلك من جزيرة (كريد) المذكورة أيضا فكثر بهم عدتهم وعظمت قوتهم ووصولهم في اسرع وقت وانتزروا الفرصة في ذلك الوقت من حادثة انعطاف الدولة المصرية في عهد الملوك الكسالي من ملوك العائلة الملوكية المتبعة للعشرين وبعدهم نحو مائة سنة من ههنا نزولهم على البر كانت قد اشتدت قوتهم وامتدت شوكتهم حتى تعلقت اطعامهم بأن يستولوا على سائر بلاد (سورية) الجنوبية وتجاروا على ان شئنا الفارة على بني اسرائيل واهل صيدامعا حيث ارادوا ان يدخلوا كلاما من القومين المذكورين تحت طاعتهم فاغار واعلجهم في آن واحد ووقعت لهم معهما عدة وقائع حربية كان لهم فيها عليهم اعدة نصرات ظاهرة وبذلك استولوا في اقرب مدة من الزمن على سائر بلاد بني اسرائيل وأذاقوهم اشد الجور والظلم مدة اكثر من نصف قرن وعلى نحو اول العهد الذي كان قد ابتدئ فيه عهد هذا الظلم من القوم الفلسطينيين على بلاد فلسطين اذ بهلبي بعض سنين اعني في سنة ١٢٠٩ قبل ميلاد المسيح عليه السلام بقيت كان قد قام من مدينة (عسقلان) اسطول من سفن القوم الفلسطينيين المذكورين ووقف على حين فجأة امام مدينة (صيدا) واهلها في غلبة آمنون ولم يكونوا قد اخذوا حذرهم من قبل فتحصنوا دون هؤلاء القوم الصائلين فنزلت السفن الفلسطينية على مدينة (صيدا) الفنيقية العظيمة هذه التي كانت هي بنت كنهان البكرية واخذوها بالقوة القهرية واخربوها وازالوها من ظهر الدنيابالكلية وقد كانت هذه الحادثة هي خاتمة هذا العصر الاول من تاريخ بلاد الفنيقية وهو المعبر عنه عند المؤرخين بعصر الصيدايين اي وقت ان كانت مملكة (صيدا) هي من كز قوة الفنيقيين

الفصل الثاني

في تاريخ عصر الصوريين أي وقت ان كانت مدينة صور هي من كز قوة الفنيقيين

مطلب — ذكر مبادئ اخذ مدينة صور في حيازة درجة الاعلوية على سائر المدن الفنيقية (من سنة ١٢٠٩ الى سنة ١١٥٨ ق م) — وقد كانت جوع الاقوام المهاجرين من اهل مدينة (صيدا) قد اجتمعوا في مدينة صور حول هيكل المعبود الاصلي الذي كان لا تقوم الفنيقيين في ذلك العصر وهو المدعو باسم (مبلكار) والتجشوا اليه واحتموا بالحمام من صولة الاقوام الاغراب الصائلين عليهم في ذلك القطر وكانت مدينة صور اغاية ذلك الوقت من المدن ذات الدرجة الثانية في جملة المدن الفنيقية وبواسطة هذه الحادثة تحولت حالها وتغيرت مدتها وارتقت حالتها دفعة واحدة وبلغ مقدار سكانها الى اكثر من اضعاف ما كانوا عليه من قبل وصارت هي الكرسى الاصلى والمركز السياسي.

الدرس الثام ٣٩٣ في التاريخ العام

لسائر المدن الفنية بعد ان كانت لهم هي المركز الديني فقط وخلفت مدينة (صيدا) في كل ما كانت عليه من السعادة والرفاهية ودرجة الاعلوية

وبوقوع حوادث (سنة ١٢٠٩ ق م) هذه حدث في تاريخ بلاد الفنيقية عهد جديد وهو عصر اعلوية السوريين على غيرهم من سائر الفنيقيين وقدمت ذلك العهد مدة خمسة قرون ومن اول العصر المذكور فقط كانت قد تكونت الامة الفنية الحقيقية واما قبل ذلك فلم يكن الفنيقيون الا عبارة عن القوم الصيداويين لاخير و بيان ذلك ان الكنعانيين المهاجرين الى بلاد سورية في سالف الازمان كانوا قد مكثوا مدة مديدة وهم المستولون على اكثر تلك الميلا ان حتى جاء القرن الرابع عشر قبل الميلاد وفي اثنائها هذا القرن وفي القرن الثالث عشر الذي يليه كانوا قد احاط بهم ونزل عليهم من كل جانب جموع من الاعداء استلبوا منهم اكثر اراضيهم واغتصبوا منهم اغلب تلك الاماكن التي كانوا قد استوطنوا فيها واستولوا عليها وانتهى حال تلك المصائب العظيمة والنكبات الجسيمة الى ان اتعظ منها بعض القبائل الكنعانيين انني كانت قد بقيت في شمالي بلاد فلسطين واستيقظوا الى ان فهم وانهم اذ بقوا على حالة تفرق الكمامة وعدم تعاون بعضهم ببعض صاروا غنيمة باردة محقة لاصولة الصائلين واقمة حاضرة مأمونة وثيقة لاكل الاكلين من الاغراب وانهم لاسبيل لحفظ حياتهم الخاصة بهم والبقاء مادة ملتهم واستبدادهم الذاتي لهم غير ان يجتمعوا على قلب رجل واحد و يلتئموا في هيئة جسم متحد بواسطة توثيق روابط سياسية شديدة فيما بينهم ولذلك اتحد بعضهم مع بعض وتعاهدوا على ان يكونوا اواحدة على سائر اعدائهم الاجنبيين ومن ثم حدثت امة الفنيقيين المشهورين في عداد الامم الاقدمين

مطلب — ذكر كيف كانت حادثة المحالفة الفنية — وذلك ان جميع المدن ذات الدرجة الاولى من بلاد الفنيقيين كمدينة (سميره) ومدينة (الجبيل) و (بيروت) و (صيدا) اذ كانت هذه المدينة الاخير قد رجعت للحجارة الثاني بعد الخراب الاول كلها كانت قد اجتمعت وتعاهدت واتممت وتعاهدت على ان تكون كلها في هيئة اجتماعية متحدة مع بقاء كل واحدة منها على حالة الاستقلالية المحلية التامة وهيئة ولاية امورها السابقة الغامة اعني انهم اشترطوا ان تبقى مع ذلك كل مدينة منها تحت ولاية ملوكها السابقين كما كانت عليه قبل ان تدخل في عصبة القوم الفنيقيين المتحالفين وقد كان نوع ولايتهم في كل مدينة منها من قبيل الدولة الملكية المطلقة بقدر محاسن جمعيات شورى عومية تجتمع من اعضاء يؤخذون من اكثر الاله الى ثروة واموالا باستشارة بعض اناس مخصوصين من اعدا طائفة امنا الذين والقضاة ذوي الجاه ونفوذ الكلمة بين الناس وكان هؤلاء المستشارون يمشون في مواكب الاجتماعات العمومية بمساواة ذات الملك وهم الذين يستشيرهم في بعض من يلزم بعثه من

السفراء والنواب الذين ينوبون عن الممالك في مجلس الشورى العمومية بمدينة صور حيث كان فيها مركز الملة الفنية

ومع ذلك فقد كان ملوك سائر المدن الفنية كلهم تحت طاعة ملك (صور) وهو الذي كان له اليد العليا عليهم وكلهم له بالتبعية وكان هو الرئيس الفريد والمولى الحقيقي الوحيد على سائر الملة الفنية ولذلك كان دون غيره هو الذي يتلقب بعنوان (ملك الصيدوين) وكان بمثابة تقليد لهذه الوظيفة الولائية العليا واتصافه بهذه الصفة السياسية القصوى هو الذي يأمر ويأمر ويمن ويمن في سائر الامور المتعلقة بصالح الفنيقيين العامة ويقطع في كل ما يتعلق بواجباتهم وزرائهم الاستعمارية الكثيرة في جميع الاقطار الدنيوية ويعقد العهدهات مع الملل الاجنبية ويتصرف في سائر القوى البحرية والعسكرية التي كانت موجودة لامة الفنية في تلك الحقبة العصرية وغاية ما هنالك انه كان يستشير في ذلك مجلس شورى نواب سائر المدن الاخرى فقط

مطلب — ذكرنا ان للفنيين من التزائل الاستعمارية والقبائل المتوطنة ببلاد افريقية وجزيرة صقلية وبلاد اسبانية (من سنة ١١٥٨ الى سنة ١٥٥١ ق م) — يلزم ان تكون حادثة اجتماع سائر المدن الكنعانية المتنوعة في هيئة ذات اجتماعية اهلية واحدة وصورة ملية متحدة تحت عموم ولاية ملك (صور) قد وقعت في ظرف مدة الخمسين سنة التي اعقبت حادثة خراب مدينة (صيدا) وان كانت تلك المدة من تاريخ الفنيقيين لم يتكلم عليهم اقدم مؤرخي السلف من اليونان والرومان وغيرهم من الامم الاقدمين المتبعة اقوالهم في المدارس الاوروبية ولا وجد شيء بعد مطلقا من الآثار المشرقية القديمة يدل على شيء من احوالها البنية والدليل على ذلك هو ما نراه في الواقع ونفس الامر من انه في وسط القرن الثاني عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام كانت قد حدثت حالة جديدة في مادة ترتيب هيئة الفنيقيين الاجتماعية وعادت الاخبار توجد عن احوالهم بالثاني في ضمن اخبار الامم السالفين واضحة بان مدينة (صور) الفنية قد صارت من ذلك الحين ثابتة على ارضها الاصلية وعادت بالثاني الى ما كانت قد نشبت به في سالف العصر من الاسفار البحرية الكبيرة بعد ان كان ذلك قد انقطع مسافة فترة من الدهر بسيرة بما كان قد حصل لمدينة (صيدا) من الخراب بغارة الامم الاغراب

ولكن لزم بالضرورة ان تكون الجهة الاصلية التي توجهت اليها هذه الاسفار البحرية الجديدة غير التي كانت تتوجه اليها الاسفار البحرية الفنية القديمة بوقت ان كانت درجة الاعلامية عليهم بيد اهل صيدا في سالف الايام وصار بالنسبة اليهم الامل في استرداد ما كان لهم من الباطنة العظمى دون غيرهم على بحر الارخبيل وبحار بلاد اليونان في سالف الزمان

من قبيل الاحلام والادهام ولذلك فلاجل امداد اسواقهم بالمواد الضرورية وحفظ قوتهم البحرية لزمهم ان يوجهوا انظارهم وينهبوا افكارهم واسفارهم نحو بحار جديدة واقطار بعيدة اخرى يتيسر لهم فيها ان يحصروا في ايديهم حواصلها الزراعية والصناعية بحيث لا يشاركونهم فيها احد من الامم الاخرى ويمكنهم بدون ان يخشوا من مضاجعة غيرهم لهم ولا من بأس صولة القرصان الصائمين عليهم ان يتحصلوا على ما يلزم لهم من المعادن اللازمة لتاجرهم المالية وصنائعهم الاهلية فكانت توجهاتهم في ذلك العصر الجديد الى الجهات المغربية بواسطة سفرفسفنهم على سواحل افريقية حيث كانوا في العصر السالف اعنى عصر الصيد او بين قد سبق لهم انهم انشأوا في تلك النواحي زلنتين تجاريتين وهما كل من مدينتي (هيبرون) و (كمية) وانزلوا فيها الاقوام النازلين منهم بتلك الجهات الذين حدث منهم اصل الامة الليبية الفنية كما اسلفنا ذكر ذلك فيما تقدم

ومن ثم كان الصوريون (في سنة ١١٥٨ ق م) قد اسسوا ايضا بتلك البلدان مدينة عظيمة اخرى على سواحل ولاية (زوجيشان) وهى المدينة المسماة باسم (اوتيكة) وبذلك تيسر للفنيين ان يعملوا بسفنهم تجاريد سفرية جديدة واسفار بحرية بعيدة تتوجه من مين تلك الاقطار المغربية الى اقطار ابعدها اذ صار يمكنهم ان يأخذوا منها ازوادهم وميرتهم وشرعوا من ذلك العصر فى ان يترددوا على سواحل ولايتي (نوميديا) وهى ولاية (قسنطين) وجزع من النواحي المسماة باسم (بيليك تونس) وعلى ولاية (الموريتانيا) وهى ولاية (فاس) من سلطنة (مراكش) مع جزم من بلاد الجزائر المغربية ولم يزلوا يتدانون شيئا فشيئا حتى كشفوا سواحل بلاد (اسبانيا) (المعروفة عند العرب ببلاد الاندلس) وانشأوا فيها المدينة التى كانت تسمى فى ذلك العصر باسم (فاديس) (بامالة الدال المهملة على الياء المثناة من تحت يليها سين مهملة ايضا) ولم تزل تعرف لغاية الآن باسم (فادس) وقد كان تأسيسها من بعد عهد تأسيس مدينة (اوتيكة) السالفة الذكر بمدة يسيرة جدا

مطلب — ذكر استيلاء الفنيقيين على ولاية (بيتيكه) من بلاد اسبانيا — ولم تثن من بعد انشاء مدينة (فادس) المذكورة الامدة قرن واحد من الزمن حتى تيسر للصوريين ان يتمكنوا بصفة الاسياد من غير منازع لهم فى سائر النواحي الاكثر ثروة والاجزاء الاكبر خصوبة وحظوة فى ولاية (بيتيكه) اعنى فى سائر وادى النهر الذى كان يدعى فى ذلك العصر باسم (بيتيس) ومنه سمى ذلك القطر باسم (بيتيكه) وهو الذى صار يعرف منذ الاعصار المتوسطة بلفظ (الوادى الكبير) وهذا القطر هو ما يعرف الآن باقليم (الاندلس) الاصلى الحقيقى مع مملكة (غرناطة) من بلاد اسبانيا وقد كان اهل ذلك

الفطر الاصليين الذين استولى الفنيقيون الصوريون عليهم في ذلك العصر هم القومين الذين كانا يدعيان باسم (التورديتانيير والتورديليين) وكان الصوريون ايضا قد استولوا على سائر طول بلاد القوم المسمين باسم (البستوليين) ونقلوا الى تلك الاقطار في تلك الاعصار كثير من اللبيين الفنيقيين الذين كانوا متوطنين بسواحل افريقية ليعملوا لهم في حراسة الارض فامتزجت تلك الامة بالاهاالي البلديين الاصليين حتى نص العالم الجغرافي اليوناني الشهير باسم (استرابون) في كتاب جغرافيته المشهورة على ان اكثر سكان اقليم (التورديتانية) في عصره كانوا من ذراري السكتانيين وكان سكان السواحل البحرية السكتانية حوالى مدينة (ملقه) و (ابديره) لم يرالوا يدعون في عهد الدولة الرومانية باسم (البستوليين الفنيقيين) او (الليبيين الفنيقيين) وقد عثر في تلك الاماكن على بعض قطع من نوع الاثار القديمة المسمى عنها في اللغة الفرنسية بالفض (ميداليه) وهي لويحات مخددة من المعادن الذهب والفضة او النحاس والتوج او غير ذلك ينقش عليها بعض كتابات تدل على بعض حوادث عظيمة اقصد تخليد ذكرها) فحصل الاستدلال بها حيث وجدت مكتوبة باللغة الفنيقية على انه في ذلك العصر بعينه قد كانت اللغة المذكورة هي التي يتكلم بها في مدينة (قادس) ومدينة (ملقه) ومدينة (سكس) ومدينة (ابديره) من تلك المواطن الاندلسية

مطلب — ذكر جزيرة مالطة — وحيث كانت تجارة الصوريين على سواحل افريقية واسبانيا هي الغرض الاصلي من اسفارهم البحرية بصار لهم من الزم اللوازم الضرورية ان يتخذوا السفنهم فيما بين بلاد الفنيقية وتلك الاقصر البعيدة مكانا من البحر ترسو سفنهم فيه وتأخذوا زوادها وما يلزم لها من الميرة والمؤنات منه وقد كان ذلك بطبيعته يلزم ان يكون هو جزيرة مالطة اذ كانت لداعي ما منحها الله سبحانه وتعالى به من حسن مواقع مينائها الجيية وجمال مواضعها الغريبة هي مفتاح البحر الابيض المتوسط في كل عصر ولذلك كان الصوريون على نحو اواخر القرن الثاني عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام قد استولوا عليها ووعلى الجزيرة المجاورة لها التي كانت تسمى في ذلك العصر باسم (جولوس) وتعرف الآن باسم جزيرة (جوتزو) ثم خلفهم عليها ما بعد ذلك القرطاجيون ودل ذلك ما عثر عليه في اماكن هاتين الجزيرتين ولم يبق محفوظا لغاية عصرنا هذا غير ممر آثارهما كل الفنيقيين

مطلب — ذكر جزيرة صقلية — وقد كان اسلاف اهل جزيرة صقلية

من جملة عصابة الاقوام الليبيين البيلاجيين اى اليونانيين الكبيرة وكانوا يشاركونهم في اسفارهم البحرية وتدخل سفنهم في ضمن تجار يدهم السفيرة التجارية ثم انقطعت علاقتهم الاهاالي بلاد (ليبية) مع جزيرة (صقلية) دفعة واحدة لاسباب لم تزل مجهولة لنا بعد وانتهر الصوريون فرصة ذلك التقاطع فيما بينهم فاستولوا على تجارة جزيرة (صقلية) وانشأوا

الدرس الثام ٣٩٧ في التاريخ العام

من مناقدهم التجارية ماملا سائرسواحل تلافالجزيرة الغنية ولم يكن احد من الامم الاخرين في ذلك العصر يزاجهم عليها اذ كمال اليونان لم يأتوا اليهم الا بعد ذلك بمدة ثلاثة قرون من الزمن

مطلب — ذكر جزيرة سردينيا — واما جزيرة (سردينيا) فقد كانت ارباب السفن الصورية قد وجدوها على طريقهم في اسفارهم البحرية وراوا ان من اعلى اصلح مصلحتهم وانفع منفعة امنية تجارتهم ان يتخذوا فيها مكانا لنزول واخذ الميرة اللازمة لبحارتهم منها ولم يكونوا يستغنون بالضرورة عن ان يجدوا لهم مناقد تجارية على سواحل تلك الجزيرة ايضا اذ كانت اما كنفا في ذلك الزمان اوفى للصحة مما هي عليه الآن وكانت معمورة في ذلك العصر باهل كثيرين يربون مواشى كثيرة من الاغنام كانت اصوافها من انفس اصناف التجارة المتداولة في تلك الايام وكان يوجد في بلادهم ايضا معادن عظيمة من النحاس والرماسص الممتازة بالفضة ولذلك كان الصوريون قد اسسوا فيها مدينة (كارليس) وهي التي هي مكانها الآن المدينة المعروفة باسم (كجيامارى) وانشأوا ايضا على الساحل الغربى من الجزيرة المذكورة امام بلاد (اسبانيا) مدينة كانت تسمى باسم (نوره)

ومامردناهنا في المطالب المذكورة اعلاه من الاماكن التجارية والمواطن البحرية هو مجموع التزائل الاستعمارية التي كان اهل مدينة (صور) قد انشؤوها في اثناء القرن الثانى عشر والحادى عشر قبل الميلاد في سائر الاماكن المهمة من البلاد الساكنة على السواحل الغربية من حوض البحر الابيض المتوسط (بحر سفيد) وكانت قد استحوذت بذلك على درجة شوكه بحرية وقوة تجارية ليست دون ما كانت قد استحوذت عليه من قبلها مدينة (صيدا) من هذا القبيل في سالف الجيل

مطلب — ذكر مخالفة مدينة (صور) مع بنى اسرائيل (في سنة ١٠٥١ ق م) وقد كان نزول القوم البحرين المعروفين باسم (الفلسطينيين) النازلين من اهل جزيرة (كريد) على سواحل الشام في سالف الايام وما حصل لهم من النجاح والغفر على سكان تلك الاقطار في ذلك العصر وتعلقت اطماعهم بان يستحوذوا لانفسهم على سائر النواحي الجنوبية من اقطار بلاد (سورية) قد ترتب عليه تبديل احوال العلائق التي كانت توجد بين بنى اسرائيل والفنيقيين في ذلك الجيل وذلك ان الاسرائيليين في اول مبادى فتحهم لبلاد الشام كانوا اعداء للصيداويين كما كانوا كذلك بالنسبة لسائر الاقوام الكنعانيين ثم لما رأى بنو اسرائيل والفنيقيون ان القوم الفلسطينيين قد شنوا الغارة عليهم دفعة واحدة فظفروا بهم وغلبوهم وصاروا بحيث يخشى عليهم من ان يستولوا عليهم

ويستعبدوهم استعباداً اخلاً وترأى لهم من جهة اخرى ان (الاراميين) على نحو ذلك الوقت كانوا قد اخذوا بجهة شمال (سورية) في ان يستفعل امرهم ويعظم شأنهم اعوزتهم ضرورة الدفع عن انفسهم من عدو واحد على ان يتقارب كل من القومين المذكورين ويتحجب كل من هذين الخصمين الكبيرين وان كانا للغاية ذلك الوقت متعاديين وتمكنت في اذهان الطرفين شدة لزوم عقد محالفة بين الجانبين

ولذلك كان الملك (هرام) ملك صور في ذات السنة التي كان (داود) عليه السلام قد اخذ فيها مدينته (اورشليم) من يد القوم المعروفين باسم (اليوزيين) وجعلها قاعدية المملكة العبرانية (اعني في سنة ١٠٥١ ق م). قد بعث اليه رسالاً من طرفه عقدوا معه عقد محبة بين الملكين المذكورين

مطلب — ذكر العمارات والاعمال النافعة التي انشأها الملك (هرام) الثاني بمدينة صور (من سنة ١٠٣٨ الى سنة ٩٩٤ ق م) — وكان قد صدع الملك (هرام) الثاني ابن (ابي بل) على سرير المملكة الصور بين في سنة ١٠٣٨ ق م) فبادر من اول مبادى مدة عهده بان شرع بمدينته صور في انشاء عمارات عظيمة وابتناء اعمال جسيمة تغيرت بها حالة منظر هذه المدينة بالكيفية في دد عماره في كل معبودهم المسمى باسم (ميلكات) وكان قد انشئ فيها من قبله بالف سنة فهدمها واقامه بالثاني على وجه من الالهة والزينة لانظيره في سائر المباني وردم الخليج الفاصل من البحر بين الجزيرة التي كانت عليها حاضرة حرمتها المعمورة باسم جزيرة (ميلكات) والجزيرة الاخرى التي كانت عليها حاضرة (صور) البحرية الاصلية بحيث صار كل من الجزيرتين المذكورتين جزيرة واحدة وضم اليها ايضا مساحة من قاع البحر تزيد على اصل مساحة مجموع ارض هذه الجزيرة الالهية واجرى ردمها وتجفيفها في الجهة الجنوبية مبنية منها وانشأ فيها محلة مساكن جديدة واحاط مدينته (صور) البحرية هذه من جميع جهاتها بعدان صارت بتلك الاعمال في حالة جديدة بحسور تقبها من امواج البحر وبني عليها سوراً محمداً باقوى الاعمال الاستحكامية وانشأ على سائر محيط الميناء القديمة اربعة عظمية واحداث على الساحل الغربي من تلك الجزيرة ميناء اخرى جديدة تسع من السفن ما يكاد يزيد عن ضعف ما كانت تسعه الميناء القديمة وانشأ ايضا في تلك المدينة الجزيرية قهراً ملوكها عظميا حتى صارت بذلك كله هي مدينة (صور) الحقيقية الاصلية وحازت درجة الاعلوية والاهمية على سائر المدن الفنية في تلك الحقبة العصرية وامامدينته (صور). البرية التي كانت تسمى باسم (پاليتوروس) ومعناه (صور القديمة) فقد كانت اخذت في الانحطاط والتخرب بالكلية

مطلب — ذكر علائق الملك (هرام) الثاني ملك صور مع سليمان عليه السلام

وبينما كان الملك (هرام) ملك صور المذكور مشغلاً بهذه الاعمال النافعة العظيمة اذ توفي (داود) عليه السلام وخلفه على سرير مملكة بني اسرائيل (في سنة ١٠١٩ ق م) ولده سليمان فبادر ملك (صور) المذكور بأن بعث الى القدس الشريف سفارة لقمدهم شئمة ولد حليفه بمحاذنة تقليمه بملك بني اسرائيل وكان داود عليه السلام قد عهد قبل وفاته الى ولده سليمان ان يبني هيكل بيت المقدس لعبادة الله الواحد الاقدس فطلب من الملك (هرام) ان يعينه على تحصيل هذا المرام ولداعى ان ملك صور المذكور ركن ملتجئاً باعمال العمارات التي كان مشغلاً بها في بلاده لم يمكنه ان يسعف سليمان على الفور بما كان قد طلبه منه ولزم ان لا يشرع في عمارة بيت المقدس الا (في سنة ١٠١٨ ق م) قال الماورخ فرانسيس لوفورمان المروى عنه اعلاه مامعناه وقد قصصنا قصة عمارة القدس الشريف في كتابنا (تاريخ القوم اليهود) فن اراد ان يطلع عليها فليراجعه (هـ) ثم قال الماورخ المذكور بعد ذلك ما هو بعدمستطور

ومن بعد ذلك بمدة يسيرة كان الملك (هرام) الثاني وسليمان عليه السلام قد اتحدا وتعهدا على ان يعمل بصاريف مشتركة من طرفهما الاعمال اللازمة للشرع في الاسفار البحرية فيما (اوفير) على البحر الاحمر

وقد ذكرنا قصة تلك المحاذنة ايضا فيما سلف فلاحاجة الرجوع اليها كما لاحاجة ايضا للعود على قصة عمارة بيت المقدس وانما ينبغي لنا أن ننص هنا على ان من الحوادث التاريخية الثابتة والوقائع الدهرية المقررة انه من مدة مديدة واعصار قديمة عديدة قد كانت بضائع الهند النفيسة من اعظم المواد الجارية عليهم امدار تجارة الفنيين وكانوا يجلبون اكثرها الى مراكز بلادهم ثم ينشرونها من البر بواسطة قوافل تجارية تسافر الى الديار المصرية والى بلاد وادي الفرات ومن طريق البحر الى سائر سواحل البحر الابيض المتوسط ولذلك كان جم غفير وقوم كثير من التجار الفنيين من متوطنين بنواحي بلاد جزيرة العرب الجنوبية حيث كان يأتي اليها من الاقطار الهندية بعض سفن حليظة الانشاء والعمارة من صناعة اهل الهند كانت تدفعها الريح الهندية الدورية المعروفة في اصطلاح ارباب السفر في البحر باسم (الموسون) فتأتي اليها مشحونة بحواصل تلك الاقطار فيأخذها منهم التجار الفنيقيون وينقلونها في العادة الى بلادهم الاصلية بواسطة قوافل تسافر في انشاء بحاري بلاد العرب الوسطانية فلما شرع كل من الملك

الدرس الثام ٣٧٠ في التاريخ العام

(هـرام) الثاني ملك صور وسليمان عليهما السلام في انشاء اسطول بحري عينا (اوفر) المذكورة كان ذلك اصل منشأ عمل الاسفار البحرية المستقيمة من مين آخر الخليج العربي (البحر الاحمر) الى سواحل بلاد الهند وكان قائم لهم الحصول على هذا المرام كل التمام غير انه لم يستمر الا لغاية وفاة سليمان بن داود عليهما السلام فقط

مطلب — ذكر من خلف الملك (هـرام) الثاني على مملكة (صور) من الملوك الفنيقيين (من سنة ٩٩٤ الى سنة ٨٧٦ ق م) — ذكر مؤرخ اليهود المشهور باسم (يوسف) قائم الملك الذين تقلدوا بمملكة (صور) من بعد (هـرام) الثاني المذكورة قرن ونصف من الدهر وبقيت محفوظة لنا لغاية هذا العصر واكثرهم لافائدة في ذكره بالنسبة لعلم التاريخ ولذلك نقتصر منهم على ذكر الملك المسمى باسم (ايتبعيل) حيث ذكر في نصوص النوراة انه هو ابو المرأة المشهورة باسم (هازابيل) التي كان قد تزوج بها ملك بني اسرائيل المسمى باسم (احوب) وكان قد صار له تأثير كبير على عقل صهره هذا وترتب على ذلك ما ترتب من اسوأ العواقب لمملكة بني اسرائيل حيث شأت فيهم بديسة هذه المرأة القبيحة ديانة عبادة الاصنام الصريحة وقد كان الملك (ايتبعيل) هذا هو اول عائلة ملوكية حادثة كانت قد اسست على سرير المملكة بمدينة (صور) بعد فتن سياسية شديدة ومحن أهلية امتدت ما من الزمان مديدة

مطلب — ذكر ملك صور المشهور باسم (بيجامليون) واخته المسماة باسم (الباسار) المسماة ايضا باسم (ديدون) (من سنة ٨٧٦ الى سنة ٨٦٩ ق م) — وقد كانت مبادئ عهد الملك الرابع من ملوك هذه العائلة الملوكية الجديدة قد اشتهرت بحادثة فتنه شديدة ترتب عليها ان حدثت على سواحل افريقية فيما بعد ذلك العهد مدينة (قرطاجة) الشهيرة التي صارت هي قرية مدينة (رومية) الكبيرة وتفصيل ذلك ان ملك صور المسمى باسم (ماتان) كان قد توفي وقد خلف ولدين (احدهما) ذكر يبلغ من العمر احدى عشرة سنة يدعى باسم (بيجامليون) و(الثاني) انثى كانت اكبر منه سنا ببعض سنوات سمى باسم (الباسار) وكان ابوها قد عهد اليهما بان يجلسا على سرير المملكة بطريق الشراكة وكان عوام الرعية يرغبون في تغيير صورة ولاية الاس الغنيقية من هيئة الحكومة الملوكية السيادية الى الاعيانبة بمعنى كون ولاية الامور من الطبقة العليا من الاهالي التي كانت عليها لغاية ذلك العهد ويبدلون لها الى هيئة دولة أهلية فاماروا فتنه داخلية ولوا على سرير المملكة الصورية (بيجامليون) بن (ماتان) وحده دون اخته (الباسار) واتخذوا له مجلس شورى من ارباب المناصب الدولية المساعدين

على هيئة الدولة الاهلية وبذلك اخرجوا عن حق المملكة اخته (الياسار) المذكورة
فما كان منها الا انها تزوجت برئيس طائفة خدمت ديانة معبودهم المسمى باسم (ميلكارت)
واسمه (زيسار بعل) وقد كان من اصول ترتيب درجاتهم السياسية انه ثاني ذات من ارباب الرتب
السياسية بعد ذات الملك فكان بحسب درجة منصبه هذا هو رئيس اهل العصابة السيادية
وحيث كان الملك (بيجمايون) قد نشأ مربى على الميل للعصابة الاهلية كان بعد تقليده
بقلادة الملك ببعض سنوات قد قتل (زيسار بعل) المذكور اذ كان يرى انه ضارح له
على سرير المملكة فاشتدت في قلب اخته (الياسار) هذه حرارة بغية الانتقام وغية الاخذ
لزوجها من اخيها بالشار ولذلك صارت رأس عصابة اهلية قوية كبيرة تعصبت لقصد
عزل اخيها هذا عن سرير الملك واعادة ما كانت عليه صورة الدولة الصورية من الهيئة
السيادية وسعوا في الحصول على الغرض المذكور فلم ينجح سعيهم بمدينة (صور)
فصمموا على ان يهاجروا من اوطانهم الاصالية ويخرجوا من ديارهم الصورية استنكافا
من ان يبقوا فيها تحت ذل العصابة الاهلية وقاموا جميعا فوجدوا في ميناء تلك المدينة عدة
سفن متجهز قللا فلاحقوا فاستولوا عليها على حين غفلة من اهلها وركبوا فيها وكانوا عدة الوف
عديدة وسافروا في البحر تحت قيادة (الياسار) السالفة الذكر ليبحثوا لهم عن
مكان آخر يحدثون فيه مدينة (صور) اخرى في بعض الاقطار حتى نزلوا بسواحل
افريقية واختطوا فيها مدينة (قرطاج) الشهيرة ولما عرفت واقعة هذه المهاجرة اشتهرت
(الياسار) المذكورة باسم (ديدون) ومعها في الغة الفينيقية (الهاربة) وكان
وقوع هذه الحادثة التاريخية الكبيرة في سنة (٨٦٩) قبل ميلاد المسيح عليه السلام
وهي السنة السابعة من عهد تقييد الملك (بيجمايون) بمملكة الصوريين

مطلب — ذكر كيفية تأسيس مدينة (قرطاج) (في سنة ٨٦٩ ق م)

— وقد كان اتجاه سفر هؤلاء القوم المهاجرين من الصوريين نحو سواحل افريقية حيث
كان لاوطانهم الاصالية في تلك الاقطار من سالف الاعصار من قبل مواطن تجارية
ومنازل بحرية قد كانت لم تزل تزداد وكنوا يرون انهم اذا نزلوا بتلك البلاد لا يجدون من
ابناء اوطانهم الاصاليين واخوانهم الفينيقية سالفهم من لا بد وان يكون فيه الاستعداد
لقبولهم فيها والاعانة على نزولهم ها هنا ولذلك نزلوا من اقليم (زيفينيان) على المكان
الذي كان تدرج عليه من قبلهم بعض قرى زنبية سالفة اخوانهم الهيدايون وكانوا
قد اختطو فيها مدينة (كبه) وكانت في ذلك العصر قد اخذت في الانحطاط التام وكانت
تلك البلاد نوقت ان نزل عليها الصوريون المهاجرون اليها يلهاملك للقوم الليبيين يقال
له (بابون) فجأت (ديدون) واشترت منه قطعة ارض لتبزل فيها انزلتهم هذه الماركة

من القوم الصور بين الفارين معها او ختطت فيها مدينة سميت باسم (قرطاجة) وهو لفظ مأخوذ من اللغة الفينيقية من كباتر كيبا واصفيا معناه في الاصل (المدينة الجديدة) ثم حرفه اليونان بلفظ (قارشيدون) وجاء الرومانيون ايضا فحرفوه الى لفظ (قرطاجة)

مطلب — ذكر استيلاء الملوك الاسوريين على بلاد الفينيقيين (من القرن التاسع لغاية القرن السابع ق م) — ومن بعد مهاجرة (الياسار) على الفور اعني في ذات مدة عهد الملك (بجماليون) كانت مدينة (صور) وسائر المدن الفينيقية الاخرى قد اضطرت للدخول تحت سيادة ملوك بلاد الاسورية اذ كانت دولتهم في ذلك العصر قد استنفجت كل الاستفعال مع غاية السرعة والاستجمال وشوكتهم قد استعكمت وبلغت الى غاية أوج السكال وكان بعض ملوكهم السالفين من قبل هذا العصر قد اغاروا على بلاد الفينيقية مرتين (احدهما) من ملكهم المشهور باسم (تجلتاسم) في القرن الثاني عشر و (الثانية) من ملكهم المسمى باسم (آسورنازيربال) في القرن العاشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام غير ان الاسوريين في تلك الاعصار كانوا قد ظهروا ببلاد الفينيقية ظهورا قصيرا فلم تطل مدتهم ولم تستقر في تلك البلاد دولتهم حتى جاءت مدة تملك الملك (بيلوخوس) الثالث ومن ابتداء ذلك العهد لغاية زوال المملكة النينوية كانت وطأة الدولة الاسورية قد ثقلت على الدوام والاستمرار على اعناق اهل تلك الاقطار

ومع ذلك فقد كان الفينيقيون قد هموا على عدة مرات ان يلقوا عر اعماقهم كرب الصاعه للدولة الاسورية اذ كان ذلك اثقل عليهم من بذل الطاعة لسيادة الدولة المصرية بكثير جدا وكان البطل الذي قام بتدبير هذه المقاومات الاهلية في النصف الاخير من القرن الثامن قبل ميلاد المسيح عليه السلام هو رجل من الملوك الصوريين يقال له (ايلولي) مكث مدة ثلاثين سنة وهو يقاتل الاسوريين مع غاية المواظبة التي لم يقطعها قاطع ولم يمنعه ما نفع فسكان قد جاءه الا الملك (سرجون) واقام على حصار مدينة (صور) مدة خمس سنين (من سنة ٧٢٠ الى سنة ٧١٥ ق م) فلم يزل الملك (ايلولي) هذا يدفع هجوم الاسوريين عن مدينته بطول تلك المدة مع الشجاعة وحسن التدبير حتى خاب امل الملك (سرجون) ولم يظفر برأده من الاستيلاء على تلك المدينة البحرية غير انه في مدة الحصار المذكور كان اليونان قد انتهزوا الفرصة من تلك الحادثة واخرجوا سائر الزلات الاستعمارية التي كانت للصوريين بجزيرة (طاشوش) وجزيرة (كريد) واكثر الاماكن التجارية الصورية التي كانت عامر بجزيرة (صقلية) ثم جاءه الملك (سنهاريب) بعد ذلك بمدة من الزمن فظفر به وغابه وعزله عن سرير المملكة

الصورية واستولى هو على مدينة (مود) الكائنة في وسط امواج البحر وقد كان ذلك في مبادئ الغزوة الحربية الكبيرة التي كان قد شرع فيها القتال (حزقيا) ملك بني اسرائيل (في سنة ٧٠٠ ق م) وكان هذا الملك الفاتح الاسورى قد جرد مدينة (صور) التي هي كعبة الصم المعروف باسم (مبله كادت) في هذه الغزوة جزاء لها وتنكيلا بها مما كان قد تقرر لها من درجة الاعلوية السياسية على سائر المدن الفينيقية منذ خمسة قرون زمنية وامام ملك الاسوريين المسمى باسم (اسورادون) فكان قد شن الغارة ايضا على مدينة (صيدا) اذ كانت قد خرجت ايضا عن طاعة الدولة الاسورية فادفع بها كما وقع بمدينة صور واخذها عنوة وعاملها بغاية الجبر والقسوة

مطلب — ذكر تخريب بختنصر لمدينة صور (من سنة ٥٨٩ الى سنة ٥٧٤ ق م) — ولما كان في عيون مصر المعروف باسم (نيخاوس) قد انتهر فرصة اخذ الدولة الاسورية في الزوال فاستولى مؤقتا على بلاد (سورية) كانت سائر المدن الفينيقية قد تلقت الجنود المصرية مع غاية الفرح والمسرورة اذ كان قد تراءى لهم انهم لهم منقذون من اسر القوم الاسوريين فلما جاء (بختنصر) ناشهور فهزم ملك مصر المذكور على نهر الفرات (في سنة ٦٠٦) كما اسلفنا ذكر ذلك في موضعه من هذا الكتاب كانت قد سقطت جميع هذا الامصار في قبضة ذلك الملك الجبار وكانت مدينة (صور) واحدة في ذلك العصر قد انضمت الى الاعلوية على سائر المدن الفينيقية غيرها كانت لم تنزل في اقوالهم وبعيد جدا عن دوله وكما لم يرب لها مدد حشمه متسعة في غربي البحر الابيض المتوسط وتجارة بحرية جسيمة تجمع من انواع الغنى والثروة ماله صورة عظيمة

ثم (في سنة ٥٩٠ ق م) كانت مدينة (صور) قد حثها فرعون مصر المسمى باسم (اپرييس) على القيام على (بختنصر) كما حدث كذلك الملك (صدقيا) ملك يهوذا على الخروج عن طاعة الدولة المصرية فصلى كل منهم اعليه وخرجوا عن طاعته في آن واحد فلما كان من بختنصر الا انه بعد السنة التي كان قد اخرب فيها بيت المقدس (سنة ٥٨٧ ق م) التفث الى تلك الحاضرة الفينيقية العظيمة وجاء اليها ونصب الحصار عليها فكانت عواقب تلك الثورة على القوم الفينقيين مشؤمة واي مشؤمة وذلك ان بختنصر ظادروا المدينة (صور) البرية المسمى باسم (بالياتير) اي صور القديمة واخذها اخذ عزيز مقتدر واخرها بالكلية وامام مدينة (صور) البحرية فكانت قد قاومت مدة ثلاث عشرة سنة وابتدت في الدفع عن نفسها منه اعجاب المدافعات واغرب المعجزات ثم انتهى امرها بان اخذها بالقوة القهرية واباحها للاستلاب لمومه العسكرية

وأخرب بقضها وابقى على بعض (فى سنة ٥٧٤ ق م) واصحابا من جنوده
بمصاب شديدة ونواب عديدة بحيث صارت تلك الحاضرة الفينيقية ذات الالفه
والكبرياء العنيدة من سوء الحال والجهد الى درجة انحطاط لم تقم منها بعد وصارت
من العيش النكد انما تبنت كاي بنت جميل السيل فى اسفل الوادى لا غير اعنى انها
لم يتيسر لها بعد ذلك العهد ان تعود لما كانت عليه من اصلاح شأن مادة بحرها بالثانى
ولان تسترجع ما كانت قد اشتهرت به من سعة تجارتها ولا ان تعين ما كان لها من الغرائل
الاستعمارية والاماكن الزراعية والتجارية بنواحي (اسبانيا) وجزيرة (سردينيا)
وسواحل افريقية وكانت مدينة (قرطاجه) الشهيرة قد خلفت اعلماء واورثتها عنها
مطلب — ذكر حال بلاد الفينيقية فى عهد التحاقها بالتبعية للدولة السكلاانية
والدولة الفارسية — وقد كانت صارت بلاد الفينيقية منذ ذلك العصر ميدانا للحرب
بين فرعون مصر (اپريس) وبخت نصر ملك الاسوريين واصاب مدينة (صور) من
ذلك اتلافات جسيمة جدا (فى سنة ٥٧٣ ق م) وبقيت تحت يد الدولة العراقية
بمدة اقامة دولتهم الثانية حتى جاء ملك فارس المشهور باسم (كيرش اوقبروس) فازالها
واستولى على سائر الاقطار التى كانت تحت ولايتها فاذعنّت بلاد الفينيقية كاهل السيادة الملك
الفارسي المذكور بعد اخذ ملابنة (بابل) من دون أدنى مقاومة ولا مدافعة عن نفسها
ومن ذلك الوقت صارت بلاد افريقية ولاية ملحقة بالدولة الدارسية قل المؤرخ فرانسيس
لونورمان المذكور فى آخر هذا الفصل من تاريخه الكبير المشهور ما تعريبه بتمامه هكذا
ولما اخذ الملك (كيرش) مدينة (بابل) كانت جميع المدن الفينيقية قد انزلت من
تحت طاعة الدولة السكلاانية الى طاعة الدولة الفارسية واذعنّت للدولة الفاتحة الجديدة
بدون ان يحصل منها أدنى اهتمام بمقاومة ولا مدافعة عن نفسها بالكلية واطهر القوم الفينيقيون
للقوم الغالبين تمام الطاعة والامتثال وبذلوا لهم مثل ما كانوا يبذلونه للدولة القديمة من مرتب
الاموال وصاروا بدون اليهم ايضا ما يلزم لهم من السفن اللازمة لغزواتهم الحربية جميعا كانوا
يرغبون ويعطونهم من ذلك ما كانوا يطلبون كما فى غزوة الملك (قبيزش) لدار مصر غير ان
الملك الفارسي المذكور لمبارادان يشن الغارة ايضا فى ذلك العصر على مدينة (قرطاجه)
امتنت السفن الفينيقية من التوجه اليها رابت ارتسى فى استعباد اخوانهم القرطاجيين
اذ كان اصلهم من ابناء او طائفتهم الاصليين كما اسلفنا ذكر ذلك فيما تقدم ولذلك بقيت
مدته (قرطاجه) بحالة الحرية من اسير الدولة الفارسية (هـ)

الفصل الثالث

في ذكر درجة تمدن الفنيقيين واخلاتهم وعوايدهم وما كان لهم من التأثير على احوال الامم المتقدمة

مطلب — ذكر تجارة الفنيقيين البحرية — قد فهم مما اسلفناه في ضمن الفصلين السابقين من مختصر تاريخ الفنيقيين ان صناعة التجارة على وجه العموم ولا سيما التجارة البحرية قد كانت هي الشغل الشاغل الاصلي والعمل الغالب الاولى على القوم الفنيقيين و يصح ان يقال ان توارى بهم الاهلية اذا صرنا النظر عما يوجد فيهم من بعض حوادث عارضية حربية وقعت منهم في بعض الاحيان لقصد الدفع عن اراضيهم الخصوصية قد كانت كلها في الحقيقة في سائر طول اعصارهم التاريخية عبارة عن سيرة دارجة متسعة جدا لا غير وقد كانت هذه الوظيفة هي التي تدعوهم اليها طبيعة وضع بلادهم الاصلية وتقتضيها ضرورة احوالهم السكنية وبيان ذلك انما كهم كانت على نهاية الارض القارة من بلاد آسية على سواحل بحر ملخ عظيم يصل بطريق المباشرة بينا وبين القارة الافريقية والاوروبية فلزم بالضرورة ان تكون بلاد الفنيقية بحسب حسن مواقعها هذا السعيد هي مركز التجارة بين بلاد المشرق والمغرب ولذلك لم يكن التواصل بين بلاد آسية واوروبية وافريقية من اول الامر قد حصل بواسطة اساطيلها البحرية دون غيرها من الامم من منذ اعصار طويل من سالف الدهر

ولا يصعب على الاذهان ان تتصور مع غاية الوضوح والبيان حقيقة انواع البضائع الاصلية وكيفية الاعمال التجارية الاولى التي كان عليها مدار تجارة الفنيقيين بطريق البحر في تلك الازمان وذلك ان جميع الامم والاقوام الذين كان الفنيقيون يرحلون للبادلة معهم كانوا من الزوايا بعد اقوام متوحشين وأمم بدويين لا صناعة عندهم ولا تقن لديهم وكانوا على حالة اشبه بما كان عليه سكان بلاد (الاقيا نوسية) (جزائر البحر المحيط) البلديون بوقت ان نزل عليهم اول السياحين الاوروبيين وقد كان الكنعانيون من وجه آخر عندهم من التقدم في الصناعة بقدر ما كان لهم من الحذق والمهارة في التجارة تقريرا وكانوا قد بلغوا في بعض اعمال الصنایع والفنون الى اعلى درجة الكمال فان مصنوعاتهم من المواد المعدنية قد ذكرت في نصوص الآثار المصرية من اول عهد العائلة المالكية المصرية الثامنة عشرة مع غاية الاطراء والبالغ واشتهرت منسوجاتهم في سائر اقطار الدنيا القديمة وكان في ايديهم بالخصوص احتسار بعض الوان صباغية يصطنعونها ويخبرون فيها

لاشار كهم فيها اخدم من الامم الا آخرين كصناعة اللون الاحمر الارجواني وهو صبغة حمراء بنفسجية تذوق من السواد والسمرة الى الوان مختلفة كانوا يتخذونها من باطن نوع من القواقع او الودع المعروف بالحمار وهو نوع من الحيوانات البحرية كانوا يصطادونه من سواحل بلادهم وقد حصل العثور على عدة نموذجات عديدة منه في الآثار الفنية القديمة التي حصل العثور عليها ولم تزل توجد في المتاحف ذات الافرنجية المودودة الآن وكانوا يصطنعون ايضا من اصناف الزجاج ما يضاهاى ما يخرج من معامل انقرازالتي كانت مشهورة بمدينة (البندقية) ببلاد اوروپة في الاعصار المتوسطة بل كان السلف يقولون بان الفنيقيين هم اول من اخترع صناعة الزجاج واذا كان الحال كما توضح اعلاه فقد ظهر ان الفنيقيين لم يكونوا مجرد سماسرة يعملون بالتوسط في الاخذ والعطاء بين الامم المتحدين والاقوام الاخرين الذين كانوا على انواع الصنایع والفنون متمرنين اعنى المصريين والاسوريين فقط بل كانوا كذلك قوما يصطنعون بالديهم بعض الصنایع ويتخلون بانفسهم بعض الحرف والفنون وكان لهم معامل ابتداعية وحواصل صناعية بروجونها في تلك الابواب التجارية التي كانت مفتوحة لهم بواسطة نشاطتهم البحرية وبهذه المثابة كانت تجارتهم كلها عمل بطريق المبادلة فكانوا يسافرون الى بلاد اليونان ثم الى بلاد (اسبانيا) ثم الى بلاد (الغولة) (وهي ما عليه مكان بلاد فرانسة الآن) ثم الى بلاد (ايطاليا) ثم الى بلاد (ليبيا) (وهي بلاد افريقية الغربية) وقد كانت سائر هذه الاقطار في تلك الاعصار كلها بلادا متوحشة وسكانها اقوام بدوية متعشبة لا يحسنون شيئا من الصنایع البشرية ثم بعد ذلك صاروا يسافرون الى الجزائر الابريطانية (وهي جزائر انجلترا) حتى بلغ من شأنهم ايضا انهم كانوا يسافرون مدة حقبة من الدهر فيما بعد الى بلاد الهند ومن سكان جميع تلك الاقطار كانوا يأخذون ما كان يتيسر لهم من كل قطر في ذلك العصر من انواع المعادن واصناف الاخشاب وسائر المواد الاولى الطبيعية التي تخرج من تلك البلدان ويعطونهم بدلا عنهما من حواصل معاملهم الصناعية ونتائج اعمالهم الابتداعية فيبيعون لهم في نظير ذلك من الآلات والادوات المتخذة من المعادن والاشنة وانواع الاواني والامتعة المتخذة من الفخار والزجاج وقد كان سائر سكان تلك الاقطار لداعي مخالطتهم بالفنيقيين قد انتشرت فيهم معرفة تلك الآلات والامتعة المعاشية واحسوا بضرورة لزومها لهم مع كونهم قد كانوا في تلك الاعصار لا يحسنون صناعتها بانفسهم

واما في الاعصار الاقرب عهدا منا فقد كانت حالة تجارة الفنيقيين المذكورة قد تنبهرت

بالضرورة ولا شك في انهم قد كانوا هم الذين هادوا اكثر من كل ملة اخرى على نشر اسباب التمدن المادية في سائر اجزاء حوض البحر المتوسط الابيض (بحر سفيد) وكانت احوال سكان تلك الاقطار قد ترقى بتجارتهم وتقدمت بمعاشرتهم وصاروا بالنسبة لنا كانوا عليه في الاعصار السالفة ائما متحضرين واقواما متمصرين ومع ذلك فقد كانت تجارة الفنيقيين معهم وان كانت منذ ذلك العهد مع اقوام متمدنين لم يتورها فتور بعد بل كانت قد بقيت على ما كانت عليه في سالف العهد من النشاط والاجتهاد وغاية ما هنالك ان كيفية اعمالها وانواع البضائع التي كانت تلمر عليها دأثرة اشتغالها هي التي كانت قد تغيرت فقط وذلك ان امدن الامم المتمدنة بالاقطار المغربية واهل الامصار الاوروية واولهم اليونان انما كانوا يأخذون من بلاد آسيا كل ما كان يلزم لهم من امتعة الزينة والرفاهية بحسب ما صاروا اليه وتعودوا عليه من الاخذ في اسباب الحياة التمدنية والمعيشة الشهوانية وقد كان سكان تلك الاقطار المغربية وان كانوا قد بلغوا من درجات الترقيات العمرانية في تلك الاعصار ايضا الى انهم صاروا يتقنون بعض الصنایع والفنون ويخرج من ايديهم بكمية من ذلك حواصل ما يحسنون لم يزالوا يرغبون ولم يفتأوا يطلبون كثيرا من حواصل فروع الصناعة المشرقية

مطلب — ذكر التجارة الفنية البرية — وقد علم بالضرورة ايضا انه كان قد انضم لتجارة الفنيقيين البحرية المتسعة تجارة برية بطريق القوافل السفرية لم تكن دونها في الامتداد والسعة فقد كان لهم عدة طرق تجارية عظيمة وجملة خطوط سفيرية قديمة على البر ايضا تسافر فيها التجار الفنيقيون ويخترون بها قارة اورو في سالف تلك الحقبة قياتون منها بحواصل صناعية نفيسة تخرج ببعض اقطار شاسعة لم يكن يتيسر لهم ان يصلوا اليها بواسطة اسفارهم البحرية وكان اعظم تلك الطرق هو الذي كانوا يسافرون فيه في خلال بلاد (الغولة) وهي بلاد فرانسة الآن) فيجلبون الى مصاب نهر (الرون) بنواحي البحر الابيض المتوسط ما يخرج باقليم (كرنولية) (بيلا داجلخرة) من القصدير قبل ان يظهر القرطاجيون ويسافروا في البحر سفر مستمرا الى حد الجزائر الابريطانية بمدة مديدة جدا وكان التجار الفنيقيون ايضا يجلبون العنبر الاصفر وهو الكهر باوال الكهرمان من سواحل بحر (بليتقي) (وهو جزء عظيم من البحر المحيط الشمالي) وكان هذا الصنف هو اعظم الاصناف التجارية التي كانوا يجلبونها في اسفارهم البحرية الى الاقطار الآسية ولا يصح عقلا ان يقال بان سفن مدينة (صيد آه) او (صور) كانت في عصر من الاعصار مطلقا تسافر بحرا الى حد بحر (بليتقي) وتتردد على سواحل بلاد (البروسيا) التي هي الموطن الاصلي

للعنبر بل الظاهر انهم كانوا يأتون به بطريق البر ويشحنونه في سفنهم من عند مصاب النهر الذي كان يدعى في ذلك العصر باسم (الايرون) والمدعوا الآن باسم نهر (البو) بيا فارسية مفخمة يليها واوسا كنة في آخره حتى ان اليونان مكثوا مدة مدبرة من الزمن يظنون انهم انما كانوا بالثقة طون العنبر من ذلك النهر وليس الحال كذلك بل كانوا يأتون به من سواحل بحر (بليتيق) المذكور ويسافرون به على البر في قوافل تخترق سائر بلاد (جرمانيا) او (المانيا) ويأتون في عودتهم ببضائع يجلبونها من مصنوعات بلاد آسيا ثم صاروا بعد ذلك يأتون في عودتهم ببضائع من صناعة بلاد (الايترورية) (وهي ما يعرف ببلاد لتوسكاته من بلاد ايطاليا الآن) ويرجعون من ذات الطريق التي جاؤا منها فينتشرون في سائر بلاد (المانيا) و (اسكنديناوه) ببلاد اوروبا وكان قد حصل تحت الطهم مع اهالي تلك الاقطار البلديين تأشير عظيم على اول ما كانوا قد تشبهوا به من الاخذ في مبادئ الصنایع والفنون بتلك الاحقاب الخالفة

وقد كانت اسفار التجار الفنيقيين البرية كثيرة جدا خصوصا داخل بلاد آسيا حيث كانت قوافلهم ترحل اليها فتأتي منها الى مين الكنعانيين البحرية بالبضائع الطبيعية او الصناعية التي كانت سفنهم تأتي بها من صنایع البلاد المغر بية وتنتشرها بدلا عنها في تلك الاقطار الآسية وكان لسير قوافلهم التجارية هذه في داخل الاقطار الآسية ثلاثة دروب اصلية فكانوا يخترقون (اولا) سحاري بلاد العرب ويذهبون الى بلاد اليمن حيث يجدون هناك السفن الواردة من بلاد الهند ترسو على سواحل تلك الجهات وكانوا يسافرون من طريق آخر ايضا فيذهبون من بلاد (آرام) (وهي بلاد الشام) ويمرون ببلاد الجزيرة الفراتية حتى يصلوا من تلك الطريق الى بلاد الاسورية وبابل ومن ثم يأخذون في مبدء طريق تجارية أخرى تمر بحدلال بلاد الميديه وفارس وبلاد (اريا) حتى يصلوا بطريق البر الى بلاد الهند وكان اقوافلهم طريق ثالث يسافرون منه الى بلاد الارمن ومنها الى اقاليم الكائنة في سفح جبال (قوقازة) فيجلبون منها ما كانت تلك الاقطار مشهورة به من قديم تلك الاعصار من المعادن والمصنوعات المعدنية

مطلب — ذكر ما كانت قد اشتهرت به مدن الفنيقيين من الغنى والثروة وكثرة الاموال — وقد كانت جميع هذه المتاجر المتنوعة باستمرارها في القوم الفنيقيين المذكورين مدة عدة عديدة من القرون برا وبحرا قد تراكم منها في المدن الفنيقية اموال جسيمة وخيرات عظيمة جدا فكانت كثرة تلك الاموال هي السبب الموجب لكون تلك المدن قد سقطت الى اسوأ حال اذ كانت هي التي هيبت اطماع الملوك الاسوريين والكلدانيين اليها

اليها و كانت ايضا هي السبب في ان اهل الى تلك المدن قد غلب عليهم من غاية ارتكاب الرذائل والفواحش ونهاية فساد الاحلاق ما يؤدي دائما الى تطرق يد الغلبة والفتح من الامم الاغراب الى كل امة كانت بهذه الحالة الذميمة ودليل ذلك ما ورد في نصوص التوراة من ان احدا انبيا، بنى اسرائيل المسمى باسم (حزقييل) صاح على الصوريين بما معناه بالعربية هكذا (قد كنتم في لذات جنسة الرب وكانت ملابسكم محلاة بسائر انواع الجواهر والاحجار النفيسة وكان يبرق عايم في جنب الذهب حجر الظفرو والياقوت الاصفر واليشم والزبرجد والجزع والياقوت الازرق والبهرمان (او الياقوت البهري) والزمرد وتضرب بين ايديكم الطبول والمزامير غير انكم قد نستم بكثرة مظالمكم ومظالم تجارتكم ولذلك اردت ان اخرج من بينكم نارا قد اكلتكم واصارتكم الى رماد (انتهى ما نقل من التوراة)

مطلب — ذكر ما كان قد حصل من الفنيقيين في سالف الاعصار من توطيئ النزائل الاستعمارية في كثير من الاقطار — وقد كان الفنيقيون لاجن تسهيل متاجرهم وتأسيسها على اقوى قدم من الثبات والامان ينشئون مناقصير في مستمرة ومعامل تجارية دائمة مستقرة في سائر الاماكن التي اعتادت سفتهم وتجارهم على التردد عليها من قبيل ماهو حاصل في عصرنا هذا على سواحل افريقية وما انبى عليه في اول الامر تأسيس عمارات الاستيطان الاوروپية بالاقطار الهندية وقد ذكرنا من ذلك على ترتيب تواريخ سلسلة النزائل الاستعمارية وجملة المعامل التجارية الاصلية التي كانت متصلة للفنيقيين من غير انقطاع على سائر سواحل البحر الابيض المتوسط (بحر سفيد) لغاية الماسكان المعروف عند السلف باسم (عمودي هر قول) (وهو المعروف الآن ببوعاز جبل طارق) غير انها كان اكثرها عبارة عن مناقص تجارية لانزائل استعمارية حقيقية ولم يعهد لبقى كنعان انهم هموا بانشاء نزائل استعمارية حقيقية اعني اما كن زراعية تشتمل على متسع عظيم من الارض انزلوا فيه سكانا فلا حين لصدح رائحة الارض وكان لهم ولاية الامر عليهم غير دفعتين اثنتين فقط (احداهما) نزلة ولاية (بيوتيا) ببلاد اليونان حيث اختطوا هناك مدينة (طيبة) و (الثانية) نزلة (افريقية) التي كانت قد نشأت منها بتلك الاقطار الامة المعروفة عند الساف بالامة الليبية الفنيقية وفيما عداها تين النزاتير المذكورتين لم تكن سائر النزلات الاستعمارية التي انشأها الفنيقيون في عصر بلوغهم لاعلى درجة من الدلاح والنجاح اعني في الوقت الذي كان يبدؤهم احتكار الماملات التجارية البحرية في سالف تلك الحقب الدهرية دون غيرهم من الامم الاعبارة عن مجرد مناقص تجارية فقط

مطلب — ذكر ما حصل من تأثير التراث الفنيقي على احوال سائر الامم الذين كانت قد تأسست عندهم — وكانت جميع هذه المناقدا التجارية قد نتج عنها تأثير عظيم جدا على احوال البلاد التي كانت قد تأسست فيها وكل منة قدمها صار مركزا لاختطاط حاضرة عظيمة حدثت حوله في تلك الدنيا القديمة وذلك ان اهالى كل بقعة من تلك البقاع البلديين وسكانها الاصليين كانوا في تلك الاعصار اقواما متوحشين وامماديين فكانوا يأتون من كل جانب ويخيمون حول كل مكان فيه عمالة تجارية من العمالات الفنيقية المذكورة ويجذبون اليها بجانبيسة ما يجذبونه عندها من الفوائد المعاشية فيغتربون خصوصا بما يجدونه حولها من اسباب المعيشة الحضرية ولذلك كانت جميع تلك المناقدا التجارية مما اكر ذات حركة ونشاط لانتشار اسباب التمدن المادية وبالضرورة متى اختلطت امة متوحشة مع نشاط الحركة والاستمرار بامة متمدنة فلا تلبث ان تتعود بعوائدها وتتخاق باخلاقها وطبائرها في اقرب وقت خصوصا اذا كان الامم المتوحشون المخاطبون للامم المتمدنين اقواما أولى فهم وفطنة وانسا الامم مستعدين للتقاسم في طريق التمدن والعمران كما كان ذلك هو شأن الامم الاور وباويين في كل زمان وبذلك تحدث في الامة المتوحشة حاجات جديدة وضرورات شديدة تبعثها على ان ترغب وتتطلب مع الشراهة حواصل صناعة الامة المتمدنة التي تجتلبها اليها حيث يظهر لها فيها من دقيق الصنعة وجديد البدعة ما لم يكن يخطر لها على بال من قبل ثم لانتأخر ان يحدث فيها التشوق لأن تقف على اسرار اصطناعها وتعرف طرائق عملها وابتداعها فتجتهد بنفسها في ان تسخر ج المنافع اللازمة من ذات موارد أرضها بدلا عن ان تسلمها لايدي الامم الاغراب فيستفيدون منها وينتفعون بما دونهم

ومن المعلوم ان ديار مصر وبلاد الاسورية قد كانا في ذلك العصر هما أول من كثر نقطة التمدن الحضارة وأول منشأ التقدم في العمارة وقد كان الكنعانيون بالنسبة اليهم في ذلك العصر بمنزلة السفر آء المرسلين والدعاة العاملين فكانت لا توجد بلدة من الاقطار السواحلية من أول جزائر بلاد اليونان الى حد جبل الطارق (ببلاد اسبانيا) في مبادئ تلك الاعصار التي لم يكن يتنفع فيها اتمام الموضوع ما كان حاصلها فيها من حسن تأثير تلك الاسفار البحرية غير انه كان أشير اليها في خرافات اليونان مما يعرف فيها عندهم باسم افار البطل (هرقول) الذي هو المعبود الاهلي والاله الملى لاهالى مدينة (صور) الاوقداقتست أشياء من الوارثة من الفنيقيين وبعثت منهم جزءا من علوم هؤلاء لقوم المتمدنين وبواسطة تأثيرهم عليهم وانه انتشر اعمالهم فيهم كانت بلاد اليونان وايطاليا وبلاد (الغولة) (بلاد فرانس) واسانسا

واسبانيا كل تلك البلاد في مبادئ خروجهما من الحالة التوحشية مختلقة باخلاق الامم
الاسيين ومنعودة بعوايد الملل المشرقيين واقاموا على تلك الحال مدة من السنين حتى جاء
الوقت الذي كان فيه سكان تلك الاقطار الاوروباوية قد احسوا بانهم قد تقدموا في طريق
التمدن والعمران الى درجة عظيمة بحيث يمكنهم بواسطة اقتراح قرائنهم الشخصية
واغتنائهم من لبان تلك التربية الاجنبية ان يتزعموا لقطتها ويخلعوا البستها ويظهروا بمظهر
حالة تمدنيه وكيفية عمرانية يظهر عليهم اطابع هيئة خاصة بهم ولقد صدق من قال في هذا
المقام ولو بلغ ما بلغ قوله من درجة الغلو والايغال وبالغ في المقال بما كان للفنيين على سائر
الامم السالفة من فضل ونظمية التعليم وما كان لهم من الحظ العظيم في ارشاد اقدام نوع
الانسان في اول عصر طفوليته الى طريق التمدن والعمران فانهم هم الذين كانوا اول من نشر
بالخصوص في سائر الاقطار والجهات بدعة الكتابة الهجائية التي هي اعظم الابتداعات
البشرية وانفع الاختراعات الانسانية وكانوا قد بلغوها الى درجة كمال بحيث يصح
ان يقال انهم لها هم المخترعون الحقيقيون وذلك ان جميع انواع حروف الهجاء التي تكتب بها
جميع الامم في سائر اقطار الدنيا بنماها انما هي مأخوذة من الحروف التي كان يكتب بها
الفنيقيون وهي اثنتان وعشرون حرفا اصلية وسائر حروف غيرهم من الامم ترجع اليها
وتبني عليها مع بعض حروف اخرى هي بينها واسطة ولسكنها متولدة عنها بكتابة توليد يمكن
تصورها بطريقة محققة.

وقد كان من الفنيقيين يأخذ من فن المصريين وفن الاسوريين معاقدا كان عبارة عن توفيق
اشكال في الامتين المذكورتين وتطبيق اصول الصناعتين السابقتين وصار له كذلك
تأثير عظيم وعمل جسيم على فن اليونان

مطلب — ذكر ديانة الفنيقيين وما كانوا يعبدونه من الاصنام المعبودين — وقد
كانت ديانة الفنيقيين قريبة جدا من ديانة الاسوريين والبابليين وكانت آلهتهم الاصليون
ومعبوداتهم الاهليون عبارة عن ذاتين اصليتين (احداهما) ذكر كان يسمى عندهم باسم
(بعل) وكانوا يعبدونه على صور مختلفة كثيرة ويدعونه باسماء متنوعة عديدة فكانوا
يعبدونه في مدينة (صور) باسم (ميليكارت) وفي مدينة (الجيل) باسم (آدونيس)
وفي سائر الجهات الاخرى من بلادهم باسم (مولوخ) او (مولوك) و (الثاني) انثى
و يسمونها باسم (استرته) وهي التي منها تولدت الالهة المعبودة عند اليونان باسم (الزهرة)
التي كانت تعبد بمدينة (بافوس) بجزيرة (قبرص) وقد كانت صورة عبادتهم لهذه
الاصنام المعبودة لهم تشتمل على أعمال تعبدية من أرذل ما يكون وافعال تسكية من
أقبح ما يحل بكارم الاخلاق كما كان الحال كذلك بمدينة (بابل) ولكن كانت تقتصر

عبادة السكتانيين بالخصوص بما كان منطبقا فيها من طابع القسادة والجبر الذي كان يظهر على قواعد اعمالهم التعبدية ولم توجد أمة من الامم السالفين تقرب منهم فيما كانوا يعملونه على حسب ما كانوا يزعمونه تقربا لاصنامهم من الاعمال التنسكية المستعملة على سفك الدماء البشرية وتعاطى الفواحش الدينية قال المؤرخ (كروزر) المشهور مانصه (معربا) ان الفزع قد كان هو الاساس الاصلي والباعث القوي الاولى لادانة القوم الفنيقيين وكان دينهم دائما شديدا لظلمة السفك الدماء محاطا باظم ظلمات التخيلات السوداء (ا) وفي الواقع ونفس الامر من تأمل فيما كان الفنيقيون يلتزمونه في تنسكياتهم الدينية من انواع الصوم والاحتشاء عن تعاطي بعض المواد الغذائية وما كانوا يفعلونه باجسامهم من انواع العذاب الاختيارية ولا سيما ما كانوا يجاسرون عليه من التقربات القبيحة بقتل النفوس البشرية التي كانوا يعتقدون وجوبها على الاحياء تعبد لاصنامهم المعبودة لهم لا يستغرب من كون امواتهم كانوا اولي بان يحسدوا على اموات من احيائهم على الحياة ولقد كان من اصول دينهم ان يتنكأ اشد الاحساسات الطبيعية حرمة ويحيط مرتبة الارواح البشرية الى ادنى الدرجات الدينية باوهام فاسدة وافهام كاذبة من الخش الفواحش وافسق انواع النفس الفاحش وينتهى حال المتأمل في أحوال تعبداتهم هذا الى ان يقول ياهل ترى ماذا كان يترتب على ذلك من سوء العواقب الاخلاقية على اخلاق الامة الفنيقية قال المؤرخ المروى عنه اهلا به بذلك ما معناه وكان اشبع جميع التنسكات التعبدية واشنع الاعمال التنسكية في ديانة الامة الفنيقية هو ما كانوا يعملونه من التقرب لمعبودهم المدعو باسم (بعل مولوخ) بحرق اولادهم وهم على قيد الحياة بفعل ذات والديهم أملا لاعتقاد الخلقهم بالحضرة الالهية المعبودة لهم اولقصدا طقاء نار غضبها عليهم (ا) وكان الفنيقيون قد نقلوا معهم تلك العادة الشنيعة الى سائر التلال الاستعمارية التي كانوا قد احدثوها في سائر الاقطار التي نزلوا فيها ولا سيما بنزلة (قرطاجة) اذ كانت قد بلغ فيها هذا الامر الديني الى ان صار من جملة الترتيبات الدولية الاصلية والشعائر السياسية الملية

ومن المعلوم بالضرورة ان دين كل امة وخصوصا كيفية اعمالهم التعبدية لا بد وان يكون لديه طابع قريحتهم الخاصة بهم ولذلك كان ما نقله اليناع السلف من وصف اخلاق الفنيقيين ليس مما يمدح فقد روى لنا انهم كانوا قوما الى جبر وقساة ودناءة نفس وكأبة وانا سافا فاقين سفا كبير للدماء يتحكم فيهم حب النفس وشدة الاطماع لارسة في قلوبهم ولا يقفون بعهدهم والظاهر ان روح دياتهم بانضمامهم الى حالة وجودهم التي كانت محض تجارية وصناعية قد اجتمعا على ان اخلفا ابواب قلوبهم عن الشعور باحاساسات الكرم والمرورة وعن ضرورة الترقى

الى مرتبة اعلى من تلك المرتبة فانهم ولو بلغوا ثامنا بلغوا من الحدق والمهارة واظهروا اما اظهروا
من الاتقان والشطارة في تحصيل الاشياء المادية قد كانوا في ايتعلق بالمواد المعنوية والاشياء
العقلية في الحقيقة انما هم ذراري ذلك النسل الملعون بالخصوص فيما يروى عن نوح عليه
السلام انه دعا باللعنة العامة على ذرية ولده حسام (اتتهى هذا الباب معربا من مختصر الامم
المشرقية والهند للثورخ فرنسيس لونورمان)



مسائل

تتضمن على وجه الاختصار ما تقدم في هذا الباب السادس من الفوائد والافكار

١ — ما اصل مأخذ هذا الباب

مقدمه

٢ — ما اصل الفنيقيين

٣ — ما اصل الكنعانيين وما كيفية هاجرتهم من الاوطان التي كانوا فيها في اول الامر متوطنين

٤ — ما المراد من لفظ الفنيقية وما جغرافيتها ما كان يوجد فيها من المدن الاصلية

الفصل الاول

٥ — كيف كانت مبادئ اخذ الصيد اودين في الاشتغال بالسفر في البحر في سالف العصور

٦ — ما تاريخ استيلاء الدولة المصرية على بلاد الفنيقية

٧ — كيف كانت حادثة توسع اصيداودين في الاسفار البحرية بملك الحقبة العصرية

٨ — كيف كان سفر الصيد اودين في بحار اليونان بتلك الازمان

٩ — كيف كانت تجارة الصيد اودين في بحر بنطش او بتسكسان

١٠ — ما تاريخ تجارة الصيد اودين ببلاد افريقية

١١ — ما قصة اسفار الصيد اودين بالبحر الاحمر

١٢ — ما اسباب انحطاط درجة فن البحريه عند الامة الصيد اودية

١٣ — ما تاريخ غارة بني اسرائيل على بلاد فلسطين

١٤ — ما قصة نزلة الفنيقيين في ذلك الزمان مدينة (ليبس) من بلاد اليونان

١٥ — ما قصة النزلات الفنيقية ببلاد افريقية

١٦ — ما ذا يذكر عن القوم المعروفين عند السلف المتقدمين بالقوم الليبيين الفنيقيين

١٧ — ما تاريخ غارة القوم المعروفين عند السلف المتقدمين بالهلستيين وما قصة

خراب مدينة صيدا بغارة هؤلاء القوم الهائلين

الفصل الثاني

- ١٨ — كيف كانت مبادئ اخذ مدينة صور في حيازة در جة الاعلوية على سائر المدن الفنية
- ١٩ — كيف كانت حادثة المحالفة الفنية وما كيفية هيئتهم الاجتماعية
- ٢٠ — ماقصة ماكان للفنيين من النزائل الاستعمارية والقبائل المتوطنة ببلاد افريقية وجزيرة صقلية وبلاد اسبانية
- ٢١ — ماقصة استيلاء الفنيين على اقليم (بينيكة) ببلاد اسبانية
- ٢٢ — مآثر مخرج جزيرة (ملاطية) في سالف الاعصار
- ٢٣ — مآثر مخرج جزيرة (صقلية) في سالف تلك الحقبة العصرية
- ٢٤ — مآثر مخرج جزيرة (سردينيا)
- ٢٥ — ماقصة محالفة بني اسرائيل مع ملكة صور وكيف كانت معاملتها الملك (هرام) مع داود عليه السلام
- ٢٦ — ماقصة الحارات والاعمال النافعة التي انشأها الملك (هرام) الثاني بمدينة صور
- ٢٧ — كيف كانت علائق الملك (هرام) الثاني مع سليمان بن داود عليهما السلام
- ٢٨ — مآثر مخرج من خلف الملك (هرام) الثاني على ملكة صور من الملوك الفنيين
- ٢٩ — مآثر مخرج الملك المشهور باسم (بجمايون) واخته (اليسار) او (ديدون)
- ٣٠ — ماقصة تأسيس مدينة (قرطاج) على سواحل افريقية
- ٣١ — ماقصة استيلاء الملوك الاسوريين على بلاد الفنيين
- ٣٢ — ماقصة تخريب (بختنصر) المشرق لمدينة (صور)

الفصل الثالث

- ٣٣ — كيف كانت تجارة الفنيين البحرية
- ٣٤ — كيف كانت تجارة الفنيين البرية
- ٣٥ — ماذا يحكى عما كانت قد اشتهرت به المدن الفنية من كثرة الغنى والثروة ووفرة الامتعة المالية

- ٣٦ — كيف كانت نزلات الفنيقيين الاستعمارية
- ٣٧ — كيف كان تأثير تمدن التزائل الفنيقيين على سائر الأمم المتقدمين وما حقيقة ما كان لهم من الصنایع والفنون
- ٣٨ — ما حقيقة ديانة الفنيقيين وما كيفية عبادتهم - م لاصنامهم المعبودين وماذا نقل عن السلف من صفة اخلاقهم التي كانوا بها مشهورين



الباب السابع

في تاريخ السوريين والليديين وسكان بلاد آسيا الصغرى والارمن السالفين

(معربان كتاب تاريخ بلاد المشرق القديم للمؤرخ (جيلمان)

وفيه عدة فصول

الفصل الاول

في تاريخ بلاد سورية

ذكر جغرافية تلك البلدان واصل اهلها وما كانوا عليه من الاديان

مطلب — ذكر ما المراد من لفظ (سورية) في هذا الباب من سالف الاحقاب وما اوضاعها الجغرافية وبيان اقسامها الطبيعية والسياسية — قال المؤرخ (جيلمان) في كتاب تاريخ بلاد المشرق القديم ما تعريبه بعد مرقوم ان المراد من بلاد (سورية) من سالف الاحقاب الدهرية هي البلاد المشمولة فيما بين ولاية (سليسيا) ولاية سيلفته وادنه وبين بلاد (يهودا) (بلاد فلسطين الآن) والبحر الداخلى في البحر (بمجر الخزر) ونهر الفرات وحيث كانت تلك البلدان تحتقرها عدة فروع من جبل (طوروس) (جبل كوران) وجبل (امانوس) (جبل المداغ) وجبال لبنان كانت تشتمل على اودية نزيهة وسهول خصبة كثيرة توجد دائما في سفح تلك الجبال الكبيرة وذلك بخلاف نواحي الشرق منها حيث ترى صحارى قفرا وبوادي حفر آجفرا لانبات بهامة سد فيما بين نهر الفرات وشمال بلاد (سورية) المذكورة وليس في تلك الاقطار من الانهار الاصلية غير نهر (الاورنط) (وهو المعروف بنهر العاصى الآن)

وكانت تنقسم تلك الاقطار بالتقسمة الطبيعية الى قسمين عظيمين (اُحدهما) سورية العليا وهي الكائنة في جهة الشمال (والثانية) كانت تعرف باسم (كوليسورية) ومعناها سورية الفارغة وهي الكائنة في جهة الجنوب

واما اقسامها السياسية فقد كانت تختلف بحسب اختلاف الاعصار وفي عهد الدولة الرومانية كانت تنقسم على هذه الكيفية الآتية بعدوهي
(اولا) ولاية (الكوماجين) في جهة الشمال وكانت قاعدتها مدينة (ساموزات) وهي موطن الفيلسوف الشهير باسم (لوسيانوس)

(ثانيا) ولاية (لاسيرتيك) الكائنة في جنوب الولاية المذكورة قبلها وقاعدتها مدينة (هيرابوليس) بمعنى المدينة المقدسة وهي مدينة (بنيج الآن) وقد كان فيها معبد شهير لصنهم المسمى باسم (استرته) وكان فيها مدينة كبيرة اخرى تدعى باسم (زوجه) كان يهاجزة طرة مصطنعة من سفن على نهر الفرات تصالها بمدينة (آبامه) الكائنة على الجانب الاخر من النهر المذكور

(ثالثا) ولاية (البيرييه) في جهة الغرب وهي مصابة من جهة الشمال لولاية (سيليسيا) المذكورة اولاً وكانت مدينتها الاصلية تدعى باسم (مير ياندرس) واصل عمارتها من نزلة فنيقية قديمة كانت قد نزلت على القرب من مضائق جبال (سيليسيا) و (ايسوس) (اواجاسيوم)

(رابعا) ولاية (سيلوسية) على القرب من البحر الملح (البحر المتوسط الابيض او بحر سفيد) وكان بها قلعة حصينة تدعى بقلعة (سيلوسيه)

(خامسا) ولاية (كالسيديس) على الشرق من الولاية المذكورة قبلها وكانت قاعدتها مدينة (كالسيس) فاشتق اسمها منها

(سادسا) ولاية (شاليبونتيد) وهي على اقصى من الولاية المذكورة قبلها الى جهة الشرق تصل الى نهر الفرات بواسطة الصحراء حيث يوجد المكان المسمى باسم (تبسك) وكان اكثر عبور المسافرين على نهر الفرات في تلك الازمان من ذلك المكان

(سابعا) ولاية (البليرين) وهي عبارة عن واحة في وسط الصحارى كانت توجد فيها مدينة (بلير) وهي مدينة تدمر المشهورة

(ثامنا) ولاية (كوليسورية) في جهة الجنوب بوادي نهر العاصي بين سلسلة جبال لبنان الاصلية وسلسلة جبال لبنان الموازية لها وكانت قاعدتها من سالف الزمان هي مدينة

(دمشق) الكائنة على النهر المسمى باسم (كرزورواس) (وهو المعروف بنهر دمشق الآن) وهو يتوزع الى عدة جداول او غدران صغيرة كثيرة تروى ضواحي تلك المدينة الشهيرة وهي كائنة في وسط وادنيه جيل جدا وقد كان في تلك الولاية ايضا مدينة (هيليوبوليس) المسماة باسم بعلبك الآن وكان بها في سالف الزمان معبد يدعى الصنع والبنيان لعبادة الشمس (وهي ما كان يدعى عندهم باسم (بعل) في قديم الزمان) لم يزل يتردد عليه السواحون يتفرجون على هيئة بعض الآثار الباقية منه لغاية الآن وتلك الاطلال كائنة على متسع من الارض تبلغ مساحته من اربعة كيلومترات الى خمسة من آثار عمارات عهد الدولة الرومانية والاغلب على الظن انها من عهد قيصم الروم المسمى (انطونينوس) التي واما آثار مدينة تدمر الشهيرة فانها من حيث حجمها هي اعظم شأنها واهول واجسم بنينا واهل غير انما من حيث بعض تفاصيل ودقائق هي دون اطلال هيكل الشمس المذكور قبل

(تاسعا) ولاية (لاوديسية) على حدود بلاد الفينيقية وقاعدتها مدينة (لاوديسه) (عاشرا) ولاية (آبامينية) على شمال الولاية المذكورة قبلها وقاعدتها مدينة (آبامه) وكانت قلعة حصينة عظيمة كائنة في قطر ذي خصوصية جسيمة ومن مدن هذه الولاية ايضا مدينة (حص) وقد كانت مشهورة من سالف تلك الازمان بما كان يوجد فيها من هيكل للهِتم المشهور باسم (بعل) وكذلك مدينة (جاء) وكانت تدعى ايضا باسم (ابيفانيا) واخر اقسام بلاد سورية السياسية الولاية المسماة في تلك الاعصار باسم (كاسيوتيد) في جهة الغرب على سواحل البحر الابيض المتوسط وكانت قاعدتها مدينة (انطاكية) وموقعها في وسط سهل خصب جدا على شواطئ نهر العاصي وعلى البعد منها بمسافة قليلة غابة اشجار من الغار (او الدفلى) والسرو تقي قرية كبيرة هناك كانت تعرف باسم (دفنه) مشهورة بما كان يوجد فيها من هيكل الصتمين المعروفين عند اليونان باسمي (ابواللون) و (ديانه) ومن مدن هذه الولاية الاخيرة ايضا المدينة التي كانت تسمى في تلك الاعصار باسم (لاوديسه) وهي المعروفة باسم (لاطاخيه) الآن

مطلب ذكر اصل السوريين واحوال سكان بلاد الشام السالفين — وقد كان اصل السوريين من نسل (آرام) خامس ابنا سام بن نوح عليه السلام ولذلك قد عبر عنهم بالآراميين وقد عبر عن بلاد سورية ايضا كما في انشوراء ييلاد (آرام) وحينئذ فقد كانوا هم الاقارب الاقرب لبون لقبائل السامية التي كانت تحيط ببلادهم غير انهم لما كانت

مواطنهم على ارض خصبة واقطار متسعة غنية لم يضطروا للخل والارتحال ولم يكونوا قبائل اولى انجماع وانتقال كالخوأنهم العرب ولا اقواما بحارة كما قد كان ذلك شأن القوم الفنيقيين بل كانوا قواما هلا فلاحه وتجارة وذلك انهم كانوا في ذلك العصر من جهة مصابين انهم القرات ومن اخرى على سواحل البحر الملح فكان هاتان الجهتان باين مفتوحين لهما ينتفعان بهما وطريقين متسعين يرتعان للاستفادة منهما وكانت القوافل التجارية التي تجلب البضائع المشرقية الى بلاد الفنيقية تمر بالضرورة في خلال بلادهم فتدعو سكان الاقطار السورية للمشاركة في اسفارهم البرية حيث كانوا يتكسبون معهم منها ويقسمون وينتج من الارباح عنها

مطلب - ذكر ديانة السوريين وما كان لهم في الاعصار السالفة من الاصنام المعبودين - وأما ديانة السوريين السالفة فقد كانت نظيرة من عدة وجوه كثيرة لاديان الامم الذين كانوا لهم مجاورين فكانوا يعبدون الصنم المشهور باسم (بعل) ويعتقدون انه هور بهم الاعلى وهو عين الصنم لذى كان يعبد جيرانهم الكلدانيون مع تحريف خفيف في اسمه وكان في نظر عوامهم هو ذات الشمس او كوكب المشتري او غير ذلك من الكواكب السيارة والظواهر انهم كانوا يعبدون ايضا القمر باسم (بعل جاد) وقد كان من معبودات بلاد سورية الاهلية المعبودة السماء باسم (آتار جاتيس) او (ديرسو) وكان التبعيد لها في الاكثر بمدينة (بنبيس) ولا شك انها في الاصل كانت تختلط بمعبودة القوم الفنيقيين السماء ايضا باسم (ديرسو) وهي في اعتقادهم عبارة عن الهة نصفها امرأة ونصفها سمكة كان لها عابدة متعددة بمدينة (يوبه) و(عسقلان) و(ازوت) وكان لكيفية عبادتها في تلك الاماكن مشابة كبيرة مع كيفية عبادة الهة المسنمة باسم (سيبيله) التي كانت تعبد كذلك باقليم (افريجيا) (بيلاد آسيا الصغرى) حتى انتهى الحال بانحداد كل من الصنفين المذكورين وجعلهما اتها واحدا وكان كل من طائفتي قسمهما في ايام مواسمها الدينية يتممكون على انواع وحشية من الرقص على نغم المزمارير والطبول ويجلدون انفسهم بالسياط حتى يبرز الدم من ابدانهم ويقطعون اطرافهم في احوال جنونية واعمال سر سامية يعملونها في تلك المواسم الدينية ومن اخس الاعمال الدينية الخاصة باديان السوريين السالفين انهم كانوا يمتنعون من اكل السمك ويحترمون الحمام وأما ما كان يوجد في بلاد الفنيقيين من عوايد التقرب لآلهتهم باسالة الدماء والاعمال المحزنة والتنسك بانواع الفواحش المستذلة وخط انواع العذاب الاليم

بقضاء الشهوات الجسمانية فقد كان ذلك يؤجد ايضا عند كثير من الامم المتوطنين ببلاد
آسيا الغربية

ذكر ممالك سورية المستقلة

مطلب — ذكر اصل منشأ الدول والممالك ببلاد سورية من أوائل تلك الاحقاب
الدهرية — قد كان السوريون في أول الامر منقسمين الى عدة قبائل لكل قبيلة
شيخ أو رئيس، مخصوص يقوم بولاية امرها على وجه الاستبداد والاستقلال ثم تقوى
بعض تلك القبائل على بعض وتعالى امرهم على غيرهم فتغلبوا على القبائل المجاورة لهم
وادخلوهم تحت طاعتهم وصار لهم الدولة على تلك القبائل المستضةفة بعد ان كانت لكل
واحدة منها مستقلة ومن ثم نشأ في بلاد سورية عدة ممالك أو دول صغيرة لا تعلم لاهل التاريخ
الا بذكرها في الكتب المنزلة ولم يقف احد من العلماء بالتواريخ القديمة على حقيقة
المواقع الجغرافية التي كانت لكل واحدة من تلك الممالك الكثيرة وهي مملكة (سوبا) ومملكة
(جسام) ومملكة (ارباد) ومملكة (معاشة) ومملكة (جاسور) ومملكة (روهب)
ومملكة (دمشق) ولم يعلم الجميع هذه الممالك والدول السورية حقيقة احوال تاريخية لغاية
ان خرج بنو اسرائيل من بلاد (فلسطين) في عهد كل من الملك (شاول) والملك النبي
(داود) عليه السلام حيث كان قد صار بنو اسرائيل في ذلك الجبل قوما اهل جهاد
فتوجهوا لقتال اهل تلك البلاد وتلاقوا مع بعض ملوك الاقوام السوريين فذكر في سفر
(سمويل) من التوراة ان (شاول) حارب ملوك (سوبا) وكان الملك (حداد عزيز)
معاسرا لداود عليه السلام فاراد هذا الملك السوري ان يفعل ببلاد (سورية) كما فعل ملوك
بنو اسرائيل ببلادهم ودا اعنى انه يجمع سائر القبائل السوريين المتفرقين ويجمعهم عصابة
واحدة ودولة متحدة مركبة من جميع القوى المالية والجنود الالهية لقصد منع تقدم
ما كان قد حصل من الشروع فيه من افتتاح تلك البلاد بجهاد الاسرائيليين فلم يتم له ذلك
المرام بل كان داود عليه السلام قد توجه اليه فهزمه كل الانهزام وكان قد رغب في
المخالفة مع ملك بني اسرائيل عدة رؤساء صغيرين من ملوك الطوائف السوريين واراد
اهل مملكة (دمشق) ان يأخذوا بشار ما حصل من الانهزام لملك السوريين المذكور
فانتدب لهم داود عليه السلام وشئت جوهم وهزمهم شرهزيمة واضطر والامثال له
والدخول تحت طاعته واجبر هؤلاء الاقوام السوريين على دفع خراج الى دولة بني اسرائيل
بمدينة (اورشليم) (بيت المقدس)

مطلب — ذكر حروب الملوك السوريين مع بني اسرائيل — وما علم من التوراة أيضا انه كان قديم هؤلاء الاقوام السوريون مرة أخرى بحرب جديدة على بني اسرائيل أرادوا أن ينتهزوا فيها فرصة قيام القوم العمونيين على الاسرائيليين فخاب كذلك أملهم ولم يخرج علمهم ومع كون ملكهم المدعو بامم (حداد عزير) المذكور آنفا قد استعان على بني اسرائيل في هذه الحرب بسائر القبائل السوريين المتوطنين بالجانب الايسر من نهر الفرات هلك منهم فيها ٤٠٠٠٠ رجل في سهل (هيلام) حيث كانت واقعة تلك الحرب ومن وقت أن سقط القوم السوريون في هذه الواقعة لم يؤثر ملكهم هذا ذكر بل كان قد ظهر رجل آخر من جملة خدمه يقال له (ريزون) فلم يرض بهذه الهزيمة وكان قد أحدث له مملكة بمدينة (دمشق) وجاء احد خلفائه عليها وكان معاصر الملك بامم المدعو باسم (آفيا) بن (رجعم) بن سليمان عليه السلام فحدثه ودمملكة (دمشق) على أكثر بلاد سورية

وبينما كانت هذه الدولة ذات الشوكة القوية قد تأسست ببلاد سورية كانت دولة العبرانيين قد سقطت في حالة الاضمحلال بما كان قد اعترافا في ذلك العصر من الفشل والاختلال فجاء صاحب مملكة (دمشق) هذه المدعو بامم (ابن حداد الاول) وانتهاز فرصة ما كان واقعا في اسباط بني اسرائيل من التفرق والشقاق واجبر مملكتي دولتي (يهودا) وبني اسرائيل المتخاصمين على ان يشتر يامنهم مزية مخالفتهم معهما باغلى الاثمان وقام ملك دولة يهودا المسمى باسم (آسا) فسلم اليه سائر خزائن بيت المقدس وصار عضدا مساعدا له على دولة بني اسرائيل الاخرى وقام السوريون فسلبوا منها ونهبوها وتلفوا حالها واخر بوبها واستولوا منها على عدة مدن واجبروا الملك (عمرى) على ان يأذن للتجار السوريين في ان يدخلوا مع غابة اطلاق العنان والحرية في مدينة (سمرية) وبينوا بهاديار اليه فيموا فيها وجأ الملك (ابن حداد الثاني) ولد (ابن حداد الاول) وخليفته على سرير مملكة (دمشق) في نحو (سنة ٩٠١ ق م) فاراد ان يرسل مملكة بني اسرائيل بالكلية وحضر امام مدينة (سمرية) يتبعه ٣٢ ملكا اورشليمية من طوائف السوريين ووضع عليها الحصار غير انه تحكم الفشل والاختلال في معسكره فاضطر للفرار مع العار والشار وذكريا بالتوراة أيضا انه كانت قد توجهت بعد ذلك غارة اخرى من السوريين على بلاد الاسرائيليين فترتب عليها وقوع واقعة حربية قتل فيها كاقيل ١٠٠٠٠ رجل من السوريين وكان قدامكن للملك (احوب) ان يأمر ملك (دمشق) في هذه الواقعة ويقتلهم

ويقتله لسكرته اختار ان يبقى عليه ويعتقد معه عهد محالفة ولا شك في ان واقعة نصره عليه لم تكن تامة كما ذكر حيث لم تلبث الحرب ان قامت على ساقيها بين مابا الثاني ووجهت بينهما واقعة حربية اخرى قتل فيها (احوب) مع انه كان قد انضم للملك (بموشافط) ملك يهودا فاعانته عليه وخلف (احوب) على سرير مملكة بني اسرائيل ولده (يهورام) فشن عليه الغارة بمدينة (سمرية) ملك دمشق وحصره فيها اضيق الحصر حتى اصاب تلك المدينة اشق المجاعة والسكر ولم ينقذها من غائلة تضيق الجنود الاراميين عليها غير حالة فرغ قامت بهم وتمكنت منهم ثم كانت عاقبة الملك (ابن حداد) هذا ان قام عليه بعد ذلك بقليل رجل من قوادس كرهه يقال له (هازايل) وخنته ومع ما حصل في مدة عهد الملك (ابن حداد الثاني) المذكور من بعض مصائب الدهور فقد كان لمدة تملكه على مملكة دمشق من البهجة والظهور ما بعث الاقوام السوريين على ان يتخذوه الها لهم بعد موته وعبدوه

واما القائد (هازايل) فانهم بعد ان قلدوه بمملكة دمشق وعلى منصب الملك اقروه قد كان اخذ منه الاسرائيليون في اول امره مدينة (راموت) ببلاد (جلعاد) او (شالاد) وهي البلاد الكائنة على شرقي الجبال الواقعة على نهاية حوض نهر الاردن الاسفل ثم حارب الملك (ياهو) وابنه (يهوياحاز) فظفروا بهما وغلبيهما واخرب عليهما مملكة بني اسرائيل اشد الخراب والتفت بعد ذلك الى محاربة الملك (يؤاش) ملك يهودا فشن الغارة عليه واجبره على ان يقتدى مدينة القدس منه بتسليم جميع ما في خزان البيت المقدس من الاموال والامعة النفيسة اليه وبعد ان قتل الملك (يؤاش) الحبر الاكبر (زكريا) بستة واحدة كان الملك (هازايل) ملك دمشق المذكور قد عاد الى مدينة بيت المقدس بالثاني وانتزعها من يد بني اسرائيل واباحها للسلب والنهب ولم ينقذهم الله سبحانه وتعالى من شدة هذا الكرب الامموت عدوهم هذا الشديد الصعب

مطلب — ذكر زوال دولة السوريين وانضمامها الى دولة الاسوريين — وخلفه على سرير مملكة الاراميين ابن له يدعى ايضا باسم (ابن حداد) فاسترد بنو اسرائيل منه سائر القلاع والحصون والمدن التي كان ابوه قد اخذها منهم بل يظهر ان (ربعم) الثاني ابن (يؤاش) ملك بني اسرائيل كان قد استولى على مدينة (دمشق) والحقها بدولة العبرانيين في ذلك الجيل وذلك ان حين انصباب المصائب على رؤس السوريين كان قد حان وأوان زوال دولتهم كان قد آن وكان قد ظهروا في بلاد المشرق في ذلك الزمان دولة ذات

شوكة قوية كانت قد اخذت في ان تدخل تحت طاعتها سائر الامم الآرامية كما دخلت كذلك تحت ربة سلاطينها بني اسرائيل والفنيقيين (وهي دولة القوم الاسوريين) وكان آخر ملوك دمشق المدعو باسم (ريزان) اراد ان يتدارك هذا الخطر بان يتعصب مع ملكي يهودا و بني اسرائيل على دفع غائلة هذا الامر فأجاب بذلك الملك (فاتح) صاحب مملكة بني اسرائيل وامتنع (آخر) بن (يوشم) ملك يهودا ولما أغار على مملكته كل من صاحب مملكة بني اسرائيل وملك (دمشق) معا التمس الامداد عليهم من الملك (تجلا تفلهم) ملك الاسوريين فبادر ملك (نينوى) هذا باجابة دعاه وحضر بمجنوده (اولا) امام مدينة (دمشق) ووضع الحصار حولها فأخذها واستولى عليها وقتل (ريزان) المذكور وانتزع جملة نفوس من اهلها واجلاهم الى شواطئ نهر (قبروس) (وهو نهر يصب في نهر العاصي) وانزل بدلا عنهم في بلاد سورية نزال استعمارية من الاقوام الاسوريين ووضعها جنودا محافظين وعمالا من طرفه ومن ذلك الوقت صارت بلاد سورية كلها ولاية تابعة للدولة الاسورية ولم يترتب على انخراط مدينة (نينوى) فائدة مما للاقوام السوريين بل كانت دولة الفراعنة المصريين قد توجهت اليهم بالتهديد وانتقال الدولة العراقية القديمة الى مدينة بابل تعدت صولاتها كذلك اليهم ونزلت الجنود الكلدانية عليهم فهزمهم مع العبرانيين في واقعة (ماجدو) وتبعت فرعون مصر فهزمته ايضا في واقعة (قرقازيا) او (فرقيش) واجبرته على ان يفر الى ديار مصر ومن ذلك العهد صار الاسوريون غنيمة باردة ولقمة حاضرة محضرة لكل من جاء فاستولى على بلاد آسيا من الملوك الفاتحين في كل عصر كجنتنصر وكبيرش والاسكندر وغاية ما هناك انه فيما بعد ذلك من الزمن كان قد حدثت ببلاد سورية دولة جديدة تعرف في التواريخ القديمة بدولة (السيلوسية) او (السيلاوية) وفي تلك القرون الاخيرة لغاية عهد السلطنة الرومانية كانت مدينة (بلبر) او (تدمر) التي هي مدينة سليمان عليه السلام القديمة لم تزل ظاهرة في اقصى درجة ابهرتها باهرة باهرى حلل بها

الفصل الثاني

في تاريخ بلاد آسيا الصغرى

مطلب — ذكر ما المراد من لفظة (آسيا الصغرى) وما وصفها الجغرافية — المراد

— المراد من قولهم (آسيا الصغرى) هو هذه البقعة جزيرة البارزة في البحر الأبيض المتوسط (بحر سفيد) على هيئة رأس عظيم جدا من الأرض القارة التي يطلق على ساكنيها اسم (آسيا) على وجه الاطلاق فهي الجزء البارز من ذلك البر فيما بين بحر بنطس او بنطسكان وبحر جزيرة (قبرص) على وجه بحيث يدفع امامه امواج بحر الارخبيل (او بحر جزائر الروم) وسواحلها الجنوبية مستورة بجبال شاهقة من ضمن سلسلة جبال (كوران) لم تزل في كل عصر من الاعصار ماوى لاهم غير مضبوطين واقوام بر وابطقوا نين الملل غير مربوطين فهم دائما مستعدون لانزول على البحر وعلى السهول الكائنة تحت ارجلهم ينتهبون التجار المسافرين ويستلبون اموال الاقوام الفلاحين ويتكون من هذا القطر الكثير الجبال من المشرق الى المغرب كل من الاقاليم التي كانت تعرف عند السلف بهذه الاسماء القديمة وهي (سكاريا) و (ليسيا) و (بنفيليا) و (سيليسيا) وهذه الاقاليم تحرف الى جهة الجنوب نحو البحر ثم (اسبسيدا) و (ابزوريا) و (ليكاونيا) وهذه الاقاليم تنزل الى جهة الشمال من اعلى الجبال الى داخل تلك البلاد وعلى الغرب من آسيا الصغرى المذكورة كل من ممالك (تروادة) و (ميزيا) و (ليزيا) و (ابوليد) و (يونيا) وهي بلاد اليونان الكائنة بسواحل (آسيا) و (دوربد) وكل هذه الاقاليم كائنة على ساحل من البحر كثير الهضبات والوادع جدا تحتقرها عدة مجار من المياه تنكسب تلك الارض خصوبة عظيمة ولا يوجد في البحر امام الساحل الجنوبي منها غير جزيرتين عظيمتين وهما جزيرتا (رودس) و (قبرص) واما في داخل البحر من الساحل الغربي فيشاهد عدة عديدة وسلسلة مديدة من جزائر جميلة وهي جزائر (لنوس) و (لسبوس) و (شيو) و (ساموس) و (كوس) و جزائر (اسبورادة) ولم تزل تلك الجزائر كلها من قديم الزمان معمورة بالناس الذين فيها يابون وملجأ للتجار الذين اليها يلجئون وفي جهة الشمال من آسيا الصغرى الى جهة بحر (بنطس) المتصل ببحر الارخبيل بواسطة كل من بونغاز (هيليسبون) و (هوبغاز) (الدردانييل) او شنى قلعه) و جون (البرونشيد) و (هوبجر مرمرية) و بونغاز (البوسفور) و (هوبونغاز) (الابولون) يوجد كل من اقليم (ميزيا) و (بيثيا) و (بفلاچونيا) و (ملاكة) (بنطس) او بنطسكان) وفي وسط آسيا الصغرى يوجد اقليم (افريچيا) و (الاقبادوسية) و (ملاكة) اخرى حدثت ايضا فيما بعد يقال لها (جالاسيا) وكل هذه الاقاليم الاخيرة كائنة في ادنى نواحي هذا القطر نعاما خالية واقلاها كرامة طيبة ثم ان بلاد آسيا الصغرى هذه تنفصل عن باقي بلاد آسيا العليا والكبرى ببحر (امانوس) (جبل المداغ) وهو جزء من سلسلة جبال (كوران) يمتد الى جهة الشرق وتتكون منه تلك

البحيث جزيرة على وجه طبيعي مضبوط جدا بحيث لا يمكن الدخول منها الى بلاد (سورية) الامن باين ضيقين مسافة ما بينهما بقدر ٣٥ كيلومترا يدعى احدهما وهو الكائن في جهة الشمال باسم باب (الماداغ) والثاني وهو الكائن في جهة الجنوب باب (سوريه) واعظم الانهار ببلاد آسيا الصغرى هو النهر المسمى عند السلف باسم (هاليس) وهو المعروف الآن باسم (قريل يرمق) وهو الحد الفاصل بين نوعين متباينين من الانسال البشري القاطنين في تلك الاقطار الارضية اما سكان الجانب الغربي من ذلك النهر وهم (الليديون) و (الافريجيون) و (الميزيون) و (الكاريون) فقد كانوا على وجه العموم من جنس نسل اهل اقليم (طراقة) الاوروبيين واما سكان الجانب الشرقي منه وهم (القادوسيون) (السيليسيون) و (البنفيليون) و (الموليميون) وهم سكان اقليم (ليسيا) و (بيسيديا) السالفون فهم من جنس النسل السورى العربى وقد كان نهر (قريل يرمق) هذا فاصلا بين فرقتين مختلفتين من اللغات التي يتكلم بها هؤلاء الاقوام بترك الجهات (احدهما) على الجانب الايمن منه وقد كانت كلهما من طائفة اللغات السامية الاصل و (الثانية) على الجانب الايسر وهى من طائفة اللغات الهندية الجرمانية وذلك فيما عدا بلاد الارمن فاجازة عن آسيا الصغرى والظاهر انها الداعى ما عليه طبيعة لغة اهلها يقتضى أن تعد من جمل الفرع الهندى الجرمانى ايضا وستكلم عليها في فصل مخصوص يأتي بعد

مطلب — ذكر احوال سكان بلاد آسيا الصغرى السالفين — وما يوجد بين الامم القاطنين على غربى نهر (قريل يرمق) من القرابة الشديدة من حيث اللغات التي كانوا يتكلمون بها فقد كانوا مختلفين من وجهة عديدة فكان (الكاريون) و (الليديون) و (الميزيون) منهم يعترفون بانتسابهم الى اصل واحد ويتعبدون جميعا على وجه الشيوخ بعمل قربانات الى معبودهم العام المدعو باسم (زايوس كاريوس) بمدينة (ميلانة) بخلاف القوم (الليكا ونيين) فانهم مع كونهم كانوا يتكلمون بعين اللغة التي كانوا يتكلمون بها (الكاريون) كانوا لا يشاركونهم في ذلك وكان كل من الامم (البيثنيين) و (المارياندينيين) و (الفلاجونيين) يتكلمون منهم في جهة الشمال الشرقي من الامم المذكورة من قبلهم طائفة ثمانية كان دليل رجوعهم الى أصل الطراقيين الاوروايين اقوى وافصح واطهر واوضح مما يشاهد في احوال هؤلاء الاقوام المذكورين وذلك ان سكان لجاتيين من بوغاز (البوسفور) كانوا يتكلمون في العصر المذكور بلغة واحدة وكانت لبلادهم وطباعتهم متحدة وهى شدة الشغف بالحرب وسفك الدماء والانهماك على السلب والنهب

فكان الفرق بين كل من (الكارين) و(الليديين) وبين (البيثنيين) و (البفلاجوثيين) عظيماً جداً وكان (الميزيون) و (الافريجيون) هم الذين تحقق فيهم درجة الانتقال بين الاصليين المذكورين وتعتقد فيهم عروة القرابة بين جميع هؤلاء الامم المذكورين ولقد صدق من قال من اهل التاريخ ان واسطة عقد الانتقال بين الامم الآسيين والاقوام الاوروبيين المذكورين كانت بلاد (افريجيا)

وقد اتفقت الروايات المنقولة عن المؤرخين المتقدمين مع ما يظهر من احوال اللغات التي كان هؤلاء الاقوام يتكلمون بها على كل من جانبي بونغاز (البوسفور) المذكور على ان سائر هؤلاء الامم كانوا متحدى الاصل والنسب مختلطين بعضهم مع بعض وهل كان اصلهم من بلاد آسياء ثم انتقل منهم اقوام مهاجرون الى بلاد اوروپة ام كان الحال بالعكس قال جمهور المؤرخين السالفين ان (الافريجيين) كانوا في الاصل من الاور وياويين وكانوا قاطنين بسفح الجبل المدعو باسم (برميون) بتلك الاقطار وكانوا يدعون حينئذ باسم (البريجس) ومعناه في لغة (الليديين) الرجل الحر وقال المؤرخ الروماني المشهور باسم (استرابون) ان (الاطراقيين) و (الميزيين) كان اصلهم من البلاد التي كان الرومانيون يدعونها ببلاد (ميزيا) وهي الكائنة على شواطئ نهر (طونة) ببلاد اوروپة ثم هاجر جميع هؤلاء الاقوام من بلاد اوروپة الى بلاد آسيا وقال المؤرخ (اكسانتوس) الليدي ان انتقال القوم (الافريجيين) من شواطئ اوروپة الى شواطئ آسيا قد كان بعد حرب مدبنة (تروادة) المشهورة وقال المؤرخ (هيرودوت) اليوناني بعكس هذه القضية فذكر في كتاب تاريخه المشهور ان جماعة كثيرين من (التوكرين) وهم قدماء الترواديين ومن (الميزيين) الذين هم من قدماء الاقوام الآسيين المذكورين كانوا قد انتقلوا من بلاد آسيا الى اوروپة قبل تلك الحرب المذكورة فطردوا (الاطراقيين) من مواطنهم الاصلية واجبروهم على ان يهبطوا ببونغاز البوسفور وتوطنوا باقليم (بيثنيا) وتقدموا هم الى حد نهر (بينوس) وهو المعروف الآن باسم (سلاميريا) بولاية (نيسابا) وقال بعض السلف من اهل التاريخ أيضاً ان (الميزيين) هم في الاصل نزلوا من القوم الليديين وكانوا قد بعثوا الى تلك النواحي قصد تسكين الغضب الالهى وفي الحقيقة قد كانت لغة (الميزيين) نصفها ليدي ونصفها افريجي وبالجملة فقد كان يوجد بعض روايات عامية وخرافات اهلية متحدة بسواحل اوروپة وآسياء معا قصة الملك (ميداس) ملك نواحي نهر (البكتول) وهو نهر (سرد) او (سرت) الآن حيث كانت تلك القصة الخرافية تمسك بين سكان (افريجيا) و (مقدونيا) معا ومن هذه الوقايغ كلها ينتج اتحاد

اصل جميع سكان اقليم (طراقة) وبلاد آسيا الصغرى اعنى قرابة سكان بلاد اليونان مع ام
آسيا الكبرى على وجه العموم

واما بلاد (القيادوسية) و (نطش) و (بيثنيا) و بلاد (الجالاسين) فحيث كانت قد تكون
بها بعض عمالك ودول صغيرة أو كبيرة في الحقبة العصرية المنقضية فيما بين عهد الاسكندر
الا كبر وعهد السلطنة الرومانية فسيأتى الكلام عليها في مواضعها

ولا يعرف لاهل التاريخ شئ من اخبار بلاد (الليكاوونيين) غير انها بلاد متكونة من هضبات
جبلية باردة الهواة تكثر فيها المواشى الحيوانية كان فيها من قديم الاحقاب الزمنية المدينة
المسماة باسم (انكيوم) (وهى قونية الآن) ولامن اخبار بلاد (ايזורيا) وهى خطة من
جبال كوران كثيرة القلاع والحصون الصغيرة من قديم الزمان ولامن اخبار بلاد
(الابسيدين) الكائنة على قبة جبال كوران المدكورة وقد عثر بعض السواحدين من الافرنج
المتأخرين على اطلال عظيمة وأثار جسيمة لمدينتين قديمتين للقوم (الابسيديين) المذكورين
كانت تدعى (احاهما) باسم (سلجه) وكانت موضوعة على رأس جبل وعرجداو (الثانية)
باسم (ساجالاسوس) كائنة كذلك على قبة صخرة شاهقة تشرف اشرفاً رأسياً على واد
منفلذى ثروة وخصوبة بليغة يشتمل على عدة قرى عديدة

وأما (الليسيون) فسيأتى الكلام على تاريخهم في باب تاريخ الاقوام اليونانيين واما
(البنفيليون) و (السيليسيون) فلاتاريخ لهم يذكر ولا اثر عنهم يؤثر غير انه حصل العثور
على آثار مدن قديمة كثيرة ببلاد (ميليسيا) ولا سيما اثار مدينة (سوليس) ذات على
ما كانت قد بلغت تلك الولاية في قديم الاعصار من علوم مرتبة الثمدن والاصحفار واما
كان موقع تلك البلاد في عين باب بلاد اسيا العليا لزم بالضرورة ان يكون قدميها في خلال
سهولها ومضائق جبالها سائر الملوك الفاتحين للممالك القديمة من عهد الملك (نبنوس)
لغاية الاسكندر الا كبر ومن خلفه من الملوك السالفين ولذلك عثر بعض السواحدين المتأخرين
في الدر بندأى المضيق بين الجبلين المعروف الآن باسم (جلوك بوغاز) وهو المشهور عند
السلف باسم (يلكس سيليسيا) بمعنى ابواب سيليسيا على نقوش بارزة مصطنعة في الصخور
يظهر عليها طابع فن تصوير الاسوريين ومنها نقوش اخرى تراءى لبعض العلماء
الاوروبيين انها من الاعمال الاثرية التي انشأها (كسرى) ملك فارس فان جميع هذه
الآثار تثبت مرور هؤلاء الملوك الاقدمين الفاتحين لممالك المشرق وتؤكد كدبها ذكرهم
في تلك البلاد

واما البقلا جونيون فلم يجد ثوالهم دولة الامم صفة حقبة قصيرة من الدهر قبل ميلاد المسيح عليه السلام بمدة قرنين من ذلك العصر وكانوا غنيمة يتنازعها كل من ملك (بنطش) وملك (بيثنبيا) في سالف الاعصار وليس لاهل النار يخ معلومات صحيحة الا ما ندر جدا فيما يتعلق بحقيقة احوال بلاد (الكارية) وبلاد (افريجية) واما ملكة (تروادة) وملكها (ليديا) فانما اوضح حالا من جميع بلاد هؤلاء الاقوام الآسيين لداعي انهما كانا اكثر علاقة ومعاملة مع بلاد اليونان في تلك الازمان

اما (الكاريون) فن اخبارهم ما يظهر من انهم كان قد حدث لهم في الاعصار الفارسة دولة عظيمة ظاهرة وكانوا يدهون في تلك الاعصار القديمة باسم (الليجين) وانهم كانوا قد ملأوا بحر جزائر الارخبيل (بحر جزائر الروم) وما فيه من الجزائر بسفنهم البحرية وكان قد استولى عليهم الملك (كربزوس) ملك (الليديين) وضم بلادهم الى ملكته حتى جاء الملك (سكيرش اوقيروس) ملك فارس ففتحها واستولى عليها ونصب عليها من طرفه ولانها الاصليين ومن اخبار الكاريين المذكور بن انهم قد كان لهم حظ هظيم ومدخل جسيم في ثورة المدن اليونانية واليونانية الكاثمة بسواحل بلاد آسيا الصغرى الى الدولة الفارسية وانهم كانوا قد صاروا قع هصيانهم ومنع طغيانهم وادخالهم معهم تحت الطاعة الفارسية بالثاني وكان التجار في النوع البشري بتلك الاعصار يجدون سهولا في اخذ الرقيق الذي كانوا يتجرون فيه من سكان تلك البلدان حتى صار لفظ (الكارى) مرادفا للفظ الاسير في تلك الازمان ويرى انهم كانوا دائما يخدمون الدول الكبيرة ذوات الشان بالاجرة كدولة مصر واليونان ودولة العبرانيين في عهد داود عليه السلام

واما بلاد (افريجية) فقد كان من مدنها الاصلية في تلك الازمان مدينة (الأوديسة) وهي المعروفة الآن باسم (اسكى حصار) ومدينة (آبامه سبيوتوس) وهي المسماة الآن باسم (دينابس) وغيرهما ومن اشهر الاماكن المشهورة بهذه الولاية ايضا السكان المعروف باسم (تنبره) وهو السهل الذي هزم فيه الملك (كيرش) جيش الليديين والقرية المشهورة باسم (ابسوس) وهي البقعة التي وقعت فيها واقعة الحرب الكبيرة بين خلفاء الاسكندر الاكبر وبها اقتسموا بلاد سلطنته فيما بينهم كما سيأتى اباض ذلك في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

وقد كانت ولاية (افريجية) هذه مشهورة عند السلف بجودة ما يخرج بها من صنف الصوف الجيد فيؤخذ الى مدينة (ميلبت) وهي اكبر المدن اليونانية واليونانية ببلاد آسيا

الصغرى ويصطنع فيها منه اجود الاقشة الفاخرة وكانت مشهورة ايضا من سالف الازمنة بالفلاحة المتقنة وما كان يخرج فيها من أنواع الجبن المستحسنة وأنواع الاطعمة المحلطة

نذكر ان بهذه البلدة من سالف الازمان الغابرة ايضا مملكة من هرة ودولة كبيرة ظاهرة تواترت اخبارها الى عصرنا هذا وبقيت آثارها عندنا بما تواتر لدينا من الروايات التي تنقلها الناس من الامم والاقوام المتوطنين على جوانب بوغاز (البوسفور) (بوغاز اسلامبول) مما يحكى عن بعض ملوك تلك الولاية وهو الملك المشهور باسم (ميداس) من انه كان اذا لمس شيئا مما استحال الى ذهب في الحال ولا شك في ان ذلك من قبيل الخرافات العامية والخيالات الوهمية وانما من الثابت المحقق والمعلوم الصادق المصدق انه كان يوجد في تلك الولاية دولة كانت قد سبقت في السلطنة على بلاد آسيا الصغرى دولة (الليديين) وربما كانت هي الواسطة في التمدن والتقدم في المواد الدنيوية الذي كان قد جاء من بلاد آسيا العليا الى مملكة (ليديا) ومملكة (تروادة) وسائر بلاد اليونان في سالف الزمان ولكن من سوء البخت ضاعت عنا اخبار ذلك التمدن القديم واندرست آثار ذلك التقدم العظيم ولم يبق لنا منها غير ما علم من بعض روايات عامية قديمة متهممة وبعض آثار واهية مبهممة شوهت عليها بعض نقوش بارزة هي لغاية الآن غير منزهة وحدث خصوصاً على وادي (سجاريوس) وهو المعروف الآن بنهر (ساكاريا) ببلاد آسيا الصغرى يصب في بحر (بنطس) وقد كان ايضا من جملة دول بلاد آسيا الصغرى القديمة العظيمة وبما حكها المستنحلة الجسيمة مملكة (تروادة) ولكن تاريخها مما يتعلق بتاريخ بلاد اليونان وسأنا في بابها من هذا الكتاب



المفضل الثالث

في تاريخ الليديين

مطلب — ذكر ان كانت مواطن الليديين وما اخبار بيوت ملوكهم السالفين — انه فيما بين سفح جبل (تملة) او (تولوس) ونهر (هرموس) السكان على الجانب الايمن من النهر المسمى باسم (بكتول) او (بكتولوس) وهو المسمى بنهر (سارد) او (سرت) او (باجوليت) الا ان يرتفع جبل شامخ جدا يشرف على سهل رحب خصب ينبثق فيه من جهة الشرق

